عناوين السلسلة

(١) هندسة علوم الحديث
(٢) مصطلح الحديث
(٣) تاريخ الحديث
(٤) مصادر الحديث
(٥) التعرف على علم الرجال
(٦) فقه الحديث
(٧) في رحاب نهج البلاغة
(٨) الحديث والحياة
(٩) سيرة أهل البيت عليهم السلام
(١٠) أسلوب البحث عن الأحاديث

(١)

هندسة علوم الحديث

- المدخل
- الكتاب والسنّة
- شمول السنّة لما جاء به أئمّة أهل البيت عليهم السلام
- الحديث الشريف طريق إلى السنّة
- علوم الحديث
- كيف نشأت علوم الحديث
- تعريف علوم الحديث
- أنواع علوم الحديث

المدخل

قبل أن نبدأ بالتعرّف على علوم الحديث، لا بدّ لنا من بيان بعض المواضيع التي يتمّ من خلالها تسليط الأضواء على السنّة الشريفة ـ استناداً إلى الآيات القرآنية المباركة ـ مع بيان دور الحديث في الوصول إلى السنّة المباركة.

الكتاب والسنّة

لا يخفى أنّ الأساس في تحصيل الأحكام والمعارف الإسلامية هو القرآن الكريم؛ باعتباره كتاباً سماوياً أُنزل على نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ليكون دستوراً للبشرية جمعاء، يحتوي على معالم الدين الإسلامي وأُصوله ومبانيه، من دون التطرّق إلى الكثير من جزئياته وتفريعاته.

ولمّا بَعث الله تبارك وتعالى نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله ليكون هادياً ومبشّراً ونذيراً، أوكل إليه بيان المعارف الإسلامية وتفصيلها وتعليمها للناس، كما نصّ القرآن الكريم على ذلك: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ**﴾[1]، وأمر الناس باتّباعه والأخذ منه، كقوله تعالى: ﴿**مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى**

---

١. آل عمران: ١٦٤.

ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[١].

ومنه يظهر أنّ المولى تبارك وتعالى قد اختار رسوله محمّداًﷺ ليكون الناطق عن الوحي الإلهيّ وممثّلاً له في تبليغ الشريعة المقدّسة بين البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[٣].

ومن هذا المنطلق نقول: إنّ تأكيد القرآن على ضرورة اتّباع الرسولﷺ والأخذ منه، قد أعطاه الصلاحية اللاّزمة لبيان الأحكام والمفاهيم الإسلامية، ومنه نرى أنّ القرآن الكريم قد قرن طاعة الرسولﷺ بطاعة المولى (عزّ وجلّ): ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[٤].

ونستنتج ممّا تقدّم: أنّ كلّ ما أتى به النبيﷺ فهو حجّة على المكلّف، سواء أكان ذلك قولاً أو فعلاً أو تقريراً (إمضائه للواقعة التي يشاهدها). وإن كان الظاهر من الآيات هو النطق (القول) الذي هو أظهر أساليب التبليغ، إلاّ أنّه لا ينافي حجّية فعله وتقريره، بمقتضى كونه معصوماً؛ لامتناع صدور الذنب وحصول الغفلة والخطأ والسهو منه عقلاً، حتّى يمكن القطع بكون ما صدر عنه من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ هو من التشريع.

ثمّ اعلم إنّ الرسولﷺ اعتمد في تبليغ رسالته على دعوة الناس إلى التفكير والتعقّل. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «...**فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويُثيروا لهم دفائن**

---

١. الحشر: ٧.

٢. النجم: ٣ ـ ٤.

٣. النحل: ٤٤.

٤. المائدة: ٩٢.

العقول...»[١].

فالأساس في هذا الدين هو استعمال العقل في سبيل الوصول إلى الحقائق التي كشف عنها الإسلام، وعلى رأسها توحيد الباري تعالى، بشكلٍ لا يعتريه شكّ ولا ريب.

وبعد معرفة معالم الدين الإسلامي واُصوله والالتزام بها من خلال المعرفة التعقّلية القطعية، يأتي دور التعرّف على فروعه وأحكامه وآدابه، فيكون من واجب النبي صلى الله عليه وآله بيانها وتفصيلها للناس بحكم كونه هادياً ومبشّراً ومعلّماً.

فالسنّة إذاً ـ لا شكّ لدى جميع المسلمين ـ تمثّل المصدر الثاني للمعارف الإلهيّة، وبالأخصّ فيما يرتبط بالعلوم الشرعية التي تمثّل الدائرة الأوسع لعمل المعصوم عليه السلام.

شمول السنّة لما جاء به أئمّة أهل البيت عليهم السلام

أجمع علماء الشيعة على أنّ ما جاء به أئمّة أهل البيت عليهم السلام من قول أو فعل أو تقرير يعتبر من السنّة، ومنه عرّفوا السنّة بأنّها: «قول المعصوم [نبيّاً أو إماماً] وفعله وتقريره»[٢].

فقد راحت كلمات النبي صلى الله عليه وآله تؤكّد على أنّ الأمر من بعده يرجع إلى أهل بيته عليهم السلام، ليتمّ بذلك إعلان مرحلة جديدة من مراحل العمل التبليغي، ألا وهي مرحلة الإمامة، والتي هي حفظ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من تشريعات وقوانين، بعد أن أكمل الله سبحانه دينه وأتمّ نعمته.

فقد ورد في الحديث المتّفق عليه قوله صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم الثِّقْلين ـ أو الثَّقَلين ـ أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[٣]. فإنّ هذا الحديث الشريف

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ١.

٢. انظر: *نهاية الدراية* لحسن الصدر: ص٨٥.

٣. *مسند أحمد* لابن حنبل: ج٣، ص١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩.

يثبت بوضوح أنّ العترة الطاهرة هي عدل القرآن الكريم.

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام يخبرون عن الله تبارك وتعالى عن طريق جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، كما دلّت الأخبار على ذلك، فقد ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله (عزّ وجلّ)**»[1].

الحديث الشريف طريق إلى السنّة

كان الكلام فيما سبق عن السنّة التي هي: (نفس قول المعصوم وفعله وتقريره)، وذلك في عصر حضوره بين الناس، فيسمعون قوله ويرون فعله وتقريره.

وموضوعنا ليس في السنّة مباشرة؛ لأنّنا لم نعاصر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم نعاصر أحد الأئمّة عليهم السلام في عصر الحضور والظهور فنسمع منه مباشرة، حتّى يكون ما يصل إلى مسامعنا هو السنّة الشريفة مباشرة، بل نتعامل مع السنّة في عصرنا هذا وفي العصور المتأخّرة عنهم عليهم السلام على أساس أنّها انعكست في ظلّ أحاديث سمعها وحكاها أصحاب المعصومين عليهم السلام، ونقولها إلى الرواة من بعدهم بأنحاء تحمّل الحديث المعروفة في علم مصطلحات الحديث وهكذا جيلاً بعد جيل إلى أن دوّنت الموسوعات الكبيرة في الحديث وأخذت عن الأصول المدوّنة، فكان لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام هذه الموسوعات الحديثية الكبيرة.

وعليه، فقد عُرّف الحديث بأنّه: «كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره»[2].

---

١. *الكافي* للكليني: ج١، ص٥٣، ح١٤.

٢. *نهاية الدراية*: ص٨٠؛ *الحبل المتين*: ص٤.

وبعبارةٍ أُخرى: الحديث هو كلام يحكي السنّة نفسها، وليس هو نفس السنّة. ومنه صحّ اتّصافه بالصحيح وغيره بحكم كونه خبراً، والمخبر إمّا أن يكون صادقاً في خبره وإمّا أن لا يكون كذلك.

من هنا نعلم أهمّية وموقعية الحديث في منظومة الفكر الإسلامي، باعتباره الطريق الذي يتمّ من خلاله الوصول إلى السنّة النبويّة الشريفة.

إلاّ أنّه ـ في الحقيقة ـ ليس كلّ حديث يصحّ جعله طريقاً إلى السنّة الشريفة، إلاّ ما تمّ الوثوق به، إمّا من جهة تواتره، أو اشتماله على شرائط القبول بالنسبة إلى خبر الواحد، والذي يشكّل الدائرة الأوسع في التراث الحديثي.

ومنه يظهر أنّ الحديث يحتاج ـ للدخول إلى حريمه، ومعرفة مكنوناته ـ إلى الفحص والتدقيق؛ للوصول إلى الحجّة منه؛ ذلك لوجود جملة من العوامل والأسباب المتعدّدة التي عصفت بسنده ومتنه، من قبيل: الوضع، التحريف، التصحيف، التقطيع المخلّ بالمعني، عدم الفهم، وغيرها من الأسباب.

علوم الحديث

قبل أن نبدأ بذكر العلوم التي تنطوي تحت قائمة العلوم الحديثية ـ والتي يكون البحث في كلّ واحد منها حول الحديث بلحاظات مختلفة ـ لا بأس ببيان موضوعين يتمّ التعرّف من خلالهما على كيفية نشوء هذه العلوم، مع بيان تعريف مختصر لها.

كيف نشأت علوم الحديث؟

تقدّم أنّ هناك عوامل وأسباباً متعدّدة قد عصفت بالأحاديث الشريفة، منها ما يتعلّق بسند الحديث، ومنها ما يتعلّق بمتنه، قد أدّت هذه الأسباب إلى نشوء علوم متعدّدة تُعنى بدراسة الحديث كلّ حسب موضوعه، تمكّن الباحث ـ من خلال خوضه في هذه العلوم ـ

من تمييز ما هو حقّ ومعتبر من هذه الأحاديث يمكن أن ننسبه إلى المعصومعليه السلام، عمّن هو غير معتبر ولا يمكن إسناده، بالإضافة إلى كسب معلومات عامّة تتعلّق بتاريخه ومصطلحاته.

إنّ علوم الحديث لم تظهر إلى الوجود دفعة واحدة، وإنّما اُلحقت بالثقافة والمعارف البشرية بمرور الزمن، وذلك حسب الأسباب والعوامل المؤثّرة، إلى أن نمت وتطوّرت حتّى تفرّعت منها علوم عدّة في طريقها إلى النموّ والازدهار.

وقبل أن نتطرّق إلى ذكر أنواع علوم الحديث الأساسية، لا بدّ لنا من ذكر تعريف واضح وجامع لمجموع هذه العلوم، التي سيتمّ عرضها ـ لاحقاً ـ إن شاء الله تعالى.

تعريف علوم الحديث

بإمكاننا أن نعرّف علوم الحديث بأنّها: (مجموعة العلوم التي اتُخذ الحديث ـ بتمامه، أو أحد أجزائه ـ موضوعاً لها).

والمراد من قولنا: (بتمامه، أو أحد أجزائه)، أنّ الحديث يشتمل على جزئين أساسيين، هما:

١ ـ السند: وهو سلسلة رجال (رواة) الحديث إلى أن تنتهي إلى المعصومعليه السلام.

٢ ـ المتن: وهو الكلام الذي يُنقل عن المعصومعليه السلام، سواء كان ذلك قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

فأيّ من هذين الجزئين إذا كان موضوعاً لعلمٍ من العلوم، فإنّ هذا العلم يعتبر عنصراً من عناصر مجموعة علوم الحديث.

أنواع علوم الحديث

وعلى ضوء التعريف المتقدّم، يمكننا أن نختزل علوم الحديث في أربعة أنواع:

١ ـ علم الرجال

٢ ـ مصطلحات الحديث

٣ ـ فقه الحديث

٤ ـ تاريخ الحديث

فإذا ألقينا نظرة على محتوى هذه العلوم، وجدناها على ثلاثة أشكال:

ما يكون موضوعه سند الحديث فقط، وهو: (علم الرجال).

ما يكون موضوعه متن الحديث فقط، وهو: (فقه الحديث).

ما يعمّ السند والمتن، وهي العلوم التي تبحث عن الحديث بنظرة شاملة، وهي: مصطلحات الحديث، وتاريخ الحديث.

وإليك بيان كلّ واحد من هذه العلوم بصورة مختصرة:

١ ــ علم الرجال

التزم المسلمون منذ البداية بنقل الحديث مع سلسلة سنده، وذلك بحكم السيرة العُقلائية وإرشادات المعصومين عليهم السلام، حتّى يحصل الاطمئنان بصحّة صدور الحديث بعد إحراز وثاقة الرواة.

فقد روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا حدّثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدّثكم، فإن كان حقّاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه**»[1]. ويعتبر الالتزام بنقل سلسلة السند من امتيازات هذه الأُمّة، وليس لها سابقة في الأديان الأُخرى.

ومن هذا المنطلق، نشأ علم دراسة السند، المعروف بعلم الرجال، ذلك لوجود جملة من الرواة الكذّابين والوضّاعين وغيرهم ممّن تلاعب بالأحاديث ودسّ فيها ما لا يمكن نسبته إلى المعصوم عليه السلام. وعليه فقد بذل أرباب هذا الفنّ قصارى جهدهم من أجل

١. *الكافي*: ج١، ص٥٢، ح٧.

تشخيص هوية الرواة أوّلاً، ومن ثمّ تعيين اعتبارهم ـ من حيث كونهم ثقاتاً أو لا ـ ثانياً.

وعليه، فقد عرّف علم الرجال بأنّه: (العلم بأحوال رواة خبر الواحد ذاتاً ووصفاً، مدحاً وقدحاً، وما في حُكمهما)[١]. ومنه يتّضح أنّ موضوع علم الرجال هو: سند الحديث فقط.

إنّ أهمّية علم الرجال ـ باعتباره العلم الذي يتمّ من خلاله إثبات صدور الحديث عن المعصوم عليه السلام ـ جعلته يكتسب موقعيّة هامّة وحسّاسة جدّاً من بين علوم الحديث الأُخرى.

إلاّ أنّ هذا ـ في الحقيقة ـ لا يُشكّل أكثر من إثبات صغرى القياس المنطقي، وهي وثاقة الرواة، أمّا فيما يتعلّق بإثبات كبرى القياس، وهي حجيّة قول الثقة، فهذا موكول إلى علم الأُصول، حيث ثبت في محلّه حجّيته استناداً إلى بعض الأدلّة.

ثمّ اعلم إنّ هناك بعض العلوم قد اشتمل عليها علم الرجال؛ وذلك لتطوّره واتّساعه، ومنها:

أ) التجريح والتعديل

عُرّف علم الرجال ـ في البداية ـ بعلم التجريح والتعديل. إلاّ أنّه في الحقيقة أنّ التجريح والتعديل يعتبر أحد الوظائف التي يقوم بها العالم الرجالي بعد تشخيص هويّة الراوي، وذلك بالاعتماد على جملة من الأُصول والقواعد المتّبعة في هذا العلم.

وعليه يظهر أنّ تعريف علم الرجال بالجرح والتعديل تعريفٌ غير جامع، فإنّ علم الرجال أعمّ مطلقاً من علم التجريح والتعديل.

ب) معرفة الطبقات

الطبقات جمع طبقة وهي: (جماعة ـ من الرواة ـ اشتركوا في السنّ ولقاء المشايخ، فهم طبقة ومن بعدهم طبقة أُخرى وهكذا، مأخوذة من طبقة البناء؛ لكونهم في زمانٍ واحد...)[٢].

---

١. انظر: *طرائف المقال* لعلي البروجردي: ج١، ص٣٧.

٢. انظر: *مقباس الهداية* للمامقاني: ج٣، ص٤٨.

يعتبر علم معرفة الطبقات من العلوم الرجالية المكمّلة لعلم التجريح والتعديل في إثبات صدور الحديث فإنّ إثبات توثيق راوٍ معيّن لا يكفي في إثبات صدور روايته غالباً ما لم نثبت معه معاصرته للراوي الذي نقل عنه هذه الرواية. وهذا ما يتكفّل به علم معرفة الطبقات.

إنّ من جملة أهداف هذا العلم هي: (الأمن من تداخل المشتبهين، ومعرفة مواليد الرواة ووفياتهم، ليتبيّن من ذلك من أدرك الإمام الفلاني عليه السلام من الرواة ومن لم يدركهُ... ومعرفة الإخوة والأخوات من العلماء والرواة، ومعرفة أوطانهم وبلدانهم، ومعرفة من ذُكر بأسماء وصفات مختلفة)[١].

ومنه نرى أنّ هذا العلم يكون له الدور الأساسي في تمكين الباحث من معرفة الحديث المرسل الخفي[٢]، والأحاديث المقلوبة[٣].

٢ ـ مصطلحات الحديث

يُعرف هذا العلم في الأوساط العلمية سابقاً بـ(علم الدراية)، وقد صار معروفاً هذه الأيّام التعبير عنه بعلم (مصطلحات الحديث)، أو (مصطلح الحديث)، أو (أُصول الحديث)؛ لأنّ المساحة الأوسع فيه هي وضع وتقنيين مصطلحات للحديث من خلال تقسيم الحديث إلى عدّة تقسيمات من حيثيات مختلفة، ومن جملة هذه المصطلحات هي:

مصطلحات تتعلّق بسند الحديث، ومثاله: (الصحيح، الحسن، الموثّق، الضعيف...) هذا هو التقسيم الرباعي للحديث بلحاظ أحوال رواته والذي يعبّر عنها بأُصول الأقسام، وهناك تقسيمات أُخرى من حيثيات متعدّدة، سوف يتمّ التعرّف عليها حين الدخول إلى حريم

---

١. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٣١٩ ـ ٣٣١.

٢. المرسل الخفي: (ما كان سنده منقطعاً إلاّ أنّ ظاهره الاتّصال).

٣. القلب في السند هو الأكثر، وهو عبارة عن: (أن يكون الحديث عن راوٍ فيجعله عن آخر نظيره في الطبقة أو أعلى منه، أو بدّل بعض الرواة؛ ليرغب فيه، كأن يكون عن محمّد بن قيس، فيجعله عن محمّد بن مسلم).

البحث في علم مصطلحات الحديث.

مصطلحات تتعلّق بمتن الحديث، ومثاله: (النصّ، الظاهر، المجمل، المؤوّل...) وغيرها.

مصطلحات تتعلّق بكيفية تحمّل الحديث وآداب نقله، ومثاله: (الإجازة، العرض، المناولة...) وغيرها.

مصطلحات تتعلّق بكتب الحديث، ومثاله: (الأصل، الكتاب، الجامع، المشيخة...) وغيرها.

ومنه عرّف هذا العلم بأنّه: (العلم الّذي يُبحث فيه عن سند الحديث ومتنه وكيفية تحمّله وآداب نقله)[١].

وعليه يكون موضوع هذا العلم في غالب مباحثه هو سند الحديث ومتنه بصورة عامّة.

٣ ـ فقه الحديث

بعد أن تبيّن سابقاً أنّ علم الرجال يثبت لنا صدور الحديث عن المعصوم عليه السلام ـ وذلك بعد البحث والتحقيق في سند الحديث ـ تصل النوبة إلى إثبات دلالة هذا الحديث؛ وذلك عن طريق البحث والتدقيق في متنه، إذ إنّ الهدف النهائي للباحث في الحديث هو الوصول إلى المحتوى والمدلول النهائي له؛ للاستفادة منه. والعلم الذي يتكفّل بذلك هو: (علم فقه الحديث).

إنّ وصايا النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام التي تحثّ على الفهم الدقيق والعميق للحديث، أدّت إلى أن يهتمّ الباحثون في الحديث بهذا العلم.

فقد روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتّى يعرف معاريض كلامنا...**»[٢].

وعنه عن أبيه عليه السلام: «**...المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو**

---

١. *الحبل المتين* للعاملي: ص٤.

٢. *معاني الأخبار* للشيخ الصدوق: ص٢، ح٣.

المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان...»[١].

إنّ المقصود من الدراية في كلمات المعصومين عليهم السلام هي معناها اللغوي، وهو: الفهم. وعلى هذا الأساس اعتُبر هذا العلم من أشرف علوم الحديث وأكثرها دقّة.

ومنه عرّف علم فقه الحديث بأنّه: «علم يبحث في متن الحديث ويُبيّن الأُسس الصحيحة لفهمه، والمراحل التي ينبغي سلوكها وطيّها لمعرفة المقصود الأصلي منه».

ثمّ اعلم إنّ هذا العلم يحتوي بين طيّاته على بعض العلوم المختصّة بدراسة المتن، والتي أخذت حيّزاً هامّاً من بين علوم الحديث، وهي:

أ) غريب الحديث

من المعلوم أنّه توجد هناك أحاديث اشتملت متونها على ألفاظ صارت غامضة وبعيدة عن الفهم المتعارف مع مرور الزمن؛ لقلّة استعمالها في الشائع من اللغة بين أبناء العرف، ممّا يؤدّي إلى عدم الفهم الصحيح لهذه الألفاظ، وترتّب الأثر السلبي على فهم المعارف والأحكام الإسلامية.

ومن هذا المنطلق نرى أنّ علماء الحديث قد وضعوا جملة من الحلول لهذه المشكلة من أجل الكشف عن ملابسات هذه الألفاظ، والوصول إلى المعنى المراد بنظر المعصوم عليه السلام.

وعليه، فقد عُرّف علم غريب الحديث بأنّه: (العلم الذي يختصّ بدراسة متون الأحاديث التي طرأت عليها الغرابة)[٢].

ب) اختلاف الحديث

إنّ تعارض الأخبار يعدّ من الأُمور المثيرة للجدل والنقاش بين الباحثين؛ وذلك لعدّة أسباب وعوامل مختلفة، منها: (ورود الحديث، تفاوت المخاطبين، التقيّة، نسخ الحكم

---

١. *معاني الأخبار*: ص١، ح٢.

٢. انظر: *نهاية الدراية*: ص٢٩.

الأوّل بواسطة الحكم الثاني، بيان مصاديق متفاوتة، الجعل والوضع، وغيرها من العوامل الأُخرى).

ومنه نرى أنّ العلماء قد وضعوا قواعد عرفية متّبعة للجمع بين الأحاديث المختلفة، كـ(التقييد والتخصيص والحكومة)، والتي سيتمّ التعرّف عليها في محلّه إن شاء الله تعالى.

وعليه، فقد عُرّف علم اختلاف الحديث بأنّه: (العلم الذي يبحث عن الأحاديث المتعارضة، أي التي يقع التنافي بين مدلوليها، وعن كيفية علاج هذا التعارض ورفعه)[١].

٤ ـ تاريخ الحديث

إنّ الحديث منذ نشوئه وبداية صدوره إلى حين وصوله إلينا، قد مرّ بأدوار ومراحل متفاوتة، حملت الكثير من الأحداث المختلفة والصفحات المشرقة والمظلمة.

إنّ التعرّف على تاريخ الحديث بشكلٍ عامّ، وتاريخ حديث الشيعة بشكلٍ خاصّ، وما رافقه من أحداث، له التأثير الإيجابي على فهم متن الحديث والوثوق بصدوره. بالإضافة إلى أنّه يجيب على الكثير من الأسئلة المطروحة حول نشأت الحديث في عصر النبيصلى الله عليه وآله، وازدهاره في عصر الصادقينعليهما السلام، مروراً بعصر ما بعد الصادقينعليهما السلام المحفوف بالضغوطات السياسية التي أثّرت على استمرار ازدهاره وسِعته، وانتهاءً بعصر الغيبة.

ومنه عُرّف تاريخ الحديث بأنّه: (التعرّف على مبدأ ولادة الحديث ونموّه، والأدوار والنظريات المختلفة، والحوادث التي مرّت على الحديث والمحدّثين).

تاريخ الحديث علم يمهّد الطريق للباحث الرجالي ـ من خلال خوضه في محيط الحديث ـ للدخول الى ساحته وحريمه، وذلك بالإضافة إلى علوم الحديث الأُخرى.

ومن خلال خوضنا في هذا العلم، بإمكاننا التعرّف على أهمّ العلوم التي تشعّبت منه، وهي:

---

١. *نهاية الدراية*: ص٢٨.

أ) تاريخ تدوين الحديث

إنّ ثقافة كتابة وتدوين الحديث كانت شائعة عند شيعة أهل البيت عليهم السلام، على الرغم من منع كتابة الحديث، فأخذوا يقتفون أثر خطى أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، فهو الرجل الأوّل في الإسلام الذي حرص على تدوين أقوال الرسول صلى الله عليه وآله في حياته، حتّى اشتُهر عنه كتابان معروفان هما: (*الصحيفة الجامعة*، و*كتاب الجفر*).

إنّ البحث عن تاريخ تدوين الحديث، يجرّنا إلى التعرّف على مصادر الحديث ومؤلّفيها. فقد نُقل أنّ مصنّفات الشيعة الإمامية خلال القرون الثلاثة الأُولى للهجرة بلغت حدود (٦٦٠٠) كتاب، أربعمئة كتاب منها سُمّيت بالأُصول الأربعمئة[1]. إلاّ أنّه ممّا يؤسف له عدم وصول أغلب هذه المصنّفات إلينا.

لكنّ جهود علمائنا المحدّثين بقيت صامدة من أجل حفظ هذا التراث العظيم من الضياع، فانبرت ثلّة من العلماء والرواة إلى جمع شتات الأحاديث في كتب ومصنّفات، عُرفت فيما بعد بالجوامع الأوّلية، وذلك في أوائل القرن الثالث الهجري، ثمّ تلتها الجوامع الثانوية من القرن الثالث وحتّى القرن الخامس الهجري، ثمّ الجوامع المتأخّرة بعد ذلك.

ولسنا فعلاً بصدد الحديث مفصّلاً عن هذه المدوّنات، وعن الحقب الزمنية التي مرّ بها تدوين الحديث، هذا كلّه سوف يتمّ التعرّف عليه في مصادر الحديث الشيعية إن شاء الله تعالى.

ب) تاريخ علوم الحديث

من المعلوم أنّ العلوم الحديثية لم تظهر إلى الوجود دفعة واحدة، وإنّما ظهرت بمرور الزمن؛ نتيجة العوامل والأسباب الداعية إلى ذلك.

إنّ لكلّ علم من هذه العلوم (الرجال، المصطلحات، فقه الحديث) تاريخاً خاصّاً

---

١. انظر: *أعيان الشيعة* لمحسن الأمين: ج١، ص١٠٣.

لنشوئه ونموّه وازدهاره، يُعدّ الاطّلاع عليه أمراً مفيداً ونافعاً.

إلاّ أنّه في الحقيقة نرى أنّ التأليف في تاريخ العلوم الحديثية لم يلقَ رواجاً ولم يتعدَ ـ في بعض الموارد ـ غير كتابة المقالات القصيرة التي تلحق في مقدّمة التعرّف على هذه العلوم.

كان هذا بياناً مختصراً لأبرز العلوم الحديثية، والذي أدرجناه تحت عنوان (هندسة علوم الحديث)، والتي سيتمّ التعرّف عليها جميعاً في هذه الدورة المكثّفة، آملين الاستفادة منها كمقدّمة للدخول إلى المراحل العليا إن شاء الله تعالى.

الأسئلة

١ ـ كيف يمكن لنا اعتبار السنّة الشريفة مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي؟

٢ ـ ما هو تعريف السنّة في اصطلاح المحدّثين الشيعة؟ وما هو دليلهم على ذلك؟

٣ ـ ما هو الطريق الذي يوصلنا إلى السنّة الشريفة؟ وكيف يتمّ ذلك؟

٤ ـ بيّن باختصار كيف نشأت علوم الحديث، وما هو تعريفها؟

٥ ـ عدّد أنواع علوم الحديث، مع ذكر الموضوع المبحوث حوله لكلّ علم منها؟

(٢)

مصطلح الحديث

- المدخل
- تعريف علم الدراية
- موضوع علم الدراية
- أهميّة علم الدراية
- أقسام مصطلحات الحديث
- القسم الأوّل: المصطلحات الأوّلية في الحديث
- القسم الثاني: المصطلحات المتعلّقة بالرواة
- القسم الثالث: الاصطلاحات المتعلّقة بالرواية

المدخل

تعتبر السنّة الشريفة المصدر الثاني من مصادر استنباط الأحكام الشرعيّة بعد كتاب الله(عزّ وجل)، بالإضافة إلى دورها الكبير في بيان المفاهيم الإسلاميّة في جميع مجالات الحياة.

والقرآن الكريم بدوره قد أمرنا بالعمل بالسنّة الشريفة، حيث إنّه وبما يحتوي على مفاهيم عامّة وكلّية، نراه قد أعطى للسنّة صلاحية لتبيين هذه المفاهيم والأحكام، حيث أمر بطاعة النّبيﷺ وحذّر من مخالفته، وذلك بصريح الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3]، وغيرها من الآيات الشريفة التي تلزم الناس بوجوب طاعة النبيﷺ وتجنّب معصيته، ولا تتحقّق طاعته إلاّ بالتزام سنّته والعمل بها.

ومن المعلوم أنّ السنّة الشريفة قد وصلت إلينا عن طريق الأحاديث المعتبرة المروية عن النبيﷺ وأهل بيته(عليهم السلام)، وحيث إنّ الحديث هو نوع من الإخبار، والخبر بما هو خبر يحتمل الصدق والكذب ولا يمكن الاعتماد عليه والركون إليه، فلابدّ حينئذٍ من الوقوف على تلك الأحاديث وتمحيصها تمحيصاً جيّداً للحصول على ما يمكن الوثوق بها

١. النساء: ٨٠.

٢. النور: ٦٣.

٣. النجم: ٣ ـ ٤.

والاطمئنان بصدورها عن المعصوم عليه السلام.

وعلماء الحديث بدورهم نراهم قد قسّموا الروايات إلى أقسام متعدّدة، حسب وثاقة الرواة أو اتّصال السند، أو غير ذلك من الأسباب.

وبالنتيجة ليست كلّ رواية وردت في كتب الحديث حجّة على المكلّف، إلاّ ما تمّ الوثوق بصدوره عن المعصوم عليه السلام بحسب الموازين المتبعة في علم الحديث، ومن خلال ذلك تتّضح ضرورة معرفة أقسام الروايات.

والعلم الذي يتكفّل ببيان هذا الموضوع هو علم الدراية أو علم اُصول الحديث أو مصطلح الحديث.

ولمّا كان علم الحديث من أشرف العلوم وأوثقها وأكثرها نفعاً لاتّصاله بالسنّة الشريفة، فقد قام المسلمون وفي طليعتهم الشيعة الإمامية على تدوينه ونقله إلى الأجيال اللاّحقة، حيث يعتبر ذلك من مختصّات الإسلام ومفاخر المسلمين.

إلاّ أنّه وقبل الدخول في بيان أقسام مصطلحات الحديث، لا بدّ أن نتعرّف على هذا العلم، وذلك من خلال بيان تعريفه وموضوعه ومدى أهمّيته؛ لكون هذه المسائل من مبادئ هذا العلم.

تعريف علم الدراية

الدراية لغةً: بمعنى الفهم، وهو لنفي السهو عمّا يرد على الإنسان، فيدريه أي يفهّمه... وجعل أبو علي الدراية مثل العلم[1].

وصرّح غيره بأنّ الدراية أخصّ من العلم... وقيل: إنّ درى يكون فيما سبقه شكّ... ولذا لا يطلق على الله تعالى[2].

---

١. *الفروق اللغوية*: ص ٢٣٠، الرقم ٨٩٩

٢. *تاج العروس*: ج١٩، ص٤٠٣ «درى».

الدراية اصطلاحاً: عرّفها الشيخ البهائي بأنّها: «العلم الّذي يُبحث فيه عن سند الحديث ومتنه وكيفية تحمّله وآداب نقله»[١].

فهذا التعريف مع اختصاره يعطي صورة جامعة عن أبحاث هذا العلم، وهي:

١ ـ السند بأقسامه.

٢ ـ المتن بأقسامه.

٣ ـ كيفية تحمّل الحديث وأدائه.

٤ ـ آداب نقل الحديث شفهيّاً وكتابةً.

موضوع علم الدراية

هو: متن الحديث وسنده، من حيث يُعرف المقبول منه والمردود[٢]، وذلك لطروء الصحّة والضعف وغيرها على السند والمتن.

أهمّية علم الدراية

إنّ الوصول إلى السنّة الشريفة لا يتحقّق إلاّ عن طريق الأحاديث الحاكية عن هذه السنّة، ولأجل معرفة تلك الأحاديث بصورة جيّدة، وتمييز المعتبر منها عن غيره، وضعت مصطلحات لهذه الأحاديث تكون كقواعد أساسيّة، أُدرج قسم منها في قائمة الأحاديث المعتبرة، وقسم آخر في قائمة الأحاديث غير المعتبرة.

ومن خلال ذلك تظهر فائدة وأهمّية هذا العلم الذي يمكّن الباحث ـ سواء كان فقيهاً أم أُصولياً أم مفسّراً أم غيرهم ـ بالاستقاء من السنّة الشريفة على ضوء دراية الأحاديث ومصطلحاتها، من استنباط الحكم أو القاعدة المختصّة حول المسألة المبحوث عنها.

---

١. *الحبل المتين* للعاملي: ص٤.

٢. *نهاية الدراية* للسيد حسن الصدر: ص٧٩.

أقسام مصطلحات الحديث

والآن لابدّ لنا من طرح المصطلحات التي أوردها المحدّثون في علم مصطلح الحديث وإخضاعها بين يدي القارئ العزيز؛ ليتسنّى له التعرّف عليها وتميزها باعتبارها الطريق الذي من خلالها نصل إلى معرفة الأحاديث المعتبرة من غيرها. وعليه، فبإمكاننا تقسيم مصطلحات الحديث إلى عدّة أقسام:

القسم الأوّل: المصطلحات الأوّلية في الحديث.

القسم الثاني: المصطلحات المتعلّقة بالرواة.

القسم الثالث: المصطلحات المتعلّقة بالرواية.

القسم الرابع: المصطلحات المتعلّقة بكتب الحديث.

القسم الخامس: المصطلحات المتعلّقة بطرق التحمّل.

القسم السادس: الكنى والألقاب المختصرة الشائعة.

القسم الأوّل: المصطلحات الأوّلية في الحديث

هي تلك المصطلحات المحيطة بالحديث، والتي يتمّ من خلالها معرفة معنى السنّة والخبر والأثر في اصطلاح المحدّثين، وإظهار الفرق بينها وبين والحديث، وكذلك التّعرّف على معنى السند والمتن، وغيرها من المصطلحات المهمّة في هذا المجال. وإليك بيان جملة منها:

١ ـ السنّة

السُنّة لغةً: بمعنى السيرة، حسنة كانت أو قبيحة[١].

السُنّة اصطلاحاً: هي «نفس قول وفعل وتقرير المعصوم...»[٢].

---

١. *لسان العرب*: ج١٣، ص٢٢٥ «سنن».

٢. انظر: *الحبل المتين*: ص٤.

وعرّفها العلاّمة المامقاني بأنّها: «قول من لا يجوز عليه الكذب والخطأ وفعله وتقريره غير قرآن ولا عادي»[١].

والسّنة بهذا المعنى ليس لها إلاّ قسم واحد وهو الصحيح المصون عن الكذب بمقتضى الأدلّة القائمة على ذلك في علم الكلام.

٢ ـ الحديث

الحديث لغةً: الخبر يأتي على القليل والكثير، ويُجمع على أحاديث على غير قياس[٢].

الحديث اصطلاحاً: هو «كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره»[٣].

وعرّف أيضاً بأنّه: «ما ينتهي سلسلة سنده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أو أحد المعصومين عليهم السلام»[٤].

ولا يخفى أنّ إطلاق الحديث عندنا على ما ورد عن غير المعصوم عليه السلام ـ كالصحابي أو التابعي ـ تجوّز[٥].

الفرق بين السنّة والحديث

السنّة هي: نفس قول وفعل وتقرير المعصوم عليه السلام في عصر ظهوره بين النّاس، وعليه فلا يصحّ اتّصافها إلاّ بالصحّة.

الحديث هو: كلام يحكي قول أو فعل أو تقرير المعصوم عليه السلام، ومنه صحّ اتّصافه بالصحيح وغيره.

---

١. *مقباس الهداية*: ج١، ص٦٩، ط مؤسّسة آل البيت، مطبعة مهر، قم.

٢. *الصحاح*: ج١، ص٢٧٨ «حدث».

٣. *نهاية الدراية*: ص٨٠؛ *الحبل المتين*: ص٤.

٤. *توضيح المقال* لملاّ علي الكني: ص٣٢.

٥. انظر: *نهاية الدراية*: ص٨١.

٣ ـ الخبر

الخبر لغةً: النبأ، والجمع أخبار[١].

الخبر اصطلاحاً: اختلف في معنى الخبر، فمنهم من قال: هو ما ورد عن المعصومعليهم السلام من الصحابي والتابعي ونحوهما من العلماء والصلحاء، ومن ثمَّ يقال للمشتغل بالتواريخ: إخباريّ، وللمشتغل بالسنّة: المحدّث. ـ وعليه تكون النسبة بين الحديث والخبر هي العموم والخصوص المطلق ـ.

ومنهم من ذهب إلى ترادفه مع الحديث ـ وهو كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره ـ وهو الأكثر[٢].

٤ ـ الأثر

الأثر لغةً: بقيّة الشيء، والجمع آثار وأثور[٣].

الأثر اصطلاحاً: قال الشهيد الثاني: «وقيل: إنّ الأثر ما جاء عن الصحابي، والحديث ما جاء عن النبي، والخبر أعمّ منهما، والأعرف أنّه ـ الأثر ـ كذلك»[٤]. أي أعمّ من الخبر والحديث، فيقال: لكل منهما أثر بأي معنى اعتبر.

٥ ـ المتن

المتن لغةً: «المتن من كلّ شيء ما صلُبَ ظهره، والجمع متون ومتان»[٥].

المتن اصطلاحاً: قال الشهيد الثاني: «المتن لفظ الحديث الذي يتقوّم به المعنى، وهو

---

١. *لسان العرب*: ج ٤، ص ٢٢٦ «خبر».

٢. انظر: *نهاية الدراية*: ص ٨٣.

٣. *لسان العرب*: ج ٤، ص ٥ «أثر».

٤. *الرعاية في علم الدراية* للشهيد الثاني: ص ٥٠.

٥. *لسان العرب*: ج ١٣، ص ٣٩٨ «متن».

مقول النبيّ صلى الله عليه وآله، وما في معناه»[١]. أي قول الأئمّة عليهم السلام.

وبعبارة أوضح: المتن هو الكلام الّذي يُنقل عن المعصوم عليه السلام، سواء كان ذلك قولاً أم فعلاً أم تقريراً.

مثال توضيحي

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن حريز، عن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال: «**حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة**»[٢].

فهذه العبارة «**حلالُ محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة**» هي التي يُطلق عليها المتن.

٦ ـ السند

السند لغةً: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، و فلانٌ سندٌ أي معتمدٌ[٣].

السند اصطلاحاً: قال الشهيد الثاني: «والسند طريق المتن، وهو جملة من رواه من قولهم فلانٌ سندٌ، أي معتمد»[٤]. ومن هذا الباب سمّي الطريق سنداً، وذلك لاعتماد العلماء في صحّة الحديث وضعفه عليه.

وبعبارة أوضح: السند هو سلسلة رواة الحديث حتّى تنتهي إلى المعصوم عليه السلام.

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص٥٢.
٢. *الكافي*: ج١، ص٥٨، ح١٩.
٣. *الصحاح*: ج٢، ص٤٨٩ «سند».
٤. *الرعاية في علم الدراية*: ص٥٣.

٧ ـ الإسناد

الإسناد اصطلاحاً: «رفع الحديث إلى قائله من نبي أو إمامٍ أو ما في معناهما»[١]، كالصحابي والتابعي، وبعبارة أوضح: هو الإخبار عن طريق المتن.

أمّا المُسنِد فهو: من ينقل السند، حيث يذكر الحديث مع رواته.

وبهذا يظهر الفرق بين الإسناد وبين السند، علماً بأنّ إسناد الحديث من مفاخر المسلمين، ولم تكن شائعة عند الأُمم الأُخرى.

٨ ـ الطبقة

الطبقة اصطلاحاً: قال العلاّمة المامقاني: «والطبقة في الاصطلاح عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ، فهم طبقة ومن بعدهم طبقة أُخرى وهكذا، مأخوذة من طبقة البناء؛ لكونهم في زمانٍ واحد...»[٢].

القسم الثاني: الاصطلاحات المتعلّقة بالرواة

ذكر المؤرّخون جملة من المصطلحات التي تتعلّق بالرواة، نذكر في هذا القسم أهمّ تلك المصطلحات، وهي:

١ ـ الصحابي

الصحابي لغةً: مشتقٌ من الصحبة، ويوصف بها كلّ من صحب غيره، طالت المدّة أو قصرت[٣].

الصحابي اصطلاحاً: قال الشهيد الثاني: «الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وآله مؤمناً به، ومات

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص٥٣.

٢. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٤٨.

٣. *دراسات في الحديث والمحدّثين* لهاشم الحسني: ص٦٧.

على الإسلام[١]، وإن تخلّلت ردّته بين لقيه مؤمناً به وبين موته مسلماً على الأظهر»[٢].

وقوله: «وان تخلّلت ردّته...» إشارة منه إلى مثل الأشعث بن قيس، فإنّه كان قد وفد إلى النبيﷺ ثمّ ارتدّ وأُسرّ في خلافة الأوّل، فأسلم على يده.

فعلى ما عرّفه الشهيد الثاني يكون صحابياً، وهو المعروف، بل قيل: إنّه متّفقٌ عليه[٣].

تنبيهان

- حكم الصحابة ـ عندنا ـ في العدالة حكم غيرهم[٤]، فمجرّد كون الرجل صحابياً لا يدلّ على عدالته[٥]، حيث يعتبر لفظ الصحابي من الألفاظ التي لا تفيد مدحاً ولا ذمّاً[٦].

  خلافاً لجمهور العامّة الذين حكموا بأنّ جميعهم عدول. قال ابن حجر العسقلاني: «اتّفق أهل السنّة على أنّ الجميع عدول»[٧].

- لا يشترط البلوغ حال اللقاء اتّفاقاً، لاتّفاقهم على عدّ الحسن والحسين عليهما السلام وابن الزبير ونحوهم من الصحابة[٨].

٢ ـ التابعي

التابعي لغةً: تقول تبعت القوم تبعاً وتباعةً ـ بالفتح ـ إذا مشيت خلفهم، أو مرّوا بك

---

١. انظر: *الإصابة في تمييز الصحابة*: ج١، ص١٥٨.

٢. *الرعاية في علم الدراية*: ص٣٣٩.

٣. انظر: المصدر السابق: ص٣٤١.

٤. انظر: المصدر السابق: ص٣٤٣.

٥. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٣٠٥.

٦. انظر: المصدر السابق: ص٤٩.

٧. *الإصابة في تمييز الصحابة*: ج١، ص١٦٢.

٨. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٣٠٣.

فمضيت معهم... ويجمع على أتباع[١].

التابعي اصطلاحاً: قال العلاّمة المامقاني: «وأمّا التابعي فهو من لقي الصحابي مؤمناً بالنبيﷺ ومات على الإيمان، وإن تخلّلت ردّته بين كونه مؤمناً وبين موته مسلماً»[٢].

٣ ـ المولى

المولى لغةً: هو اسمٌ يقع على جماعة كثيرة، منها الربّ، والمالك، والسيّد، والمنعم، والمعتِق، والناصر، والحليف، والعبد، والمعتَق، وغيرها من المعاني[٣].

المولى اصطلاحاً: فقد ترد كلمة المولى في سند الحديث، ويراد منها عدّة معان:

- مولى العتق، وله معنيان:

  أ) المُعتِق، بأن يكون قد أعتق رجلاً فصار مولاه.

  ب) المُعتَق، أعتقه رجلٌ فصار مولاه.

- مولى الحلف، وأصله: المعاقدة، والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق. فإذا حالف أحدٌ آخر صار كلّ منهما مولى الآخر بالحلف، مثل الإمام مالك بن أنس الأصبحي التيمي، فهو أصبحي صليبةً، تيمي بولاء الحلف؛ وذلك لأنّ قومه ـ أصبح ـ موالي لتيم بالحلف)[٤].

مولى الإسلام، فمن أسلم على يد آخر، كان مولاه، يعني بالإسلام، مثل محمّد بن إسماعيل الجُعفي؛ لأنّ جدّه المغيرة كان مجوسيّاً فأسلم على يد اليمان بن أخنس

---

١. *الصحاح*: ج٣، ص١١٨٩«يتبع».

٢. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٣١١.

٣. انظر: *النهاية في غريب الحديث*: ج٥، ص٢٢٨؛ *معجم مقاييس اللغة*: ج٦، ص١٤١؛ *الصحاح*: ج٦، ص٢٥٢٩ «ولى».

٤. *تيسير مصطلح الحديث* لمحمود الطحّان: ص٢٣٠، ط مكتبة المعارف، الرياض.

الجُعفي، فنُسب إليه[١].

- مولى الملازمة، كما قيل: مِقسم مولى ابن عبّاس، للزومه إيّاه.
- من ليس بعربي، فيقال: فلانٌ مولى، وفلانٌ عربي صريح[٢].

تنبيه

✓ التمييز بين هذه المعاني بما يفيد من القرائن[٣]، فإذا نسب اللفظ كقولهم: «مولى فلان» أو «لبني فلان»، فالأغلب «مولى العتاقة»[٤].

مع انتفاء القرينة وإطلاق اللفظ فالظاهر إرادة غير العربي الخالص؛ لعدم تمامية شيء من بقية المعاني من غير إضافة... بخلاف العربي غير الخالص، فإنّ المعنى معه تامّ من غير إضافة، فيتعيّن حمله عليه، والله العالم[٥].

القسم الثالث: المصطلحات المتعلّقة بالرواية

ينقسم الخبر بلحاظ حصول العلم منه إلى قسمين رئيسيين: متواتر وآحاد، وإليك بيان كلّ قسمٍ بما يلي:

الخبر المتواتر

المتواتر لغةً: هو اسم فاعل مشتقّ من التواتر، أي التتابع، تقول: تواتر المطر، أي تتابع نزوله[٦].

---

١. *تيسير مصطلح الحديث*: ص٢٣٠.
٢. *الرعاية في علم الدراية*: ص٣٨٩ ـ ٣٩٢.
٣. *نهاية الدراية* للسيد حسن الصدر: ص٣٥٩.
٤. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٣٩٠.
٥. انظر: *مقباس الهداية*: ج٣، ص١٣ و١٤.
٦. *تيسير مصطلح الحديث* لمحمود الطحّان: ص١٩.

المتواتر اصطلاحاً: هو خبر جماعة بلغوا في الكثرة إلى حدٍ أحالت العادة اتّفاقهم وتواطئهم على الكذب، ويحصل بإخبارهم العلم[١].

وبعبارة أُخرى: المتواتر هو الحديث أو الخبر الذي يرويه في كلّ طبقة من طبقات سنده رواة كثيرون يحكم العقل عادةً باستحالة أن يكون أُولئك الرواة قد اتّفقوا على اختلاق هذا الخبر[٢].

تنبيه

- إنّ العلم الحاصل من الخبر المتواتر منشؤه كثرة المخبرين، فلا يعتبر في الرواة الوثاقة أو العدالة.
- الأكثر هو عدم اشتراط عدد محدّد في المخبرين، فربّ عدد يوجب العلم في مورد ولا يوجبه في موردٍ آخر.

شروط التواتر

للخبر المتواتر شروط ذُكرت في كتب المحدّثين، نذكر منها على وجه الاختصار ما يلي:

١ ـ كون المخبرين قد بلغوا في الكثّرة إلى حدّ يمتنع تواطؤهم على الكذب.

٢ ـ وجود هذه الكثرة في جميع طبقات السند، بنحوٍ يستند علم الطبقة الأُولى إلى الحسّ والمشاهدة، والثانية إلى التواتر الحسّي الحاصل بإخبار الطبقة الأُولى، والثالثة من إخبار الثانية، وهكذا.

٣ ـ أن يستند المخبرون في علمهم بذلك إلى الحسّ، فلو كان إخبارهم مستنداً إلى حكم عقلي، كحدوث العالم وصدق الأنبياء، فلا يكون من التواتر المقابل

---

١. *مقباس الهداية*: ج١، ص٨٩ ـ ٩٠.

٢. *تيسير مصطلح الحديث*: ص١٩.

للآحاد[١].

أقسام الخبر المتواتر

أ) المتواتر اللفظي: وهو الخبر الذي تتّحد فيه ألفاظ المخبرين في خبرهم[٢] «في جميع الطرق»[٣].

ومثال ذلك: قوله ﷺ: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»[٤]، وقوله: «**إنّي تارك فيكم الثّقلين**»[٥]، وكذلك حديث «**من كذّب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار**»[٦] بالاتّفاق[٧].

ب) المتواتر المعنوي: وهو الخبر الذي تعدّدت فيه ألفاظ المخبرين، ولكن اشتمل كلٌّ منها على معنى مشترك بينهما بالتضمّن أو الالتزام (الاختلاف في اللفظ والاشتراك في المعنى) وحصل العلم بذلك القدر المشترك بسبب كثرة الأخبار[٨].

ومثال ذلك: قضيّة «عليّ شجاع» التي اُستفيدت من الأخبار الكثيرة الحاكية لشجاعته عليه السلام في مواطن كثيرة مختلفة، وإن لم يوجد خبر بهذه الألفاظ[٩].

---

١. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص١٠٧ و١٠٨؛ *أصول الحديث وأحكامه* لجعفر السبحاني، ط مؤسّسة النشر الإسلامي: ص٢٨.

٢. انظر: *دراسات في علم الدراية* لعلي أكبر الغفاري: ص٢١.

٣. *توضيح المقال للملاّ* علي كني: ص٢٦٨.

٤. *الكافي*: ج١، ص٢٨٧، ح١ وص٢٩٢ و٢٩٤، ح٣؛ *مسند أحمد بن حنبل*: ج١، ص٨٤ وج٥، ص٣٤٧ و٣٦٦ و٣٧٠.

٥. *وسائل الشيعة*: ج٢٧، ص٣٤، ح٣٢١٤٤؛ *مسند أحمد بن حنبل*: ج٣، ص١٤ و١٧ و ج٤، ص٣٧١.

٦. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٤، ص٣٦٤؛ *وسائل الشيعة*: ج١٢، ص٢٤٩، ح١٦٢٢٣.

٧. انظر: *نهاية الدراية* لحسن الصدر: ص٩٩.

٨. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص١١٥.

٩. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص١١٧.

خبر الواحد

خبر الواحد اصطلاحاً هو: كلّ خبر لم يبلغ حدّ التواتر، سواء كان الراوي له واحداً أم أكثر[١].

تقسيمات خبر الآحاد

التقسيم الأوّل: تقسيم خبر الآحاد من حيث عدد الطرق

ينقسم الخبر الواحد من حيث عدد الطرق إلى عدّة أقسام:

أ) المستفيض

المستفيض لغةً: اسم فاعل من استفاض، مشتقّ من فاض الماء، وسُمّي بذلك لانتشاره[٢].

المستفيض اصطلاحاً: الخبر الذي يرويه أكثر من ثلاثة في جميع مراحله (طبقاته)، سواء رووه بلفظٍ واحد أو بألفاظٍ مختلفة مع وحدة المعنى[٣].

وعلى هذا التعريف يمكننا تقسيم الخبر المستفيض إلى: المستفيض اللفظي، والمستفيض المعنوي، كما ذهب إليه جملة من المحقّقين من صحّة صدق المستفيض مع اتّحاد المعنى واختلاف اللفظ، فيكون كالمتواتر من هذه الجهة حسبما مرّ[٤].

ب) المشهور

المشهور لغةً: هو المعروف عند الجماعة الكثيرة[٥].

المشهور اصطلاحاً: هو ما زاد عدد رواته عن ثلاثة في كلّ الطبقات أو في بعضها، فهو

---

١. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٦٩.

٢. *تيسير مصطلح الحديث*: ص٢٣.

٣. *دراسات في الحديث والمحدّثين* لهاشم الحسني: ص٤٠.

٤. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص١٢٩.

٥. *الفروق اللغويّة*: ص٤٩٧، الرقم ٢٠٠٩.

أعمّ مطلقاً من المستفيض عند الأكثر[١].

قال الشهيد الثاني: «وقد يطلق المشهور على ما اشتهر على الألسنة، وإن اختصّ بإسناد واحد، بل ما لا يوجد له إسناد أصلاً»[٢].

وجه الفرق بين المستفيض والمشهور

- إنّ وصول الرواة إلى حدّ الاستفاضة (أكثر من ثلاثة) في الخبر المستفيض لابدّ أن يكون في جميع الطبقات.
- أمّا في المشهور، فيمكن أن تكون الاستفاضة في بعض الطبقات لا في جميعها، كما هو الحال في الحديث: «**إنّما الأعمال بالنيّات**»[٣]، فهو مشهور وليس بمستفيض؛ لأنّ الشهرة إنّما طرأت له في وسطه دون أوّله[٤].

ج) العزيز

العزيز لغةً: صفة مشبّهة من «عزَّ يعِزُّ» بالكسر، أي قلَّ ونَدَرَ، أو من «عَزَّ يَعَزُّ» بالفتح، أي قوِيَ واشتدَّ[٥].

العزيز اصطلاحاً: وهو الذي لا يرويه أقلّ من اثنين عن اثنين. سمّي عزيزاً لقلّة وجوده، أو لكونه عزّ ـ أي قوي ـ بمجيئه من طُرق اُخرى[٦]. والظاهر إرادة ذلك في جميع المراتب حتّى يقرب إلى عزّة الوجود[٧].

---

١. انظر: *نهاية الدراية*: ص١٥٨.

٢. *الرعاية في علم الدراية*: ص ٧٠.

٣. *تهذيب الأحكام*: ج ٤، ص٨٣، ح٢١٨ وج ٤، ص١٨٦، ح٥١٩؛ *وسائل الشيعة*: ج ١، ص٤٨، ح٨٩ و٤٩، ح٩٢.

٤. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص ٧٠؛ *مقباس الهداية*: ج ١، ص ١٣٠.

٥. *تيسير مصطلح الحديث*: ص٢٦.

٦. *الرعاية في علم الدراية*: ص ٧٠.

٧. *توضيح المقال*: ص ٢٧١؛ *مقباس الهداية*: ج ١، ص ١٣٥.

وبعبارة أُخرى: العزيز هو الخبر الذي لايقلّ رواته عن اثنين في جميع طبقات السند[١].

د) الغريب

الغريب لغةً: صفة مشبّهة بمعنى المنفرد، أو البعيد عن أقاربه[٢].

الغريب اصطلاحاً: هو الحديث الذي انفرد بروايته راوٍ واحد في أيّ موضعٍ وقع التفرّد به من السند، وإن تعدّدت الطرق إليه أو منه[٣].

ومثاله الحديث: «**إنّما الأعمال بالنيات**» فإنّ إسناده متّصف بالغرابة في طرفه الأوّل؛ لأنّه ممّا انفرد به من الصحابة عُمَر[٤]؛ وعليه يكون هذا الحديث غريباً من جهة ومشهوراً من جهةٍ أُخرى؛ لطروء الشهرة عليه في وسطه.

حكم الأقسام السابقة

فيما عدا الخبر المتواتر اليقيني، فإنّ هذه الأقسام من الخبر الواحد ـ أي المستفيض والمشهور والعزيز والغريب ـ يمكن اعتبار كلّ واحد منها أو عدم اعتباره، وذلك بإرجاعها من جهة اعتبارها إلى الأقسام الأربعة اللاّحقة ـ أي الصحيح والحسن والموثّق والضعيف ـ والتي يُعبّر عنها بـ(أُصول الأقسام)[٥].

نعم، بناءً على بعض المباني يمكن إلحاق الخبر المستفيض من جهة الاعتبار بالخبر المتواتر، وذلك بضميمة القرائن الداخلة والخارجة. نعم، يعتبر عدم كون منشأ العلم كثرة الرواة له، وإلاّ كان من المتواتر[٦].

---

١. *تيسير مصطلح الحديث*: ص٢٦.

٢. المصدر السابق: ص٢٨.

٣. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٧٠؛ *نهاية الدراية*: ص١٦٠؛ *مقباس الهداية*: ج١، ص١٣٣.

٤. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٧٠ و١٠٧ و١٠٨ و١٦٠ و٢٢٩.

٥. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص١٣٧.

٦. *مقباس الهداية*: ج١، ص١٣١.

التقسيم الثاني: تقسيم خبر الآحاد من حيث حالات الرواة

ينقسم خبر الآحاد من حيث حالات الرواة إلى أربعة أقسام، هي:

أ) الصحيح

الصحيح لغةً: قال الجوهري: الصحّة خلاف السقم[١].

الصّحيح اصطلاحاً: هو ما اتّصل سنده إلى المعصوم عليه السلام بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات، حيث تكون متعدّدة، وإن اعتراه شذوذ[٢].

ومن خلال هذا التعريف تتّضح شروط الحديث الصحيح عند علماء الإمامية، وهي:

١ ـ اتّصال السند بالمعصوم عليه السلام.

٢ ـ عدالة جميع الرواة.

٣ ـ كون جميع الرواة إمامية. (وسوف يأتي معنى الإمامي في اصطلاح المحدّثين).

وقوله: «وإن اعتراه شذوذ» إشارة منه إلى أنّ الحديث الصحيح إن كان شاذّاً ـ أي مخالفاً لما رواه الأكثر ـ[٣] فلا يخرج عن كونه صحيحاً؛ لأنّ عدم الشذوذ شرط في اعتبار الخبر، لا في تسميته صحيحاً[٤].

مثال الرواية الصحيحة

روى الشيخ الكليني رحمه الله، عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله(عزّ وجلّ) ﴿**حَنِيفًا مُّسْلِمًا**﴾[٥]، قال:

---

١. *الصحاح*: ج١، ص٣٨١ «صحح».

٢. *الرعاية في علم الدراية*: ص٧٧.

٣. انظر: *الفوائد الرجالية* للكجوري، ص١٨٤ و١٩٦؛ *توضيح المقال*: ص٢٧٠.

٤. *دراسات في علم الدراية*: ص٢٦.

٥. آل عمران: ٦٧.

«**خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان**»[١].

فرواة هذا الحديث هم من العدول الإماميين، بالإضافة إلى أنّ الرواية متّصلة سنداً بالمعصوم عليه السلام.

تنبيه

إنّ أهم الألفاظ التي تدلّ على عدالة الراوي هي قولهم: عدل، ثقة (بقولٍ مطلق)، صحيح الحديث، ونحوها.

ب) الحسن

الحسن لغةً: نقيض القبح، والجمع محاسن على غير قياس[٢].

الحسن اصطلاحاً: «هو ما اتّصل سنده إلى المعصوم عليه السلام بإمامي ممدوح، من غير نصّ على عدالته، مع تحقّق ذلك في جميع مراتبه... أو تحقّق ذلك في بعضها، بأن كان فيهم واحد إمامي ممدوح غير موثّق، مع كون الباقي من الطريق من رجال الصحيح»[٣].

ومن هنا يتبيّن أنّ شروط الحسن عند الإمامية، هي:

١ ـ اتّصال السند إلى المعصوم عليه السلام.

٢ ـ جميع رواته من الإمامية.

٣ ـ جميع رواته ممدوحون في كتب الرجال، ولكنّه لم يُصرّح بعدالتهم، أو بعضهم مع كون الباقي من رجال الصحيح.

مثال الرواية الحسنة

روى الشيخ الكليني، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ**

---

١. *الكافي*: ج٢، ص١٥، ح١؛ *وسائل الشيعة*: ج١، ص٥٩، ح١٢٣.

٢. *الصحاح*: ج٥، ص٢٠٩٩ «حسن».

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص٨١؛ انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص١٦٠ و ١٦١.

﴿إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[١].

وسبب كونها حسنة؛ لأنّ أحد رواتها وهو إبراهيم بن هاشم ممدوح في الكتب الرجالية، ولكن لم يُصرّح بتعديله، وإن اختار بعضهم عدالته على بعض المباني.

تنبيهان

- من الألفاظ المستخدمة في المدح: حافظ صالح، فاضل، ثبت، خيّر، ونحوها.
- الإمامي في اصطلاح المحدثين: هو المعتقد بإمامة إمام عصره وإن لم يعتقد بإمامة من لم يأت بعده لجهله بشخصه واسمه، فيخرج الفطحيّة والواقفية وأضرابهما، فإنّهم لم يعتقدوا بإمامة إمام عصرهم[٢].

ج) الموَثّق

الموثّق لغةً: قال ابن منظور: الثقة، مصدر قولك وثق به يثق بالكسر فيهما، وثاقة وثقة، ائتمنه[٣].

الموثّق اصطلاحاً: «ما اتّصل سنده إلى المعصوم عليه السلام بمن نصّ الأصحاب على توثيقه، مع فساد عقيدته، بأن كان من أحد الفرق المخالفة للإمامية وإن كان من الشيعة، مع تحقّق ذلك في جميع رواة طريقه أو بعضهم مع كون الباقين من رجال الصحيح»[٤].

قال الشهيد الثاني: «سُمّي بذلك؛ لأنّ راويه ثقة وإن كان مخالفاً، وبهذا فارق الصحيح مع اشتراكهما في الثقة».

وبهذا يتبيّن أنّ شروط الموثّق عند الإمامية، هي:

١ ـ كون السند متّصلاً بالمعصوم عليه السلام.

---

١. *الكافي*: ج١، ص٢٠٦، ح٥.

٢. *أصول الحديث وأحكامه*: ص٤٦.

٣. *لسان العرب*: ج١٥، ص٢١٢ «وثق».

٤. *مقباس الهداية*: ج١، ص١٦٨.

٢ ـ كون جميع الرواة ممّن نصّ بتوثيقهم وإن كانوا مخالفين، أو بعضهم مع كون الباقين من رجال الصحيح.

مثال الرواية الموثّقة

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن إبراهيم بن هاشم، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «يُطلب الماء في السفر، إن كانت الحزونة فغلوة سهم، وإن كانت سهولة فغلوتين، لايُطلب أكثر من ذلك»[(١)].

وسبب كونها موثّقة لوجود السكوني من جملة الرواة، المعروف بروايته من أهل السنّة[(٢)]، مع أنّه قد نصّ على وثاقته، وكذلك الكلام في كلّ من غياث بن كلوب الواقفي، وعمّار الساباطي الفطحي، وغيرهم.

تنبيه

من الألفاظ المستخدمة في التوثيق، هي: ثقة في الحديث، صالح في الحديث، صدوق، ضابط، ونحوها.

د) الضعيف

الضعيف لغةً: قال الجوهري: الضَعف والضُعف خلاف القوّة، وقد ضعف فهو ضعيفٌ[(٣)].

الضعيف اصطلاحاً: «هو ما لا يجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدّمة، بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق ونحوه، أو مجهول الحال، أو ما دون ذلك كالوضّاع»[(٤)].

---

١. *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٢٠٢، ح٥٨٦.

٢. انظر: *نهاية الدراية*: ص٢٦٥.

٣. *الصحاح*: ج٤، ص١٣٩٠ «ضعف».

٤. *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٠٢.

فيتبيّن أنّ الضعف يعتري الرواية إذا توفّرت إحدى هاتين النقطتين:

١ ـ عدم اتّصال السند إلى المعصوم عليه السلام.

٢ ـ عدم كون رواة الحديث حاملين لإحدى أوصاف الأقسام الثلاثة السابقة.

مثال الرواية الضعيفة

روى الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام...»[١].

وسبب كونها ضعيفة لانقطاع سندها إلى المعصوم عليه السلام بقوله: «عن بعض أصحابه».

تنبيه

الألفاظ التي تدلّ على جرح الراوي هي: ضعيف، كذّاب، وضّاع الحديث، ونحوها.

حكم الأقسام السابقة

قد ذُكر في محلّه أنّه لا دليل على حجّية خبر الواحد إلاّ السيرة العُقلائية التي أمضاها الشارع، والسيرة كما تدلّ على حجّية قول الثقة كذلك تدلّ على حجّية كلّ خبر حصل الوثوق بصدوره عن المعصوم عليه السلام، وعليه جوّزوا العمل بما يحصل الوثوق به من الصحيح والموثّق والحسن، وأمّا العمل بالضعيف فهو رهن حصول الوثوق بصدوره، ولأجل ذلك ربمّا يكون تظافر الحديث وشهرته وإن كان ضعيفاً سبباً لحصول الوثوق[٢].

التقسيم الثالث: تقسيم خبر الواحد من حيث اتّصال السند أو انقطاعه

قد عرفنا سابقاً الأقسام الأربعة للحديث بلحاظ أحوال الراوي، والتي عُبّر عنها بـ(اُصول الأقسام)، وهي: الصحيح، الحسن، الموثّق، الضعيف.

---

١. *الكافي*، ج٣، ص٤١٥، ح١١.

٢. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص١٨٥.

إلاّ أنّه قد بقيت تقسيمات أُخرى، منها: ما تشترك فيه أُصول أقسام الحديث الأربعة، إمّا جميعها أو بعضها. ومنها مايختصّ بالضعيف فقط.

ومن جملة هذه التقسيمات: تقسيم خبر الواحد من حيث اتّصال سنده أو عدمه، وعليه فبإمكاننا أن نصنّف هذا التقسيم إلى صنفين:

الصنف الأوّل: ما تشترك فيه أُصول أقسام الحديث الأربعة.

الصنف الثاني: ما يختصّ بالحديث الضعيف فقط.

الصنف الأوّل: ما تشترك فيه الأقسام الأربعة

١ ـ المُسند

المسند اصطلاحاً هو: «ما اتّصل سنده بذكر جميع رجاله في كلّ مرتبة إلى أن ينتهي إلى المعصومعليه السلام من دون أن يعرضه قطع بسقوط شيء منه»[١].

مثال الحديث المسند

روى الكليني: «عن علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن حريز، عن زرارة، قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن الحلال والحرام؟ فقال: **حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره...**»[٢].

فنرى في هذا الحديث أنّ جميع سلسلة رواته قد ذكروا إلى المعصومعليه السلام من دون حذف راوٍ واحد، وعليه سُمّي هذا الحديث حديثاً (مسنداً).

---

١. *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

٢. *الكافي*: ج١، ص٥٨، ح١٩.

٢ ـ المتّصل

المتّصل اصطلاحاً هو: «ما اتّصل إسناده إلى المعصومعليه السلام أو غيره، وكان كلّ واحد من رواته قد سمعه ممّن فوقه؛ أو ما هو في معنى السماع: كالإجازة والمناولة». ويُسمّى أيضاً: الموصول[١].

الفرق بين الحديث المسند والمتّصل

- المسند هو: ما اتّصلت سلسلة رواته إلى المعصومعليه السلام خاصّة دون غيره.
- المتّصل هو: ما اتّصلت سلسلة رواته إلى المعصومعليه السلام أو غيره كالصحابي والتابعي.

وعليه يظهر أنّ النسبة بين المسند والمتّصل هي: العموم والخصوص المطلق، فالمتّصل أعمّ مطلقاً من المسند، لذلك صحّ إطلاق المتّصل على المسند دون العكس.

٣ ـ المرفوع

المرفوع اصطلاحاً هو: «ما اُضيف الى المعصومعليه السلام من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، سواء كان إسناده متّصلاً بالمعصومعليه السلام، أم منقطعاً بترك بعض الرواة، أو إبهامه، أو رواية بعض رجال سنده عمّن لم يلقه»[٢].

مثال الحديث المرفوع

- ما رواه الصدوق بقوله: «حدّثنا أبي، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير يرفعه إلى أبي عبد اللهعليه السلام، قال: **الساعي**[٣] **قاتل**

---

١. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٩٦ ـ ٩٧؛ *الرواشح السماوية*: ص١٩٨؛ *نهاية الدراية*: ص١٨٦.

٢. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٩٧ ـ ٩٨.

٣. الساعي: الواشي، وهو الذي يسعى إلى الحكّام.

ثلاثة: قاتل نفسه، وقاتل من يسعى به[١]**، وقاتل من يسعى إليه»**[٢].

فهذا الحديث حديث مرفوع، بدليل قوله: «يرفعه»، حيث حذف بعض رواته الواقعين بين ابن أبي عمير وبين الإمام الصادقعليه السلام.

- روى الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زرارة، قال: كنت جالساً عند أبي عبد اللهعليه السلام...[٣].

فالظاهر من هذا الحديث ـ كنظرة أُولى ـ أنّه حديث مسند، إلاّ أنّه في الحقيقة حديث مرفوع، والدليل عليه رواية ابن ابي عمير عن زرارة، مع أنّه لم يلقه.

الفرق بين المرفوع والمتّصل

توجد بين الخبر المرفوع والمتّصل جهة اتّحاد وجهتا افتراق لكلّ منهما عن الآخر.

جهة الاتّحاد هي: فيما إذا كان الحديث متّصل الإسناد إلى المعصومعليه السلام، فإنّه يصدق عليه الاتّصال والرفع؛ لشمول تعريفهما له.

جهة افتراق المتّصل عن المرفوع هي: فيما إذا كان الحديث متّصل الإسناد إلى غير المعصومعليه السلام، فإنّه يصدق عليه الاتّصال دون الرفع.

جهة افتراق المرفوع عن المتّصل هي: فيما إذا كان الحديث منقطع الإسناد إلى المعصومعليه السلام، فإنّه يصدق عليه الرفع دون الاتّصال.

وعليه يظهر أنّ النسبة بين الخبر المتّصل والمرفوع هي نسبة العموم والخصوص من وجه، ومنه تظهر النسبة أيضاً بين المرفوع والمسند، حيث إنّ المرفوع أعمّ مطلقاً من المسند، وذلك لشمول المرفوع للحديث المتّصل إسناده إلى المعصومعليه السلام أو المنقطع.

---

١. في بعض النسخ: من سعى به.

٢. *الخصال*: ص١٠٧ ـ ١٠٨، ح٧٣.

٣. *الكافي*: ج٥، ص٢١٢، ح١٤.

تعريف آخر للمرفوع

اعلم إنّ هناك من يعرّف المرفوع بأنّه: «الحديث الذي سقط من وسط إسناده أو آخره واحدٌ أو أكثر مع التصريح بلفظ الرفع»[١].

وهذا داخل في قسم المرسل بالمعنى الأعمّ، وعليه فلا يصحّ إطلاقه على المسند والمتّصل بهذا المعنى.

ومثاله: «ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام...»[٢].

٤ ـ المعلّق

المعلّق اصطلاحاً هو: «ما حُذف من مبدأ إسناده واحد فأكثر»[٣].

مثال الحديث المعلّق

- ما رواه الشيخ الطوسي أو الصدوق عن محمّد بن يعقوب، أو أحمد بن محمّد، أو غيرهما ممّن لم يدركاه. وهذا كثير ما يقع في: ***كتاب من لا يحضره الفقيه***، ***والاستبصار***، ***والتهذيب***.
- ما يرويه الشيخ الكليني من دون ذكر الواسطة في بداية بعض أسانيد ***الكافي***، وذلك تعليقاً على السند السابق، كقوله: «ابن أبي عمير، عن الحسن بن عطيّة، عن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام...»[٤].

حكم الحديث المعلّق

- لا يخرج الحديث المعلّق عن الصحيح أو الحسن أو الموثّق إذا عرف الراوي

---

١. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٠٧.

٢. *الكافي*: ج٤، ص١٧٣، ح١٥.

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٠١.

٤. *الكافي*: ج٢، ص٩٧، ح١٧.

المحذوف، وعرف حاله عند علماء الرجال، كما هو الحال في أغلب روايات *التهذيبين، وكتاب من لا يحضره الفقيه،* كرواية الشيخ الطوسي عن محمّد بن يعقوب، فقد شرح الواسطة بينهما في آخر كتاب ***تهذيب الأحكام*** تحت عنوان (المشيخة)، فالمقصود بقوله: روى محمّد بن يعقوب، عن أحمد بن محمّد... هو: روى الشيخ المفيد، عن ابن قولويه، عن محمّد بن يعقوب... وكذلك ما رواه الشيخ الصدوق عن محمّد بن يعقوب، فإنّ سنده إليه قد شرحه في آخر ***كتاب من لا يحضره الفقيه*** أيضاً.

- التعليق في كتاب ***الكافي*** غالباً ما يتمّ اعتماداً على السند السابق، وذلك للاختصار الذي كان متداولاً عند القدماء من علمائنا(رحمهم الله)، فالحديث الذي رواه الكليني عن ابن أبي عمير حديث معلّق على السند السابق والذي هو: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام...»[1]، فحُذف من السند راويان اعتماداً على السند السابق.

وعليه يظهر أنّ أكثر الأحاديث المعلّقة هي في الحقيقة أحاديث مسندة، إلاّ أنّه حُذف من أوّل إسنادها راوٍ أو أكثر؛ مراعاةً للاختصار.

الصنف الثاني: ما يختصّ بالحديث الضعيف فقط

١ ـ الموقوف

الموقوف اصطلاحاً هو: «ما وقف فيه الإسناد على الراوي ولم يصل إلى المعصوم عليه السلام»[2]، كوقوف بعض الأسانيد على زرارة أو غيره من أصحاب الأئمّة عليهم السلام من

١. *الكافي*: ج٢، ص٩٦، ح١٦.

٢. *نهاية الدراية*: ص١٨٤.

دون إسناده إلى المعصوم‌عليه‌السلام.

ثمّ اعلم إنّ بعض العلماء والمحدّثين قد قسّم الحديث الموقوف إلى قسمين: مطلق ومقيّد.

- فالموقوف على الإطلاق: هو ما روي عن مصاحب المعصوم من النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله أو أحد الأئمّة‌عليهم‌السلام من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، مع الوقوف على ذلك المصاحب وعدم وصل السند إلى المعصوم‌عليه‌السلام، من غير فرقٍ بين كون سنده متّصلاً أو منقطعاً[١].

ومثاله ما روي عن ابن مسعود في تفسير الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ..﴾[٢]، أي مطيعاً له دائماً على عبادته[٣].

- وقد يطلق مقيّداً في غير مصاحب المعصوم‌عليه‌السلام، مثل قولهم: «وقفه فلان على فلان»، إذا كان الموقوف عليه غير مصاحب[٤].

حكم الحديث الموقوف

الحديث الموقوف ليس بحجّة، وإن صحّ سنده؛ لوقوفه على من ليس بمعصوم، فهو في الحقيقة ليس بحديث اصطلاحاً، وإنّما هو حكاية من الراوي، إلاّ أن يقوم هناك ما يؤدّي إلى القطع عادةً بصدوره عن المعصوم‌عليه‌السلام، كما في موقوفة عمر بن أُذينة[٥].

حيث روى الشيخ الطوسي: «بإسناده عن محمّد بن أحمد بن يحيى، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة: في **النساء إذا كان لهنّ ولد أُعطين من**

---

١. *مقباس الهداية*: ج١، ص ٣٢٠؛ وانظر *الرعاية في علم الدراية*: ص ١٣٢؛ *نهاية الدراية*: ص ١٨٤ و١٩٨.

٢. النحل: ١٢٠.

٣. *مجمع البيان*: ج٦، ص٢٠٨.

٤. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص ١٣٢؛ *نهاية الدراية*: ص ١٩٩.

٥. انظر: *نهاية الدراية*: ص١٨٤.

الرباع»[١].

تنبيه

إنّ من الموقوف هو قول الصحابي: «كنّا نفعل كذا أو نقول كذا»، مع إطلاقه وعدم إضافته الى زمن النبي صلى الله عليه وآله، أمّا إذا أضافه الى زمنه صلى الله عليه وآله مع بيان اطّلاعه صلى الله عليه وآله عليه ولم ينكره، فهو مرفوع إجماعاً[٢].

٢ ـ المقطوع

المقطوع اصطلاحاً هو: ما جاء عن التابعين ومن في حكمهم ـ أي تابع الإمام عليه السلام ـ عندنا، قولاً له أو فعلاً[٣].

مثال الحديث المقطوع

عن ابن عبّاس ومجاهد والسدي في تفسير الآية: ﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٤]، أي: «ينقصهم»[٥].

حكم الحديث المقطوع

كيف كان فالمقطوع ليس بحجّة؛ لعدم اتّصال الخبر إلى المعصوم عليه السلام، وعدم حجّية قول التابعي[٦].

الفرق بين الموقوف والمقطوع

- الموقوف هو: الحديث الذي يوقف على مصاحب المعصوم عليه السلام.
- المقطوع هو: الحديث الذي يوقف على تابع مصاحب المعصوم عليه السلام.

---

١. *تهذيب الأحكام*: ج٩، ص٣٠١، ح١٠٧٦.

٢. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص١٣٣.

٣. انظر: المصدر السابق: ص١٣٥؛ *مقباس الهداية*: ج١، ص٣٣١.

٤. آل عمران: ١٤١.

٥. انظر: *مجمع البيان*: ج٢، ص٤٠١.

٦. *مقباس الهداية*: ج١، ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

٣ ـ المنقطع

المنقطع اصطلاحاً هو: ما حُذف من وسط إسناده راوٍ واحد. قال الشيخ البهائي: «أو [سقط] من وسطها [أي سلسلة السند] واحد فمُنقطع»[١].

وهناك من جعل للمنقطع إطلاقين:

أ) إطلاق بالمعنى الأعمّ: وهو ما لم يتّصل إسناده إلى المعصوم‏عليه السلام، سواء كان الانقطاع من الأوّل أم من الوسط أم من الآخر، واحداً كان الساقط أم أكثر.

ب) إطلاق بالمعنى الأخصّ: وهو ما حُذف من وسط إسناده[٢]، حيث قيّد بعض المحقّقين الحذف براوٍ واحد، كما تقدّم.

٤ ـ المعضل

المعضل اصطلاحاً: وهو ما حُذف من وسط إسناده راويان أو أكثر. قال الشيخ البهائي: «أو [سقط] من وسطها واحد فمنقطع أو أكثر، فمعضل»[٣].

حكم الحديث المنقطع والمعضل

لا إشكال في عدم حجيّة الحديث المنقطع والمعضل، إلاّ مع إحراز من سقط منهما اسماً ووثاقةً[٤].

٥ ـ المضمر

المضمر اصطلاحاً هو: ما أُسند إلى مجهولٍ ظاهره المعصوم‏عليه السلام، كسألته، وقلت له، وقال، وعنه، وسمعته يقول، ونحوها.

---

١. *الحبل المتين* للبهائي: ص٤.

٢. *نهاية الدراية* للسيّد حسن الصدر: ص١٩٦.

٣. *الحبل المتين*: ص٤.

٤. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص٣٣٧.

مثال الحديث المضمر

- روى الشيخ الكليني: «عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن حمّاد، عن حريز، عن محمّد بن مسلم، قال: قلت له: رجل مرض فترك النافلة؟ فقال: **يا محمّد، ليست بفريضة، إن قضاها فهو خيرٌ يفعله، وإن لم يفعل فلا شيء عليه**»[١].
- ما رواه الشيخ الطوسي: «عن محمّد بن يعقوب عن أبي داوود، عن الحسين بن سعيد، عن أخيه الحسن، عن زرعة، عن سماعة، قال: سألته: هل يُشرَب سؤر شيء من الدواب ويُتوضّأ منه؟ قال: «**أمّا الإبل والبقر فلا بأس**»[٢].

حكم الحديث المضمر

- الحديث المضمر ليس بحجّة؛ لاحتمال ألاّ يكون المراد بالضمير هو المعصومعليه السلام، نعم لو علم كون المراد به الإمامعليه السلام... خرج ذلك عن عنوان الإضمار، كما هو ظاهرٌ للمتتبّع لمضمرات سماعة وعلي بن جعفر.
- ذهب بعض المحقّقين: إنّ الإضمار إذا كان من مثل زرارة ومحمّد بن مسلم وأضرابهما من الأجلاّء فالأظهر حجيّته، بل الظاهر مطلق الموثّقين من أصحابنا أيضاً كذلك؛ لأنّ ظاهر حال أصحاب الأئمّةعليهم السلام أنّهم لا يسألون إلاّ عنهم[٣].

عوامل الإضمار

علّل العلماء وقوع الإضمار بعوامل أفادوها من تتبّعهم لواقع الأحاديث المرويّة والمدوّنة في الجوامع الحديثية، وهي:

أ) التقيّة: ذلك أنّ بعض الرواة كان لا يستطيع التصريح باسم الإمام؛ لظروفٍ سياسية قاسية كان يعيشها تحت سطوة القمع والإرهاب الأمويّ أو العبّاسيّ، فيستعمل

---

١. *الكافي*: ج٣، ص٤١٢، ح٥.

٢. *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٢٢٧، ح٦٥٦.

٣. *دراسات في علم الدراية*: ص٥٩

الكناية (الضمير).

ب) تقطيع الأخبار من الأُصول، وكان يحدث هذا في موضعين:

- الكتب: وذلك أن تأتي مرويات المؤلّف في كتابه كلّه عن إمامٍ، فيذكر اسمه في أوّل الكتاب، ثمّ يكتفي بذكر ضميره... اختصاراً ومراعاةً لقواعد البلاغة.
- الحديث الطويل: وذلك قد يروي الراوي حديثاً طويلاً يضمّ مجموعة كبيرة من الأسئلة وأجوبتها... وحينما جُمعت الجوامع الكبرى عمد مؤلّفوها إلى تفريق الأحاديث التي في الكتاب أوالفقرات التي في الحديث الطويل على أبواب الفقه ومواضيعه، من دون تصرّف بإضافة اسم المعصومعليه السلام[1].

٦ ـ المرسل

المرسل اصطلاحاً هو: «ما رواه عن المعصوم مَن لم يدركه بغير واسطة، أو بواسطة نسيها، أو تركها عمداً أو سهواً، أو أبهمها... واحداً كان المتروك أو أكثر»[2].

توضيحات

أوّلاً: المراد من عدم إدراك المعصوم في تعريف المرسل هو: عدم التلاقي في ذلك الحديث، بأن رواه

عنه بواسطة، وإن أدرك المعصومعليه السلام بمعنى: اجتماعه معه.

وبهذا المعنى يتحقّق إرسال الصحابي عن النبيصلى الله عليه وآله، بأن يروي الحديث عنه بواسطة صحابي آخر[3].

ثانياً: في بعض الموارد قد يستخدم الراوي بعض العبارات المبهمة، مثل: (عن رجل) أو (عن بعض)، أو (عن بعض أصحابنا)، ففي هذه الحالة فإنّ الحديث يُعتبر من الأحاديث

---

١. *أصول الحديث* للفضلي، ص١٠١ ـ ١٠٣؛ وانظر: *وسائل الشيعة*: ج٣٠، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ الفائدة ١١ في الأحاديث المضمرة؛ *مقباس الهداية*: ج١، ص٣٣٤.

٢. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص١٠٦.

٣. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص١٣٦.

المُرسلة، وإليه أشار بقوله: «أو أبهمها».

ومثاله: ما رواه الكليني عن محمّد بن يحيى وغيره، عن محمّد بن أحمد، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**كلّ غسلٍ قبله وضوء، إلاّ غسل الجنابة**»[١].

ثالثاً: كلّ ما رواه التابعي عن النبي صلى الله عليه وآله فهو مرسل، سواء أكان التابعي كبيراً كسعيد بن المسيّب، أم غيره.

رابعاً: كلّ حديثٍ رُوي عن المعصوم عليه السلام من دون ذكر الواسطة بين الراوي والإمام، يُعتبر حديثاً مرسلاً، كقولهم: قال النبي صلى الله عليه وآله، قال الإمام علي عليه السلام، قال أبو عبد الله عليه السلام... حيث يعتبر من مصاديق ما روي عمّن لم يدركه.

تنبيهان في حكم المرسل

الأوّل: قال الشهيد الثاني: «المرسل ليس بحجّة مطلقاً، سواء أرسله الصحابي أم غيره، وسواء أسقط منه واحداً أم أكثر، وسواء كان المُرسِل جليلاً أم لا، في الأصحّ من الأقوال للأُصوليين والمحدّثين[٢]؛ وذلك للجهل بحال المحذوف، فيحتمل كونه ضعيفاً. ويزداد الاحتمال بزيادة الساقط، فيقوى احتمال الضعف... إلاّ أن يعلم تحرّز مرسله عن الرواية عن غير الثقة، كابن أبي عمير من أصحابنا على ما ذكره كثير منهم، وسعيد بن المسيّب عند الشافعي، فيقبل مرسله، ويصير في قوة المسند»[٣].

الثاني: قال الشهيد الأوّل: «...قبل الأصحاب مراسيل ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى،

---

١. *الكافي*: ج٣، ص٤٥، ح١٣.

٢. انظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٤٩ حيث قال: «...وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقرّ عليه آراء جماهير حفّاظ الحديث ونقّاد الأثر، وتداولوه في تصانيفهم...».

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٣٧ ـ ١٣٨.

وأحمد بن أبي نصر البزنطي؛ لأنّهم لا يرسلون إلاّ عن ثقة»[١].

التقسيم الرابع: تقسيم خبر الواحد من حيث عدد الواسطة إلى المعصوم عليه السلام

١ ـ العالي سنداً

العالي اصطلاحاً هو: قليل الواسطة مع اتّصاله إلى المعصوم عليه السلام[٢]. قال الشيخ البهائي: «وقصير السلسلة عال»[٣].

مثال الحديث العالي سنداً

من قبيل ثلاثيات الكليني؛ فإنّه يروي رواياتٍ بهذا الإسناد: «علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام»[٤]؛ مع العلم بأنّ الكليني رحمه الله توفّي بعد الإمام الصادق عليه السلام بمئة وثمانين عاماً.

أهمّ مميّزات الإسناد العالي

إنّ من أهم مميّزات الإسناد العالي هو قلّة احتمال وقوع الخطأ والسهو فيه. قال الشهيد الثاني: «وطلبه ـ أي طلب علوّ الإسناد ـ سنّة عند أكثر السلف، وقد كانوا يرحلون إلى المشايخ، في أقصى البلاد لأجل ذلك فبعلوّه ـ أي السند ـ يبعد الحديث عن الخلل المتطرّق إلى كلّ راوٍ، إذ ما من راوٍ من رجال الإسناد، إلاّ والخطأ جائز عليه، فكلّما كثرت الوسائط وطال السند كثرت مظان التجويز، وكلّما قلّت قلّت»[٥].

---

١. *الذكرى* للشهيد الأوّل: ج١، ص٤٩.

٢. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص١١٢.

٣. *الحبل المتين*: ص٥.

٤. انظر نماذج من هذا السند في *الكافي* ج٢، ص١١٧، ح٥ و١٦٨، ح١ و٢١٩، ح١٠ و٢٥٨، ح٢٦ و٢٨٠، ح١٠، و٣٠٠، ح١ و... تحت أبوابٍ متعدّدة.

٥. *الرعاية في علم الدراية*: ص١١٢؛ انظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص١٥٦.

أشهر ما صنّف في الأحاديث العالية سنداً

إعلم إنّ أشهر ما صنّف من الأحاديث العالية سنداً هو كتاب ***قرب الإسناد*** للثقة الجليل عبد الله بن جعفر الحميري.

وقد أطلق على الكتب التي جمعت الروايات التي تتّصف بعلوّ الإسناد بـ(العوالي).

٢ ـ النازل سنداً

النازل اصطلاحاً هو: كثير الواسطة إلى المعصوم عليه السلام[١]. ومثاله واضح.

تنبيهان

الأوّل: الحديث العالي سنداً يُرجَّح على غيره إذا اتّفقت الشرائط الأُخرى. فقد رجّح السيّد السيستاني الحديث: «**لا ضرر ولا ضرار**»[٢] الذي ينقله عبد الله بن بكير عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام، على الحديث: «**لا ضرر ولا ضرار على المؤمن**»[٣] الذي ينقله عبد الله بن مسكان عن زرارة عنه عليه السلام؛ وذلك لوجوهٍ عديدة، أحدها:

قرب الإسناد في رواية ابن بكير، فإنّ بين الكليني وبين الإمام عليه السلام في رواية ابن بكير عن زرارة خمس وسائط، وبينه وبين الإمام في رواية ابن مسكان ستّ وسائط، ومعلوم أنّه كلّما قلّ عدد الوسائط يقلّ معه احتمال مخالفة النقل للواقع؛ لأنّ احتمال المخالفة يجيء في كلّ واحد من الرواة، فيقلّ بطبيعة الحال فيما كان أقرب إسناداً إلى الإمام عليه السلام[٤].

الثاني: قد يتّفق في الحديث النازل مزية ليست في الحديث العالي، كما لو كان:

- رواة الحديث النازل أوثق أو أحفظ أو أضبط.

---

١. راجع: *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٤٣، استنتج من قول المؤلّف بعد تعريفه للعالي سنداً: «والنازل بخلافه».

٢. *الكافي*: ج٥، ص٢٩٢ ـ ٢٩٣، ح٢.

٣. المصدر السابق: ص٢٩٤، ح٨.

٤. *قاعدة لا ضرر ولا ضرار* للسيستاني: ص١٠١.

• الاتّصال فيه أظهر؛ كما لو صرّح الراوي بلقاء المرويّ عنه، مع اشتمال العالي على ما يحتمل اللقاء وعدمه؛ كقولهم: (عن فلان)، فيكون النزول حينئذٍ أولى[١].

التقسيم الخامس: تقسيم الحديث باعتبار عمل العلماء بمضمونه أو لا

١ ـ المقبول

المقبول اصطلاحاً هو: الحديث الّذي تلقّاه الأصحاب بالقبول والعمل بمضمونه، من غير التفاتٍ إلى صحّته وعدمها[٢].

وبهذا القيد الأخير يتّضح دخول الحديث المقبول في القسم المشترك بين الصحيح وغيره من الأقسام الأربعة، وعليه فالحديث الذي يعمل العلماء والفقهاء بمضمونه يُسمّى «مقبولاً»، وإن كان ضعيف السند.

مثال الحديث المقبول

«روى الشيخ الكليني عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى، عن داوود بن الحصين، عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك[٣]؟.

فقد تلقّاه الأصحاب بالقبول، مع أنّ (عمر بن حنظلة) لم يرد فيه جرح أو تعديل. حيث اشتهر بين العلماء العمل بمضمونه، فكان ذلك جابراً لضعف السند عندهم، حتّى اشتهرت بينهم بـ(مقبولة عمر بن حنظلة).

---

١. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص١١٢ و١١٣.
٢. انظر: : *الرعاية في علم الدراية*: ص ١٣٠.
٣. *الكافي*: ج١، ص٦٧، ح١٠.

تنبيه

قال الشهيد الثاني: «وعمر بن حنظلة لم ينصّ الأصحاب فيه بجرح ولا تعديل، لكن أمره عندي سهل؛ لأنّه حقّقت توثيقه من محلّ آخر، وإن كانوا قد أهملوه»[١].

٢ ـ المعتبر

المعتبر اصطلاحاً هو: ما عمل الجميع أو الأكثر به، أو أُقيم الدليل على اعتباره؛ لصحّة اجتهادية، أو وثاقة، أو حسنٍ، وهو بهذا التفسير أعمّ من المقبول[٢].

مثال الحديث المعتبر

ما رواه الشيخ الطوسي بقوله: «أخبرني الشيخ أبو عبد الله، عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن علي، عن أحمد بن هلال، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لا بأس بأن يتوضّأ بالماء المستعمل...**»[٣].

قال الشيخ الأنصاري: وليس في سند الرواية إلاّ (أحمد بن هلال) المتّهم بالغلوّ تارةً[٤]، وبالنصب أُخرى، وبُعدُ ما بين المذهبين، لعلّه يشهد بأنّه لم يكن له مذهب رأساً، لكنّ التأمّل في القرائن يكاد يلحق الرواية بالصحاح[٥]. ثمّ ذكر مجموعة من القرائن.

٣ ـ المردود

المردود اصطلاحاً هو: الخبر الذي لم يترجّح صدق المخبر به لبعض الموانع[٦]، فهو

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٣١.
٢. *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٨٢.
٣. *الاستبصار*: ج١، ص٢٧، ح٧١؛ *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٢٢١، ح٦٣٠.
٤. *رجال الطوسي*: ص٣٨٤، الرقم ٥٦٤٧.
٥. *كتاب الطهارة* للشيخ الأنصاري: ج١، ص٣٥٤.
٦. *الرعاية في علم الدراية*: ص٧١.

الخبر غير المعمول به؛ لعدم الاطمئنان بصدوره، فهو أعمّ من صحيح السند وضعيفه.

مثال الحديث المردود

«روى الشيخ الطوسي عن محمّد بن علي بن محبوب، عن معاوية بن حكيم، عن موسى بن بكر، عن أبي مريم ومحمّد بن أحمد بن يحيى ومعاوية، عن علي بن الحسن بن رباط، عن أبي مريم الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام، قال في امرأة قتلت رجلاً: «**تُقتل ويُؤدّي وليّها بقية المال**».

وفي رواية محمّد بن علي بن محبوب «بقيّة الديّة»[1].

قال الشيخ الطوسي: «هذه الرواية شاذّة، ما رواها غير أبي مريم الأنصاري، وإن تكررّت في الكتب في مواضعٍ، وهي مع هذا مخالفة للأخبار كلّها ولظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ**...﴾[2]، فحكم أنّ النفس بالنفس، ولم يذكر معها شيئاً آخر، والروايات كلّها صرّحت بأنّه لا يجني الإنسان على أكثر من نفسه، وأنّه ليس على أوليائها شيء إذا قتلوها، فإذا وردت هذه الرواية مخالفة لما ذكرناه ينبغي أن يُترك العمل بها[3].

التقسيم السادس: تقسيم خبر الواحد بلحاظ ما يعرض له من تحوّلات على سنده أو متنه

اعلم إنّه توجد هناك تقسيمات أُخرى لخبر الواحد بالإمكان اختصارها تحت هذا التقسيم، وهذا أيضاً بالإمكان تصنيفه إلى صنفين: ما تشترك فيه الأقسام الأربعة، وما يختصّ به الضعيف فقط.

---

١. *تهذيب الأحكام*: ج ١٠، ص١٨٣، ح٧١٧.

٢. المائدة: ٤٥.

٣. *تهذيب الأحكام*: ج ١٠، ص١٨٣.

الصنف الأوّل: ما تشترك فيه الأقسام الأربعة

١ ـ المعنعن

المعنعن اصطلاحاً هو: «ما يقال في سنده: فلانٌ عن فلان، من غير بيان للتحديث [كقولهم: حدّثنا]، والإخبار [كقولهم: أخبرنا]، والسماع [كقولهم: سمعت فلاناً]؛ وبذلك يظهر وجه تسميته معنعناً»[١].

مثال الحديث المعنعن

روى الكليني: «عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن معمّر بن خلاّد، عن أبي الحسن عليه السلام، أنّه ذكر رجلاً فقال: إنّه يحبّ الرئاسة. فقال: **ما ذئبان ضاريان في غنمٍ قد تفرّق رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من الرئاسة**»[٢].

حكم الحديث المعنعن

اختُلف في حكم الحديث المعنعن بين المحدّثين، هل هو من قبيل الحديث المرسل والمنقطع، أو من قبيل الحديث المتّصل، على قولين، إلا أنّ الصحيح والذي عليه جمهور المحدّثين[٣] بل كاد يكون إجماعاً؛ أنّه متّصل، وذلك إذا توفّر كلا الشرطين الآتيين:

أ) إذا أمكن اللقاء، أي ملاقاة الراوي بالعنعنة لمن رواه عنه.

ب) براءة الراوي من التدليس، بألاّ يكون معروفاً به، وإلاّ لم يكفِ اللقاء؛ لأنّ مَن عُرِف بالتدليس، قد يتجوّز في العنعنة مع عدم الاتّصال[٤]، حيث إنّها بحسب مفاد اللفظ أعمّ من الاتّصال[٥].

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص٩٩.
٢. *الكافي*: ج٢، ص٢٩٧، ح١.
٣. انظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٥٣ و٥٤.
٤. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٩٩.
٥. *الرواشح السماوية*: ص١٩٩.

٢ ـ المُدرج

المدرج اصطلاحاً هو: «ما أُدرج فيه كلام بعض الرواة فيُظنّ أنّه من الحديث»[١].

مثال الحديث المدرج

كما في الحديث التالي: قال الصادقعليه السلام: «**لا يُفوِّت الصلاة مَن أراد الصلاة، ولا تَفوتُ صلاةُ النهار حتّى تغيب الشمس، ولا صلاةُ اللّيل حتّى يطلع الفجر**، [وذلك للمضطرّ والعليل والناسي]»[٢]. والظاهر أنّ العبارة بين القوسين المعقوفين كلامٌ أدرجه الراوي، وليس هو كلام المعصومعليه السلام.

تنبيه

قدّ صرّح جمعٌ بحرمة تعمّد الإدراج بأقسامه، بل ادّعوا الإجماع عليه؛ لأنّه تحريف للكلم عن مواضعه، والظاهر عدم شمول الحرمة في صورة عدم التعمّد[٣].

٣ ـ المُصَحَّف

المصحّف اصطلاحاً ينقسم إلى قسمين:

أ) التصحيف في السند، مثل تصحيف (بُرَيد بن معاوية) بـ(يزيد بن معاوية)، وتصحيف (حُريز) بـ(جرير)، وتصحيف (العوّام بن مراجم) بـ(مزاحم).

ب) التصحيف في المتن، ومثاله: قول النّبيصلى الله عليه وآله: «**مَن صام رمضان وأتبعه ستّاً من شوال، كان كصيام الدهر**»[٤]، فقد صحّفه بعضهم بالشين المعجمة، فقرأ:

---

١. *أُصول الحديث وأحكامه* للسبحاني: ص٦٣.

٢. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج١، ص٣٥٥، ح١٠٣٠.

٣. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

٤. *صحيح مسلم*: ج٣، ص١٦٩.

«وأتبعه شيئاً»[١].

منشأ التصحيف

اعلم إنّ منشأ التصحيف أمران:

أوّلاً: البصر؛ ويحصل فيما إذا تقاربت الحروف، كما مرّ في الأمثلة السابقة.

ثانياً: السمع؛ ويحصل فيما إذا كانت الكلمتان متشابهتين عند السمع، كما في تصحيف (عاصم الأحول) بـ(واصل الأحدب)، و(خالد بن علقمة) بـ(مالك بن عرفطة)، أنّ ذلك لا يُشتَبَهُ في الكتابة على البصر[٢].

٤ ـ الشاذّ

الشاذّ اصطلاحاً هو: «ما رواه الراوي الثقة، مخالفاً لما رواه الجمهور ـ أي الأكثر ـ سُمّي شاذّاً باعتبار ما قابله، فإنّه مشهور»[٣].

مثال الحديث الشاذّ

ما رواه الشيخ الطوسي في ***التهذيب والاستبصار***، بأسانيد متعدّدة، بعضها صحيح: «عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه سُئل عن رجلٍ، كان في أرضٍ باردة، فتخوّف إن هو اغتسل أن يصيبه عنتٌ من الغسل، كيف يصنع؟ قال: «يغتسل وإن أصابه ما أصابه»[٤]. فإنّه مع صحّة سنده وكثرة طرقه، أعرض عنه الجمهور ولم يفتوا بمضمونه[٥].

---

١. انظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص١٧١.

٢. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٤١.

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص١١٥؛ وانظر: *الذكرى*: ج١، ص٤٨؛ *الحبل المتين*: ص٥.

٤. *الاستبصار*: ج١، ص١٦٢، ح٥٦٣؛ *تهذيب الأحكام*: ج١، ص١٩٨، ح٥٧٥.

٥. انظر: حاشية *الرعاية في علم الدراية*: ص١١٥ نقلاً عن السيّد المددي.

تنبيه

الحديث الشاذّ والنادر مترادفان، إلاّ أنّ الشائع استعمال الأوّل[١]، حيث لا يبعد استفادة ترادفهما من قول الباقرعليه السلام في مرفوعة زرارة: «**يا زرارة، خذ بما اشتهر من بين أصحابك ودع الشاذّ النادر**»[٢].

حكم الحديث الشاذّ

اعلم إنّه اختُلف في حكم الحديث الشاذّ على ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: الردّ مطلقاً، نظراً إلى شذوذه، وقوّة الظنّ بصحّة جانب المشهور.

القول الثاني: القبول مطلقاً، نظراً إلى كون راويه ثقة في الجملة.

القول الثالث: التفصيل في ذلك:

- فإن كان راوي الحديث المشهور ـ الذي يقابل الشاذّ ـ أحفظ أو أضبط أو أعدل من راوي الحديث الشاذّ، فهو مردود؛ لشذوذه ومرجوحيّته بفقد أحد الأوصاف الثلاثة.
- وإن انعكس الأمر، فكان الراوي للحديث الشاذّ أحفظ للحديث أو أضبط له أو أعدل من غيره من رواة الحديث المقابل، فلا يُردّ؛ لأنّ في كلّ منهما صفة راجحة وصفة مرجوحة، فيتعارضان.
- وإن كان الطرفان متساويين في الحفظ أو الضبط أو العدالة، فلا يُردّ الشاذّ منهما أيضاً؛ لأنّ ما معه من الثقة يوجب قبوله، ولا رجحان للآخر عليه من تلك الجهة[٣].

---

١. انظر: *مقباس الهداية*: ج١، ص٢٥٢.

٢. *عوالي اللئالي*: ج٤، ص١٣٣، ح٢٢٩.

٣. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص١١٥.

تنبيه

اعلم إنّ الشذوذ في الحديث لا ينافي صحّته، ومنه قيّد الشهيد الثاني تعريف الصحيح بقوله: «...وإن اعتراه شذوذ»[١].

٥ ــ المفرد

المفرد اصطلاحاً ينقسم إلى قسمين:

أ) الانفراد المطلق، وهو: ما ينفرد به راويه عن جميع الرواة. وألحقه بعضهم بالشاذّ، وسيأتي أنّه يخالفه[٢].

ومثاله: ما انفرد بنقله أحمد بن هلال العبرتائي، فإنّ المشهور عدم العمل بما ينفرد به من الروايات.

ب) الانفراد النسبي، وهو: ما ينفرد به بالنسبة إلى جهة، كتفرّد أهل بلدٍ معيّنٍ كمكّة والبصرة والكوفة، أو أهل نحلةٍ واحدة كالفطحيّة.

ومثاله: الحديث الذي سلسلة رواته كالتالي: «أحمد بن الحسن بن علي بن فضّال، عن عمرو بن سعيد، عن مصدّق بن صدقة، عن عمّار الساباطي»، فجميع هؤلاء الرواة من الفطحيّة، ولذا اشتهر حديثهم بـ(حديث الفطحيّة)[٣].

الفرق بين الحديث الشاذّ والمفرد المطلق

- إنّ شذوذ الرواية فرع وجود رواية مشهورة في قبالها.
- أمّا لو تفرّد واحد برواية خبر لم يرو غيره خبراً مخالفاً له، وتلقّى الأصحاب ذلك الخبر المفرد بالقبول، كان ذلك الخبر مفرداً غير شاذّ[٤].

---

١. المصدر السابق: ص٧٧.

٢. المصدر السابق: ص١٠٣.

٣. انظر: حاشية *الرعاية في علم الدراية*: ص١٠٣.

٤. *مقباس الهداية*: ج١، ص٢١٨ ـ ٢١٩.

الصنف الثاني: ما يختصّ به الضعيف فقط

١ ـ المعلّل

المعلّل اصطلاحاً له إطلاقان:

الأوّل: المعلّل في اصطلاح الفقهاء؛ وهو الحديث الذي اشتمل على علّة الحكم وسببه، كتعليل حرمة الخمر بالإسكار. فالمعلّل بهذا الإطلاق مأخوذٌ من العلّة بمعنى (السبب)، وهو خارجٌ عن بحثنا.

الثاني: المعلّل في اصطلاح المحدّثين؛ وهو الحديث الذي اشتمل على أمرٍ خفيّ غامض في متنه أو سنده في نفس الأمر، قادح في اعتباره مع كون ظاهره السلامة بل الصّحة.

فهو بهذا الإطلاق مأخوذٌ من العلّة بمعنى (المرض). ويسمّى بـ(المعلول) أيضاً.

قال الشهيد الثاني: «وإنّما يتمكّن من معرفة ذلك أهل الخبرة بطريق الحديث، ومتونه، ومراتب الرواة الضابطة لذلك، وأهل الفهم الثاقب في ذلك... مع انضمام قرائن تنبّه العارف على تلك العلّة...»[١].

ومنه يظهر أنّ العلّة على قسمين:

العلّة في السند

وهو الأكثر، كاشتراك الراوي بين الثقة وغيره، ورواية الراوي عمّن لم يلقه قطعاً، أو مخالفة غيره له في السند مع قرائن أُخرى تنبّه الحاذق على وهم بإرسالٍ في الموصول، أو وقفٍ في المرفوع، أو إدخال سند في سند، أو غير ذلك بحيث يغلب على ظنّه الخللُ[٢] ولا يبلغ اليقين، وإلاّ لحقه حكم ما تيقّن من إرسالٍ أو غيره[٣].

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٤١.

٢. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص١١٢.

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٤١.

ومثاله: حديث يعلى بن عبيد الطنافسي: «عن سفيان الثوري، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، عن النبيﷺ قال: «**البيِّعان بالخيار ما لم يفترقا**».

فإنّ في السند علّة وهي: غلط (يعلى) بتسمية (عمرو بن دينار)، وإنّما الراوي عن ابن عمر هو (عبد الله بن دينار)، فإذا أحرز ذلك كان السند معلّلاً[١].

العلّة في المتن

وهو الأقلّ، كمخالفته لقواعد اللغة العربية أو لدليلٍ قاطع، أو بوقوع الاضطراب فيه من الراوي الواحد، فيدلّ على عدم ضبطه وعدم تحقّقه[٢].

حكم الحديث المعلّل

الحديث المعلّل باصطلاح الفقهاء يعتبر من الأوصاف المشتركة بين الأنواع الأربعة، بينما في اصطلاح المحدّثين فقد وقع الاختلاف في عدّه من جملة الأنواع الأربعة أو من جملة الأحاديث الضعيفة، إلاّ أنّه ومن خلال تتبّع كلمات العلماء جعلهم الحديث المعلّل تحت قسم الأحاديث الضعيفة دليلٌ على كونه حديثاً ضعيفاً.

قال والد الشيخ البهائي؏: «وأمّا المعلّل فغير صحيح، أمّا إذا كانت العلّة في السند فظاهر، وأمّا إذا كانت في المتن فكذلك؛ لأنّ المتن حينئذٍ يكون غير صحيح لما فيه من الخلل بالعلّة، فُيعلم أو يغلب على الظنّ أنّه على ما هو عليه ليس من كلامهم. نعم، قال فيه صحيح السند»[٣].

٢ ـ المدلّس

المدلّس اصطلاحاً هو: ما أُخفي عيبه[٤]. وهو على قسمين:

---

١. *مقباس الهداية*: ج١، ص٣٧١.
٢. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص١١٢.
٣. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص٩٣.
٤. المصدر السابق: ص١١٣؛ *الرعاية في علم الدراية*: ص١٤٣.

أ) التدليس في الإسناد

وهو: أن يُخفى عيبه الذي في السند[١]، وهو على نوعين:

- أن يروي عمّن لقيه أو عاصره، ما لم يسمعه منه، على وجهٍ يوهم أنّه سمعه منه[٢].
كما لو دلّس بإيراد لفظٍ يوهم الإيصال ولا يقتضيه، كأن يقول: (قال فلان)، أو (عن فلان)، فإنّ العبارة أعمّ من ذلك، فلا يكون كاذباً، بخلاف ما لو قال: (حدّثنا) أو (أخبرنا)، فإنّه كذبٌ صريح.
- أن يسقط من بعد شيخه رجلاً ضعيفاً أو صغير السنّ، ليحسن الحديث بإسقاطه.

ب) التدليس في الشيوخ

وذلك بأن يروي عن شيخٍ حديثاً سمعه منه، ولكن لا يحبّ معرفة ذلك الشيخ؛ لغرضٍ من الأغراض، فيسمّيه أو يكنّيه باسمٍ أو كنيةٍ غير معروف بها، أو ينسبه إلى بلدٍ أو قبيلةٍ غير معروفٍ بهما، أو يصفه بما لا يُعرف به؛ كي لا يُعرف[٣].

حكم الحديث المدلّس

- التدليس في الإسناد مذمومٌ جدّاً؛ لما فيه من إبهام اتّصال السند مع كونه مقطوعاً، فيترتّب عليه أحكام غير صحيحة؛ حتّى قال بعضهم: التدليس أخو الكذب[٤].
- أمّا التدليس في الشيوخ فهو أخفّ ضرراً من الأوّل؛ لأنّ ذلك الشيخ مع الإعراب به، إمّا أن يُعرف فيترتّب عليه ما يلزمه من ثقةٍ أو ضعف، أو لا يُعرف فيصير الحديث مجهول السند فيُردّ[٥].

---

١. *مقباس الهداية*: ج١، ص٣٧٦.

٢. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٤٣؛ وانظر: *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص١١٣؛ *الرواشح السماوية*: ص٢٦٨؛ *نهاية الدراية*: ص٢٩٦؛ *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٥٨ ـ ٥٩.

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٤٤؛ وانظر: *الرواشح السماوية*: ص٢٦٩؛ *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٥٩.

٤. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٤٤ ـ ١٤٥؛ وانظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٦٠ (نَقل هذا القول عن الإمام الشافعي).

٥. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص١٤٤.

حكم الراوي المدلِّس تدليساً إسناديّاً

اعلم إنّه وقع الخلاف في جرح من عُرف بالتدليس حتّى تُردّ روايته التي لم يُدلّس فيها، على ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: لا يُقبل مطلقاً؛ لسقوطه عن العدالة بالتدليس المترتّب عليه الضرر، من وصل المقطوع وإيصال المرسل مع ترتيب أحكام شرعية عليه، وهو جرح واضح.

القول الثاني: لا يُجرح بمجرّد التدليس، بل ما عُلم فيه التدليس يُردّ، دون غيره؛ لأنّ المفروض كونه ثقة بدونه، والتدليس ليس كذباً بل تمويهاً.

القول الثالث: التفصيل، وهو القبول لحديثه إن صرّح بما يقتضي الاتّصال، كـ(حدّثنا أو أخبرنا)، دون المحتمل للأمرين (الاتّصال وعدمه)، كـ(عن، وقال)، بل حكمه كحكم المرسل. ومرجع هذا التفصيل إلى أنّ التدليس غير قادح في العدالة[١].

٣ ـ الموضوع

الموضوع اصطلاحاً هو: المكذوب، المختلق، المصنوع. بمعنى أنّ واضعه اختلقه، لا مطلق حديث الكذوب، فإنّ الكذوب قد يَصدُق[٢].

ثمّ اعلم إنّ ظاهرة وضع الحديث ليست هي ظاهرة متأخّرةً عن عصر الرسولﷺ فحسب، بل هي ظاهرة كانت منذ عهدهﷺ، مّما دعا رسول اللهﷺ أن يكافحها وبكلّ قوّة، وذلك لما قد ينجم عن الوضع من خطرٍ على العقيدة والتشريع والمجتمع.

فقد روى الكليني والصدوق(رحمهما الله) بإسنادهما عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام قوله: «...**وقد كُذب على رسول الله**ﷺ **على عهده حتّى قام خطيباً فقال: يا أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من**

---

١. انظر: المصدر السابق: ص١٤٥؛ *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٦٠.

٢. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٥٢.

النار. ثمّ كُذب عليه من بعده...»[١].

عوامل الوضع

توجد دواعي وعوامل عديدة أدّت إلى نشوء الوضع في الحديث، ومن جملة هذه العوامل، هي:

أ) العامل السياسي

وتمثّل هذا بشكلٍ واضح في أعمال معاوية بن أبي سفيان التي قام بها من أجل توطيد أركان دولته، والتي منها اختلاق الحديث.

فقد أشار ابن أبي الحديد المعتزلي نقلاً عن شيخه أبي جعفر الإسكافي بقوله: «إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جَعلاً يُرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه...»[٢]، ثمّ ذكر بعضاً منهم.

ومن الأحاديث الموضوعة في مدح معاوية أيضاً ماروواه أنس مرفوعاً قال: الأُمناء سبعة: اللوح والقلم وإسرافيل و ميكائيل وجبرائيل ومحمّد و معاوية[٣].

ب) العامل الديني

والمقصود بالعامل الديني ـ هنا ـ هو السبب الذي دفع أبناء الأديان الأُخرى لوضع الأحاديث كيداً للإسلام وانتقاماً من المسلمين.

وأظهر مظهر لهذا ما عُرف في لغة المحدّثين والفقهاء بـ(الإسرائيليات) التي جاءتنا عن طريق اليهود، أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبّه وغيرهم من أكابر علماء اليهود الذين خرّجوا العديد من الرواة أمثالهم.

---

١. *الكافي*: ج١، ص٦٢، ح١؛ *الخصال*: ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، ح١٣١.
٢. شرح *نهج البلاغة* لابن أبي الحديد: ج٤، ص٦٣.
٣. *ميزان الاعتدال*: ج٢، ص١٣؛ *لسان الميزان*: ج٢، ص٤٢١.

وقد تمثّلت هذه الإسرائيليات أكثر ما تمثّلت به في أحاديث التجسيم المعروفة أُسسهُ من الفكر اليهودي الذي يتردّد صداه في التوراة المحرّفة بشكلٍ جليّ.

ج) العامل المذهبي

وهو السبب الذي دفع بعض أصحاب المذاهب الإسلامية للوضع تأييداً للمذهب، ودعماً لأفكاره ورجالاته، ومنهم: الخوارج، والغلاة، وأصحاب الرأي والأقيسة.

د) العامل الاجتماعي

ويراد به ذلك السبب الرخيص المهين الذي كان يدفع جماعة من وعّاظ السلاطين إلى وضع الحديث؛ لقصد التقرّب به إلى الملوك وأبناء الدنيا، بغية الحصول على مركزٍ اجتماعي، كـ(غياث بن إبراهيم النخعي الكوفي) وغيره.

هـ) العامل الاقتصادي

فإنّ هناك قوماً كانوا يضعون على رسول الله ﷺ أحاديثَ يكتسبون بذلك ويرتزقون به، كأبي سعيد المدائني وغيره.

و) العامل الإعلامي

ويُقصد منه أن يضع الواضع الحديث دعايةً للدين، واحتساباً وتقرّباً إلى الله تعالى، ليجذب به قلوب الناس إلى الله تعالى.

حيث جوّز بعض الكرامية ـ وهم من فرق الابتداع في الإسلام، أصحاب أبي عبد الله محمّد بن كرّام إمام الكرامية[١] ـ وضع الحديث في باب الترغيب والترهيب، ترغيباً للناس في الطاعة، وزجراً لهم عن المعصيّة[٢].

قال الشهيد الثاني: «والواضعون أصناف... أعظمهم ضرراً مَن انتسب إلى الزهد والصلاح بغير علم، فاحتسب بوضعه ـ أي زعم أنّه وضعه ـ حسبةً لله وتقرّباً إليه؛ ليجذب

---

١. كان يقول: بأنّ الله تعالى مستقرّ على العرش، وأنّه جوهر، انظر: *الأعلام* لخير الدين الزركلي: ج٧، ص١٤.

٢. انظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٧٩؛ *الموضوعات* لابن الجوزي: ج١، ص٩٦.

بها قلوب الناس إلى الله تعالى بالترغيب والترهيب، فقبل الناس موضوعاتهم ثقةً بهم، وركوناً إليهم؛ لظاهر حالهم بالصلاح والزهد»[١].

مثال ذلك

- ما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، حيث قيل له: من أين لك: عن عكرمة، عن ابن عبّاس، في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟

  فقال: إنّي رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمّد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[٢].

- روى ابن حبّان عن ابن مهدي قال: قلت لميسرة بن عبد ربّه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ فقال: وضعتها أرغّب الناس فيها[٣].

معرفة الحديث الموضوع

هناك علامات وقرائن عديدة تدلّ على وضع الحديث، نذكر بعضاً منها على سبيل الاختصار:

١ ـ أن يعترف الراوي بنفسه ويقرّ بوضعه للحديث، كما مرّ في الأمثلة المتقدّمة.

٢ ـ ركاكة ألفاظه ومعانيه، ويقدر على ذلك من كانت له ملكة قويّة واطّلاع تامّ وذهن ثاقب ومعرفة بالقرائن، يميّز بين الأصيل والموضوع.

٣ ـ أن يكون مخالفاً للعقل البديهي، أو ظاهر القرآن الكريم، أو السنّة القطعية (المتواترة)، بحيث لا يقبل التأويل بما يوافقها، مع عدم إمكان الجمع.

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٥٤ ـ ١٥٦.

٢. المصدر السابق: ص١٥٦؛ وانظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص٨١؛ *تفسير القرطبي*: ج١، ص٧٨.

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص١٥٧؛ وانظر: *ميزان الاعتدال*: ج٤، ص٢٣٠ (رواه عن محمّد بن عيسى الصبّاغ)؛ *الموضوعات*: ج١، ص٢٤١.

٤ ـ أن يحتوي متن الحديث على إسرائليات تخالف العقيدة الإسلامية. أو فكرة من أفكار الغلوّ.

٥ ـ أن يحتوي متن الحديث منقبة أو فضيلة لشخصٍ أو جماعةٍ أو بلد، هو دون مستوى هذه المنقبة أو الفضيلة. وغيرها من القرائن والعلامات التي ذُكرت في محلّها.

تنبيه في حكم الحديث الموضوع

إذا ثبت كون حديث موضوعاً، حَرمت روايته؛ لكونها إعانة على الإثم وإشاعة للفاحشة وإضلالاً للمسلمين. وأمّا ضعيف السند غير الموضوع فلا بأس بروايته مطلقاً، نعم لا يجوز الإذعان به والعمل عليه[١].

٤ ـ المُهمل

المهمل اصطلاحاً هو: الحديث الذي يوجد في سنده راوٍ معنون في كتب الرجال، ولكن لم يُحكم عليه بشيءٍ من المدح أو الذمّ، أي مسكوت عنه[٢].

مثال الحديث المهمل

روى الطوسي: «عن محمّد بن عليّ بن محبوب، عن عليّ بن السندي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما عليهما السلام، في رجلٍ تزوّج أُختين في عقدٍ واحدٍ؟ قال: «**هو بالخيار أن يمسك أيّهما شاء ويخلّي سبيل الأُخرى**»[٣].

قال أحد العلماء: طريق الشيخ في هذه الرواية ضعيف؛ لأنّ في طريقها (عليّ بن السندي)، وهو مهمل[٤].

١. *مقباس الهداية*: ج١، ص٤١٧.

٢. انظر: *أُصول الحديث وأحكامه*: ص١٠٥.

٣. *تهذيب الأحكام*: ج٧، ص٢٨٥، ح١٢٠٣.

٤. انظر: *نهاية المرام* للعاملي: ج١، ص١٨١؛ انظر: *المفيد من معجم رجال الحديث*: ص٣٩٨، الرقم٨١٩٥.

٥ ـ المجهول

المجهول اصطلاحاً هو: الحديث الذي يوجد في سنده راوٍ لم يُعنون في كتب الرجال، أو عنون ولكن لم يُعرف ذاته [أو وصفه]، فحكم عليه بالجهالة[١].

إنّ الحكم بالجهالة من قبل أهل الفنّ وعلماء الرجال يُعتبر نوعاً من أنواع الجرح، وموجباً لضعف الحديث.

مثال الحديث المجهول

روى الكليني: «عن علي بن إبراهيم، عن المختار بن محمّد بن المختار ومحمّد بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن العلوي، جميعاً عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسنعليه السلام، في رجلٍ دخل على دار آخر للتلصّص أو الفجور، فقتله صاحب الدار، أيُقتل به أم لا؟ فقال: «**اعلم إنّ مَن دخل دار غيره فقد أُهدر دمه ولا يجب عليه شيء**»[٢].

فقد ضعّف الفقهاء هذه الرواية لمجهوليّة (الفتح بن يزيد الجرجاني)[٣].

القسم الرابع: المصطلحات المتعلّقة بكتب الحديث

١ ـ الأصل

المقصود من الأصل في كلام المحدّثين هو: مجموعة من الروايات مأخوذة عن طريق السماع من الإمامعليه السلام دون واسطة، وقد يُطلق عليها (مجرّد كلام المعصوم).

وهناك مصطلح مشهور بين محدّثي الشيعة وهو (الأُصول الأربعمئة)، فهي: مجموعة أُصول ومصنّفات جُمعت في عهد الإمام الصادقعليه السلام.

قال العلاّمة المامقانيرحمه الله: «المعروف في ألسنة العلماء بل كتبهم أنّ الأُصول الأربعمئة

---

١. انظر: *أُصول الحديث وأحكامه*: ص١٠٥.

٢. *الكافي*: ج٧، ص٢٩٤، ح١٦.

٣. انظر: *المفيد من معجم رجال الحديث*: ص٤٥٣، الرقم٩٣١٩.

جُمعت في عهد مولانا الصادق عليه السلام، كما عن بعض، وفي عهد الصادقين عليهما السلام كما عن آخر، أو في عهد الصادق والكاظم عليهما السلام كما ذكره الطبرسي في *إعلام الورى*»[١].

٢ ـ الكتاب

الكتاب هو: مجموعة من الأحاديث مقترنة بأسماء الرواة، ولم تؤخذ عن المعصوم عليه السلام مباشرةً، بل اُخذت عنه عليه السلام بالواسطة، وربّما يكون فيها شرح وتوضيح.

٣ ـ النوادر

هو كلّ كتاب أو باب حديثي يشتمل على مجموعة من الروايات ذات مواضيع متعدّدة لا تنضبط تحت بابٍ خاصٍّ لقلّتها، كما هو الحال في (باب النوادر) من كتاب فضل القرآن في *الكافي*، والّذي يشتمل على ثمانية عشر رواية.

قال العلاّمة المامقاني ناقلاً كلام المولى الوحيد: «وأمّا النوادر فالظاهر أنّه ما اجتمع فيه أحاديث لا تنضبط في بابٍ لقلّته، بأن يكون واحداً أو متعدّداً لكن يكون قليلاً جدّاً، ومن هذا قولهم في الكتب المتداولة: نوادر الصلاة، نوادر الزكاة، وأمثال ذلك»[٢].

٤ ـ الجامع

الجوامع هي: الكتب التي جُمعت فيها الأحاديث على ترتيب أبواب الفقه كالصحاح الستّة ـ عند العامّة ـ

والكتب الأربعة للمحمّدين الثلاثة ـ عند الخاصّة ـ أو الكتب الثلاثة من المجاميع الحديثية المتأخّرة ـ *البحار والوسائل والوافي* ـ[٣].

وبعبارة اُخرى، فالجوامع هي: الكتب التي تحتوي على الأحاديث المرتّبة حسب

---

١. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٢٠ و٢١.
٢. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٣١.
٣. المصدر السابق: ص٢٥٤.

الأبواب الفقهية، سواء اشتملت على أبوابٍ اُخرى كالعقائد والتفسير، أم لا.

٥ ـ الأمالي

وهو الكتاب الّذي يشتمل على الروايات الّتي يمليها الشيخ على تلاميذه في مجلسٍ أو مجالسٍ متعدّدة، ولهذا يُقال لها (المجالس)، مثل: *أمالي الشيخ المفيد*، *أمالي الشيخ الصدوق*، وغيرها من كتب الأمالي المعروفة.

ثمّ اعلم إنّ هذه الطريقة القديمة لم تعدّ مرسومة في زماننا هذا.

٦ ـ المَشيَخة

وهو الكتاب الّذي يذكر فيه المؤلّف طرقه إلى الرواة، مثل: مشيخة *كتاب من لا يحضره الفقيه*.

وبعبارة اُخرى، فالمشيخات هي: الكتب التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلّف وأخذ عنهم وأجازوه[١].

٧ ـ الجزء

الجزء: مجموعة من الروايات منقولة عن شيخ واحد، أو تختصّ بموضوعٍ معيّن، كما هو الحال في جزء السيوطي بالنسبة إلى صلاة الضحى. أو أجزاء كتاب *الخصال* للشيخ الصدوق من ثنائيات أو ثلاثيات أو رباعيات و... هكذا[٢].

٨ ـ المسند

المسانيد هي: الكتب التي جمع فيها حديث كلّ صحابي على حدة مرتّباً على حروف الهجاء، أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام، وغير ذلك، صحيحاً كان الحديث أو

---

١. انظر: *مستدركات مقباس الهداية* لمحمّد رضا المامقاني: ج٦، ص٢٥٥.

٢. المصدر السابق: ص٢٥٤.

ضعيفاً[١].

القسم الخامس: المصطلحات المتعلّقة بطرق تحمّل الحديث

هناك طرق مختلفة لأخذ الرواية يُطلق عليها اصطلاحاً: «**طرق تحمّل الحديث**»، ومجموعها ثمانية طرق[٢] مختلفة من حيث الاعتبار، وهي:

١ ـ السماع

وهو من أفضل الطرق لأخذ الرواية من الشيوخ، حيث يقوم الشيخ بقراءة أحاديثه من حفظه، أو من مكتوباته، والتلميذ يسمع ما يقول الشيخ، وغالباً ما يستخدم التلميذ بعض الألفاظ لنقل كلام شيخه من قبيل: (سمعتُ، حدّثني، أخبرني، أنبأني) للدلالة على هذه الطريقة.

قال الشهيد الثاني رحمه الله: «وهو ـ أي السماع من الشيخ ـ أرفع الطرق الواقعة في التحمّل عند جمهور المحدّثين؛ لأنّ الشيخ أعرف بوجوه ضبط الحديث وتأويله»[٣].

٢ ـ القراءة

وتُسمّى عند أكثر قدماء المحدّثين: العرض، لأنّ القارئ يعرض على الشيخ ما يقرأه[٤]، حيث يقوم الراوي بالقراءة على الشيخ من حفظه، أو من مكتوباته، والشيخ يسمع، وهي رواية صحيحة بلا خلاف.

نعم اختلفوا في مساواتها السماع من لفظ الشيخ، فبعضهم رجّحها، وبعضهم رجّحه،

---

١. المصدر السابق: ص٢٥٣.
٢. انظر: *وصول الأخيار إلى أصول الأخبار* لحسين العاملي: ص١٣١؛ *مقدّمة ابن الصلاح*: ص١١٤.
٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص٢٣١ و٢٣٢.
٤. *مقباس الهداية*: ج٣، ص٨٣.

وبعضهم ساوى بينهما[١].

وغالباً ما يستخدم الراوي بعض العبارات للدلالة على هذه الطريقة، مثل: «قرأته على فلان فأقرّ»، أو «قُرِئَ عليه وأنا أسمع فأقرّ به».

٣ ـ الإجازة

وهي أن يقوم الشيخ بالسماح للراوي بنقل كتابه أو بعض مروياته الخاصّة، أو كلّ كتبه التي تحمّلها.

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: « الإجازة هي: الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشائه الإذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمروياته، ويُطلق شائعاً على كتابة هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب والمصنّفات التي صدر الإذن في روايتها عن المجيز إجمالاً أو تفصيلاً، وعلى ذكر المشايخ الذين صدر للمجيز الإذن في الرواية عنهم، وكذلك ذكر مشايخ كلّ واحد من هؤلاء المشايخ طبقة بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد إلى المعصومين عليهم السلام»[٢].

والتعبير عن هذه الطريقة بالقول: (**حدّثني إجازةً**). والتعبير (**أخبرني**) تدلّ على الإجازة في بعض كتب الشيعة.

ثمّ اعلم، إنّ المشهور هو جواز العمل بالإجازة، وإن كان البعض يرى أنّها تأتي في مرتبة أدنى بالنسبة إلي السماع والقراءة؛ لكون السماع أبعد عن الاشتباه من الإجازة، قال الشهيد الثاني رحمه الله: «إنّ المشهور بين العلماء ـ من المحدّثين والأُصوليين ـ أنّه يجوز العمل بها، بل ادّعى جماعة الإجماع عليه؛ نظراً إلى شذوذ المخالف»[٣].

ومن أهمّ الكتب التي ذكرت إجازات المحدّثين هو: ***بحار الأنوار***، حيث أشار العلاّمة

---

١. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص١٣٢.

٢. *بحار الأنوار* للمجلسي: ج١٠٢، ص١٦٦.

٣. *الرعاية في علم الدراية*: ص٢٦٠.

المجلسي في أواخر كتابه إلي موارد منها[١].

٤ ـ المناولة

وهي أن يدفع الشيخ مكتوباً فيه خبر أو أخبار... إلى راوٍ معيّن أو إلى جماعة، أو يبعثه إليه أو إليهم برسول، بل يمكن في المعدوم بأن يوصي بالدفع إليه، كل ذلك مع تصريحٍ أو غيره بما يفيد أنّه روايته أو سماعه[٢]. وهي على قسمين:

أ) **المناولة المقرونة بالإجازة**: بمعنى أنّ الشيخ عندما يناول كتابه إلى شخصٍ يصرّح له بإجازته وإذنه له بروايته للحديث، كأن يقول: «هذا سماعي أو روايتي فاروه عنّي»، أو يقول: «أجزت لك روايته عنّي».

ب) **المناولة المجرّدة عن الإجازة**: بمعنى أنّ الشيخ عندما يناول كتابه إلى التلميذ أو الراوي، لا يصرّح له بالإجازة، وإنّما يقول له: «هذا سماعي»، أو «هذه روايتي».

ثمّ اعلم، إنّه وقع الخلاف بينهم في جواز الرواية بالمناولة المجرّدة عن الإجازة، قال والد الشيخ البهائي: «فلا يجوز له الرواية بها على ما صحّحه الفقهاء وأصحاب الأُصول. وقيل: بجوازها، وهو غير بعيد؛ لحصول العلم بكونه مروياً له مع إشعارها بالإذن له في الرواية»[٣].

ويؤيّد جواز العمل بها: ما رواه الشيخ الكليني، عن محمّد بن يحيى بإسناده عن أحمد بن عمر الخلال قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول: اروه عنّي، يجوز لي أن أرويه عنه؟ قال: فقال: «**إذا علمت أنّ الكتاب له فاروه**

---

١. انظر: *بحار الأنوار*: ج١٠٤ ـ ١٠٧.

٢. *توضيح المقال* للملا علي كني: ص٢٥٨.

٣. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص١٤٠.

عنه»[١].

وأمّا الألفاظ التي تدلّ على المناولة، فهي أن يقول المناول ـ بالفتح ـ: «**حدَّثنا مناولةً**»، أو«**أخبرنا مناولةً**»، أو «**ناولني**»، وما شابه ذلك.

٥ ـ الكتابة

الكتابة هي: أن يكتب الشيخ بخطّه، أو يكلّف غيره بأن يكتب عنه بعض حديثه، لشخصٍ حاضر بين يديه يتلقّى العلم عليه، أو لشخصٍ غائب عنه، تُرسل الكتابة إليه[٢]. وهي على قسمين:

أ) الكتابة المقرونة بالإجازة: بأن يكتب إليه ويقول: «أجزت لك ما كتبته لك، أو ما كتبت به إليك».

ب) الكتابة المجرّدة من الإجازة: وهي التي لم تقترن كتابة بما يفيد الإجازة بالرواية.

وقد اختلف المحدّثون والأُصوليون، في جواز الرواية بها، فمنعها قومٌ، وجوّزها آخرون. إلاّ أنّ الأشهر بينهم جواز الرواية بها؛ لتضمّنها الإجازة معنىً، وإن لم تقترن بها لفظاً؛ لأنّ الكتابة للشخص المعيّن، وإرسالها إليه، أو تسليمه إيّاه، قرينة قوّية وإشارة واضحة، تُشعر بالإجازة للمكتوب إليه، كما أنّ الإخبار لا ينحصر في اللفظ[٣].

وألفاظ الكتابة هي أن يقول المكتوب إليه: «كتبَ إليّ فلانٌ، قال: حدّثنا فلان»، أو«حدّثني أو أخبرني كتابةً».

٦ ـ الإعلام

الإعلام هو: أن يعلم الشيخُ الطالبَ أنّ هذا الكتاب أو هذا الحديث روايته، أو سماعه

---

١. *الكافي*: ج١، ص٥٢، ح٦.

٢. *علوم الحديث ومصطلحه* لصبحي الصالح: ص٩٧، ط منشورات دار الكتب، قم.

٣. انظر: *الرعاية في علم الدراية*: ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.

من فلان. مقتصراً عليه من غير أن يقول: اروه عنّي، أو أذنت لك في روايته، ونحوه[١].

قال والد الشيخ البهائي: «وجوّز الرواية بـه كثيـر مـن علمـاء الحـديث تنـزيلاً لـه منزلـة القراءة على الشيخ... ومنعها بعضهم؛ لعـدم وجـود مـا يحـصل بـه الإذن ومنـع الإشـعار بـه بخلاف الكتابة إليه. ويؤيّد الأوّل ما رويناه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام سابقاً...»[٢].

والألفاظ المستخدمة في ذلك قولهم: «أعلمنا فلانٌ».

٧ ـ الوصيّة

الوصية وهي: أن يوصي عند سفره أو موته بكتابٍ يرويه فلان بعد موته.

وقد جوّز بعض السلف للموصى له روايته؛ لأنّ فيه نوعاً من الإذن وشـبهاً مـن العـرض والمناولة. ومنعه بعضهم؛ لبعده عن الإذن[٣].

٨ ـ الوجادة

الوجادة وهي: مصدر لوجد، مولد غير مسموع من العرب، وهو أن يقف الإنسان علـى أحاديث بخطّ راويها أو في كتابـه المـروي لـه معاصـراً كـان أو لا، ولـم يـسمعه منـه هـذا الواجد، ولا له إجازة منه، ولا نحوها. فيقول: «وجـدت». أو «قـرأت بخـطّ فـلان». أو «فـي كتاب فلان بخطّه: حدّثنا فلان»، ويسوق باقي الإسـناد والمـتن. أو يقـول: «وجـدت بخـط فلان عن فلان»[٤].

قال الشهيد الثاني: «هذا الذي استقرّ عليه العمل قـديماً وحـديثاً، وهـو: منقطع مرسـل، ولكن فيه شوب اتّصال، بقوله: وجدت بخطّ فلان»[٥].

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص٢٩٢.

٢. *وصول الأخيار إلى أصول الأخبار*: ص١٤٢ ـ ١٤٣.

٣. المصدر السابق: ص١٤٣.

٤. انظر: *وصول الأخيار إلى أصول الأخبار*: ص١٤٣..

٥. *الرعاية في علم الدراية*: ص٢٩٩.

القسم السادس: الكنى والألقاب المختصرة الشائعة

بعض الكنى الشائعة للأئمّة عليهم السلام في الروايات

الكنية	الاسم
أبو إبراهيم	الإمام الكاظم عليه السلام
أبو جعفر	غالباً الإمام الباقر عليه السلام وأحياناً الإمام الجواد عليه السلام
أبو جعفر الأوّل	الإمام الباقر عليه السلام
أبو جعفر الثاني	الإمام الجواد عليه السلام
أبو الحسن	غالباً الإمام الكاظم عليه السلام
أبو الحسن الماضي	الإمام الكاظم عليه السلام
أبو الحسن الأوّل	الإمام الكاظم عليه السلام
أبو الحسن الثاني	الإمام الرضا عليه السلام
أبو الحسن الثالث	الإمام الهادي عليه السلام
أبو عبد الله	الإمام الصادق عليه السلام
أبو القاسم	الإمام المهدي عجّل الله فرجه
أبو محمّد	الإمام الحسن العسكري عليه السلام

علامات الاختصار الشائعة

الرموز الشائعة في سند الروايات	رموز كتب الحديث الشيعية الشائعة	رموز كتب الحديث المشهورة عند السنّة	رموز الكتب الرجالية المشهورة عند الشيعة
أنا = أخبرنا أنبا = أنبأنا ثنا = حدّثنا نا = حدّثنا ثنى = حدّثني ح = الحيلولة أو التحويل في السند.	كا = الكافي يب = التهذيب صا = الاستبصار يه = من لا يحضره الفقيه نهج = نهج البلاغة	خ = صحيح البخاري م = صحيح مسلم ط = موطّأ مالك ت = جامع الترمذي د = سنن أبو داوود س = سنن النسائي جه = سنن ابن ماجه	جخ = رجال الشيخ الطوسي جش = رجال النجاشي ست = فهرست الشيخ الطوسي كش = رجال الكشّي صه = خلاصة الأقوال للعلاّمة الحلّي قي = رجال البرقي د = رجال ابن داوود

الأسئلة

١ ـ ما هو تعريف علم الدراية وموضوعه؟

٢ ـ ما أهمّية علم الدراية؟

٣ ـ ما وجه الفرق بين السنّة والحديث؟

٤ ـ عرّف مايلي: المتن، السّند.

٥ ـ لماذا احترز الشهيد الثاني في تعريفه للصحابي بقوله: «وان تخللت ردّته...»؟

٦ ـ إذا أطلق لفظ «المولى» في الأحاديث أو أُسند إلى «فلان» فإلى أيّ معنى ينصرف اللفظ؟

٧ ـ ما هو الخبر المتواتر؟ وما هي شروطه؟

٨ ـ ما الفرق بين المتواتر اللفظي والمتواتر المعنوي؟

٩ ـ ما الفرق بين الخبر المستفيض والمشهور؟

١٠ ـ لماذا يُعتبر الحديث «**إنّما الأعمال بالنيّات**» مشهوراً من جهة، وغريباً من جهةٍ أُخرى؟

١١ ـ عدّد أقسام خبر الآحاد من حيث حالات الرواة، مع تعريف كلّ قسمٍ منها؟

١٢ ـ ما الفرق بين الخبر الصحيح والخبر الموثّق؟

١٣ ـ ما الفرق بين الحديث المسند والمتّصل؟

١٤ ـ توجد هناك جهة اتّحاد وجهتي افتراق بين الحديث المتّصل والمرفوع، وضّح ذلك.

١٥ ـ عرّف الحديث الموقوف والمقطوع مع ذكر الفرق بينهما.

١٦ ـ هل يعتبر قول الصحابي: (كنّا نفعل كذا أو نقول كذا) من الحديث الموقوف أو المرفوع؟

١٧ ـ هل يعتبر الحديث المضمر حجّة أو لا، بيّن ذلك؟

١٨ ـ عُرّف الحديث المرسل بأنّه: «ما رواه عن المعصوم مَن لم يدركه بغير واسطة، أو

بواسطة نسيها، أو تركها عمداً أو سهواً، أو أبهمها... واحداً كان المتروك أو أكثر».

أ) ما هو المراد من قوله: «من لم يدركه»؟

ب) ما هو المراد من قوله: «أو أبهمها»؟

١٩ ـ عرّف الحديث المقبول، ثمّ بيّن هل يسري إلى الحديث الضعيف سنداً أو يختصّ فقط بالصحيح والحسن والموثق؟

٢٠ ـ عرّف كلاً ممّا يلي: المعلّق، المنقطع بالمعنى الأعمّ، المعضل، العالي سنداً، المعتبر.

٢١ ـ هل يعتبر الحديث المعنعن من قبيل الحديث المرسل والمنقطع، من قبيل الحديث المتّصل؟ وضّح ذلك.

٢٢ ـ اذكر أقسام الحديث المصحّف مع المثال؟

٢٣ ـ ما الفرق بين الحديث الشاذّ والمفرد المطلق؟

٢٤ ـ عرّف الحديث المعلّل في اصطلاح المحدّثين، ثمّ بيّن كيف يتمّ وقوع العلّة في سند الحديث؟

٢٥ ـ ما هو حكم الحديث المدلّس؟

٢٦ ـ ما هو الحديث الموضوع، وهل تعتبر ظاهرة وضع الحديث ظاهرة متأخّرة عن عصر النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، عزّز ذلك بالمثال؟

٢٧ ـ توجد علامات وقرائن عديدة تدلّ على وضع الحديث، اذكر أربع منها باختصار؟

٢٨ ـ ما الفرق بين الحديث المهمل والمجهول؟

٢٩ ـ ما الفرق بين الأصل والكتاب؟

٣٠ ـ في زمن أيّ إمام جُمعت الأُصول الأربعمئة، وما هو رأي الطبرسي في ذلك؟

٣١ ـ ما هي الجوامع في اصطلاح المحدّثين، مع ذكر خمسة كتب من مصاديق هذا الاصطلاح؟

٣٢ ـ عرّف كلاً من السماع والقراءة، ثمّ اذكر أيّهما أرفع طريقاً من الآخر؟

٣٣ ـ ما هي الأدلّة التي استدلّ بها على جواز الرواية بالمناولة المجرّدة عن الإجازة؟
٣٤ ـ عرّف المصطلحات التالية: الأمالي، المشيخة، الإجازة، الإعلام، الوجادة.

(٣)

تاريخ الحديث

- المدخل
- المبحث الأوّل: التعرّف على تاريخ حديث الشيعة
- المبحث الثاني: مراحل تاريخ الحديث عند الشيعة

أوّلاً: عصر الحضور

ثانياً: عصر الغيبة

المدخل

يُعتبر الحديث الحاكي عن السنّة ـ والتي هي قول أو فعل أو تقرير المعصوم[١] ـ من أهمّ مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ويضمّ مجموعة هائلة من النصوص التشريعية المختلفة، وفي جميع مجالات الحياة المختلفة التي يُبتلى بها الإنسان، حيث يُعدّ الحديث مصدرًا مهمّاً للأحكام وأساساً راسخاً لبنى الإنسان العقائدية والفكرية، ومنهلاً يُنهل منه الأخلاق الرفيعة السامية.

من هنا تبرز أهمّية الحديث ودوره في حياة البشر، ولذا فقد عنيت به الأُمّة الإسلامية أيما اعتناء، فقد روى لنا أصحاب السِير والمؤرّخون والرواة والمحدّثون، الكثير من أقوال النبيﷺوأهل بيته، رغم الحظر الشديد إبان فترة منع تدوين الحديث، حتّى بلغت مصنّفات الشيعة الإمامية خلال القرون الثلاثة الأُولى للهجرة حدود (٦٦٠٠) كتاب، أربعمئة كتاب منها سُمّيت بالأُصول الأربعمئة[٢]، إضافة للكتب الحديثية الأُخرى.

حيث دوّنوا في هذه المجموعات الحديثية ما ورد عن الرسول والأئمّة من الأحاديث في شتّى المجالات، فما تركوا شيئاً من أقوالهم وأفعالهم وسيرتهم في كافّة شؤون الحياة المتنوّعة إلاّ وذكروها، ولم ينتهِ المطاف إلى هذا الحدّ، بل قام العلماء والمحدّثون بتأسيس قواعد تُسمّى بعلوم الحديث، تعني بشؤون الحديث عامّة، ومن ضمنها تاريخ الحديث الذي يبحث فيما مرّ على الحديث من أدوار ومراحل، منذ عصر

---

١. انظر: *الحبل المتين* للبهائي: ص٤.

٢. انظر: *أعيان الشيعة* لمحسن أمين: ج١، ص١٠٣.

النبيﷺ، مرورًا بزمن الأئمّة المعصومين من بعده؏، وانتهاءً بزمن الغيبة.

وبناءً على ما مرّ من مباحث، سيكون مورد بحثنا في تاريخ حديث الشيعة ضمن مبحثين:

المبحث الأوّل: التعرّف على تاريخ حديث الشيعة

من أجل التعرّف على تاريخ الحديث عند الشيعة، لابدّ لنا أن نتعرّض في هذا الدرس إلى عدّة اُمور، وهي: تعريف تاريخ حديث الشيعة، وأهمّية وفوائد التعرّف على هذا الميراث الحديثي، وكذلك أهمّ الخصائص والمميّزات التي يتميّز بها تاريخ الحديث عند الشيعة.

١ـ تعريف تاريخ حديث الشيعة

لا يخفى أهمّية الحديث عند الشيعة، حيث يُعتبر هو كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره[1]، وأنّ المعصوم عندنا يمثّل النبيّ الأكرمﷺ، والأئمّة من أهل بيته؏، كما ثبت ذلك في علم الكلام بالأدلّة العقلية والنقلية.

وقد انعكست هذه الأهمّية على تاريخ الحديث الشيعي الذي يؤكّد على بيان مراحل نشوء الحديث وتطوّره من أخبار المعصومين؏.

فيكون تعريف تاريخ الحديث هو: التعرّف على مراحل نشوء وتطوّر الحديث والعصور التي مرّ بها.

٢ ـ أهمّية التعرّف على تاريخ حديث الشيعة

إنّ النظرة السطحية للحديث عبارة عن قراءة الحديث وإدراك بعض مفاهيمه، ممّا يحرمنا في كثير من الأحيان من الفهم العميق للحديث، إذ إنّه في هذه الحالة لا يلتفت إلى الأرضية والظروف التي ألقى فيها المعصوم حديثه.

---

١. *نهاية الدراية* لحسن الصدر: ص٨٠.

ولكنّ مطالعة آثار المعصومين عليهم السلام ـ بنظرة تاريخية معمّقة ـ تُعطي كلامهم وأفعالهم وتقريراتهم معنىً خاصّاً، وتبيّن لمحبّي وعشّاق آثار الأئمّة عليهم السلام مراحل ظهور وانتشار هذه الآثار، وبذلك فإنّ كثيراً من الأسئلة التي تُطرح حول تعارض أو تناقض الأحاديث، تجد لها جواباً مقنعاً ومناسباً في النظرة التاريخية للحديث.

ومن كلّ هذا يتبيّن لنا مدى أهمّية تاريخ نقل كلام أو فعل أو تقرير المعصومين عليهم السلام، والتي تُدرس في تاريخ حديث الشيعة.

٣ ـ فوائد التعرّف على تاريخ حديث الشيعة

هناك عدّة فوائد يمكن تحصيلها من خلال التعرّف على تاريخ حديث الشيعة، وهي تمثّل دورًا هامّاً في المسيرة الثقافية والتربوية لحياة الإنسان، يمكن تلخيصها بما يلي:

أ) التعرّف على الثقافة السائدة في عصر الحديث

من أهمّ الفوائد هو التعرّف على أسباب صدور الحديث، والذي يمثّل دورًا أساسياً في فهم الحديث.

وبذلك يمكن فهم سبب تأكيد الإمام علي عليه السلام على الزهد والبعد عن الدنيا، وسبب تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على المواعظ الاجتماعية في تعامله مع الصوفية.

وكذا يمكن فهم خلفية المناظرات العلمية للإمام الرضا، واحتجاجات الإمام المجتبى، والإمام الجواد، والإمام الهادي عليهم السلام، وتتّضح لدينا المعاني الجميلة النورانية لهذه الأحاديث بشكلٍ أكبر.

ب) التعرّف على المدوّنات الحديثية في كلّ زمن

تُذكر المكتوبات والمدوّنات الحديثية في تاريخ الحديث بصورة مجملة، مع أنّها تُبحث في تاريخ تدوين الحديث بشكلٍ أكثر تفصيلاً.

ج) التعرّف على طرق التعليم

اهتمّ المعصومون عليهم السلام بنشر العلوم والثقافة الإسلامية، ولم تمنعهم الظروف الصعبة التي

عاشوها، فكانت لهم أساليبهم المتمّيزة في التعليم.

د) التعرّف على مناهج المحدّثين

إهتمّ المحدّثون عبر القرون بنقل الأحاديث وتدوينها وتهذيبها وفق الأُصول المقرّرة في علم الحديث، كما اهتمّوا بشرحها ونقدها أحياناً، وانتهجوا في كلّ دورة منهاجاً خاصّاً في ذلك، بل قد يكون لبعضهم منهاج خاصّ للتعامل مع الأحاديث، فيمكن التعرّف على تلك المناهج في مجال البحث عن تاريخ الحديث.

ه) التعرّف على جهود المحدّثين في تنقيح علوم الحديث

أحسّ المحدّثون في بداية ظهور الحديث بالحاجة الماسّة إلى القواعد والأُصول التي تقيمّ الحديث وتميّز بين أنواعه، وكذا تقييم رجال السند ونقده وغير ذلك، فقرّروا قواعد لذلك وأسموها بعلوم الحديث، التي نشأت في جنب الحديث حيث اختصّت بها موسوعات ضخمة جدّاً. فما هو المبرّر لإبرازها وتوسيعها طيلة القرون والأعصار؟ هذا ما سيجيب عنه تاريخ الحديث.

٤ ـ خصائص ومميّزات تاريخ حديث الشيعة

إنّ للحديث عند الشيعة هوية مستقلّة تمتدّ من عصر النبيّ إلى العصر الحالي، فمع أنّ فترة المنع عن تدوين الحديث التي استمرّت قرابة (٩٠) عاماً، كانت فترة عصيبة وصعبة، ولكنّها لم تؤثّر في جانب الحديث الشيعي، إذ إنّ علماء ورواة الشيعة العظام بالتزام السرّية والخفاء استطاعوا أن يتناقلوا الميراث الحديثي بينهم، ممّا حفظ تواصله واستمراره على مدى العصور.

ويتميّز ميراث الحديث الشيعي بمميّزات وخصائص تجعل منه تراثاً راسخاً ومتيناً، ونذكر هنا بعضاً من هذه المميّزات:

أ) التواصل مع المعصومين عليهم السلام

إنّ حديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، هو الحجّة عند الشيعة دون غيره من

الحديث، حتّى وإن كان الكلام محكياً عن أحد الصحابة العظام، فهو لا يعادل كلام المعصومين عليهم السلام بحالٍ من الأحوال.

ويعتبر الشيعة حديث المعصومين عليهم السلام وديعة غالية، قد قرنها النبي صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم، حيث قال: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[١].

لذا فحضور المعصومين عليهم السلام لمدّة (٢٥٠) سنة إلى جانب حديث النبي صلى الله عليه وآله ـ مدّة (٢٣) عاماً ـ شكّل رصيداً قيّماً للشيعة.

ب) طرح الأحاديث بشكل مفصّل

أدّى حضور المعصومين عليهم السلام إلى طرح كثير من المسائل بشكلٍ مفصّل وبكامل جزئياتها. وتصدّى الأئمّة عليهم السلام لتوضيح هذه المسائل بشكلٍ تامّ وكامل.

وقد كشف هذا الطرح المفصّل عن كثير من الجوانب الغامضة للعديد من الأحكام والمعارف الإلهيّة.

ج) طرح الأسئلة المستحدثة

إنّ عصر حضور المعصومين عليهم السلام ولفترة طويلة، ومعاصرته للتغيّرات الثقافية في المجتمع، التي منها دخول ثقافات جديدة: كالفارسية واليونانية والرومية إلى البلاد الإسلامية، أدّى إلى ظهور أسئلة وإشكالات جديدة تتطلّب أجوبة لا يمكن أن تتأتّى إلاّ من المعصومين عليهم السلام، فقاموا عليهم السلام بوضع جملة من الأُمور أهمّها:

- القواعد الأساسية التي حُلّت بواسطتها كثير من المعضلات والإشكالات المطروحة في ذلك العصر وما بعده، فكانت أجوبتهم تتناسب مع المستوى الثقافي للمجتمع.
- تربية جيل من الطلاّب لردّ الشبهات الجديدة وفق تلك القواعد والأُسس، مثل:

---

١. *الاحتجاج* للطبرسي: ج١، ص٣٩١؛ *مسند أحمد* لابن حنبل: ج٤، ص٣٧١ نحوه.

هشام بن الحكم، ومؤمن الطاق وغيرهم.

د) تطابق أحاديث المعصومين

كان الأئمّة المصداق الحقيقي لعبارة: «**كلّهم نور واحد**»، فكان كلامهم يصبّ في مجرى واحد، ولا يوجد أيّ تناقض واختلاف فيه.

وما أجمل ما قاله الإمام الرضا في هذا الباب: «**إنّا عن الله ورسوله نحدِّث، ولا نقول: قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا، إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا، وكلام أوّلنا مصداق لكلام آخرنا**»[1].

هـ) اختلاف المستوى الثقافي بين عصر الرسول وعصر الأئمّة

إنّ تغيّر المستوى الثقافي للمجتمع وظهور طبقة جديدة من الطلاّب والباحثين عن العلم، أدّى إلى وجود فارق كبير بين عصر ظهور الحديث وعصر الأئمّة.

ذلك أنّ معظم أصحاب النبي كان اهتمامهم بالجلوس عنده انجذاباً إلى شخصيته وتبرّكاً بوجوده الشريف، أكثر من اهتمامهم بأخذ العلم عنه.

و) الترويج لثقافة الكتابة

حثّ المعصومون الناس منذ البداية على الكتابة، تطبيقاً لقوله: «**قيّدوا العلم بالكتابة**»[2]، فألّفوا كتباً، منها: كتاب الجفر، والصحيفة الجامعة للإمام علي، ورسالة الحقوق للإمام السّجاد، وكثير من المكتوبات والمخطوطات الأُخرى التي تُعدّ من تراث الشيعة المكتوب.

وقد دوّنت بعض عناوينه في فهارس مطوّلة، مثل:

- *الفهرست* للشيخ الطوسي.

فهرس أسماء مصنّفي الشيعة، المعروف *برجال النجاشي*.

---

١. *اختيار معرفة الرجال* للطوسي: ج٢، ص٤٥٠، ح٤٠١.

٢. *السرائر* لابن إدريس الحلّي: ج١، ص٤٤؛ *تفسير القرطبي*: ج١١، ص٢٠٦ .

المبحث الثاني: مراحل تاريخ الحديث عند الشيعة

مرّ الحديث الشيعي منذ ولادته في عصر النبيصلى الله عليه وآله وحتّى عصر الغيبة بعدّة مراحل، تمثّلت بالأزمنة التي كانت ظرفاً للحديث، وهي:

١ ـ عصر الحضور الذي تمثّل بعصر النبيصلى الله عليه وآله، وما رافقه من ولادة الحديث ونموّه وازدهاره في زمن الأئمّة المعصومينعليهم السلام من بعدهصلى الله عليه وآله.

٢ ـ عصر الغيبة الصغرى والكبرى.

وبيان ذلك يكون في مبحثين، نتطرّق في المبحث الأوّل إلى زمن الحضور، وفي المبحث الثاني إلى زمن الغيبة الصغرى والكبرى.

أوّلاً: عصر الحضور

وهو العصر الذي بدأ بولادة الحديث من عصر النبيصلى الله عليه وآله، ويمتّد إلى ما بعد الصادقَينعليهما السلام، وهو عصر تثبيت قواعد الحديث وترسيخها، ويمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأُولى: عصر النبيصلى الله عليه وآله إلى عصر الصادقَينعليهما السلام

تعتبر هذه المرحلة من المراحل المهمّة في تاريخ الحديث الشيعي، وهي عصر نشوء الحديث ونموه، والذي يبدأ بعصر النبيصلى الله عليه وآله.

فتكون هي اللبنة الأُولى للحديث الشيعي، مع ما جرى فيها من مشاكل وصعوبات، فإنّها تبقى هي الأساس المتين للميراث الحديثي الشيعي.

عصر النبيصلى الله عليه وآله

إنّ البيئة الصحراوية لأرض الحجاز جعلت أهلها منفصلين وبعيدين عن الثقافات والمجتمعات الأُخرى، وكذا عن المعارف الإلهيّة الموجودة في ذلك العصر.

ولاشكّ في أنّ مجيء الرسولﷺ بالدين الإسلامي في هكذا عصر وبهذه المواصفات، يعكس لنا تلك الشخصية الفذّة، حيث استطاعﷺ أن ينتشل هذا المجتمع من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام، بأخلاقه العظيمة وحنكته العالية، فاستحوذ على قلوب أكثرهم ليهديهم إلى الطريق القويم، كما صوّر ذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

الميراث الحديثي للنبيﷺ

إنّ نزول القرآن على النبيﷺ كان مدعاة لاجتماع الناس حوله، فكلامهﷺ يُعتبر اللبنة الأُولى للحديث والتحديث.

وكان النبيﷺ يشجّع على نشر ثقافة الحديث والتحديث، إمّا عبر المجالس العامّة أو الخاصّة مع بعض الصحابة، أو عبر إلقائه تلك الخطب الخالدة التي وردت في عدّة مناسبات، أو عبر إملائه الحديث لبعض الصحابة.

ونظراً لضرورة تغيير الثقافة الجاهلية إلى الثقافة الإسلامية، برزت الأحاديث الأخلاقية في تلك الفترة بشكلٍ واضح.

ومن جهة أُخرى تطلّب تأسيس الحكومة الإسلامية سنّ القوانين والقواعد الفقهية، وتواجد الأحاديث الفقهية بالشكل المطلوب.

لذا يمكن اعتبار الأحاديث الأخلاقية والفقهية والقواعد الحقوقية، الركن الأساسي لميراثه الحديثيﷺ.

إنّ أكثر أحاديث النبيﷺ في الجوامع الحديثية الشيعية قد نُقلت عن الإمام عليعليه السلام وسائر الأئمّةعليهم السلام.

---

١. آل عمران: ١٥٩.

عصر فاطمة الزهراءعليها السلام

إنّ شخصية السيّدة فاطمة الزهراءعليها السلام المتميّزة، ونشأتها في كنف أعظم المخلوقات وأكرمها وهو النبي محمّدصلى الله عليه وآله، ثمّ زواجها بالإمام عليعليه السلام، يبيّن لنا بوضوح مكانتها الخاصّة في العلوم والمعارف الإسلامية.

الميراث الحديثي للسيّدة فاطمة الزهراءعليها السلام

أدّى قصر عمرهاعليها السلام، والحوادث والمصائب التي لاقتها بعد رحيل النبيصلى الله عليه وآله، إلى قلّة ميراثها الحديثي. ويمكن تقسيم الموروث الحديثي لهاعليها السلام إلى قسمين:

١ ـ ما روته عن النبيصلى الله عليه وآله

فقد ورد في كتب السنّة والشيعة بعض الروايات الواردة عنهاعليها السلام، رغم قصر الفترة التي عاشتها مع النبي الأكرمصلى الله عليه وآله، ويشير لقب المحدّثة إلى الميزة التي اختصّت بها الزهراءعليها السلام في تعلّم المعارف الإلهيّة من منبع الوحي الأصيل.

٢ ـ خطبهاعليها السلام

ومن أشهر ما نُقل من خُطبها في المسجد النبويّ وفي بيتهاعليها السلام هي الخطبة الفَدكية، لما لها من أهمّية خاصّة؛ حيث تميّزت بتبيين بعض المعارف السامية والقيّمة، وكونها أُلقيت في ظرف مهمّ وحسّاس، وكونها في غاية الفصاحة والبلاغة.

عصر الإمام عليعليه السلام

يعتبر الإمام عليعليه السلام الإمام الأوّل والمعصوم الثاني عند الشيعة، وهو أيضاً صاحب المنزلة الخاصّة التي تميّز بها عن بقية الصحابة بالنسبة لحديث النبيصلى الله عليه وآله.

فقد تربّى الإمام عليعليه السلام في حجر النبيصلى الله عليه وآله منذ ولادته، وأمضى طفولته تحت رعايتهصلى الله عليه وآله، وكان أوّل القوم إسلاماً، وهو تلميذ النبيصلى الله عليه وآله الخاصّ، حيث كانت له ساعات مخصوصة يتعلّم فيها من النبيصلى الله عليه وآله.

من مميّزاته الأُخرى، هي: تدوين الكثير من كلام النبيصلى الله عليه وآله، رغم الفتن والأحداث

المريرة التي جرت في زمانه عليه السلام وفور استلامه الحكم، واتّخاذه تلك القرارت الصادحة بعزل ولاة عثمان عن جميع مراكز الدولة، وإعلانه المساواة العادلة بين جميع الشعوب الإسلامية، وهذا ما يتنافى مع مطامع أصحاب النفوذ والجاه من القبائل، حتّى أجمعوا أمرهم على العصيان، وحدث ما حدث من حروب ونزاعات الغاية منها الإطاحة بحكومته عليه السلام.

الموروث الحديثي للإمام علي عليه السلام

إنّ ملازمة الإمام علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله ـ (١٠) سنوات قبل البعثة و(٢٣) سنة بعدها ـ ومرافقته له صلى الله عليه وآله بصورةٍ خاصّة، جعلت الإمام علي عليه السلام حاملاً لكنز عظيم من المعارف والعلوم إلى الأجيال القادمة عليه السلام، فقد تتلمّذ على يده الكثير من طلاّب العلوم والمعارف الدينية، وكان من أبرز طلاّبه وتلاميذه عليه السلام في مجال الحديث: أبو رافع، عبد الله بن عبّاس، سليم بن قيس، الحارث بن الأعور(رحمهم الله).

ويمكن تقسيم الموروث الحديثي للإمام علي عليه السلام إلى عدّة أقسام:

١ ـ المجموعات الحديثية:

توجد هناك ثلاث مجموعات حديثية مأثورة عنه عليه السلام، وهي:

كتاب علي عليه السلام

هو مجموعة كبيرة من الأحاديث (صحيفة بطول سبعين ذراعاً)، من إملاء الرسول صلى الله عليه وآله وبخطّ الإمام علي عليه السلام، وهو من ودائع الإمامة، وقد عرضه وقرأ منه الأئمّة عليهم السلام على بعض الخواصّ من أصحابهم[1].

كتاب الجفر

وهو كتاب كُتب على جلد الجفر، أي جلد ثور أو شاة، وهو من إملاء النبي صلى الله عليه وآله وخطّ الإمام علي عليه السلام، وعلى ذلك تضافرت الروايات عند الشيعة، وذكره السُنّة في بعض

---

١. انظر: *بصائر الدرجات*: ص١٦٧ ـ ١٧٠.

كتبهم[١].

مصحف الإمام علي عليه السلام

هو الذي يتضمّن التفسير وبعض المواضيع حول القرآن الكريم، و هو عند الأئمّة عليهم السلام[٢].

٢ ـ مرويّات الإمام علي عليه السلام

وردت عن الإمام علي عليه السلام أحاديث وروايات عديدة أكثرها في أواخر عهد عثمان وما بعده، وخصوصاً في عصر خلافته عليه السلام، وقد ورد بعضها في ***نهج البلاغة***، وكانت متنوّعة وبعدّة أقسام، نذكر بعضاً منها:

أ) الخُطب

وهي أشهر قسم من أقسام كلامه عليه السلام، حيث لُقّب بإمام الخطباء، وتُعدّ خطبه التوحيدية الكثيرة والمواعظ الأخلاقية أحد أسباب اشتهار وانتشار كتاب ***نهج البلاغة***.

ب) الرسائل

هذه المجموعة من الروايات ـ خصوصاً الرسائل أو الكتب التي أرسلها عليه السلام إلى عمّاله ـ ترسم لنا أبعاد الحكومة العلويّة، وتبيّن الأركان والمباني الأساسية للسياسة والاقتصاد والثقافة عند الإمام علي عليه السلام.

ويمكن اعتبار رسالته المشهورة إلى مالك الأشتر ميثاقاً للحكومة الإسلامية على مدى العصور.

---

١. انظر: *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* لابن خلكان: ج٣، ص٢٤٠؛ *مكاتيب الرسول*: ج٢، ص١٢.

٢. انظر: *في رحاب الشيعة*: ص٦٣؛ *الخدعة رحلتي من السُّنّة إلى الشيعة* للورداني: ص١٩٦.

ج) الحِكم والمواعظ

تعتبر وصاياه عليه السلام للناس من الأحاديث القيّمة جدّاً، وخاصّة وصيّته لأبنائه الحسن والحسين عليهما السلام[١]، ورسالته الطويلة إلى الإمام الحسن عليه السلام[٢].

د) قضاؤه عليه السلام

إنّ اُسلوب الإمام علي عليه السلام الراقي والمتميّز في القضاء شهد له الموافق والمخالف، وقد اعتنى به الفقهاء أيما اعتناء، فذكروا مواقف كثيرة لقضائه عليه السلام في كتبهم الفقهية.

هـ) الأدعية والمناجاة

إنّ الأدعية والمناجاة المأثورة عن الإمام علي عليه السلام كثيرة جدّاً، منها دعاء ليلة الجمعة المعروف بدعاء كميل.

و) الأشعار

نُسب إليه عليه السلام حوالي خمسمئة قصيدة، ومع أنّه قد شُكّك في هذه النسبة من حيث العدد، إلاّ أنّ نسبة بعض الأشعار إليه عليه السلام ثابتة قطعاً، وقد ذُكرت في كتب ومؤلّفات شأنها الاهتمام بالأشعار والموسوعات الشعرية، مثل كتاب *أنوار العقول من أشعار وصيّ الرسول* الذي أعدّه قطب الدين محمّد البيهقي الكيدري[٣].

عصر الإمامين الحسنين عليهما السلام

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، وبسط معاوية نفوذه في جميع المناطق الإسلامية، قلّ تواصل الناس مع الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، ورجوعهم إليهما في اُمور دينهم ودنياهم بعد أن استخدم معاوية في عصر الإمام الحسن عليه السلام ـ ومن جاء من بعده في عصر الإمام

---

١. انظر: *نهج البلاغة*: الكتاب ٤٧.

٢. المصدر السابق: الكتاب ٣١.

٣. انظر: *موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ* للريشهري: ج١٠، ص٢٩٢.

الحسين عليه السلام ـ أساليب قذرة في استمالة الناس وحرفهم عن خطّ أهل البيت عليهم السلام.

الميراث الحديثي للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام

بمراجعة رسائل معاوية إلى عمّاله نجده قد أمر بوضع أحاديث في فضائل الصحابة، أمثال عثمان بن عفّان وغيره، ومنعَ الحديث عن فضائل الإمام علي وسائر أهل البيت عليهم السلام، بل ومعاقبة مَن يُحدّث بفضائلهم[1].

من جهةٍ أُخرى، عمل معاوية على اغتيال الشخصيات الشيعيّة المهمّة، ومنع قبول شهادة الشيعي عند القاضي، وحرَمَ الشيعة أيضاً من أموال بيت مال المسلمين.

ولاشكّ أنّ إعلام بني أُميّة ودعاياتهم المغرضة، وتشديد حكومتهم وتأكيدها على عدم الارتباط بهذين الإمامين العظيمين، كان له الأثر الكبير في قطع الناس ارتباطهم بهما عليهما السلام، حتّى لو كان مجرّد نقل الحديث، ولهذا السبب لم يصلنا عنهما عليهما السلام **إلاّ** القليل من الروايات.

ولم تنقل كتب أهل السنّة المشهورة عنهما أحاديث ولو بعدد أصابع اليد، ***فصحيح البخاري وصحيح مسلم*** لم يرويا ولو حديثاً واحداً عن النبي صلى الله عليه وآله مسنداً عن طريقهما.

ووصل إلينا من كلامهما عليهما السلام مواعظ أخلاقية[2]، أُلقيت في مجالس خاصّة، وقد ورد عنهما عليهما السلام عدد يسير من الأحاديث الفقهية أيضاً.

وقد ذُكرت عن الإمام الحسن عليه السلام بعض المناظرات والاحتجاجات مع أعداء أهل البيت عليهم السلام، كما وردت بعض الأدعية عن الإمام الحسين عليه السلام، منها: «دعاء عرفة» ذو المضامين الرفيعة العالية.

وتُعتبر فترة ثورة الإمام الحسين عليه السلام (٦) اشهر، فترة ذات طابع خاصّ في تاريخ الحديث، فقد نُقل عن الإمام الحسين عليه السلام أحاديث في قمّة الحماس والعظمة والحبّ

---

١. انظر: *الاحتجاج* للطبرسي: ج٢، ص١٥؛ *العمدة* لابن البطريق: ص٤٤٩.

٢. انظر: *تحف العقول*: ص٢٢٥ ـ ٢٤٩.

والإخلاص.

عصر الإمام السجّاد عليه السلام

يُعتبر عصر الإمام السجّاد عليه السلام من أصعب الأوقات التي مرّت على الأئمّة عليهم السلام، فعلاوة على واقعة عاشوراء الأليمة، وما تخلّلها من أسر ودائع النبوّة والإمامة عليهم السلام كانت هناك أحداث أُخرى لها وقعها الشديد على الإمام عليه السلام، وهي: فتنة عبد الله بن الزبير، وواقعة الحرّة، والقتل الجماعي للمسلمين في المدينة، والهجوم على مكّة وتخريب الكعبة، وتولّي ابن زياد والحجّاج، اللذان يُعدّان من أكبر السفّاحين والسفّاكين للدماء في عهد بني أُميّة.

الموروث الحديثي للإمام السجّاد عليه السلام

بالنظر لعدّة عوامل، منها: الأوضاع الناتجة عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام، مدّة إمامة الإمام السجاد عليه السلام الطويلة، معاصرته عليه السلام لعصر التابعين، وظهور أجيال متعلّمة في ذلك العصر، وتولّي عمر بن عبد العزيز الخلافة في المدينة؛ استطاعَ الإمام السجّاد عليه السلام أن ينشر الثقافة الإسلامية الأصيلة، وأن يؤسّس المدرسة الثقافية العلمية الشيعية الكبيرة في عصره، والتي ازدهرت في عصر الإمام الباقر عليه السلام، ووصلت إلى أوج ازدهارها في عصر الإمام الصادق عليه السلام.

فظهرت علوم مثل: الفقه، والمعارف الإسلامية، والتفسير عند الشيعة من خلال هذه المدرسة، وقد أدّى هذا الأمر الى أن يكون الموروث الحديثي للإمام زين العابدين عليه السلام، أكثر من الموروث الحديثي للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

ويمكن تقسيم الموروث الحديثي للإمام زين العابدين عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الدعاء

استخدم الإمام السجّاد في دعائه أُسلوباً لطيفاً مثيراً للأحاسيس والعواطف، ومعظم النصوص الواردة عنه هي من هذا الباب.

٢ ـ المواعظ الأخلاقية والاجتماعية

تشير بعض المرويات إلى أنّ الإمام السجّاد عليه السلام ألقى بعض المواعظ في المسجد النبويّ الشريف بشكلٍ رسمي في الأوقات والفرص المناسبة، وتُعرف أهمية مواعظه عليه السلام في ذلك الوقت بالنظر الى أوضاع المدينة المنوّرة التي تحوّلت ـ بسبب السلطة ذات الفساد المزمن لحكومة معاوية وغيره من بني أُمية ـ إلى مركز من مراكز اللهو واللعب، واشتهرت بكونها مركزاً للغناء.

٣ ـ الموروث الحديثي المكتوب

كان لهذا الموروث الحديثي الأثر الكبير على حياة البشر كافّة وعلى مرّ العصور والأجيال، فكان دستوراً ونبراساً لهم في حياتهم العلمية والعملية، ويمكن تقسيم هذا الموروث الحديثي المكتوب إلى ثلاثة أقسام:

أ) الصحيفة السجّادية

وهي مجموعة من الأدعية والمناجاة المشهورة التي أنشأها الإمام السجّاد عليه السلام، وتضمّ (٧٥) دعاءً، إلاّ أنّ الذي وصلَ إلينا منها (٥٤) دعاءً فقط[١].

ب) رسالة الحقوق

وهي أشهر تراث حديثي مأثور عن الإمام السجّاد عليه السلام، وقد ذكر عليه السلام فيها خمسين حقّاً[٢].

ج) رسالة الزهد

انتشرت هذه الرسالة في زمن الإمام السجّاد عليه السلام، فقد رواها أبو حمزة الثمالي في سفره إلى اليمن، وعرضها على الإمام السجّاد عليه السلام، فصدّق ما فيها وأكّد نسبتها إليه.

---

١. انظر: *فتح الأبواب* لابن طاووس: ص٧٦.

٢. انظر: *تحف العقول*: ص٢٥٥ ـ ٢٧٢.

المرحلة الثانية: عصر الصادقَين عليهما السلام

إنّ لعصر الصادقَين عليهما السلام مكانة خاصّة وميزة مرموقة في تاريخ الحديث عند الشيعة. وقد بدأ هذا العصر عام (٩٤ه) وانتهى عام (١٤٨ه)، وهي مدّة إمامتهما عليهما السلام، حيث تولّى الإمام الباقر عليه السلام الإمامة بعد شهادة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام عام (٩٤ه) على ما هو المشهور، وتولّى الإمام الصادق عليه السلام الإمامة بعد شهادة الإمام الباقر عليه السلام عام (١١٤ه)، حتىّ شهادته على يد المنصور الدوانيقي عام (١٤٨ه)[١].

وتُعتبر الفترة من عام (١٠٠ه إلى عام ١٤٠ه) العصر الذهبي للحديث عند الشيعة[٢]، إذ إنّ الأوضاع والظروف الاستثنائية لتلك الفترة مكّنت الصادقين عليهما السلام من القيام بإنجازات عظيمة، كنشر الحديث وتعليمه، و تربية جملة من الفقهاء، وغيرها من الإنجازات التي سوف نتعرّف عليها من خلال هذا الدرس.

ونظراً لأهمّية هذا العصر في تاريخ الحديث عند الشيعة فسوف نتحدّث عنه بشيءٍ من التفصيل. فنتناول العوامل التي ساعدت على انتشار الحديث عند الشيعة في عصرهما عليهما السلام مروراً بإنجازاتهما عليهما السلام في مجال الحديث، ثمّ دورهم في مواجهة ظاهرة وضع الحديث من قبل الغلاة، وأخيراً نتعرّض لحجم وطبيعة التراث الحديثي الذي تركاه لنا عليهما السلام.

١ ـ العوامل التي ساهمت في ازدهار الحديث في عصر الصادقين عليهما السلام:

أ) الأوضاع السياسية الملائمة.

كان للأوضاع السياسية في عصر الصادقَين عليهما السلام تأثير كبير في انتشار الحديث عند الشيعة، ويمكن إجمال الأوضاع السياسية في عصرهما عليهما السلام بما يلي:

---

١. انظر: *تهذيب الأحكام* للطوسي: ج١٠، ص٥٣.

٢. انظر: *روضة الطالبين* للنووي: ج١، ص١٢؛ *الإمام الصادق علم وعقيدة* لرمضان لاوند: ص١٦٧.

- هلاك الحجّاج بن يوسف الثقفي ـ والي البصرة والكوفة ـ في عام (٩٥هـ)[١]، وكان مشهوراً بسفكه للدماء[٢]، وكان من أشدّ أعداء شيعة الإمام علي عليه السلام، وصار الشيعة من بعد موته في راحة[٣].
- تولّي عمر بن عبد العزيز الخلافة عام (٩٩هـ)[٤]، وقد أثّر في فترة حكومته على المجتمع الإسلامي بشكلٍ كبير، فقد كان يعتقد بجواز تدوين الحديث بل وبضرورته[٥]، ومنعَ سبّ الإمام علي عليه السلام[٦].
- الثورات الزيدية المتلاحقة، التي كان لها دور في حفظ الإمامين الصادقَين عليهما السلام من التعدّي والتهجّم عليهما.
- إنّ السُنن الإلهيّة تقتضي أن تمرّ الأنظمة السياسية والاجتماعية بمراحل كالتي يمرّ بها الإنسان، مثل: مرورها بمرحلة الطفولة، ثُمّ الشباب، ثمّ تصير إلى الشيخوخة وتقترب من أجلها وتنهار، كما يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[٧].

وقد خضعت الدولة الأموية لهذه السُنن، فاقتربت في ذلك العصر من شيخوختها وأجلها، حيث استطاع العبّاسيّون بعد عدّة معارك القضاء على تلك الدولة في عام (١٣٢هـ)، فانقرضت دولة بني أميّة واستولى العبّاسيّون على الحكم، وقد أمضى أبو العبّاس السفاح

---

١. انظر: *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* لابن خلكان: ج٢، ص٥٣.

٢. انظر: *الأعلام* للزركلي: ج٢، ص٩٥ و١٦٨؛ *المعارف* لابن قتيبة: ص٣٥٦.

٣. انظر: *الكشكول المبوّب* لحسين الشاكري: ص٧٣.

٤. انظر: *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*: ج٢، ص٥٣٩.

٥. انظر: *الخلاف* للطوسي: ج١، ص٢٩ مقدّمة المحقّق؛ *الجامع للشرائع* للحلّي: ص٦ مقدّمة المحقّق.

٦. انظر: *إلزام النواصب* لمفلح بن راشد: ص٢٢٠؛ *السلفية بين أهل السنّة والإمامية* لمحمّد الكثيري: ص٢١٢.

٧. يونس: ٤٩.

السنوات الأربع[١] من حكمه في ملاحقة وتتبّع مَن بقي من فلول الأمويين والتخلّص منهم.

ممّا ذكرنا يتّضح لنا أنّ الحكومة المركزية في عصرهما عليهما السلام، لم تعدّ تملك السلطة القويّة التي كانت تملكها سابقاً، لذا كان عصرهما عليهما السلام أفضل فترة لنشر الحديث والمعارف الإسلامية.

ب) الإقبال على أخذ الحديث من أهل البيت عليهم السلام

نتيجة لصدور أمر منع تدوين الحديث في عهد الخليفة الثاني رسمياً[٢]، اختفت ظاهرة كتابة وتدوين الحديث في حياة المسلمين عموماً، وكانت تتمّ بشكلٍ خفيّ، واستمرّ الأمر على ذلك الحال حتّى أصدر عمر بن عبد العزيز أمره بكتابة الحديث وجمعه وتدوينه[٣]، وأكّد في رسائله إلى علماء المدينة[٤] على جمع الحديث وتدوين سنّة النبي صلى الله عليه وآله بعد أن صارت منسيّة؛ بسبب عدم تدوينها والاعتناء بجمعها، وبالطبع كان هذا الأمر ناقضاً لأمر الخليفة الثاني، وهو ما جعل علماء المدينة، مكرهين على قبوله وتنفيذه خصوصاً في بداية الأمر.

وعليه تهيّأت الأجواء للشيعة لكتابة الحديث وتدوينه بشكلٍ أكبر، بل استطاع الشيعة أن يقيموا المجالس العامّة لتعليم الحديث ـ كما في عهد الإمام الباقر عليه السلام ـ وصارت كتابة الحديث بمرور الزمان أمراً مشهوراً ورائجاً[٥]، وأصبحت المكتوبات والمدوّنات الحديثية ذات شأن وأهمّية عند جميع المسلمين، ومن خلالها عرف المسلمون جميعاً مكانة أهل البيت عليهم السلام الخاصّة في مجال نقل الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، والذي كان متروكاً ما يقارب

---

١. انظر: *مستدركات أعيان الشيعة*: ج١، ص٧٣؛ *شجرة طوبى* لمحمّد مهدي الحائري: ج١، ص١٤٠.

٢. انظر: *جهاد الإمام السجّاد* عليه السلام للجلالي: ص٨٢.

٣. انظر: *مطارحات في الفكر والعقيدة*: ص١٦١؛ *عمدة القارئ* للعيني: ص١٢٩.

٤. انظر: *الجامع للشرائع*: ص٦ مقدّمة المحقّق.

٥. انظر: *الجامع للشرائع*: ص٦ مقدّمة المحقّق.

(٩٠) عاماً[1]، وبدأ الناس ـ خصوصاً العلماء منهم ـ بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام لأخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله والمعارف الدينية عنهم، ولينهلوا من منبع العلم والحكمة الصافي والعذب.

وكان يُعدّ سند حديثهما عليهما السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله من أحسن الأسانيد، وبلا شكّ فإنّ هذا الحال يختلف كثيراً عن الأوضاع في زمن الإمامين الحسنين والسجّاد عليهم السلام؛ لأنّ معظم الناس لم يكونوا مهتمّين بأخذ الحديث والعلم عنهم، بسبب إقصائهم عن الساحة الثقافية والعلمية في المجتمع الإسلامي من قبل الحكّام، الذين منعوا الناس من الرجوع إليهم عليهم السلام.

ج) ظهور شبهات جديدة عجز عن حلّها علماء العامّة

تعرّف المسلمون على ثقافات وحضارات البلاد التي فتحوها، مثل: حضارة الفرس، والروم، واليونان، وكان أهل هذه الحضارات قد برزوا في علومٍ عديدة، كالمنطق والفلسفة فظهرت لدى المسلمين شبهات جديدة وأسئلة متعدّدة في مجالات مختلفة، ولم يستطع علماء العامّة الإجابة عنها، فرجع الكثير من الشخصيات العلمية في المجتمع الإسلامي ـ من أمثال زرارة بن أعين، وحمران بن أعين، وهشام بن الحكم (رحمهم الله) ـ إلى أهل البيت عليهم السلام؛ ليجدوا الجواب الشافي عندهم، فصاروا من علماء الشيعة فيما بعد، بل كان الملحدون أمثال ابن أبي العوجاء[2] يرجعون إلى الأئمّة عليهم السلام ليجدوا جواباً مقنعاً لشبهاتهم، فكان ذلك أحد العوامل التي أدّت إلى إيجاد الأرضية اللاّزمة لانتشار وازدهار الحديث عند الشيعة.

د) بروز شخصيات علمية كبيرة

من الملفت للنظر أنّ الرواة في ذلك العصر ـ الذين هم من الشخصيات العلمية والفقهية

---

١. انظر: *الخلاف* للطوسي: ج١، ص٢٩ مقدّمة المحقّق.

٢. انظر: *وسائل الشيعة* للحرّ العاملي: ج٢٦، ص٩٣ و٩٤.

ـ لم يكن حضورهم عند الإمام﵇ لمجرّد التبرّك والتيمّن فقط، بل لتعلّم العلم بتعمّق أكبر وبشكلٍ أدقّ، أمثال هشام بن الحكم[١] وغيره، لذا فقد كانوا يسألون عمّا خفي عليهم من المسائل العلمية، فكثير من الأسئلة التي كان بعض أصحاب الأئمّة﵈ يوجّهونها إلى الأئمّة، يصعب على كثير من العلماء والفقهاء الآخرين الإجابة عنها.

وقد كان أبو حنيفة، وأبو ليلى، يذهبان إلى محمّد بن مسلم ويطرحون عليه أسئلتهم، وكان يجيبهم ممّا تعلّمه من حديث الأئمّة﵈، ومنهجهم في الفقه، وذلك العهد إنّما كان سابقاً لعهد تدوين الصحاح والجوامع الفقهية والحديثية.

٢ ـ إنجازات الصادقين﵉ في مجال الحديث

إنّ تعطش المجتمع الإسلامي ـ والشيعة خصوصاً ـ إلى تعلّم المعارف الإلهيّة في ذلك العصر، أدّى إلى تفعيل أنشطة الإمامين الباقر والصادق﵉ إلى درجة أنّ الجزء الأكبر من تراث الحديث الشيعي قد صدر عنهما﵉.

حيث إنّ الأحاديث التي نقلت عنهما﵉ في كتب الحديث تعادل ثلثي ما نُقل من أحاديث المعصومين﵈.

وقد روى أهل السُنّة في مجاميعهم الحديثية الكثير أيضاً عن الإمامين الباقر والصادق﵉، وهو ما لا نلاحظه بالنسبة للأئمّة السابقين.

قال الشيخ المفيد﵀ في كلامه حول الإمام الباقر﵇: «وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين، وصار بالفضل علماً لأهله تُضرب به الأمثال، وتسير بوصفه الآثار والأشعار»[٢].

وقال في موضعٍ آخر حول الإمام الصادق﵇: «نقلَ الناس عنه من العلوم ما سارت به

---

١. انظر: *منتهى المطلب* للعلاّمة الحلّي: ج٣، ص٢١٨.

٢. *الإرشاد* للمفيد: ج٢، ص١٥٧.

الركبان، و انتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحدٍ من أهل بيته من العلماء ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء، فكانوا أربعة آلاف رجل»[١].

واستمرّت جهود ونشاطات الإمامين الصادقَين عليهما السلام حوالي خمسين عاماً (أي تقريباً من عام ٩٤هـ إلى عام ١٤٨هـ) حيث تأطّرت فيها الثقافة الشيعية وتأثّرت بها ثقافة العامّة.

وفيما يلي أهمّ الإنجازات التي قام بها الصادقان عليهما السلام في مجال الحديث:

أ) تعليم ونشر الحديث

حينما رُفع الحظر عن كتابة حديث النبي صلى الله عليه وآله في عصر عمر بن عبد العزيز بعد فترة دامت (٩٠ عاماً) تقريباً[٢]، قام الكثيرون بكتابته وتدوينه، وقد استغلّ الإمامان الصادقان عليهما السلام هذه الفرصة خير استغلال، فقاما عليهما السلام بنشر الحديث وتعليمه، وإقامة المجالس العلمية في بيوتهم عليهم السلام، وفي مسجد النبي صلى الله عليه وآله وغيرها من الأماكن المشرّفة، وهذه الفرصة لم تكن قد سنحت للأئمّة السابقين عليهم السلام.

ب) تربية جملة من الفقهاء والعلماء

كانت الأوضاع والظروف العامّة للمجتمع مناسبة ليتميّز الفقهاء والعلماء عن بقية الناس، إذ إنّنا قلّما نجد في عصر النبي صلى الله عليه وآله، والأئمّة السابقين عليهم السلام أشخاصاً متخصّصين في العلوم والمعارف الإسلامية، أو أشخاصاً منشغلين بطلب العلم والتعلّم، بل كان معظم الناس يرغبون في الاستماع إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله، وهم يمارسون حياتهم اليومية ويتابعون أعمالهم والأُمور الأُخرى لمعاشهم، بينما نجد في زمن الصادقَين عليهما السلام مجموعة من الناس

١. *الإرشاد*: ج١، ص١٧٩.

٢. انظر: *الخلاف* للطوسي: ج١، ص٢٩ مقدّمة المحقّق.

قد كرّسوا أوقاتهم للعلم.

قال محمّد بن مسلم: «سألتُ الباقر عليه السلام عن ثلاثين ألف حديث»[١].

قال زرارة: «كنت أذهب إلى الإمام الباقر عليه السلام بين صلاتي الظهر والعصر، لكي أطرح أسئلتي عليه فلا يشغله أحد عني».

هذه النخبة من التلاميذ تسبّبت في ازدهار الحوزات الشيعية والمحافظة على التسلسل المرحلي للبحث العلمي.

وقد عدّ البعض تلامذة الإمام الصادق عليه السلام والراوين عنه بأربعة آلاف رجل[٢]، وأورد الشيخ الطوسي اسم أكثر من (٣٢٠٠) رجل من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام في كتابه *الرجال*.

ج) تعليم الأصحاب كيفية التعامل مع الرواية واستنباط الحكم منها

قام الصادقان عليهما السلام بتعليم أصحابهم الأُسلوب الصحيح لفهم الأحاديث والاستفادة منها، وقاما بتعليمهم طُرق الاستنباط، وحذّروهم من قبول أيّ كلام أو قول على أنّه رواية، بل يجب عليهم الفحص والتدقيق، فوضعوا لذلك معايير مهمّة لقبول الحديث، منها:

- إنّهم ذكروا صفات الراوي والشروط الضرورية التي يجب أن يكون حائزاً عليها.
- ما عبّر عنه الإمام عليه السلام بقوله: «**إن كان لا يُقبل ممّن دونكم حتّى يكون مثلكم، لم يقُبل منكم حتّى تكونوا مثلنا**»[٣].

وهذا يعني أنّه يجب علينا عدم الإفراط والتشدّد في شروط الراوي كما لا ينبغي عكس ذلك.

ووضّحَ الأئمّة عليهم السلام كثيراً من المسائل المطروحة في هذا الباب، من قبيل توضيح

---

١. انظر: *الاختصاص* للمفيد: ص٢٠١.

٢. انظر: *معالم المدرستين* للعسكري: ج٣، ص٣٢٣.

٣. *اختيار معرفة الرجال* للطوسي: ج٢، ص٦٦٢، ح٦٨٣.

القواعد العامّة للحديث، وعرض الأحاديث على القرآن والسنّة، وغيرها من المباحث.

د) تعميق المعارف الإسلامية

إنّ وجود تلاميذ كبار ـ وعلى مستوىً عالٍ، ولهم استعداد كامل لتلقّي العلوم والتدقيق في شتّى المجالات من الأسئلة المطروحة على الأئمّة عليهم السلام؛ أسئلة دقيقة جدّاً تدلّ بأنّ للسائل اطّلاع على المسائل والمواضيع، كزرارة بن أعين رحمه الله وغيره ـ أدّى إلى عُمق واضح في المعارف الإسلامية، والمباني، والقواعد الفقهية والعقائدية، فقد كانوا يسألون مثلاً عن بواطن القرآن ونحوها من المسائل الدقيقة.

وفي بعض الموارد كان الأئمّة عليهم السلام هم الذين يبادرون أصحابهم بالسؤال، ثمّ يعدّونهم لاستقبال العلم والمعرفة بشكلٍ دقيق وعميق، ثمّ بعد ذلك يبيّنون لهم المعارف الحقّة.

فمثلاً سؤال الإمام الصادق عليه السلام لهشام بن سالم عن الذات الإلهيّة. يقول هشام بن سالم: «دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: **أتنعت الله؟** فقلت: نعم، قال: **هات،** فقلتُ: هو السميع البصير، قال: **هذه صفة يشترك فيها المخلوقون،** قلت: فكيف تنعته؟ فقال: **هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحقّ لا باطل فيه.** فخرجتُ من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد»[(١)].

هـ) النظر في الروايات التي كانت تعرض عليهم

بما أنّ الراوي في ذلك العصر كان محدِّثاً وفقيهاً عادةً؛ فإنّه كان يعرض كثيراً من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والمشهورة بين الناس على الأئمّة عليهم السلام؛ كي يقوموا بتأييدها، أو تصحيحها، أو ردّها، أو شرح معناها وتوضيحها، كبيان سبب صدورها ومكانها وزمانها، ممّا يساعد على فهم الرواية وفهم مقاصدها.

فمثلاً، قال عبد المؤمن الأنصاري: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً رووا أنّ النبي صلى الله عليه وآله

---

١. *التوحيد* للصدوق: ص١٤٦.

قال: [إنّ اختلاف أُمّتي رحمة] فقال: **صَدقوا**، قلت: إذا كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب، قال: **ليس حيث ذهبتَ وذهبوا؛ إنّما أراد قول الله**(عزّوجل): ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١] فأمَرهم أن ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويختلفوا إليه فيتعلّموا، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم؛ إنّما أراد اختلافهم من البلدان، لا اختلافاً في دين الله، إنّما الدين واحد»[٢].

و) التأثير على علماء العامّة

أدّت قلّة النصوص الحديثية الناتجة عن منع تدوين الحديث إلى إيجاد مصاعب كثيرة لعلماء أهل السنّة، إذ لم يكن لديهم المعرفة الكاملة واليقينية لمعظم كلام النبي صلى الله عليه وآله، فاضطرّوا إلى استخدام القياس والاستحسان والطرق الظنّية غير المعتبرة، ولكنّ المنبع والمنهل الشيعي الذي يفيض بالعلوم والمعارف الإسلامية لم يتركهم دون نصيب من هذه المعارف والعلوم. وقد أخذ أبو حنيفة العلم عن الإمام الصادق عليه السلام ومحمّد بن مسلم أحد خواصّ الإمام الباقر عليه السلام والذي كان يسكن في الكوفة.

وكثير من الرواة غير الشيعة الذين رووا أحاديث النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الإمام الصادق عليه السلام، مثل إسماعيل بن زياد المشهور بالسكوني، وهو ثقة عند الشيعة[٣] ورواياته منقولة في كتبهم.

٣ ـ وضع الغلاة للحديث وموقف الصادقَين عليهما السلام منه

يُعتبر ظهور الغلاة في فترة زمنية معيّنة ـ ومن ثمّ استغلال السلطات الحاكمة لوجود هذه الطائفة إعلامياً ـ من أهمّ المواضيع التي تحتاج إلى الدراسة والتحقيق في تاريخ

١. التوبة: ١٢٢.

٢. *معاني الأخبار* للصدوق: ص١٥٧.

٣. انظر: *عدّة الأصول* للطوسي: ج١، ص١٤٩.

الشيعة.

وترجع أُصول الغلاة إلى عصر الإمام علي عليه السلام، ولكنّ تأثيرهم في الجانب الفكري والثقافي جاء في زمن الصادقَين عليهما السلام، وكان الغلاة قد نسبوا أنفسهم إلى الشيعة وتخفّوا في أوساطهم، وسمّوا ما وضعوه ـ كذباً على الأئمّة عليهم السلام ـ حديثاً، وحاولوا تسميم التراث الشيعي بأكاذيبهم.

وقد تصدّى الأئمّة عليهم السلام لمواجهتهم فتبرّؤوا منهم بشكلٍ صريح ولعنوهم وطردوهم[١]، وهذا الموقف يبطل دعوى خصوم الشيعة في عدّ الغلاة منهم وكون عقائدهم هي عقائد الشيعة.

وتتلخّص مواقف الأئمّة عليهم السلام في مواجهة هذه الطائفة بنقاطٍ ثلاث:

أ) التبرّؤ من الغلاة

فقد اتّخذ الأئمّة عليهم السلام موقفاً واضحاً من الغلاة، ونهوا شيعتهم عن التواصل مع الغلاة مهما كان نوع هذا التواصل، وقاموا بطرد رؤسائهم ولعنهم، مثل: المغيرة بن سعيد، وأبو الخطّاب وغيرهما[٢].

ب) تنقية الأحاديث

كان كلام الغلاة يُعرض على الأئمّة عليهم السلام، ومن ثمّ يقومون بنقده وطرحه وبيان فساده، وهكذا حُذفت مجموعة كبيرة من موضوعات ومكذوبات الغلاة التي كانت تُنسب إلى التراث الحديثي للشيعة، وبهذا صار الحديث الشيعي نقيّاً وخالياً من شوائب الغلاة.

ج) وضع مقاييس للحديث المقبول

فبعد دخول كلام الغلاة إلى تراث الحديث الشيعي، قام الأئمّة عليهم السلام بوضع مقاييس ومعايير للتمييز بين المحتوى الصحيح وغير الصحيح للأحاديث.

---

١. انظر: *الخصال* للصدوق: ص٥٢٩، ح٣؛ *بحار الأنوار* للمجلسي: ج٣، ص٢٩٤، ج٢٥، ص٢٦٥.

٢. انظر: *تهذيب الأحكام* للطوسي: ج١، ص٣٤٩، ح١٠٢٦.

وتُستخدم هذه المعايير حالياً في علم نقد الحديث، مثل: معيار مخالفة أو موافقة الحديث للكتاب والسنّة، وغير ذلك من المعايير.

٤ ـ حجم وطبيعة التراث الحديثي الذي تركه لنا الصادقان عليهما السلام

إنّ المتأمّل في الموروث الحديثي للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، يجد كمّاً هائلاً من الروايات قد دوّن في هذه الفترة، ويجد أيضاً أنّ تلك الروايات قد تناولت موضوعات مختلفة لم تقتصر على بابٍ معيّنٍ من أبواب المعرفة، نذكر قسماً منها:

أ) تفسير القرآن الكريم

إضافة إلى تأكيد الصادقَين عليهما السلام على قراءة القرآن الكريم وتدبّره ونهيهما عن التفسير بالرأي[١]، قاما عليهما السلام بتفسير الآيات القرآنية وبيان مصاديقها وتأويلها.

ب) الفقه

ويمكن القول: بأنّ معظم الروايات الواردة من عصر الصادقَين عليهما السلام، هي الروايات الفقهية، وقد نشأ ذلك من أسباب متعدّدة، من قبيل: المكانة المتميّزة التي يحتلّها الفقه في حياة المسلم، حيث تتوقّف عليه معرفة الأحكام الشرعية التي هي محلّ ابتلاء جميع المسلمين.

وبروز فقهاء من أهل العامّة كانوا يستخدمون مناهج غير صحيحة في استنباط الأحكام الشرعية، مضافاً إلى أنّ كثيراً من أصحابهم كانوا من أهل الفقه: كزرارة، ومحمّد بن مسلم وغيرهم.

وقد أدّى اختلاف كثير من الناس إلى الأئمّة عليهم السلام إلى تثبيت دعائم الفقه عند الشيعة، إلى درجة أنّ كبار علماء أهل السنّة، مثل: أبو حنيفة وشريك (قاضي الكوفة)، كانوا

---

١. انظر: *الكافي*: ج٨، ص٥٣، ح١٦، ص٣١١، ح٤٨٥.

يرجعون إلى رواة الشيعة العلماء مثل محمّد بن مسلم، في كثير من المسائل وفي مثل هذا الجوّ العلمي.

قال الإمام الباقر عليه السلام لأبان بن تغلب: «**اجلس في المدينة وافتِ الناس، فإنّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك**»[١].

ج) العقائد وعلم الكلام

إنّ اتّساع رقعة المناطق الواقعة تحت سيطرة المسلمين وتعرّفهم على الثقافات غير الإسلامية من جانب، وترويج ثقافة الحكومة الأمويّة من جانبٍ آخر، أدّى إلى ظهور الكثير من الشبهات التي تصدّى لها هذان الإمامان عليهما السلام دفاعاً عن المعارف الإسلامية الحقّة[٢].

وتُعد مواضيع مثل: صفات الباري، القضاء والقدر، الإرادة الإلهيّة، الإمامة والتأكيد على كونها ثابتة بالنصّ، جزءاً من أحاديثهما العقائدية[٣].

د) أُصول الفقه

إنّ لبيان القواعد العامّة للاستنباط وتعليم طريقة الاجتهاد مكانة خاصّة في أحاديث الصادقَين عليهما السلام.

فقد روي عن الصادق عليه السلام: «**إنّما علينا أن نُلقي إليكم الأُصول وعليكم أن تفرّعوا**»[٤].

وقد تمّ استنباط الكثير من القواعد الأُصولية العامّة من خلال أحاديثهما عليهما السلام.

---

١. *وسائل الشيعة*: ج ٣٠، ص ٢٩١.

٢. انظر: *الكافي*: ج ١، ص ١٠٠ ـ ١٠٧.

٣. انظر: *كمال الدين وتمام النعمة* للصدوق: ص ١٤.

٤. *وسائل الشيعة*: ج٢٧، ص ٦١، ح٣٣٢٠١.

هـ) التاريخ والسيرة

حينما نطالع التاريخ والسيرة من منظار أهل البيت عليهم السلام، نجد لها طابعاً ولوناً شيعياً يبيّن عظمة وقدسية النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

ولابدّ من الالتفات إلى أنّ طول مدّة الحكم الأموي ومن بعده الحكم العبّاسي الظالم، وعدم الدقّة في نقل الأحداث التاريخية قد أدخلَ كثيراً من الأحاديث الموضوعة إلى كتب التاريخ والسيرة.

ونظراً للظروف المساعدة التي كانت موجودة في عصرهما، قام الصادقان عليهما السلام برواية التاريخ وسيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وبيّنا فيه الكثير من الحقائق التاريخية.

مثلاً كان الإمام الباقر عليه السلام قد حضرَ واقعة عاشوراء في كربلاء، فوصل إلينا من طريقه عليه السلام بعض الروايات التي تحكي عن واقعة عاشوراء[١].

و) الأخلاق والدعاء

من الملاحظ وجود الوصايا والمواعظ الأخلاقية على مدى جميع العصور، إلاّ أنّ صبغة الثقافة الاجتماعية في هذه الوصايا بارزة بشكل أكبر في أحاديث الصادقَين عليهما السلام.

وقد جهّز الإمام الصادق عليه السلام أصحابه بسلاح الأخلاق والدعاء، وزيّنهم بها في فترة راج فيها التصوّف في أوساط أهل السنّة.

والأدعية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام أكثر من الأدعية الواردة عن الإمام السجّاد عليه السلام، إضافة إلى كثير من أدعية الأئمّة السابقين عليهم السلام، ومنها: ***الصحيفة السجّادية*** التي وصلت إلينا بواسطته عليه السلام.

المرحلة الثالثة: عصر ما بعد الصادقَين عليهما السلام

يبدأ عصر ما بعد الصادقَين عليهما السلام من سنة (١٤٥هـ)، وينتهي في بداية الغيبة الصغرى سنة

---

١. انظر: *الإمامة وأهل البيت* لمحمّد بيومي مهران: ج٣، ص١٧.

(٢٦٠هـ)، وهو يختلف بشكلٍ واضح عن عصر ما سبقه، وقد عاش في ذلك العصر خمسة من الأئمّة الأطهار عليهم السلام. وسوف نتناول في هذا الدرس عدّة مطالب ترتبط بهذا العصر:

١ ـ طبيعة الأوضاع في عصر ما بعد الصادقَين عليهما السلام

من الأُمور التي تساعدنا على فهم مراحل تاريخ الحديث المتداخلة هو: دراستنا للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في ذلك العصر.

أ) الأوضاع السياسية

في عصر ما بعد الصادقين سيطر بنو العبّاس سيطرة كاملة على المجتمع الإسلامي، وقد واجه الأئمّة عليهم السلام ضغوطات شديدة في تلك الفترة التي بلغت (١١٥ سنة)، ونالوا شتّى أصناف الأذى من حكّام الدولة العبّاسية، من السجن والحصار والمراقبة، حتّى استشهدوا جميعاً بالسمّ عليهم السلام.

ب) الأوضاع الاجتماعية

من الأُمور المتميّزة في ذلك العصر هو إزدياد عدد الشيعة وتوسّع مناطق وجودهم وانتشارهم، ولم تعد محدودة بالكوفة، بل تعدّت إلى مناطق أُخرى، مثل: قم، طبرستان، خراسان، بغداد، مصر، اليمن، وغيرها، وتحسّن وضع الشيعة الاقتصادي بتحسّن الوضع الاقتصادي العامّ، فقد كانت الكثير من الأموال من قبيل الخمس وغيره تُجبى إلى الأئمّة عليهم السلام، ممّا أدّى إلى إيجاد نظام الوكالة[1].

ج) الأوضاع الثقافية

ويمكن إجمالها ضمن النقاط التالية:

- انتظام التراث الشيعي واتّضاح معالمه.
- تحوّل تدوين الحديث من الأُصول الأربعمئة إلى الكتب ذات التقسيم

---

١. انظر: *الرسائل العشر* للطوسي: ص١٦ مقدّمة المحقّق.

الموضوعي، ومن ثمّ تحوّلت إلى الجوامع الحديثية[١].

- ترسّخت ـ بأمرٍ من الأئمّة عليهم السلام أنفسهم ـ ثقافة الرجوع إلى علماء الشيعة، لكي تقوم مقام الرجوع إلى الأئمّة عليهم السلام، من أمثال: زكريا بن آدم، وأبي بصير الأسدي، وغيرهما[٢].
- كثرة المدوّنات الحديثية عن الأئمّة عليهم السلام.
- ظهور كتب المسائل والاحتجاجات والأبحاث الكلامية للأئمّة عليهم السلام وأصحابهم.
- ظهور بعض العلوم الحديثية، مثل: علم الدراية، وعلم الرجال.
- ازدياد مسألة عرض الأحاديث على الأئمّة عليهم السلام.

٢ ـ طرق نشر الحديث في عصر ما بعد الصادقَين عليهما السلام

نظراً للضغوط والمضايقات الحاصلة من قِبَل حكومة بني العبّاس من جهة، واتّساع مجال الحديث من جهةٍ أُخرى، تغيّرت طريقة نشر الأحاديث وأُضيفت إليها طُرق أُخرى، وهي كما يلي:

أ) الأسئلة

كان أُسلوب السؤال عن الأُمور الفقهية وغيرها رائجاً بين المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولكن منذ عصر الصادقَين عليهما السلام تغيّرت نوعية الأسئلة لتكون أسئلة ذات متخصصة ودقيقة

فقد كتب عدد من أصحاب الأئمّة عليهم السلام وعلماء الشيعة كتباً بعنوان المسائل، مثل: زكريا بن آدم، ومحمّد بن سليمان الرازي، وهارون بن مسلم، ويعقوب بن يزيد، ويعقوب بن إسحاق وغيرهم.

وأشهر هذه الكتب هو ما ألّفه علي بن جعفر رضي الله عنه الأخ الأصغر للإمام الكاظم عليه السلام بما

---

١. انظر: *الأُصول السّتة عشر من الأُصول الأوّلية*: ص١٧ مقدّمة المحقّق.

٢. انظر: *مستدرك سفينة البحار*: ج٤، ص٨٠.

يُعرف باسم *مسائل علي بن جعفر*، ويحتوي الكتاب على مجموعة من الأسئلة الموجّهة من قِبله إلى أخيه الإمام الكاظمعليه السلام في عدد من الأبواب الفقهية.

ب) المكاتبات

ظهرت المكاتبات في عصر الإمام الصادقعليه السلام، وانتشرت بشكلٍ أكبر في عهد الإمام الكاظم وبقية الأئمّةعليهم السلام، وقد ظهرت الرسائل المباشرة من قِبلهمعليهم السلام إلى أصحابهم، مثل: علي بن يقطين، وحسين بن مختار وغيرهما.

ج) الوكالة

استبدل الأئمّةعليهم السلام الرجوع إليهم بالرجوع إلى علماء الشيعة، كما هو الحاصل في عصر الغيبة، وذلك لصعوبة الاتّصال المباشر مع الأئمّةعليهم السلام لبعد المسافة، فقاموا عليهم السلام بتنصيب أشخاص معينين في كلّ منطقة، يقومون بالإجابة عن الأسئلة والفصل في القضايا الواردة والحُكم فيها[١]، وإيصال أسئلة الناس إلى الإمامعليه السلام، ومن ثمّ إرجاعها إلى الناس[٢].

د) الاحتجاجات والمناظرات

الاحتجاجات والمناظرات أُسلوب آخر من الأساليب التي اتّخذها الأئمّةعليهم السلام لنشر الحديث، وقد استُخدم في عصر الإمام الرضاعليه السلام، في عهد المأمون العبّاسي.

وكذلك استُخدم في عصر الإمامين الجواد والهاديعليهما السلام؛ وذلك لكثرة الشبهات حول صغر سنّهماعليهما السلام، على أنّه قد استُخدم هذا الأُسلوب في حياة بقية الأئمّةعليهم السلام أيضاً، وقد قام الشيخ الطبرسيرحمه الله بجمع هذه المناظرات في كتابه *الاحتجاج*[٣].

٣ ـ الحديث في عصر الإمام الكاظمعليه السلام

أدّى وجود مدرسة الحديث التابعة للإمام الصادقعليه السلام ـ والتي كان عدد الحاضرين فيها

---

١. انظر: *مستدرك سفينة البحار*: ج ٤، ص ٨٠.

٢. *إثبات الوصية* للمسعودي: ص ٢٦٢؛ وانظر أيضاً: *سازمان وكالت* (فارسي) لمحمّد رضا جبّاري.

٣. انظر: *الاحتجاج*: ج ٢، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٧.

ما لا يقلّ عن (٩٠٠) شخص في مسجد الكوفة فقط[١] ـ إلى ازدهار مجال الحديث والمعارف الإسلامية في عصر الإمام الكاظم عليه السلام، ومع أنّه عليه السلام قد قضى أيّاماً صعبة في عهد الخليفتين العبّاسيين: المنصور، وهارون، إلاّ أنّه مع ذلك قد نُقل عنه عليه السلام أكثر من ألفي حديث.

وبما أنّ الرواية عن الإمام بذكر اسمه بشكل صريح كانت لها عواقب وخيمة، فقد ذكر اسم الإمام عليه السلام بالكناية في هذه الروايات، مثل: أبو الحسن وهي الكنية المشهورة للإمام الكاظم عليه السلام، والعالم، وأبو إبراهيم، والعبد الصالح، وغيرها.

وتناولت الروايات الواردة عنه عليه السلام أبواباً ومواضيع متعدّدة، نذكر منها ما يلي:

أ) الفقه

ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام في باب الفقه يعادل (٦٠٪) من الروايات الواردة عنه عليه السلام، وهذا يبيّن لنا رواج المسائل الفقهية في ذلك العصر، ودقّة أصحاب الأئمّة عليهم السلام، وخصوصاً في باب الفقه.

ب) العقل

إنّ خطاب الإمام الكاظم عليه السلام المطوّل الذي خاطبَ به هشام بن الحكم حول العقل والاستدلال العقلي كان خطاباً رائعاً وشاملاً لجميع الجوانب في هذا الموضوع، ويحتوي هذا النصّ القيّم على بيان منزلة العقل في نظام المعرفة الإنسانية، وكيفية طريقة الاستدلال بالقرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام في هذا الموضوع.

وقد استدلّ الإمام الكاظم عليه السلام في هذه الرواية بأربعين آية من آيات القرآن الكريم[٢].

ج) العقائد

أدّى انتشار الأبحاث الكلامية حول الحقّ سبحانه وتعالى وصفاته، وحول النبوّة

---

١. انظر: *رياض المسائل* للسيّد علي الطباطبائي: ج١، ص١٨.

٢. *الكافي*: ج١، ص ١٣ ـ٢٠، ح١٢؛ *تحف العقول*: ص٣٨٣ ـ ٤٠٣.

والإمامة، وغيرها من الأبحاث، إلى صدور أحاديث عن الإمام الكاظمعليه السلام حول هذه المسائل لتبيين الحقّ فيها.

د) المواعظ

وردت عن الإمام الكاظمعليه السلام مواعظ وأحاديث أخلاقية تشكّل بمجموعها (١٠٪) ممّا ورد عنهعليه السلام.

٤ ـ الحديث في عصر الإمام الرضاعليه السلام

يعتبر عصر الإمام الرضاعليه السلام من أكثر العصور التي شهدت أحداثاً مهمّة، فبدأت إمامتهعليه السلام في سنة (١٨٣هـ)، متزامنة مع وزارة البرامكة الذين كانوا من أعداء الشيعة، وبعد هلاكهم عام (١٨٨هـ) توفّرت الفرصة المناسبة لتحرّكهعليه السلام.

وما يهمّنا هنا في تاريخ الحديث عند الشيعة هو البحث في النقاط التالية:

أ) معرفة الآثار المهمّة لتواجد الإمام الرضاعليه السلام في خراسان في أواخر عام (٢٠٠هـ).

وهي كما يلي:

أوّلاً: نشر التراث الحديثي الشيعي

كانت خراسان ـ والتي تشمل: سمرقند، وأفغانستان، وخراسان الحالية ـ أحد أهم مراكز نشر الحديث عند أهل السُنّة، ثمّ انتشر الحديث الشيعي بدخول الإمام الرضاعليه السلام إلى هذه المنطقة، والناس الذين كانوا يذهبون إلى المدينة والكوفة لسماع الحديث من أهله شرعوا بالسفر أيضاً إلى خراسان؛ لأجل أخذ الحديث عن الإمام الرضاعليه السلام.

ويمكن القول بأنّ آثار تواجد الإمام الرضاعليه السلام في المجتمع السنّي واضحة جدّاً، إلى درجة أنّ عدد أحاديثهعليه السلام في موسوعات أهل السُنّة أكبر من عدد أحاديث الصادقينعليهما السلام فيها.

ويعتبر بعض علماء أهل السنّة، ومنهم أحمد بن حنبل أنّ إسناد أحاديث الإمام

الرضاعليه السلام من أحسن الأسانيد الموجودة في كتب الحديث[١].

ثانياً: انتشار الأحاديث العقائدية بين عامّة الناس

إنّ تواجد الإمام الرضاعليه السلام في خراسان وقيامه بالمناظرات التي كان يعدّها الخليفة العبّاسي الماكر المأمون، كان له الأثر في انتشار الأحاديث العقائدية بين عامّة الناس، وكذلك له الأثر في ترسيخ عقيدة النصّ على الإمامة، بحيث قُبلت إمامة الإمامين الجواد والهادي رغم صغر سنّهماعليهما السلام، ولم يحدث أيّ انقسام في أوساط الشيعة حول ذلك.

ثالثاً: تحوّل إيران إلى مقرٍّ للشيعة

إنّ تواجد الإمام الرضاعليه السلام واستشهاده في خراسان، أدّى إلى أن تكون إيران محطّ أنظار الشيعة، حيث قام أبناء الأئمّةعليهم السلام ـ الذين كان معظمهم من العلماء ورواة الحديث الشريف ـ بزيارات متعدّدة لقبره الشريف، فتحوّل ذلك المكان إلى مقرٍّ للشيعة، وتحوّلت بعض المُدن مثل «قم» إلى مُدن شيعية خالصة.

ب) التراث الحديثي للإمام الرضاعليه السلام

جمع الشيخ عزيز الله عطاردي في كتابه ***مسند الإمام الرضا***عليه السلام حوالي ألفين حديث مروية عن طريقهعليه السلام، في أبواب متنوّعة نشير إلى بعضها:

أوّلاً: الأحاديث العقائدية

تعتبر الروايات الواردة في باب التوحيد وخصوصاً صفات الباري(عزّ وجلّ) وعدم رؤيته وأحاديث الإمامة، من هذا النوع.

أمّا أحاديث الإمامة الواردة عن الإمام الرضاعليه السلام ـ والتي يصل عددها إلى (٥٠٠) حديث ـ فهي أكثر من الروايات الواردة عن الإمام الصادقعليه السلام[٢].

---

١. انظر: *الخصال*: ص٥٣.

٢. انظر: *مسند الإمام الرضا*: ج١، ص٨٨ ـ ٤٨.

ثانياً: الأحاديث الفقهية

ورد عن الإمام الرضاعليه السلام ما يقارب (١١٠٠) حديث فقهي، واكتسبت هذه الأحاديث أهمّية كبيرة؛ نظراً لحضور عدد كبير من الرواة المتميزين في مجلسه الشريف، من أمثال: ابن أبي عمير، والبزنطي وغيرهم.

ثالثاً: الأحاديث التفسيرية

إنّ الأسئلة التي كان يوجّهها العامّة للإمام الرضاعليه السلام، ومن ثمّ إجابته المبرهنة بالآيات القرآنية، أدّت إلى ظهور الأحاديث التفسيرية وتبيين مصاديق الآيات القرآنية، وتشكّل هذه المجموعة مقدار (١٠٪) من أحاديث الإمام الرضاعليه السلام، وتوجد بعض النصوص القيّمة الواردة عنهعليه السلام تبيّن جامعية وشمول أحاديثه لكثير من أبواب العلوم والمعارف الإسلامية[١].

ج) الكتب المنسوبة إلى الإمام الرضاعليه السلام

نُسبت إلى الإمام الرضاعليه السلام ثلاثة كتب هي: ***صحيفة الإمام الرضا، وفقه الرضا، وطبّ الرضا***.

وصحيفة الإمام الرضاعليه السلام هي المشهورة والمعتبرة من بين تلك الكتب الثلاثة، وموجودة في كتب القدماء، وقد شرحها الشيخ فضل الله الراونديرحمه الله، ولها نسخ قديمة معتبرة.

٥ ـ الحديث في عصر الأئمّة المتأخّرين (الجواد والهادي والعسكري) عليهم السلام

أخذت الأحاديث والمعارف الإسلامية شكلها النهائي في عصر الأئمّة المتأخّرينعليهم السلام، فقد قام أصحاب الإمامين الكاظم والرضاعليهما السلام، وعلماء الشيعة في ذلك العصر بتدوين وترتيب الأحاديث، وازدادت مجالس الحديث وتأسّست المدارس لذلك، واتّضحت المسائل الاعتقادية وخصوصاً الإمامة، وتبيّنت بشكلٍ واضح في عهد الإمام الرضاعليه السلام،

---

١. انظر: *تحف العقول*: ص٤١٥ ـ ٤٥١.

وسلّم جمهور الشيعة وعلماؤهم بإمامة الإمام الجواد عليه السلام وهو في سنّ السابعة، وإمامة الإمام الهادي عليه السلام وهو في سنّ الثامنة، لذلك لم تحصل أيّ اختلافات أو انقسامات في أوساط الشيعة.

ولأنّ الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام الحسن العسكري عليهم السلام كانوا تحت رقابة الحكومة، بل كانوا محاصرين من قبلها، أدّى ذلك إلى قلّة الأحاديث المنقولة عنهم عليهم السلام بشكلٍ ملحوظ.

فعدد الأحاديث الواردة عن كلّ واحد منهم عليهم السلام ما يقارب (٤٠٠) حديث، أي إنّ مجموع الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام ما يقارب (١٢٠٠) حديث فقط، وفي المقابل ازدادت كمّية الروايات المكتوبة عنهم عليهم السلام في رواياتهم بنسبة تقارب (٣٠ إلى ٤٠ ٪) وهي نسبة تفوق نسبة الروايات المكتوبة الواردة عن الأئمّة السابقين عليهم السلام، وقد جاءت هذه الروايات من خلال أسئلة بعض خواصّ الأصحاب أو العلماء.

وتشكّل الروايات الفقهية حوالي (٣٠٪) من الروايات الواردة عن الإمام الجواد عليه السلام، بينما تقلّ هذه النسبة في روايات الأئمّة عليهم السلام الذين تأخروا عنه.

ومن النشاطات الملحوظة للأئمّة عليهم السلام في تلك الفترة: تبيين العقائد الحقة، والوقوف أمام أفكار الغلاة ومحاربتها، وهو ما نشاهده في بعض الأدعية والزيارات، وخصوصاً الزيارة الجامعة، كما تمّ في هذه الفترة تدوين بعض المجاميع الحديثية على يد بعض أصحاب الأئمّة عليهم السلام، مثل: يونس بن عبد الرحمن، وابن أبي عمير، ثمّ تكاملت هذه المجاميع على يد الحسين بن سعيد، فقام بترتيبها على أساس نظرته الخاصّة في تدوين الروايات، ثمّ أخذ بتدوين الأحاديث بشكلٍ جميل ومتناسق، فجعلها في ثلاثين باباً من أبواب الفقه، ويُسمّى مجموع كتابه ***بالثلاثين***، وقد استُخدمت طريقته في التأليف والتبويب وانتشرت بين الفقهاء.

ومن جملة الرواة المشهورين في ذلك العصر هم: السيّد عبد العظيم الحسني، وعلي بن مهزيار، وأبو هاشم الجعفري، وإبراهيم بن هاشم، وغيرهم.

ثانياً: عصر الغيبة

هو العصر الذي غاب فيه الإمام الثاني عشر المهدي عن الأنظار. وتميّز هذا العصر بوجود العلماء والفقهاء، ويشتمل على مرحلتين:

المرحلة الأُولى: الغيبة الصغرى

كان من آثار ونتائج انتشار الثقافة الشيعية الخاصّة بتلقّي وتعلّم العلوم والمعارف الإسلامية الشيعية هي: تواصل الناس مع الوكلاء (السفراء) بشكلٍ مستمرّ في عصر الغيبة الصغرى، ظهور أُسلوب المكاتبات والتوقيعات، الرجوع إلى علماء الدين بدلاً من الرجوع المباشر للإمام.

وفي تلك الفترة فقدت مدرسة الكوفة الحديثية رونقها وازدهارها تدريجياً، كما ازدهرت في المقابل مدرسة قم الحديثية[1]، وهاجر كثير من العلماء من أمثال: إبراهيم بن هاشم، والبرقي من الكوفة إلى قم، وانتقلت معهم المعارف الحديثية إلى حيث انتقلوا، وخضعت هذه المعارف لقوانين مدرسة قم الحديثية. وازدهرت مدرسة قم الحديثية بشكلٍ كبير بين عامي (٢٠٠هـ) و(٤٠٠هـ)، وبلغت في عام (٣٠٠هـ) في أوج ازدهارها.

وأُلّفت في هذه الفترة كتب مهمّة، مثل: ***المحاسن، الكافي، كتاب من لا يحضره الفقيه***. وقد بدأت مدرسة بغداد بالنموّ والازدهار في تلك الفترة أيضاً، ومن عوامل ذلك الازدهار: تجمّع الشيعة بالقرب من ضريحي الإمامين الكاظم والجواد، وسكنوا أطراف تلك المنطقة، وكذلك وجود النوّاب الأربعة للإمام المهدي في بغداد، وهو ما أدّى إلى تثبيت المجتمع الشيعي في تلك المنطقة وتوسّع وجوده، وهذا الأمر كان له الأثر الكبير في تاريخ التشيّع في بغداد، وانتشار المذهب فيها.

ولا يخفى أنّ للإمام الغائب المنتظر وكلاء كثيرين غير السفراء الأربعة، كانوا يقطنون في بغداد والكوفة وقم، وغيرها من مناطق العراق وإيران، إلاّ أنّ السفراء منزلتهم

١. انظر: *رياض المسائل*: ج١، ص٢٧؛ *رسائل ومقالات* لجعفر السبحاني: ص٩٢.

أعلى، وهم النوّاب وأساتذة الفقه والدرس، عنهم تأخذ الشيعة، وهم الطريق إلى الإمام وبابه[١].

والنوّاب الأربعة هم السفراء من قِبَل الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجّل الله فرجه في زمن غيبته الصغرى، الذين خرجت في حقّهم توقيعات من الناحية المقدّسة بسفارتهم، وهم على التوالي:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري السمّان رحمه الله، من وكلاء الإمام المهدي والهادي والعسكري عليهم السلام، وقد خرج التوقيع من الإمام الحجّة بسفارته.

٢ ـ محمّد بن سعيد العمري رحمه الله، المتوفّى سنة (٣٠٥هـ)، كان وكيلاً من قِبَل الإمام العسكري والحجّة عليهما السلام.

٣ ـ الحسين بن روح النوبختي رحمه الله، المتوفّى سنة (٣٢٦هـ)، وقد خرج التوقيع بسفارته في زمن سفارة محمّد العمري.

٤ ـ على بن محمد السمري رحمه الله، المتوفّى سنة (٣٢٩هـ)، وقد خرج التوقيع بسفارته في زمن الحسين بن روح، وبوفاة السمري تنتهي السفارة وتبدأ الغيبة الكبرى.

والجدير بالذكر أنّ مدرسة بغداد لم تتكامل إلاّ في عصر الشيخ المفيد رحمه الله، ذلك العالِم النابغة الشيعي العظيم والذي له فضل كبير على جميع الشيعة، وتطوّرت في عصره مدرسة بغداد الحديثية واتّضحت معالمها وبانت خصائصها وتأثيرها.

المرحلة الثانية: الغيبة الكبرى

أ) الأوضاع الاجتماعية والثقافية للعالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجري:

أُصيبت الحكومة العبّاسية بالضعف في القرن الرابع الهجري، وقامت الثورات الداخلية في مناطق متعدّدة من البلاد الإسلامية، إذ تمرّد كثير من الولاة المنصّبين من قِبَل الحكومة

---

١. *الكليني والكافي*: لعبد الرسول الغفّار: ص٧٥.

العبّاسية، واستقلّوا بالمناطق الواقعة تحت نفوذهم، بحيث لم يعد للخليفة العبّاسي من الخلافة إلاّ الاسم، وتقلّص نفوذه، واقتصر على بغداد وما حولها، واستولى السامانيون على خراسان، والفاطميون على مصر وما حولها، واستولى الحمدانيون على الموصل، وأخذ آل بويه بزمام السلطة في إيران، وسيطروا على مناطق الوسط والجنوب منها، وقد توسّعت سلطتهم تدريجياً داخل العراق حتّى شملت عاصمة الخلافة بغداد.

وكان الخليفة العبّاسي لعبة في أيدي آل بويه من عام (٣٣٤هـ) إلى عام (٣٤٤هـ)، وهو عام سقوط حكومتهم في بغداد، وكان آل بويه في هذه الفترة ينصّبون أيّ خليفة شاؤوا، فإذا سخطوا عليه قاموا بعزله، بل كانوا يقومون بتعذيبه أو رميه في السجن أحياناً أُخرى. وكانوا قد عيّنوا للخليفة العبّاسي راتباً قليلاً يُدفع له في فترة معيّنة.

كما قام آل بويه بنشر الثقافة الشيعية وآداب الشيعة ورسومهم، ففي زمن معزّ الدولة عام (٣٥٢هـ) أُعلن يوم عاشوراء يوم عزاء بشكلٍ رسمي ويوم عطلة عامّة، واتّشحت المدينة بالسواد، وعمّت مظاهر العزاء كلّ مكان تحت حكومتهم، وفي نفس تلك السنة أُعلن الاحتفال بعيد الغدير، وأُقيمت الاحتفالات العامّة بتلك المناسبة.

تلك الأجواء الثقافية الشيعية الجديدة، جعلت الشيعة يبذلون جهداً كبيراً في نشر العلوم والمعارف الشيعية وتنمية تلك الثقافة. وقد هيّأ الوزراء العلماء، مثل: شابور بن أردشير، والصاحب بن عُبّاد (رحمهما الله) الأرضية لنشر الثقافة وخصوصاً الثقافة الشيعية.

وقد ثبت بالتجربة أنّه حينما تُتاح الفرصة لعلماء الشيعة، فإنّهم يثبتون جدارتهم في مجال نشر الثقافة الإسلامية، وفي تلك الفترة وصلت الثقافة الإسلامية إلى أوج ازدهارها، ومن العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة: الشيخ المفيد، الشيخ الطوسي، السيّد المرتضى، السيّد الرضي، ابن سينا، الخوارزمي، الصاحب بن عبّاد، وغيرهم.

كما أدّى تأسيس المكتبات العملاقة إلى انتشار الثقافة الإسلامية، فقد كانت مكتبة شابور بن أردشير تحتوي على (٨٠) ألف كتاب، كثير منها كُتب بخطّ المؤلّف أو بخطّ

النسّاخ المشهورين، ومكتبة السيّد المرتضى كانت تضم نفس العدد أيضاً[١] (من النادر أن يوجد هذا العدد من الكتب في إحدى المكتبات في عصرنا الحاضر).

وكان من الألطاف والأنعام الإلهيّة ظهور شخصية علمائية عبقرية في عالَم التشيّع وهو الشيخ المفيد رحمه الله (ت ٤١٣هـ) في بغداد.

وقد استطاع الشيخ المفيد ـ بسبب قدرته العلمية ومباحثاته ومناظراته الكلامية مع جميع المذاهب والفِرق ـ أن يحوِّل المجتمع الشيعي من مجتمع منزوٍ ومعزول إلى مجتمع يملك الغلبة المذهبية، وقد اثبت الشيخ(رضي الله عنه) تفوّقه العلمي على جميع علماء دار الخلافة، وأدّى احترام آل بويه للشيخ المفيد إلى احترام ما يقوله أيضاً.

ولا توجد شخصية علمائية شيعية بذلت مجهوداً عظيماً في استخراج قواعد علمية دقيقة في الفكر الشيعي كالشيخ المفيد رحمه الله، لذا فقد تطوّرت الحوزة الشيعية في زمانه بشكلٍ كبير في شتّى المجالات العلمية، ولا زلنا نستفيد من ثمار تلك الجهود المبذولة في ذلك العصر إلى يومنا هذا.

وحضر تشييع جنازة الشيخ المفيد رحمه الله ما يقارب (٨٠) ألف شخص، ولم يسبق أن حضر مثل هذا العدد في تشييع جنازة قبل ذلك التاريخ[٢]، وتعتبر تلك الفترة فترة ازدهار وعلوّ الثقافة الشيعية. وقد نُسب إلى الشيخ المفيد مؤلّفات تتجاوز أكثر من (٢٥٠) مؤلّف[٣].

وكُتبت في تلك الفترة كتب مهمّة، منها: ***كتاب مَن لا يحضره الفقيه***، ***التهذيب***، ***الاستبصار***، ***نهج البلاغة***، ***الإرشاد***، وكتب أخرى كثيرة، وفي تلك الفترة قام الشيخ الطوسي رحمه الله بإعطاء الفقه الشيعي مظهراً جديداً متطوّراً يحوي بداخله التفريعات الكثيرة للمسائل الفقهية والتي تلبّي احتياجات ذلك العصر.

كما استطاع الشيخ الطوسي حلّ كثير من مشاكل التعارض الظاهري بين الروايات،

---

١. انظر: *روضات الجنّات*: ص٣٨٣.

٢. انظر: *أوائل المقالات*: ص٢٤٦ مقدّمة المحقق.

٣. انظر: *المسترشد* للطبري: ص٨٤.

وذلك في كتابيه: *التهذيب*، و*الاستبصار*.

وقام كتاب *رجال النجاشي*، وكتاب *فهرست الطوسي* بالتعريف بعلماء الشيعة ورواتهم ومصنّفاتهم، وفي تلك الفترة أيضاً ألّف ابن النديم كتابه المشهور *الفهرست*، وأورد فيه أسماء المؤلّفات الشيعية والسنّية.

وقام ابن سينا بتطوير علمي الطبّ والفلسفة، وإيصالهما إلى مستويات علمية رفيعة، ولكن للأسف الشديد لم تستمرّ هذه الفترة طويلاً، حيث أدّت الخلافات الحاصلة بين حكّام آل بويه المتأخّرين إلى تضعيف حكومتهم وخروج المناطق التي كانت تحت حكمهم عن سيطرتهم تدريجياً لتنتقل السلطة إلى الحكّام المحلّيين في تلك المناطق، وخصوصاً السلاجقة.

وفي نهاية الأمر استطاع السلاجقة السيطرة على بغداد، كما حصلوا على تأييد الخليفة العبّاسي لهم، وبعد سقوط آل بويه ساءت الأُمور كثيراً بالنسبة إلى الشيعة، وفي حريق بغداد المشهور سنة (٤٤٨هـ)، احترقت جميع الأحياء الشيعية في الكرخ، واحترقت مكتبة الشيخ الطوسي، ومكتبة شابور بن أردشير الكبيرة أيضاً[١].

ب) الحديث بين القرنين العاشر والثاني عشر

للحديث ما بين القرنين العاشر والثاني عشر منزلة خاصّة في تاريخ إيران الإسلامي وتاريخ الشيعة، حيث توجد أربع فترات هامّة جدّاً في تاريخ حديث الشيعة:

١ ـ عصر الصادقَين عليهما السلام.

٢ ـ القرن الرابع والنصف الأوّل من القرن الخامس.

٣ ـ القرن الحادي عشر والثاني عشر.

٤ ـ عصر الثورة الإسلامية.

وليس غرضنا هنا المطالعة والبحث في تاريخ الدولة الصفوية وسياستها، فالأسئلة من

---

١. انظر: *معالم المدرستين*: ج١، ص٢٦٢؛ *أعيان الشيعة*: ج٧، ص٣٢٦.

قبيل: مَن هم الصفويون؟ وماذا فعلوا؟ أسئلة ومواضيع تتمّ الإجابة عنها وتتناول بالنقد والتحليل في مكانٍ آخر، ولكن ما نريد قوله هنا: إنّ العصر الصفوي كان أرضية مساعدة لترويج ونشر الثقافة الشيعية، واستغلّ الكثير من العلماء تلك الفرصة وقاموا بأداء أعمال مهمّة أساسية في مجال الحديث.

وقد أدّى تأسيس دولة شيعية قوية إلى ازدياد الحركة العلمية للعلماء وأنشطتهم الثقافية، كما تمّ تأسيس العديد من المدارس، وازدادت حركة التعليم وارتقت الثقافة العامّة للناس.

وازدهر هذا العصر بوجود علماء مثل: المحقّق الكركي، والشيخ البهائي، والملاّ صدرا، والملاّ محسن فيض الكاشاني، والشيخ الحرّ العاملي، والميرداماد، والمجلسي الأوّل، والعلاّمة المجلسي، ومئات العلماء الآخرين، الذين صنّفوا في عدّة علوم، مثل: الفقه والحديث والفلسفة وغيرها، ولا زال العلماء إلى يومنا هذا يستفيدون من تلك الكتب.

ولاقى الحديث وعلومه اهتماماً خاصّاً ذلك هذا العصر، واتُخذت خطوات مهمّة في تلك الفترة بالنسبة لمجال علوم الحديث، ويمكننا تقسيم الإنجازات التي تحقّقت في هذا المجال كما يلي:

أوّلاً: نسخ الكتاب وزيادة نسخه

من المعلوم أنّ الشيعة كانوا يعانون من اضطهاد أعدائهم، فلم تتح لهم الفرصة لنشر معارفهم وعلومهم وثقافتهم بحرّية. وأدّت هذه الظروف والأوضاع إلى الحدّ من انتشار الحديث والمعارف الشيعية بين عامّة الناس، وأدّى الاضطهاد ومن ثُمّ التقية إلى اختفاء وفقدان عدد من النسخ الخطّية لكُتب الحديث، وكم من كتابٍ قد أُحرق على أيدي الكثير من المتعصّبين من مخالفي الشيعة، فقام الكثير من أصحاب الكتب بإخفاء كتبهم في منازلهم خوفاً من هجوم الحكومة الظالمة عليهم، فلم تصل إلى مَن بعدهم.

وحين وجد العلماء في عهد الصفويين الفرصة سانحة لنسخ الكتب، قاموا بنسخها واشتغلوا به، ممّا أدّى إلى إحياء كثير من الكتب المغفول عنها.

فلو راجعنا فهارس النسخ الخطّية لكتب الحديث، نلاحظ وجود فارق كبير بين هـذين القرنين والقرون السابقة لها، وفي تلك الفترة كـان العلمـاء ينـسخون مـا يعثـرون عليـه مـن الكتب الشيعية، فكانت توضع في المكتبات لتُحفظ من الضياع.

وقد كان للعلاّمة المجلسي ووالده(رحمهم الله) الدور الكبير في هذا المجال، حيـث يقـول المجلسي الأوّلﷺ: «يوجد في هذه المدينة شخصان أو ثلاثة ممّن لـديهم كتـب حـديث في مكتباتهم لم يطّلع عليها أحد، مع أنّنـا الآن فـي عـام (١٠٦٦هـ) وقـد مـضى مـا يقـارب أربعين سنة منذ أن بدأتُ في جمع الكتب، حتّى صارت كلّ مكـتبة تحتوي على أكثر من نسخة لكلّ كتاب... وأشكر الله سبحانه وتعالى إذ إنّ كثيراً من الطلاّب والـفضلاء يقضون معظم أوقاتهم في تعلّم الحديث الشريف».

وقد خُصّصت بعض الأوقاف ووضعت تحت تصرّف المرحوم المجلسيﷺ؛ ليستعين بها على عمله في نسخ كتب الحديث[1]، حيث ساعد هذا المجهود الكبير ـ والعمل الشاقّ والدؤوب بلاشكّ ـ في تهيئة كثير من مصادر الموسوعة الكبيرة ***بحار الأنوار***.

وقام المجلسي الأوّلﷺ بإحياء ***الصحيفة السجّادية***، ووزّع عدداً من نسخها على جميع مناطق إيران، وتكمن أهمّية وقيمة عمل العلاّمة المجلسي والآخـرين فـي ضـبطه ونـسخه للنسخ الخطّية الصحيحة والموثوق بها، إذ إنّ النسخ التـي اعتمـد عليهـا ***البحـار*** تعتبـر مـن أحسن النسخ المتوفّرة للكتاب المنسوخ.

ثانياً: الموسوعات الحديثية

اتّخذت خطوات مهمّة في تدوين الموسوعات في تلك الفترة، فالموسوعات الحديثية الشيعية، مثل: ***الوافي***، ***ووسائل الشيعة***، ***وبحار الأنوار*** كلّها كُتبت فـي تلـك الفتـرة، وكـان العلماء سابقاً يراجعون الكتب الأربعة لاستخراج الأحكام الفقهية، إذ لم يكن هناك كتاب حديثي فقهي جامع في العصور السابقة.

---

١. *اللوامع* للصاحبقراني: ج٨، ص٣.

وقام المرحوم الفيض الكاشانيرحمه الله بجمع الكتب الأربعة بشكلٍ جميل في كتابه ***الوافي***، وكان كتابه ذا صبغة فقهية (٩٠٪ من أحاديث الكتاب في مجال الفقه).

أمّا الشيخ الحرّ العامليرحمه الله فقد قام بجمع الأحاديث الفقهية من أكثر من (٨٠) كتاباً حديثياً في كتابه الخالد ***وسائل الشيعة***، والذي لا يزال لحدّ الآن من أهمّ المصادر الحديثية التي يراجعها الفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية.

وقام العلاّمة المجلسيرحمه الله بعملٍ جبّار في كتابه ***بحار الأنوار***، فهي أوّل مرّة تؤلّف فيها موسوعة حديثية غير فقهية تحتوي على مواضيع تاريخية.

ثُمّ جاء المرحوم البحراني بعد العلاّمة المجلسي، وألّف موسوعة ***عوالم العلوم***، وهي أوسع من ***البحار***، وهناك مؤلّفات حديثية أُخرى كثيرة.

ثالثاً: الشروح والتأليف في مجال فقه الحديث

من أهمّ ما قام به العلماء في ذلك العصر كتابة الشروح على الأحاديث، ويجب التذكير هنا بأنّه وللأسف لم يكن قبل ذلك العصر شروح أو تحليل للأحاديث غير الفقهية، حتّى بعض الكتب المعتبرة والمهمّة مثل ***الكافي*** لم تكن لها شروح تُذكر.

يقول المرحوم الميردامادرحمه الله في مقدمة كتابه ضمن مدحه للكلينيرحمه الله وكتابه ***الكافي***: «لم يتهيّأ لأحدٍ من العلماء والفقهاء والعقلاء والحكماء من عصر تصنيفه إلى زمننا هذا ـ والمدّة سبعمئة سنة ـ أن يتعاطى حلّ غوامضه وشرح مغامضه ويتفرّغ لتفسير مبهماته»[1].

وللمجلسي الأوّلرحمه الله شرح على ***كتاب مَن لا يحضره الفقيه*** باللغتين العربية والفارسية، ويُسمّى شرحه باللغة العربية بـ«**روضة المتّقين**».

وكذلك قام الفيض الكاشانيرحمه الله بشرح الأحاديث في كتابه ***الوافي***، وكذلك الملاّ صدرا ـ الفيلسوف والمفكّر الكبير ـ له شرح على ***أُصول الكافي***، وكذلك الملاّ صالح المازندرانيرحمه الله له شرح مشهور على ***أُصول الكافي*** أيضاً.

---

١. *الرواشح السماوية*: ص٢٤ مقدّمة المؤلّف.

وفي القرن الحادي عشر أُلّف ما يقارب (٣٠) شرحاً لعدّة أجزاء من كتاب *الكافي*.

وقد قام العلاّمة المجلسي رحمه الله بتأليف كتاب *مرآة العقول* في شرح كتاب *الكافي*، وألّف كتاب *ملاذ الأخيار* في شرح كتاب *تهذيب الأحكام*، ويعتبر كتاب *بحار الأنوار* أوسع وأشمل كتاب لشرح الأحاديث بشكلٍ عام، وفي هذا العصر ظهرت عدّة شروح *للصحيفة السجّادية*، منها: شرح السيّد علي خان المدني الشيرازي رحمه الله (في سبعة مجلّدات)، وسمّاه «**رياض السالكين**».

رابعاً: التفسير بالمأثور

يعتبر القرن الحادي عشر الهجري، قرن الظهور البارز للتفسير بالمأثور (التفسير الروائي)، وأدّى انتشار فكرة تفسير القرآن بالروايات إلى ظهور مؤلّفات جديدة في هذا المجال، ويعتقد المجلسي الأوّل رحمه الله بأنّ كلّ ما أُشكِل فهمه من القرآن الكريم فهو يحتاج إلى تفسير، ولا يمكن تفسيره إلاّ من خلال الروايات.

واشتهر في ذلك العصر أربعة تفاسير روائية مهمّة، وهي:

أ) *تفسير الصافي*: تأليف الفيض الكاشاني رحمه الله (ت ١٠٩١هـ)، وكذلك ملخّصه باسم *الآصفى*.

ب) *تفسير البرهان*: تأليف السيّد هاشم البحراني رحمه الله (ت ١١٠٩هـ) ويحتوي على معظم الروايات التفسيرية (مع كون الكثير من الروايات الواردة في هذا الكتاب ضعيفة).

ج) *تفسير نور الثقلين*: تأليف عبد علي بن جمعة العروسي رحمه الله (ت ١١١٢هـ)، وهو من أحسن ما كُتب في التفسير الروائي، وقد مدح العلاّمة الطباطبائي هذا التفسير.

د) *تفسير كنز الدقائق*: تأليف الميرزا محمّد المشهدي رحمه الله (ت ١١٢٥هـ)، والثلثان الأخيران من هذا التفسير وتفسير *نور الثقلين* متساويان ولا يوجد بينهما أيّ فارق.

خامساً: الترجمة

تعتبر نهضة الترجمة من أهمّ أحداث القرن الحادي عشر، فقبل ذلك العصر كانت أحاديث الأئمّة عليهم السلام والمعارف الإسلامية منحصرة بالعلماء وطلاّب العلوم الدينية، وكانت

النصوص العلمية تُكتب باللغة العربية، ولم يكن الناس يتلقّون المعارف الدينية إلاّ من خلال المحاضرات والخطب، والتي لم تكن لها ثمرة علمية تُذكره.

ولكنّ التأليف والكتابة باللغة الفارسية ـ ونشر المعارف الإسلامية بلغة سهلة يفهمها الناس ـ أدّت إلى تعرّفهم على هذا المنهل العلمي، وتُعتبر مؤلّفات: الملاّ محسن فيض الكاشاني، والشيخ البهائي، والمجلسي الأوّل، والعلاّمة المجلسي(رحمهم الله) المكتوبة بالفارسية في مقدّمة هذه المؤلّفات والكتب.

فكتاب ***جامع عبّاسي*** المشهور لمؤلّفه الشيخ البهائي رحمه الله، وقد كتبه باللغة الفارسية، ويشبه هذا الكتاب الرسالة العملية ***توضيح المسائل***، وترجم المجلسي الأوّل رحمه الله كتاب ***اللوامع*** للصاحبقراني في ضمن شرحه ***لكتاب مَن لا يحضره الفقيه***، كما أنّ أكثر من نصف مؤلّفات العلاّمة المجلسي مكتوبة باللغة الفارسية ومعظمها ترجمة للأحاديث، ومن ضمنها: ترجمة عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر، وتوحيد المفضّل، والزيارة الجامعة، ودعاء كميل، ودعاء السمات، وشرح دعاء الجوشن الكبير، وغيرها.

وقد انتشرت هذه المؤلّفات في حياة العلاّمة المجلسي رحمه الله بشكلٍ كبير، وقد تحدّث عنها أحد طلاّب العلاّمة المجلسي وهو المير محمّد صالح خاتون آبادي رحمه الله قائلاً: «من النادر أن تجد في المدن الشيعية بيتاً يخلو من أحد المؤلّفات المكتوبة بالفارسية للعلاّمة المجلسي رحمه الله».

سادساً: علوم الحديث

انتشرت العلوم الحديثية أيضاً من قبيل: علم الرجال، والدراية في ذلك العصر وأُلّفت في هذا المجال عدّة كتب في مواضيع مختلفة، وكتب الميرداماد رحمه الله حاشيته على ***رجال الكشّي***، وألّف ***الرواشح السماوية*** والتي يبحث الجزء الأوّل منها في علوم الحديث.

وقام الشيخ البهائي رحمه الله بكتابة أصغر وأجمل رسالة في علم مصطلح الحديث، وسمّاها ***الوجيزة***، وكذلك ألّف كتاب *مشرق الشمسين*.

وقد أُلّفت عدّة كتب رجالية في هذا العصر، ويعتبر المرحوم الأسترآبادي رحمه الله في

الطليعة لكتابته ثلاثة كتب رجالية، وألّف كثير من العلماء الآخرين في علم الرجال، مثل: العلاّمة المجلسي، ويعتبر ***جامع الرواة*** لمؤلّفه محمّد بن علي الأردبيلي رحمه الله من أحسن ما كُتب في معرفة طبقات الرواة في ذلك العصر.

ويعتبر القرنان الحادي عشر والثاني عشر عصر ظهور المؤلّفات والمعارف الحديثية بشتّى أنواعها.

الأسئلة

١ ـ ما المقصود من تاريخ الحديث؟

٢ ـ ما هي أهمّية التعرّف على تاريخ الحديث؟

٣ ـ ما هي أهمّ فوائد التعرّف على تاريخ حديث الشيعة؟

٤ ـ اذكر ثلاث مميزات امتاز بها تاريخ الحديث عند الشيعة؟

٥ ـ هل أثّرت فترة منع تدوين الحديث على رواية الحديث الشيعي؟

٦ ـ ما هو الحديث الحجّة عند الشيعة؟

٧ ـ عبر أيّ وسيلة كان النبي صلى الله عليه وآله يُشجّع على الحديث والتحديث؟

٨ ـ يُطلق لقب المحدَّثة على فاطمة الزهراء، إلى ماذا يشير هذا اللقب؟

٩ ـ بماذا تميّز الإمام علي عليه السلام عن باقي الصحابة فيما يتعلق بحديث النبي صلى الله عليه وآله، فضلاً عن مقام الإمامة والعصمة؟

١٠ ـ أيّ من الكتب أو الرسائل الصادرة عن الإمام علي عليه السلام اعتُبرت ميثاقاً للحكومة الإسلامية على مدى العصور؟

١١ ـ لماذا لم يصلنا من الامامين الحسن والحسين عليهما السلام إلاّ القليل من الأحاديث؟

١٢ ـ لماذا يُعتبر عصر الإمام السجّاد عليه السلام من أصعب العصور التي مرّت على أئمّة أهل البيت عليهم السلام؟

١٣ ـ ما هي العوامل التي ساهمت في ازدهار الحديث في عصر الصادقَين عليهما السلام؟

١٤ ـ اذكر أهمّ الإنجازات التي قام بها الصادقان عليهما السلام في مجال الحديث؟

١٥ ـ ما هي أهمّ الأوضاع السياسية في عصر الصادقَين عليهما السلام؟

١٦ ـ اذكر حجم وطبيعة التراث الحديثي الذي تركه لنا الصادقان عليهما السلام؟

١٧ ـ ما هي الأُمور التي تساعدنا على فهم طبقات تاريخ الحديث المتداخلة في عصر ما بعد الصادقَين عليهم السلام؟

١٨ ـ ما هي أهمّ طرق نشر الحديث في عصر ما بعد الصادقين عليهم السلام.

١٩ ـ لماذا قلّت رواية الأحاديث عن الأئمّة الجواد والهادي والعسكري؟

٢٠ ـ ما هي أهمّ الآثار المهمّة لتواجد الإمام الرضا في خراسان في أواخر عام (٢٠٠هـ).

٢١ ـ كيف كان أثر تواجد الإمام الرضا في خراسان وقيامه بالمناظرات التي كان يعدّها المأمون؟

٢٢ ـ ما هي التغييرات التي جرت على الحوزات في الكوفة وبغداد وقمّ في الفترة من (٢٠٠هـ) إلى (٤٠٠هـ)؟

٢٣ ـ متى اكتملت مدرسة بغداد الحديثية، وبجهود أيّ العلماء؟

٢٤ ـ تكلّم باختصار عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجري؟

٢٥ ـ ما هو دور الشيخ المفيد في الفكر الإسلامي؟

٢٦ ـ ما هي المميزات التي امتاز بها العصر الصفوي؟

٢٧ ـ ما هي الإنجازات التي تحقّقت في مجال علوم الحديث بين القرنين العاشر والثاني عشر؟

(٤)

مصادر الحديث

- **المدخل**
- **المبحث الأوّل: الكتب الأربعة**
- **المبحث الثاني: الجوامع الحديثية «الوافي، الوسائل، البحار».**
- **المبحث الثالث: الجوامع الحديثية المعاصرة ومصادر أُخرى.**

المدخل

في بادئ الأمر علينا أن نعلم بأنّ الأحاديث الشريفة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام في زمن صدورها، كانت منبثّة منتشرة بين رواتها، وقد حفظها الرواة بطريقتين:

أ) كانوا يحفظون الأحاديث على ظهر القلب ويحدّثون بها عن حِفظِهم.

ب) كانوا يقيّدونها ويثبّتونها في أجزاء وأُصول؛ خشية الضياع والتلف، حتّى اجتمع للشيعة من تلك المدّونات ما يزيد على ستّة آلاف وستمئة كتاب[1].

ومن ضمن تلك الكتب التي دُوّنت أربعمئة كتاب، عُرفت بـ«الأُصول الأربعمئة»، التي صنّفها علماء الإمامية منذ عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد الإمام العسكري عليه السلام.

وقد كان بعضها مبوّباً مرتّباً، ككتاب إبراهيم بن محمّد بن أبي يحيى الأسلمي في الحلال والحرام، عن الإمام الصادق عليه السلام.

ومعظم تلك الكتب قد اندرست ولم تصل إلينا، بعدما أُودعت أحاديثها في الكتب المشهورة موزّعة على الأبواب والمواضيع المختلفة، وهي أربع كُتب عُرفت فيما بعد بالكتب أو الأُصول الأربعة، فاستُغني بهذه المصنّفات عن تلك الأُصول الأربعمئة. وتلت الكتب الأربعة جملة من الجوامع الحديثيّة ومصادر حديثيّة متفرّقة، وكلّها من المصادر

---

١. انظر: *أعيان الشيعة* للسيّد محسن الأمين: ج١، ص١٠٣.

المهمّة للحديث.

وسوف نتكلّم عنها تِباعاً في هذا الدرس والدروس المقبلة إن شاء الله تعالى من خلال ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأوّل: الكتب الأربعة.

المبحث الثاني: الجوامع الحديثيّة.

المبحث الثالث: جوامع حديثية معاصرة ومصادر اُخرى.

المبحث الأوّل: الكتب الأربعة

ومرادنا من الكتب الأربعة: هي تلك الأُصول التي تحتوي على جملة من الأحاديث المرويّة عن النبيﷺ وأهل بيته المعصومين﷨، وذلك في الفترة ما بين القرن الثالث الهجري وحتّى القرن الخامس الهجري، وهذه الكتب الأربعة هي: ***الكافي، كتاب من لا يحضره الفقيه، التهذيب***، و***الاستبصار***. ومؤلّفو هذه الكتب هم أشهر من دوّن الحديث، ويُسَمَّون: المحمّدين الثلاثة، وهم:

١ ـ محمّد بن يعقوب الكليني.

٢ ـ محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي.

٣ ـ محمّد بن الحسن الطوسي.

فقد كان لهم دور بارز ومتميّز في جمع شتات الأحاديث، وتدوين موسوعاتهم الحديثيّة، فجمعوا كتبهم الأربعة وضمّنوها ما انتقوه من الأُصول الموروثة من السلف، ورتّبوها وهذّبوها وبوّبوها، فسهّلوا لِروّاد العلم الوقوف على السنن المأثورة عن المعصومين﷨، وعبّدوا بذلك الطريق للفقهاء في عملية استنباط الأحكام الشرعيّة.

وسوف نتطرّق إلى هذه المصادر ومؤلّفيها في ثلاثة فصول:

أوّلاً: كتاب «الكافي» ومؤلّفه الشيخ الكليني

أ) الشيخ الكليني

١ ـ من هو الشيخ الكليني؟

هو الإمام الحافظ الحجّة الثبت ثقة الإسلام مجدّد المذهب على رأس المئة الثالثة؛ أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازيّ البغدادي، عطّر الله تعالى مثواه، وجعل الفردوس مستقرّه ومأواه، صاحب كتاب *الكافي* المشهور، والذي يُعدّ من أعظم وأهمّ الجوامع والدواوين الحديثيّة لدى الشيعة.

٢ ـ مولده ورحلاته في طلب العلم

وُلد في قرية كُلَيْن من توابع بلدة الري، في بيت جليلٍ طيّب الأصل، أخرج عدّة من أفاضل رجالات الفقه والحديث، منهم خاله «عَلاّن»[١].

وقد بدأ بأخذ العلم وطلب الحديث في قريته ومسقط رأسه، ثمّ بعد أن استوعب ما عند مشايخها من الحديث رحل إلى الري، فتلقّى العلم من مشايخها، واكتملت ثقافته هناك حتّى أصبح شيخ الشيعة ووجههم فيها.

لم يقتصر الإمام الكليني في الرحلة والطلب على ذلك، بل رحل إلى قم وسمع من مشايخها، كأحمد بن إدريس، وسعد بن عبد الله الأشعريّ، وعليّ بن إبراهيم بن هاشم، ومحمّد بن الحسن الصفّار، ومحمّد بن يحيى العطّار، وغيرهم.

كما وسمع من شيوخ سمرقند ونيسابور وهمدان وقزوين وأذربيجان وبغداد والكوفة، وغيرها من البلدان.

٣ ـ وفاته

تُوفّي في شهر شعبان من سنة (٣٢٩هـ)[٢]، وصلّى عليه نقيب الطالبيّين ببغداد الشريف

---

١. انظر: *الكافي*: ج١، ص١٣، مقدّمة حسين عليّ محفوظ؛ *الفوائد الرجالية* للسيد بحر العلوم: ج٣، ص٧٩ ـ ٨٣.

٢. انظر: *رجال النجاشي*: ج٢، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨، الرقم ١٠٢٦؛ *رجال الطوسي*: ص٤٣٩، الرقم ٦٢٧٧.

محمّد بن جعفر الحسني المعروف بأبي قيراط، ودفن هناك، وقبره الآن موجود في المدرسة الآصفية ببغداد، وقد تعرّض للهدم والبناء أكثر من مرّة، وفي إحداها نُبش القبر فوُجد الشيخ الكليني وكأنّه دُفن قبل ساعات ومعه ميّت صغير كأنّه ولده، ممّا حملت هذه الكرامة الوالي العثماني ـ الذي كان قد أمر بالهدم ـ على تشييد القبر وبناء قُبّة عليه[١].

٤ ـ أقوال بعض العلماء فيه

كلمات المدح والإطراء وعبارات التبجيل والثناء على هذا الإمام كثيرة، نقتصر على نزرٍ يسير منها:

- قال النجاشي: «شيخُ أصحابنا في وقته بالري ووجهُهم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم»[٢].
- قال الشيخ الطوسي: «ثقةٌ عارف بالأخبار»[٣].
  وقال أيضاً: «جليل القدر عالم بالأخبار»[٤].
- قال السيّد رضي الدين ابن طاووس: «الشيخ المتّفق على ثقته وأمانته»[٥].
- قال شيخ الإسلام الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني: «شيخ عصره في وقته، ووجه العلماء والنبلاء، كان أوثق الناس في الحديث وأنقدهم له وأعرفهم به»[٦].

٥ ـ مؤلّفاته

للإمام الكليني مؤلّفات غير *الكافي* ذكرها كلّ من ترجم له، لكن من المؤسف حقّاً أنّه

١. انظر: *الفوائد الرجالية*: ج٣، ص٣٣٥ ـ ٣٣٦؛ *لؤلؤة البحرين*: ص٣٩٢؛ *روضات الجنّات*: ج٦، ص١١٧.

٢. *رجال النجاشي*: ص٣٧٧، الرقم ١٠٢٦.

٣. *الفهرست* للشيخ الطوسي: ص٢١، الرقم ٦٠٢.

٤. *رجال الطوسي*: ص٤٣٩، الرقم ٦٢٧٧.

٥. *كشف المحجّة لثمرة المهجة*: ص١٥٨.

٦. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار*: ص٨٥

لا يوجد اليوم شيء منها، ولا يُعلم عن مصيرها، وهي:

- كتاب *الردّ على القرامطة*.
- كتاب *رسائل الأئمّة* عليهم السلام.
- كتاب *تعبير الرؤيا*.
- كتاب *الرجال*.
- كتاب *ما قيل في الأئمّة* عليهم السلام *من الشعر*.

ب) أوّل الكتب الأربعة كتاب «الكافي»

١ ـ مكانة «الكافي» عند علماء الشيعة

وأمّا الجامع *الكافي* فهو آخر مصنّفات هذا الإمام العظيم، وقد اتّفق علماء الطائفة على عِظَم شأن هذا الكتاب وجلالة حال مؤلّفه وعلوّ قدره ومنزلته، كيف لا، وقد جمع فنون العقائد والأخلاق والآداب والفقه من أوّله إلى آخره؟ ومع ذلك كلّه فإنّ أحاديثه تخضع للنقد والتمحيص طبقاً للقواعد المقرّرة، شأنه في ذلك شأن سائر كتب الحديث.

- قال الشيخ المفيد: «هو من أجلّ كتب الشيعة، وأكثرها فائدة»[١].
- قال الفيض الكاشاني: «أشرفها وأوثقها وأتمّها وأجمعها؛ لاشتماله على الأُصول من بينها، وخُلوّه من الفضول وشَينها»[٢].
- قال شيخ الإسلام المجلسي: «أضبط الأُصول وأجمعها، وأحسن مؤلّفات الفرقة الناجية وأعظمها»[٣].
- قال المولى محمّد أمين الإسترآبادي: «سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا أنّه لم يُصنَّف

١. *تصحيح اعتقادات الإمامية* للشيخ المفيد: ص ٧٠.

٢. *الوافي*: ج ١، ص ٥، ط أصفهان.

٣. *الكافي*: ج ١، ص ٢٧ مقدّمة المحقّق.

في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه»[١].

٢ ـ سبب تأليف «الكافي»

لقد كان سبب التأليف هو استدعاء بعض رجالات الشيعة، حيث سأله أن يكون عنده كتابٌ كافٍ يجمع من فنون عِلم الدين ما يكتفي به المتعلّم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادِقين عليهم السلام[٢]، وكان قد جمع الإمام الكليني كتابه *الكافي* في مدّة عشرين سنة[٣].

٣ ـ أقسام «الكافي» وترتيبه

قسّم الشيخ الكليني كتابه *الكافي* إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة هي: الأُصول، الفروع، والروضة.

القسم الأوّل: الأُصول

فقد اشتمل على (٨) كتب، احتوت على (٤٩٩) باباً، أورد فيها (٣٨٨١) حديثاً، وهذه الكتب الثمانية هي:

العقل والجهل، فضل العلم، التوحيد، الحجّة، الإيمان والكفر، الدعاء، فضل القرآن، العِشرة.

القسم الثاني: الفروع

وقد اشتمل على (٢٦) كتاباً، فيها (١٧٤٤) باباً، بلغ مجموع أحاديثها (١١٠٢١) حديثاً، وهذه الكتب الستّة والعشرون هي:

الطهارة، الحيض، الجنائز، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحجّ، الجهاد، المعيشة، النكاح، العقيقة، الطلاق، العتق والتدبير والكتابة، الصيد، الذبائح، الأطعمة، الأشربة، الزيّ والتجمّل

---

١. *وسائل الشيعة*: ج١، ص٦٦، مقدّمة التحقيق.

٢. انظر: *الكافي*: ج١، ص٢٤ ـ ٢٥، مقدّمة المحقّق.

٣. انظر: *رجال النجاشي*: ص٣٧٧.

والمروءة، الدواجن، الوصايا، المواريث، الحدود، الديات، الشهادات، القضاء والأحكام، الأيمان والنذور والكفّارات.

القسم الثالث: الروضة

هذا القسم من *الكافي* لم يُخضِعه الإمام الكليني إلى ذلك المنهج الذي اتّبعه في الأُصول والفروع، بل ساق أحاديثه تِباعاً من غير تقسيمٍ إلى كتبٍ أو أبواب، بل جعله كتاباً واحداً، وقد احتوى على (٦٠٦) أحاديث.

وقد افتتح الإمام الكليني رحمه الله جامعه *الكافي* بكتاب العقل والجهل، حيث يقول ـ مبيّناً السبب في ذلك ـ: «وأوّل ما أبدأ به وأفتتح به كتابي هذا كتابُ العقل وفضائل العلم وارتفاع درجة أهله وعلوّ قدرهم، ونقص الجهل وخساسة أهله وسقوط منزلتهم؛ إذ كان العقلُ هو القطب الذي عليه المدار، وبه يُحتجُّ، وله الثواب وعليه العقاب»[1].

وأوّل حديث أخرَجَه في هذا الكتاب هو ما رواه بإسناده الصحيح عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لمّا خلق اللّهُ العقل استنطقه، ثمّ قال له: أقبِل فأقبَل، ثمّ قال له: أدبِر فأدبَر، ثمّ قال: وعزّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقاً هو أحبُّ إلي منك، ولا أكملتُك إلاّ فيمن اُحبُّ، أما إنّي إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وإيّاك اُعاقب، وإيّاك اُثيب»[2].

٤ ـ منهج الكليني في متون وأسانيد «الكافي»

أ) منهج الكليني في المتون

المتن لغةً: «المتن من كلّ شيء: ما صَلُبَ ظهره، والجمع متون ومِتان»[3].

المتن اصطلاحاً: قال الشهيد الثاني: «المتن: لفظ الحديث الذي يتقوّم به المعنى، وهو

---

١. *الكافي*: ج١، ص٩، مقدّمة المؤلّف.

٢. *الكافي*: ج١، ص١٠، ح١.

٣. *لسان العرب*: ج١٣، ص٣٩٨ «متن».

قول النبيﷺ، وما في معناه»[١]، أي قول الأئمّةعليهم السلام.

وإذا اتّضح معنى المتن لغةً واصطلاحاً نذكر أهمّ الأُمور التي احتوى عليها منهج الكليني في المتن، وهي:

- غالباً ما يقتصر على إيراد الأحاديث التي عقد لها الباب، ولا يُورد ما يعارضُها إلاّ قليلاً، وأحياناً يبيّن موقفه من تعارض مرويّاته.
- يلتزم بذكر متون الأحاديث الشريفة بألفاظها الواردة في الأُصول، ولا ينقلها بالمعنى.
- اشتمال بعض المتون على إيضاحات من المصنّفرحمه الله.
- قد يذكر بعض آرائه الفقهيّة والكلاميّة في كتابه هذا[٢].

وقد نُقل عن بعض الأعلام أنّه قال: «إنّ من طريقة الكليني وضع الأحاديث المخرّجة ـ الموضوعة على الأبواب ـ على الترتيب بحسب الصحّة والوضوح، ولذلك فإنّ أحاديث أواخر الأبواب في الأغلب لا تخلو من إجمال وخفاء»[٣].

ب) منهج الكليني في الأسانيد

السند لغةً: المُعتمد، يُقال فلانٌ سندٌ؛ أي معتمدٌ[٤].

السند اصطلاحاً: قال الشهيد الثاني: «والسند طريق المتن، وهو جملة من رواه، من قولهم: فلانٌ سندٌ؛ أي مُعتمد»[٥].

وإذا اتّضح معنى السند لغةً واصطلاحاً، نذكر أهمّ الأُمور التي احتوى عليها منهج الكليني في السند، وهي:

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص٥٢.

٢. انظر: *الكافي*: ج١، ص٨٥ و١١١ و١٢٢ و١٢٣ و١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ و٢٧٩.

٣. *الكافي*: ج١، ص٢٨ ـ ٢٩، مقدّمة المحقّق؛ *نهاية الدراية* للسيّد حسن الصدر: ص٥٤٥.

٤. *لسان العرب*: ج١٣، ص٢٢١ «سند».

٥. *الرعاية في علم الدراية*: ص٥٣.

١ ـ غالباً مّا يذكر في كلّ حديث جميع سلسلة السند بينه وبين المعصومعليهم السلام.

٢ ـ يسوق لبعض المتون أكثر من سندٍ، تنبيهاً على ورود ذلك الحديث من طرقٍ عديدة.

٣ ـ الدقّة والأمانة والالتزام بنقل ألفاظ رجال السند بعينها، من ذلك نقله لتردّد بعض الرواة في التحديث عن مشايخهم بلفظ: «حدّثني فلان» أو «روى فلان»، وكذلك التصريح بما أرسله بعض الشيوخ أو رفعه[1].

٤ ـ يختصر صدر السند أحياناً؛ إشعاراً بأنّ الرواية مأخوذة من كتاب مَن ابتدأ به السند، أو لحوالته على ما ذكره قريباً، وهذا في حكم المذكور، ويسمّى في اصطلاح أهل الحديث بالمعلَّق؛ لحذف صدر السند وتعليقه على سابقه.

٥ ـ يحتوي الكتاب على أنواعٍ من الأحاديث، كالعزيز والمسند والمرسل والمعنعن والموقوف والمضمر والمشهور، وغير ذلك.

تنبيه

مصطلح «عدّة من أصحابنا»

اصطلح الإمام الكليني في بعض أسانيد *الكافي* على التعبير عن جماعة من مشايخه بقوله: «عدّةٌ من أصحابنا».

وهذه العِدَد على ضربين:

- ✓ عِدَد معلومة: منها عِدّة أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعري، وعِدّة أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ، وعِدّة سهل بن زياد الآدمي.
- ✓ عِدَد مجهولة: وهي سائر العِدَد التي لم يُعلم رجال سندها.

٥ ـ ميزات وخصائص «الكافي»

- اشتماله على الثلاثيّات: وهي الأحاديث التي تُروى عن المعصومعليهم السلام بثلاث

---

١. انظر: *الكافي*: ج٦، ص ٨١، ح٨.

وسائط[١]، وقد استخرجها بعض المعاصرين وطُبعت في كتابٍ مفرد باسم ثلاثيات الكليني، وكان هذا بفضل كون ثقة الإسلام رحمه الله في عصر الغيبة الصغرى قريباً من عصر الأئمّة عليهم السلام.

- إنّ الإمام الكليني قد التزم في كتابه *الكافي* بذكر متون الأحاديث الشريفة بألفاظها الواردة، دون نقلها بالمعنى، وهذا ممّا يضفي أهمّية بالغة على كتابه، بحيث جعله أضبط المحدّثين عند علمائنا.
- قُرب عهده إلى الأُصول المُعوّل عليها والكتب المأخوذ عنها، وما فيه من دقّة الضبط وجودة الترتيب[٢].

٦ ـ نُسَخ «الكافي»

ولأهمّية هذا الكتاب عند الطائفة الإمامية وكونه من أجلّ مصنّفاتهم، فقد صرف أهل العلم منهم عنايتهم لاقتنائه، وبذلوا جهدهم في نَسخه من حين تأليفه، حتّى كثرت نُسَخه في الآفاق.

كان أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني من خواصّ تلاميذ الشيخ قدس سره، يكتب كتابه *الكافي*[٣].

وأبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عبد الله الصفواني، كان تلميذه الخاصّ به، يكتب كتابه *الكافي*، وأخذ عنه العلم والأدب، وأجاز له في قراءة الحديث[٤].

وطبعات هذا الكتاب كثيرة، ولعلّ أصحّها وأتقنها الطبعة الحديثة التي ستتبناها مؤسّسة دار الحديث الثقافية بقم المشرّفة.

---

١. انظر: *الكافي*: ج٦، ص٢٩، مقدّمة المحقّق.

٢. المصدر السابق: ج٦، ص٢٨ ـ ٢٩.

٣. انظر: المصدر السابق: ج١، ص١٩، مقدّمة المحقّق.

٤. انظر: مقدّمة المصدر السابق.

٧ ـ شروح «الكافي» وحواشيه

نظراً لمكانة هذا الكتاب العظيم عند الطائفة، عكف عليه العلماء بالشرح والتعليق، وبيان ما يحتاج منه إلى إيضاح وتبيين.

ومن أشهر الشروح على «الكافي»

أ) *مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول* صلى الله عليه وآله، شرح شيخ الإسلام العلّامة المجلسي صاحب *البحار*، وهو شرح تامّ ومطبوع.

ب) شرح المولى صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي، وهو شرح لخمسمئة حديث من اُصول *الكافي*، وهو مطبوع أيضاً.

ج) شرح المولى محمّد صالح المازندراني على قسمي الأُصول والروضة، وهو من خيار الشروح، وقد طُبع أكثر من مرّة، وقد تصدّى ولده لشرح الفروع من *الكافي*.

د) شرحان للمولى خليل بن غازي القزويني، أحدهما باللغة العربية والآخر بالفارسية.

هـ) *هدى العقول في شرح أحاديث الأُصول*، للشيخ القطيفي[١].

ومن أشهر الحواشي والتعليقات على «**الكافي**»

أ) حاشية المولى محمّد أمين الإسترآبادي.

ب) حاشية الشيخ أبي الحسن الشريف الفتوني العاملي.

ج) حاشية الشيخ أحمد بن إسماعيل الجزائري.

د) حاشيتا الشيخين عليّ الكبير وعليّ الصغير من أحفاد الشهيد الثاني.

هـ) حاشية المولى رفيع الجيلاني المعروفة *بشواهد الإسلام*.

وغيرها من الشروح والحواشي المخطوطة والمطبوعة والتي تزيد على الخمسين[١].

---

١. انظر: *الكافي*: ج١، ص٣١، مقدّمة حسين علي محفوظ.

ثانياً: «كتاب من لا يحضره الفقيه» ومؤلّفه الشيخ الصدوق

أ) الشيخ الصدوق

١ ـ من هو الشيخ الصدوق؟

هو الشيخ الأجلّ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المشتهر بالصدوق، أحد أعلام القرن الرابع، صاحب ***كتاب من لا يحضره الفقيه*** المعروف صيته.

٢ ـ مولده ونشأته

كان مولده بمدينة قم المشرّفة عام (٣٠٦هـ)، وكانت هذه الولادة المباركة بدعاءٍ من الإمام المنتظر في قصّة سائرة مشهورة[٢].

ويعتبر بنو بابويه من بيوتات القمّيين الذين ذاع صيتهم بالعلم والفضيلة، وقد كان والده ـ شيخُ القمّيين أبو الحسن عليّ بن الحسين المتوفّى سنة (٣٢٩هـ) ـ وجه الشيعة وفقيههم، مرموقاً لدى عامّة أهل قمّ، وهو صاحب كتاب ***الرسالة*** إلى ابنه أبي جعفر الصدوق، الذي ينقل عنه كثيراً في ***كتاب من لا يحضره الفقيه***.

نشأ هذا الإمام المحدّث الكبير برعاية أبيه الذي أدرك من أيّامه أكثر من عشرين سنة.

وكانت مدينة قم آنذاك مركزاً علميّاً يعجّ بالعلماء من حَمَلة الحديث، فقد قيل: إنّه كان فيها من المحدّثين مئتا ألف رجلٍ[٣].

ولم تمضِ مدّة حتّى أصبح الشيخ الصدوق آيةً في الحفظ والذكاء، يحضر مجالس الشيوخ، ويسمع منهم، ويروي عنهم، إلى أن صار ممّن يُشار إليه بالبنان.

٣ ـ رحلاته وشيوخه

بدأ الشيخ الصدوق السفر لطلب الحديث وتحمّله سنة (٣٣٩هـ)، فوصل إلى إيلاق

---

١. انظر: *الكافي*: ج١، ص٣٠ ـ ٣٤.

٢. انظر: *الفوائد الرجالية* للسيّد بحر العلوم: ج٣، ص٢٩٣.

٣. انظر: *اللوامع شرح كتاب من لا يحضره الفقيه*: ص١٤٩، ط حجرية.

وبغداد وبلخ والري وسرخس وسمرقند وطوس وفرغانه وفَيْد والكوفة ونيسابور وهمدان، وغيرها من البلدان، وأخذ الحديث عن مشايخها سماعاً وإجازةً.

ولسعة رحلاته وكثرة طلبه للحديث فقد كَثُر شيوخه من مختلف الفرق الإسلاميّة الذين روى عنهم في كتبه، وعددهم يربو على (٢٥٠) شيخاً.

وقد أكثر الرواية ـ من بين هؤلاء ـ عن والده، وعن شيخه محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمّي.

أمّا الرواة عن شيخنا الصدوق فكثيرون أيضاً، ومن أهمّهم وأشهرهم: الشيخ المفيد، الشريف المرتضى، ابن الغضائري، وهارون بن موسى التلْعُكْبريّ.

٤ ـ أقوال بعض العلماء فيه

من أقوال العلماء في حقّ هذا العالم: الفقيه والمحدّث الجليل، والتي تدلّ على سموّ مقامه وعلوّ شأنه:

- قال النجاشي: «شيخنا وفقيهنا، ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة (٣٥٥هـ)، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حَدَثُ السنّ»[١].
- قال الشيخ الطوسي: «كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، لم يُر في القمّيين مثله في حفظه وكثرة علمه»[٢].
- قال ابن طاووس: «الشيخ المتَّفَقُ على علمه وعدالته»[٣].
- قال ابن داوود: «أبو جعفر جليلُ القدر، حُفَظَةٌ، بصيرٌ بالفقه والأخبار، شيخُ الطائفة وفقيهُها ووجهُها بخراسان... لم يُرَ في القمّيين مثلُه في الحفظ وفي كثرة علمه»[٤].

---

١. *رجال النجاشي*: ص٣٨٩، الرقم ١٠٤٩.

٢. *الفهرست*: ص٢٣٧، الرقم ٧١٠.

٣. *فرج المهموم*: ص١٢٩.

٤. *كتاب الرجال*: ص١٧٩، الرقم ١٤٥٥.

٥ ـ عصره ووفاته

عاش ابن بابويه في عهد البويهيّين، الذي امتاز بالانفتاح الفكري، ونشاط وانتعاش الحركة العلمية فيه، وذلك بفضل اهتمام ولاة الأُمور بأهل العلم، وإكرامهم وتبجيلهم لهم، وكان في طليعة اُولئك الولاة ركن الدولة البويهي، فقد حَظي بصحبة كثير من العلماء، واستفاد من ملازمتهم، واستدعى إلى بلاد الري كثيراً منهم، وفي مقدّمتهم شيخُنا الصدوق، فسافر إليها وأقام بها، فالتفّ حوله ذوو العلم والفضل، فأفاض عليهم من علومه ومعارفه.

أمّا وفاته رحمه الله فقد كانت في سنة (٣٨١هـ)؛ في بلدة الري، عن عمرٍ ناهز الخمسة والسبعين عاماً. ودُفن فيها على مقربةٍ من مشهد السيّد عبد العظيم بن عبد الله الحسني.

جدّد عمارة مرقده السلطان فتحعلي شاه القاجاري حدود سنة (١٢٣٨هـ)، بعدما ظهرت له كرامةٌ شاع في الناس ذكرها، وذلك عند إصلاح قبره بعد قرون، حيث شوهدت جثّته الطاهرة مسجّاة عارية غير بادية العورة، جسيمة وسيمة، على أظفارها أثر الخضاب، وفي أطرافها أشباه الفتائل من خيوط كفنه البالية على وجه التراب[١]. فرحمه الله تعالى رحمةً واسعة، وأفاض علينا من بركاته.

٦ ـ مؤلّفاته

أمّا مؤلّفاته الأُخرى فهي كثيرة جدّاً، بلغت نحواً من ثلاثمئة مصنَّف، كما نصّ عليه شيخ الطائفة الطوسي في *الفهرست*، وعدّ منها أربعين كتاباً[٢].

وهي متنوّعة في موضوعاتها، فريدة في أبوابها، ممّا ينمّ عن مقدرة كبيرة وذوق رفيع في التأليف والتصنيف، ونذكر منها:

كتاب ***إثبات الرجعة***، كتاب ***الزيارات***، كتاب ***الفوائد***، كتاب ***إثبات المتعة***، كتاب ***الجزية***،

---

١. انظر: *روضات الجنّات*: ج٦، ص١٤٠.

٢. انظر: *الفهرست*: ص٢٣٧؛ *معالم العلماء*: ص١٤٦، الرقم ٧٦٤.

كتاب *إثبات المعراج*، كتاب *تفسير القرآن*، كتاب *التوحيد*، كتاب *علل الشرائع*، كتاب *الخصال*، كتاب *النبوّة*، كتاب *معاني الأخبار*، كتاب *الصلوات التي هي سوى الخمسين*، كتاب *فضائل الأشهر الثلاثة*، كتاب *مقتل الحسين*عليه السلام، كتاب *فضائل جعفر بن أبي طالب*، كتاب *وصف قتال الشُّراة المارقين*، كتاب *عيون أخبار الرضا*عليه السلام، كتاب *ثواب الأعمال وعقابها*، كتاب *إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الغَيبة وكشف الحيرة* وغيرها من مؤلّفات هذا المحدّث الكبير التي ذكرها أصحاب الفهارس والتراجم.

والذي يحزّ في القلب أنّه قد فُقد من كتبه الكثير، فلا يوجد في هذا الزمان عينٌ ولا أثرٌ لكثير من تلك النفائس الروائية والكنوز الحديثية، ولا سيّما كتابه الكبير الموسوم ***بمدينة العلم***، وهو أكبر من *كتاب من لا يحضره الفقيه*، وذكر ابن شهر آشوب أنّه يقع في عشرة أجزاء، ولأجل ذلك فقد عدّ بعض العلماء اُصولنا الحديثيّة خمسة، منها هذا الكتاب[1].

ب) ثاني الكتب الأربعة «كتاب من لا يحضره الفقيه»

١ ـ سبب تأليف الكتاب

إنّ *كتاب من لا يحضره الفقيه* ويُسمّى *الفقيه* اختصاراً، هو أشهر مؤلَّفات الشيخ الصدوق، وقد جمعه بطلبٍ من بعض السادة الأشراف، كما ذكر ذلك في مقدّمة الكتاب؛ إذ يقول:

«لمّا ساقني القضاء إلى بلاد الغربة وحصلني القدر منها بأرض بلخ من قصبة إيلاق، وردها شريف الدِّين أبو عبد الله المعروف بنعمة ـ وساق نسبه ـ فدام بمجالسته سروري، وانشرح بمذاكرته صدري، وعظُم بمودّته تشرّفي لأخلاقٍ قد جمعها إلى شرفه، من سِتْرٍ وصلاحٍ، وسكينةٍ ووَقارٍ، ودِيانةٍ وعَفافٍ، وتقوى وإخباتٍ؛ فذاكرني بكتابٍ صنّفه محمّدُ بن زكريّا المتطبّبُ الرازي، وترجَمه ***بكتاب من لا يحضره الطبيب***، وذكر أنّه شافٍ في

---

١. انظر: *معالم العلماء*: ص١٤٧، الرقم ٧٦٤.

معناه، وسألني أن أُصنّف له كتاباً في الفقه والحلال والحرام والشرائع والأحكام، موفياً على جميع ما صنّفتُ في معناه، وأُترجمه *بكتاب من لا يحضره الفقيه*؛ ليكون إليه مرجعُه وعليه معتمَده وبه أخذه، ويشتركَ في أجره من ينظرُ فيه، وينسَخُه ويعملُ بمودَعه... فأجبته إلى ذلك؛ لأنّي وجدتُه أهلاً له»[١].

٢ ـ ترتيب كتاب «الفقيه» وأحاديثه

صنّف المؤلّف‌رحمه‌الله هذا الكتاب ورتّبه على الأبواب الفقهيّة المعروفة، من العبادات والمعاملات والأحكام، فبدأ بباب الطهارة، ثمَّ الصلاة، الزكاة، الخمس، الصوم، الحجّ... الحدود، الديات، القصاص، الوصيّة، الوقف، الفرائض والمواريث.

كما وصنّف الأحاديث ورتّبها ضمن الأبواب الفقهيّة المذكورة كما يلي:

- في أغلب هذه الأبواب يقتصر المصنّف على إيراد الأحاديث، ولكنّه قد يذكر أحياناً في أوائل بعض الأبواب ما يكون كالفهرس لما يذكره بعد ذلك من أحاديث الأحكام، ومثاله:
  - ✓ في باب الصلوات التي جرت السُنّة بالتوجّه فيهنّ، ذكر ـ أوّلاً ـ فهرس تلك الصلوات، ثمّ أفرد لها أبواباً خاصّة بها[٢].
  - ✓ في باب وجوه الطلاق، فهرس لصور الطلاق، ثمَّ ذكر كُلاًّ من تلك الصور في باب[٣].

  وهكذا فعل في مواضع أُخرى من الكتاب[٤].
- إذا لم يجد المؤلّف‌رحمه‌الله ما يُقدّمه ليكون كالفهرس لما يليه، فإنّه يكتفي بعرض الأحاديث عرضاً يتناسب ووحدة الموضوع، مع مراعاة مناسبة الأحاديث لأبوابها،

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج١، ص٢ ـ ٣.

٢. انظر: المصدر السابق: ٢٠٧.

٣. انظر: المصدر السابق: ج٣، ص٤٩٤.

٤. انظر: المصدر السابق: ج١، ص٤٤ و١٣٩، ط دار التعارف، بيروت.

وهذا هو الأغلب في نظم الأحاديث وترتيبها.

لقد احتوى ***كتاب الفقيه*** أيضاً على أحاديث ليست بالقليلة في مجال العقيدة والحِكَم والمواعظ والأخلاق والآداب، خاصّةً باب «النوادر» الذي هو آخر أبواب الكتاب، فإنّه قد تضمّن من ذلك أحاديث طويلة وقصيرة، منها:

- ✓ الوصيّة النبويّة لأمير المؤمنين عليه السلام، والألفاظ الموجزة التي لم يُسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وآله.
- ✓ وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفيّة. وغير ذلك.

ولذا فإنّ أحاديث هذا الكتاب وإن طغت الصبغة الفقهيّة عليها، إلاّ أنّ فيها مايُصنّف ويدخل في موضوعات أُخرى، وهذا الأمر قد مكّن غير الفقهاء أيضاً من الأخذ والاستفادة من هذا السِّفر المبارك.

٣ ـ عدد أبواب وأحاديث «الفقيه»

أمّا عدد أبواب هذا الكتاب فقد أُحصيت فبلغت (٦٦٦) باباً، كما في بعض الطبعات أيضاً[١]، وفي البعض الآخر بلغت (٦٧٠) باباً[٢].

ومن جملة هذه الأبواب أبواب «النوادر»، فقد اشتمل هذا الكتاب الشريف على (١٧) باباً منها، وأكبر هذه الأبواب وأوسعها باب النوادر الذي ختم به الكتاب، فقد حوى (١٥٩) حديثاً.

والنوادر هي: الأخبار المتفرّقة التي يُشكِل جعل كلّ خبرٍ منها باباً على حِدة، كما قال محمّد تقي المجلسي[٣].

وأمّا بالنسبة لعدد أحاديث ***كتاب الفقيه***، فقد قيل: إنّها (٥٩١٣) حديثاً، المسندة منها

---

١. طبعة جماعة المدرّسين، قم.

٢. طبعة دار التعارف، بيروت.

٣. انظر: *روضة المتّقين*: ج٣، ص٤٦٣، الناشر بنياد فرهنك إسلامي.

(٣٩١٣) حديثاً، والمراسيل (٢٠٥٠) حديثاً[١].

ولكن في بعض طبعات الكتاب بلغت الأحاديث (٥٩٢٣) حديثاً[٢]، وفي بعضها الآخر بلغ عدد الأحاديث (٥٩٠١) حديثاً[٣].

ولعلّ هذه الإحصاءات في النسخ المطبوعة ليست دقيقة، لترك أحاديث لم تُرقّم، للظنّ بأنّها من أقوال الصدوق رحمه الله.

٤ ـ مصادر جمع الكتاب

وقد ذكر أبو جعفر بن بابويه في مقدّمة الكتاب المصادر التي اعتمد عليها في مصنَّفه هذا فقال:

«إنّ جميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة، عليها المعوّل وإليها المرجِع، مثلُ كتاب حريز بن عبد الله السجستاني، وكتاب عبيد الله بن عليّ الحلبي، وكتب عليّ بن مهزيار الأهوازي، وكتب الحسين بن سعيد، ونوادرِ أحمد بن محمّدِ بن عيسى، ***وكتاب نوادر الحكمة*** تصنيف محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، وكتابِ ***الرحمة*** لسعد بن عبد الله، وجامع شيخنا محمّد بن الحسن بن الوليد، ونوادر محمّد بن أبي عمير، وكتاب ***المحاسن*** لأحمد بن أبي عبد الله البرقي، ورسالة أبي، وغيرها من الأُصول والمصنّفات»[٤].

وصرّح في ضمن الكتاب بالنقل عن كتاب زياد بن مروان القندي، وكتاب عبد الله بن المغيرة، ونوادر إبراهيم بن هاشم، ***والكافي***، وغيرها.

---

١. *خاتمة مستدرك الوسائل*: ج٥، ص٤٨٧.

٢. طبعة جماعة المدرّسين، قم.

٣. طبعة دار التعارف، بيروت.

٤. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج١، ص٣ ـ ٤، مقدّمة المصنّف.

٥ ـ ميزات وخصائص «كتاب الفقيه»

أ) اشتراط الصحّة في أحاديثه

وممّا ذكره المصنّف رحمه الله في المقدّمة التزامه بما يُفتي به ويحكم بصحّته، حيث قال:

«ولم أقصد فيه قصدَ المصنّفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدتُ إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحّته، وأعتقد فيه أنّه حجّة فيما بيني وبين ربّي ـ تقدّس ذكره وتعالت قدرته ـ»[١].

وقد ناقش بعض أهل العلم في وفائه رحمه الله بهذا الشرط الذي أخذه على نفسه، فقال:

«إنّه رجع عمّا ذكره في كتابه، ولذا ذكر فيه كثيراً ممّا أفتى بخلافه، وقد يشهد له التتبّع لكتابه»[٢].

وقد تابع في حكمه على الأحاديث شيخه ابن الوليد واعتمد عليه في ذلك، كما قال في ذيل خبر صلاة الغدير والثواب المذكور فيه:

«وكلُّ ما لم يصحّحه ذلك الشيخُ ـ قدّس الله روحه ـ ولم يحكم بصحّته من الأخبار، فهو عندنا متروكٌ غيرُ صحيح»[٣].

ولكن لا يخفى أنّ هذا في الأغلب، وإلاّ فقد خالف شيخَه في جملةٍ من الموارد؛ إذ احتجّ بمرويّات بعض من استثنى ابنُ الوليد رواياتهم من كتاب *نوادر الحكمة* للأشعري.

ب) اشتماله على البيانات والتوضيحات

وممّا يلاحظ في هذا الكتاب اشتماله على بعض البيانات والتوضيحات من المصنّف رحمه الله بالنسبة لبعض الأحاديث المتضمّنة لمعانٍ دقيقة هي بحاجة إلى توضيح وبيان. وإليك جملة منها:

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج١، ص٣ ـ ٤، مقدّمة المصنّف.

٢. *جواهر الكلام*: ج٥، ص٣٠٠.

٣. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٢، ص٩٠.

- قد يكون البيان والتوضيح مسوقاً على نمط الإفتاء، ومؤيَّداً بخبرٍ آخر[١].
- غالباً مّا يكتفي بالبيان من دون ذكر شاهد له، إمّا لوضوحه في نفسه، وإمّا لإنزاله منزلة الشاهد لأخذه ذلك من الأحاديث.
- بسبب اهتمامه بغريب الحديث، فإنّه فسّر بعض الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى تفسير وإيضاح[٢].
- لم يتقيّد المؤلّف‌ رحمه الله بألفاظ الأحاديث في موارد ليست بالقليلة، فتراه:
  - ✓ يزيد أحياناً على متن الحديث؛ لأجل التوضيح والتبيين.
  - ✓ ينقص منه أحياناً اقتصاراً على ما دلّ عليه الخبر من الحكم الفقهي.

ومن هنا يتبيّن أنّ هذا الكتاب كتابُ فقهٍ معتمدٍ على الأحاديث، وليس كتاباً حديثيّاً بحتاً.

ج) اشتماله على المراسيل

مراسيل *كتاب الفقيه* كثيرة، حتّى قيل: إنّها تزيد على ثُلُث الأحاديث المورَدة فيه[٣].

وإنّ لهذه المراسيل شأناً خاصّاً عند علمائنا، فقد اعتبروها واحتجّوا بها، مع أنّ رأي جمهورهم عدم الاحتجاج بالمراسيل. وإليك أقسامها ورأي العلماء فيها:

أقسام مراسيل كتاب من لا يحضره الفقيه

القسم الأوّل: ما يقتصر فيه على ذكر المعصوم عليه السلام، كقوله: «قال رسول الله...»، أو «قال أمير المؤمنين...» وهكذا.

القسم الثاني: ما يقتصر فيه على ذكر متن الحديث، من غير نسبةٍ إلى قائله، كقوله في بعض الأحاديث: «وفي روايةٍ»، أو «وروي»، أو «وفي حديثٍ آخر»، وهكذا.

---

١. انظر: *كتاب من لا يحضره الفقيه*، ط دار التعارف، بيروت، تحقيق السيّد حسن الخراسان: ج٣، ص١٩٦ و١٩٧ و٣٠٦ و٣٢٦؛ ج٤، ص١٦٣ ـ ١٦٤.

٢. انظر أمثلتها في المصدر السابق: ج١، ص١٤٤؛ ج٣، ص٢٤٥؛ ج٤، ص١١٣ و٢٤٢.

٣. انظر: *خاتمة مستدرك الوسائل*: ج٥، ص٥٠٠.

القسم الثالث: الأحاديث التي ذكر متونها مع رواتها ولم يبيّن طرقه إليهم، كما مرّ آنفاً.

رأي العلماء في مراسيل «كتاب من لا يحضره الفقيه»

قال العلاّمة الشيخ البهائي في حاشيته على ***كتاب من لا يحضره الفقيه***:

«ينبغي أن لا يقصُر الاعتماد عليها عن الاعتماد على مسانيده، من حيث تشريكه بين النوعين في كونه ممّا يفتي به ويحكم بصحّته ويعتقد أنّه حجّة بينه وبين ربّه سبحانه...» إلى آخر كلامه[1].

قال العلاّمة الشيخ سليمان البحراني في ضمن كلامٍ له في اعتبار روايات **كتاب *الفقيه***:

«بل رأيتُ جمعاً من الأصحاب يصفون مراسيله بالصحّة ويقولون: إنّها لا تقصر عن مراسيل ابن أبي عمير، منهم العلاّمة الحلّي في ***المختلف***، والشهيد في ***شرح الإرشاد***، والسيّد المحقّق الداماد(قدس الله أرواحهم)»[2].

قال العلاّمة السيّد بحر العلوم:

«ومن الأصحاب من يذهب إلى ترجيح أحاديث ***كتاب من لا يحضره الفقيه*** على غيره من الكتب الأربعة؛ نظراً إلى زيادة حفظ الصدوق، وحسن ضبطه، وتثبّته في الرواية، وتأخّر كتابه عن ***الكافي***، وضمانه فيه لصحّة ما يورده، وأنّه لم يقصد فيه قصدَ المصنّفين في إيراد جميع ما رووه، وإنّما يورد فيه ما يفتي به ويحكم بصحّته ويعتقد أنّه حجّة بينه وبين ربّه. وبهذا الاعتبار قيل: إنّ مراسيل الصدوق في ***كتاب من لا يحضره الفقيه*** كمراسيل ابن أبي عميرٍ في الحجّية والاعتبار، وإنّ هذه المزيّة من خواصّ هذا الكتاب لا توجد في غيره من كتب الأصحاب»[3].

---

١. انظر: *خاتمة مستدرك الوسائل*: ج٥، ص٥٠٠، نقلاً عن حاشية الشيخ البهائي.

٢. المصدر السابق: ج٥، ص٥٠٢، نقلاً عن كتاب *البلغة* للشيخ سليمان البحراني.

٣. *الفوائد الرجالية*: ج٣، ص٣٠٠.

قال المولى محمّد تقي المجلسي:

«إنّه ذكر أكثر أسانيد تلك المراسيل، وإنّه أورد لكلّ خبر مرسل أخباراً مسانيد تقوّيه»[١].

د) اشتماله على الفتاوى

اشتمل ***كتاب الفقيه*** على فتاوى كثيرة. إليك مصادرها وأقسامها:

- مصادر الفتاوى
  - ✓ أغلب الفتاوى متَّخَذة من الأحاديث التي حكم المصنّف بصحّتها واعتقد حجّيتها، ولذا نُزِّلت فتاواه منزلة رواياته؛ لعدم عمله بغير النصوص المأثورة عن المعصومين عليهم السلام.
  - ✓ استند في كثيرٍ من فتاواه إلى رسالة أبيه، ونَقَل جملاً منها؛ لأنّها نصوصُ الأخبار، وإليها يرجع الأصحاب عند إعواز النصوص.
- أقسام الفتاوى
  - ✓ الفتاوى المجرّدة المذكورة في بابٍ خاصّ من دون أن يُذكر حديث معها[٢].
  - ✓ الفتاوى التي ذُكرت في أوائل الأبواب مع إتباعها بالأحاديث[٣].
  - ✓ الفتاوى المبثوثة بين الأحاديث.

هـ) بيان عِلل الأحكام

- الاهتمام البالغ من المصنّف رحمه الله بالنسبة لبيان عِلل الأحكام، ولذلك كثرت أبواب العلل في هذا الكتاب.
- روايته للأحاديث المشتملة على بيان علل الأحكام وأسبابها وحكمها.

---

١. *روضة المتّقين*: ج١٤، ص٣٥٠.

٢. انظر أمثلتها في: ***كتاب من لا يحضره الفقيه***: ج١، ص٣٠٧؛ ج٤، ص١٩٣ و٢١٤، ط دار التعارف، بيروت، تحقيق: السيّد حسن الخرسان.

٣. انظر أمثلتها في: ***كتاب من لا يحضره الفقيه***: ج١، ص٨٧ و٢٤٣؛ ج٢، ص٣٣٥؛ ج٤، ص١٩٠.

- أكثر اعتماده في ذلك على العلل التي رواها محمّد بن سنان عن الإمام الرضا عليه السلام، ورسالة العلل للفضل بن شاذان النيسابوري، وغيرهما.

٦ ـ المنهج السَنَديّ لـ«كتاب من لا يحضره الفقيه»

اتّبع الشيخ الصدوق في أسانيد كتابه هذا منهج الاختصار، وذلك بحذف الأسانيد، كما صرّح به في المقدّمة، إذ قال: «وصنّفتُ له هذا الكتاب بحذف الأسانيد؛ لئلاّ تكثر طرقه وإن كثرت فوائده»[1].

ولهذا قلّ أن تجد فيه حديثاً مسنداً، بل قيل: إنّ مجموع الأحاديث المسندة في هذا الكتاب تسعة أحاديث فقط[2].

وقد تدارك ذلك بالمشيخة التي وضعها في آخر الكتاب، وأوصل بها طرقَه إلى أغلب من روى عنهم، لكنّه رحمه الله أخلّ ببعض الطرق، فلم يذكر سنده إلى ما يزيد على مئةٍ وعشرين راوياً ممّن ذكرهم مع متون أحاديثهم، ولعلّ ذلك اعتماداً منه على فهارس الكتب الأُخرى.

ومن منهجه في الأسانيد

أ) ربمّا يورد الحديث لقوّة إسناده، وإن كان مضمونه لا يتوافق مع رأيه، كما فعل في حديث أورده في باب ميراث المماليك، فقال ـ بعد إيراده ـ: «جاء هذا الخبر هكذا، فسقته لقوّة إسناده»[3].

ب) اختياره لما صحّ من طريق الرواية، وردّه لأخبار الضعفاء، قال ـ معقّباً على بعض الأحاديث ـ:

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج١، ص٢، مقدّمة المصنّف.

٢. انظر أمثلتها في: المصدر السابق: ص٣١٥؛ ج٢، ص١٥٤ و٢١١؛ ج٣، ص٦١ و٦٢ و٦٥؛ ج٤، ص١٦٥ و٢٧٣ و٣٠١.

٣. المصدر السابق: ج٤، ص٣٤١.

«جاء هذا الحديث هكذا في رواية وهب بن وهب، وهو ضعيف، والذي أفتي به وأعتمده في هذا المعنى ما رواه: الحسن بن محبوب...»[١].

ج) ملاحظة الانقطاع والاتّصال في الأسانيد، كقوله في «باب إحرام الحائض والمستحاضة» في الاعتذار عن تقديم حديث محمّد بن مسلم على حديث عبد الله بن مسكان:

«وبهذا الحديث أفتي دون الذي رواه: ابن مسكان... لأنّ هذا الحديث إسناده منقطع، والحديث الأوّل رخصة ورحمة، وإسناده متّصل»[٢].

د) التنبيه على انفراد الراوي بالحديث، كما في باب صوم يوم الشكّ، حيث قال في حديث عبد العظيم الحسني:

«وهذا غريب لا أعرفه إلاّ من طريق عبد العظيم بن عبد الله الحسني»[٣].

٧ ـ منهج الصدوق بالنسبة للأحاديث المتعارضة

وردت في *كتاب الفقيه* جملة من الأحاديث المتعارضة، وقد عالج الشيخ الصدوق هذا التعارض بطرق مختلفة، منها:

- التصريح بضعف سند أحد الحديثين[٤].
- التصريح بوجود المعارض الأقوى[٥].
- ترك الجمع بينهما لوضوحه عنده[٦].
- الجمع بضربٍ من التأويل مع بيان شاهدٍ له من الحديث[١].

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٢، ص٣٥.

٢. المصدر السابق: ج٢، ص٣٨٣.

٣. المصدر السابق: ص١٢٨.

٤. المصدر السابق: ط دار التعارف، بيروت، تحقيق السيّد حسن الخرسان: ج٤، ص٢٥ و١٥١ و٢٢٣.

٥. المصدر السابق.

٦. انظر مثال ذلك من المصدر السابق: ج٢، ص٢٩١.

وله أساليب أُخرى لرفع الاختلاف في بعض الموارد[٢].

٨ ـ شروح كتاب «الفقيه» وحواشيه

ولهذا الكتاب طبعات عديدة، كما أنّ له شروحاً وعليه حواشٍ وتعليقات لجماعةٍ من أعلام الطائفة، ومن أشهرها:

أ) *روضة المتّقين*، شرح العلاّمة محمّد تقي المجلسي بالعربية، وهو شرح تامّ مطبوع.

ب) *اللوامع*، شرحٌ آخرُ للعلاّمة المجلسي بالفارسية.

ج) حاشيةُ سلطان العلماء الآملي.

د) *التعليقة السجّادية*، حاشية المولى مراد التفرشي.

وهناك حواشٍ أُخرى على هذا الكتاب، منها: حاشية شيخ الإسلام البهائي، وحاشية المحقّق الداماد، وحاشية الشيخ محمّد بن الحسن بن الشهيد الثاني، وغيرها.

ثالثاً: كتابا «التهذيب» و«الاستبصار» ومؤلّفهما الشيخ الطوسي رحمه الله

سنتعرّف في هذا الفصل على كتابي *التهذيب والاستبصار*، ومؤلّفهما الشيخ الطوسي، وذلك من خلال مبحثين:

أ) الشيخ الطوسي

١ ـ من هو الشيخ الطوسي؟

هو محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي ـ نسبةً إلى طوس من مدن خراسان ـ يُكْنَى بأبي جعفر، ويُلقّب بشيخ الطائفة، وبالشيخ على الإطلاق.

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٢، ص٢٩١.

٢. انظر أمثلة ذلك من المصدر السابق: ج٤، ص٩١ و١٦٤؛ ج٢، ص٥٦ و٩٠ و٣٠٩.

٢ ـ مولده ونشأته

وُلد بمدينة طوس في شهر رمضان سنة (٣٨٥هـ)، فنشأ بها نشأةً علميّةً مباركةً، وحضر على مشايخها، وبَرَع في علومٍ شتّى، وذلك في عنفوان شبابه وباكورة عمره.

ثمّ لمّا مضى من عمره ثلاثة وعشرون عاماً قَدِم إلى بغداد من خراسان سنة (٤٠٨هـ)، فحضر وتتلمذ لشيخ الأُمّة وأُستاذ علمائها الإمام المجدّد محمّد بن محمّد بن النعمان المفيدﷺ نحواً من خمس سنين، حتّى قضى الأُستاذ نحبه سنة (٤١٣هـ)، فانضوى الشيخ الطوسي إلى شريف علماء الشيعة ومحقّقها علم الهدى السيّد المرتضىﷺ، وقد أخذ عنه فنون العلم طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، حتّى اختار الله للسيّد لقاءَه سنة (٤٣٦هـ)، فاستقلّ شيخ الطائفة بالإمامة، وظهر على مِنَصّة الزعامة، وازدلف إليه العلماء والأفاضل للتلمذة والحضور تحت منبره.

لقد بلغت عدّة تلامذته إلى ثلاثمئة مجتهد من الخاصّة، ومن العامّة ما لا يحصى عددهم، حتّى أنّ الخليفة العباسي في ذلك الوقت (القائم بأمر الله) جعل له كرسي الكلام والإفادة، الذي ما كانوا يسمحون به يومذاك إلاّ لوحيد العصر المبرّز في علومه ومعارفه على قرنائه ومعاصريه[١].

٣ ـ هجرته إلى النجف الأشرف

غادرﷺ بغداد بسبب القلاقل الواقعة فيها ـ والتي أُحرقت فيها داره وكتبه وما كان له من كرسيّ الإفادة والتدريس ـ إلى النجف سنة (٤٤٨هـ)، وأسّس حول المرقد العلوي الطاهر حوزة العلم والعمل، ومكث فيها اثنتي عشرة سنةً إلى حين وفاتهﷺ[٢].

٤ ـ مشايخه في الحديث

كان الإمام أبو جعفر الطوسي من أكثر شيوخ الطائفة روايةً، وجُلّ ما تدور عليه رواياته

---

١. انظر: *تهذيب الأحكام*: ج ١، ص ٤٤، مقدّمة المحقّق.

٢. *الاستبصار*: ج ١، ص ١٧، مقدّمة المحقّق.

ما يرويه عن خمسة من مشايخه في الحديث، وهم:

- الشيخ الإمام محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد.
- الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري.
- أحمد بن عُبدون المعروف بابن الحاشر.
- أبو الحسين عليّ بن أحمد بن محمّد بن أبي جيّد القمّي.
- أحمد بن محمّد بن موسى المعروف بابن الصلت الأهوازي.

وهؤلاء الخمسة هم المعنيّون بقول الشيخ أحياناً: «أخبرنا جماعة» أو «عدّة من أصحابنا».

وهناك مشايخ آخرون من الخاصّة والعامّة أسند عنهم الشيخ رحمه الله وتكرّر ذكرهم في كتبه، منهم:

السيّد الأجلّ الشريف المرتضى علم الهدى، أبو الفتح هلال بن محمّد بن جعفر الحفّار، أبو محمّد الحسن بن محمّد بن يحيى المعروف بابن الفحّام السرّ من رائي، ابن بشران، أبو الحسن الصفّار، وغيرهم.

٥ ـ وفاته ومدفنه

وبعد أن قضى الشيخ عمره المبارك بالتدريس والإفادة والتأليف والهداية والإرشاد وبثّ الأحكام ونشرها، وافاه الأجل المحتوم ليلة الإثنين الثاني والعشرين من المحرّم سنة (٤٦٠هـ) بالمشهد المقدّس الغروي على ساكنه السلام، عن خمسٍ وسبعين سنةً، ودفن بداره هناك بوصيّةٍ منه، وأصبحت داره مسجداً يُعرف باسمه رحمه الله[١].

٦ ـ أقوال بعض العلماء فيه

لقد أثنى على شيخ الطائفة الطوسي كلّ من ترجمه، وأطروه بما هو أهله، وهذه نبذة

١. انظر: *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٤٥، مقدّمة المحقّق.

من أقوالهم فيه:

- قال النجاشي ـ وهو أقدم من ترجم الشيخ؛ لأنّه كان معاصره ـ:

«أبو جعفر جليل في أصحابنا، ثقة، عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله ـ يعني الشيخ المفيد رحمه الله ـ»[١].

- قال العلاّمة الحلّي:

«شيخ الإماميّة قدّس الله روحه، رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه، صنّف في كلّ فنون الإسلام، وهو المهذّب للعقائد في الأُصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل»[٢].

- قال الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي:

«إمام وقته، وشيخ عصره، ورئيس هذه الطائفة وعمدتها، بل رئيس العلماء كافّة في وقته»[٣].

- قال العلاّمة السيّد بحر العلوم:

«شيخ الطائفة المحقّة، ورافع أعلام الشريعة الحقّة، إمام الفرقة بعد الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وعماد الشيعة الإماميّة في ما يتعلّق بالمذهب والدين، محقّق الأُصول والفروع، ومهذّب فنون المعقول والمسموع، شيخ الطائفة على الإطلاق، ورئيسها الذي تُلوى إليه الأعناق، صنّف في جميع علوم الإسلام، وكان القدوة في كلّ ذلك والإمام»[٤].

- قال العلاّمة السيّد حسن الصدر:

---

١. *رجال النجاشي*: ص٤٠٣، الرقم ١٠٦٨.

٢. *خلاصة الأقوال*: ص٢٤٩، الرقم ٤٦.

٣. *وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار* لوالد الشيخ البهائي: ص٨٦.

٤. *الفوائد الرجالية*: ج٣، ص٢٢٨.

«إمام الفقه والحديث والتفسير والكلام، لا نظير له في كلّ علماء الإسلام، في كلّ فنون العلم، وصنّف كتباً لم يسبقه أحد في الإسلام إلى مثلها»[١].

وغيرُ ذلك من كلمات جمّة للعلماء تبيّن جوانب من شخصيته الفذّة، ومقامه الأرفع بين الطائفة.

٧ ـ مؤلّفاته

إنّ لشيخ الطائفة الإمام أبي جعفر الطوسي مؤلّفاتٍ كثيرة في شتّى العلوم والفنون، من التفسير والحديث والفقه والأُصول، وغير ذلك، نسرد هنا جملةً منها:

***التبيان في تفسير القرآن*، *المبسوط في الفقه*، *الأمالي*، *الخلاف في الفقه المقارن*، *العُدّة في الأُصول*، *كتاب الغيبة*، *النهاية في مجرّد الفتاوي*، *اختيار معرفة الرجال*، *تلخيص الشافي*، *كتاب الأبواب* المعروف *بكتاب الرجال*، *مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد*، *فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنّفين*.**

إلى غير ذلك من الكتب المتنوّعة والمفيدة في العلوم الإسلامية المختلفة[٢].

ب) كتابا «التهذيب» و«الاستبصار»

أمّا ما يتعلّق بكتابي ***تهذيب الأحكام والاستبصار في ما اختلف من الأخبار***، فحسبنا في الوقوف على مكانتهما ومزيّتهما بين سائر الكتب قولُ العلاّمة السيّد بحر العلوم:

«إنّ لهما المزيّة الظاهرة باستقصاء ما يتعلّق بالفروع من الأخبار، خصوصاً ***التهذيب***، فإنّه كافٍ للفقيه في ما يبتغيه من روايات الأحكام، مغنياً عمّا سواه في الغالب، ولا يغني عنه غيره في هذا المرام، مضافاً إلى ما اشتمل عليه الكتابان من الفقه والاستدلال، والتنبيه على الأُصول والرجال، والتوفيق بين الأخبار، والجمع بينها بشاهد النقل والاعتبار»[٣].

---

١. *تأسيس الشيعة*: ص٣٠٤ انتشارات الأعلمي.

٢. انظر: *رجال النجاشي*: ص٤٠٣، الرقم ١٠٦٨؛ *الفهرست* للشيخ الطوسي: ص٢٤٠ ـ ٢٤٢، الرقم٧١٤؛ *الفوائد الرجالية*: ج٣، ص٢٣٠ ـ ٢٣٣.

٣. *رجال السيّد بحر العلوم*: ج٣، ص٢٢٩.

أوّلاً: ثالث الكتب الأربعة كتاب «تهذيب الأحكام»

لأجل التعرّف على كتاب *التهذيب* وأهميّته لابدّ لنا من بيان أُمور:

١ ـ كتاب «التهذيب» وسبب تأليفه

أمّا كتاب *التهذيب*، فهو شرح على الرسالة المقنعة في الفقه للشيخ المفيد، وقد شرع الإمام الطوسي بتأليفه في أيّام حياة شيخه، كما هو ظاهر من قوله في جميع كتاب الطهارة، وفي موردين من أوّل كتاب الصلاة: «أخبرني الشيخ أيّده الله تعالى»، فيكون سنّه حين الشروع بهذا التأليف في حدود خمسٍ أو ستٍّ وعشرين سَنَة تقريباً[١].

وقد بدأ بشرح باب الأحداث الموجبة للطهارة، وترك ما قبل ذلك ممّا يتعلّق بالتوحيد والعدل والإمامة؛ لأنّ شرح ذلك يطول، ولأنّه ليس المقصِد بهذا الكتاب بيان ما يتعلّق بالأُصول.

والذي حمل الشيخ؆ على جمع هذا الكتاب وتأليفه، هو بيان تأويل الأخبار المختلفة والأحاديث المتنافية، ودفع ما وقع في أحاديث أصحابنا من الاختلاف والتباين والتنافي، والردّ على تشنيع المخالفين وطعنهم على المذهب بذلك[٢].

٢ ـ منهج الشيخ الطوسي في كتاب «التهذيب»

لقد بنى الشيخ الطوسي خطَّته في كتاب *التهذيب* على أُمور:

أ) يذكر الطرق والأسانيد على غاية الاختصار، ويُحيل التفصيل فيها إلى المشيخة التي وضعها في آخر الكتاب، حيث قال؆: نذكر الطُرق التي يُتوصَّل بها إلى رواية هذه الأُصول والمصنّفات، ونذكرها على غاية ما يمكن من الاختصار؛ لتخرج الأخبار بذلك عن حدّ المراسيل وتلحق بباب المسندات[٣].

ب) يذكُر كلّ مسألةٍ ذكرها شيخه المفيد في *المقنعة*.

١. انظر: *خاتمة مستدرك الوسائل*: ج٣، ص١٦٨.

٢. انظر: *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٣ ـ ٤.

٣. انظر: المصدر السابق: ج١٠، مقدّمة المؤلّف في شرح المشيخة.

ج) يستدلّ على المسألة إمّا من ظاهر القرآن أو صريحه أو فحواه أو دليله أو معناه، أو من السُنّة المقطوع بها من الأخبار المتواترة، أو الأخبار التي تقترن بها القرائن التي تدلّ على صحّتها، أو من إجماع المسلمين ـ إن كان فيها ـ أو إجماع الفرقة المحقّة.

د) يذكُر ما ورد من أحاديث الأصحاب المشهورة في ذلك، ثمّ ينظر فيما ورد ممّا ينافيها ويضادّها، ويُبيّن الوجه فيها، إمّا بتأويلٍ يجمع بينهما، أو بذِكر وجه الفساد فيها؛ إمّا من ضعف إسنادها، أو عمل العصابة بخلاف متضمَّنها.

هـ) إذا اتّفق الخبران على وجهٍ لا ترجيح لأحدهما على الآخر، يُبيّنُ أنّ العمل يجب أن يكون بما يوافق دلالة الأصل وترك العمل بما يخالفه.

و) إن كان الحكم ممّا لا نصّ فيه على التعيين يحمله على ما يقتضيه الأصل.

قال رحمه الله: «ومهما تمكّنت من تأويل بعض الأحاديث من غير أن أطعن في إسنادها فإنّي لا أتعدّاه، وأجتهد أن أروي في معنى ما أتأوّل الحديث عليه حديثاً آخر يتضمّن ذلك المعنى، إمّا من صريحه أو فحواه، حتّى أكون عاملاً على الفتيا والتأويل بالأثر، وأجري على عادتي هذه إلى آخر الكتاب، وأوضح إيضاحاً لا يلتبس الوجه على أحدٍ ممّن نظر فيه»[1].

ولهذا فإنّ المتتبّع يرى أنّ هذا الكتاب في أوائله مشحون بالفوائد العلميّة والبحوث القيّمة في علوم القرآن واللغة والأدب والأُصول، لكن تضاءلت تلك المباحث على أثر عدول الشيخ رحمه الله عن خطّته التي رسمها لنفسه أوّلاً، إلى ما هو أخصر منها، وقد بيّن سبب ذلك في مقدّمة مشيخة *التهذيب* فقال:

«شرطنا في أوّل هذا الكتاب أن نقتصر على إيراد شرح ما تضمّنته الرسالة المقنعة، وأن نذكر مسألةً مسألة، ونورد فيها الاحتجاج من الظواهر والأدلّة المفضية إلى العلم، ونذكر

---

١. *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٣ ـ ٤.

مع ذلك طرفاً من الأخبار التي رواها مخالفونا، ثمّ نذكر بعد ذلك ما يتعلّق بأحاديث أصحابنا رحمهم الله، ونورد المختلف في كلّ مسألة منها والمتفَق عليها، ووفينا بهذا الشرط في أكثر ما يحتوي عليه كتاب الطهارة؛ ثمّ إنّا رأينا أنّه يخرج بهذا البسط عن الغرض، ويكون ـ مع هذا ـ الكتاب مبتوراً غير مستوفى، فعدلنا عن هذه الطريقة إلى إيراد أحاديث أصحابنا رحمهم الله المختلَف فيه والمتّفق»[١].

٣ ـ أقسام الأحاديث المذكورة في كتاب «التهذيب» وعددها

إنّ الأحاديث التي أوردها الشيخ الطوسي في كتاب ***التهذيب*** على أقسام:

- أحاديث أوردها دليلاً على فتوى صاحب ***المقنعة***، أو فتواه هو.
- أحاديث أوردها في معارضة القسم الأوّل ثمّ أوّلها، أو ناقش في إسنادها.
- أحاديث ذكرها كشاهد جمعٍ للتأويل الذي ذكره للقسم الثاني.

أمّا عدد أحاديث كتاب ***التهذيب***:

- اُحصيت أحاديثه في (١٣٥٩٠) حديثاً[٢].
- اُنهيت أبوابه إلى (٣٩٣) باباً[٣].
- الكتب التي اشتمل عليها ***التهذيب*** بلغت (٢٣) كتاباً، ذكرها المصنّف بأسمائها[٤].

٤ ـ أبواب الزيادات

وهي أبواب أضافها الشيخ رحمه الله إلى الأبواب المترجمة في الكتاب، وقد بيّن السبب في ذلك فقال ـ بعدما أفصح عن دليل عدوله عن خطّته الأُولى ـ:

«ثمّ رأينا بعد ذلك أنّ استيفاء ما يتعلّق بهذا المنهاج أولى من الإطناب في غيره، فرجعنا

---

١. *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٤٦، مقدّمة السيّد حسن الخرسان.

٢. *خاتمة مستدرك الوسائل*: ج٦، ص٤١٥.

٣. انظر: المصدر السابق.

٤. انظر: *الفهرست* للشيخ الطوسي: ص٢٤٠، الرقم ٧١٤.

وأوردنا من الزيادات ما كنّا أخللنا به»[١].

فيظهر من كلامه هذا أنّ أبواب الزيادات بمنزلة المستدرك لسائر أبواب الكتاب، استدرك هو على نفسه وجعله جزءاً من الأصل[٢].

٥ ـ شرح وتنقيح أسانيد «التهذيب»

ممّا يجدر التنبيه عليه بالنسبة لأسانيد ***التهذيب*** هو أنّ بعض العلماء قد شرحها ونقّحها وبيّن مواضع الخلل في بعضها.

أ) شرح أسانيد ***التهذيب*** شرحاً مفصّلاً العلاّمة السيّد هاشم التوبلي البحراني في كتابه ***تنبيه الأريب وتذكرة اللبيب في إيضاح رجال التهذيب***، وهذّب هذا الكتاب ونقّحه الشيخ حسن الدمستاني البحراني، وسمّاه ***انتخاب الجيّد من تنبيهات السيّد***. وقد نبّه السيّد البحراني أيضاً في كتابه ***ترتيب التهذيب*** على بعض الأغلاط التي وقعت في أسانيده.

ب) خصّ أسانيد ***التهذيب*** بالدراسة والبحث المولى محمّد بن علي الأردبيلي مؤلّف جامع الرواة، فإنّه عمَد إلى تصحيح أكثر أسانيد التهذيب في رسالة تصحيح الأسانيد، وقد أوردها بتمامها الحجّة النوري في ***خاتمة المستدرك***[٣] مع زيادات منه رحمه الله. وأورد الأردبيلي مختصرها في الفائدة الثامنة من خاتمة كتابه ***جامع الرواة***[٤].

ج) نقّح أسانيد التهذيب آية الله السيّد حسين الطباطبائي البروجردي في كتاب سمّاه ***تنقيح أسانيد التهذيب***[٥]، وهو مطبوع.

---

١. *تهذيب الأحكام*: ج١٠، ص٤، مقدّمة المؤلّف في شرح المشيخة.

٢. *خاتمة مستدرك الوسائل*: ج٦، ص٤١٢.

٣. المصدر السابق: ص١٩ ـ ٣٩٩.

٤. *جامع الرواة*: ج٢، ص٤٦٩ ـ ٥٢٩.

٥. *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٤٧، مقدّمة المحقّق.

٦ ـ شروح كتاب «التهذيب» وحواشيه

من أشهر الشروح والحواشي على كتاب *التهذيب*.

- شرح لشيخ الإسلام العلاّمة المجلسي، واسمه ***ملاذ الأخيار***، وهو مطبوع.
- شرح للعلاّمة المحدّث السيّد نعمة الله الجزائري، واسمه ***مقصود الأنام*** في اثني عشر مجلّداً، وقد اختصره في ثماني مجلّدات وسمّاه ***غاية المرام***.
- حاشية الشيخ حسن صاحب ***المعالم***.
- حاشية المحقّق الخوانساري.
- حاشية المجدّد الوحيد البهبهاني[١].

ثانياً: رابع الكتب الأربعة «الاستبصار في ما اختلف من الأخبار»

١ ـ كتاب «الاستبصار» وسبب تأليفه

كتاب ***الاستبصار في ما اختلف من الأخبار*** ألّفه الشيخ رحمه الله بعد كتاب ***التهذيب***، يشتمل على جميع ما رُوي من الأخبار المختلفة مع بيان وجه التأويل فيها والجمع بينها[٢].

ذكر الشيخ الطوسي سبب تأليفه هذا الكتاب فقال:

«إنّي رأيت جماعةً من أصحابنا لمّا نظروا في كتابنا الكبير الموسوم ***بتهذيب الأحكام*** ورأوا ما جمعنا فيه من الأخبار المتعلّقة بالحلال والحرام، ووجدوها مشتملةً على أكثر ما يتعلّق بالفقه من أبواب الأحكام، وأنّه لم يشذّ عنه في جميع أبوابه وكتبه ممّا ورد في أحاديث أصحابنا وكتبهم وأُصولهم ومصنّفاتهم إلاّ نادر قليل، وشاذّ يسير، تشوّقت نفوسهم إلى أن يكون ما يتعلّق بالأحاديث المختلفة مفرداً على طريق الاختصار»[٣].

وفي الحقيقة يُعتبر ما في كتاب ***الاستبصار*** اختصاراً لما جاء في ***التهذيب***، فلذا نجد أنّ

---

١. *تهذيب الأحكام*: ج١، ص٤٧ ـ ٤٨، مقدّمة المحقّق.

٢. *الاستبصار*: ج٤، ص٣٠٥.

٣. المصدر السابق: ج١، ص٢ ـ ٣.

جميع رواياته مذكورة في كتاب *التهذيب*.

٢ ـ منهج الشيخ الطوسي في كتاب «الاستبصار»

يمكن تلخيص منهج الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب فيما يلي:

- الابتداء في كلّ باب بإيراد ما اعتمده من الفتوى والأحاديث فيه.
- تعقيب ذلك بما يخالفه من الأخبار.
- بيانُ وجه الجمع بين الأخبار على وجه لا يُسقط شيئاً منها ما أمكن ذلك فيه، والجري في ذلك على عادته في كتاب *التهذيب*.
- أشار الشيخ رحمه الله في أوّل الكتاب إلى جملة ممّا يرجّح به الأحاديث بعضها على بعض[1].
- يُورد في كلّ باب عقده إمّا جميع ما روي فيه إن كانت الأخبار قليلة، أو يورد منه طرفاً مقنعاً إن كان ما يتعلّق بذلك الباب كثيراً جدّاً، ويُحيل بالباقي على الكتاب الكبير[2].
- يختصر الأسانيد فيه بنفس الطريقة المتّبعة في كتاب *التهذيب* من قبل، وذلك بعد أن كان قد أوردها كاملة في كتاب الطهارة من *الاستبصار*، وذكر تفاصيلها في مشيخة الكتاب، علماً بأنّه يبدأ في الإسناد بذكر صاحب الكتاب أو الأصل الذي أخذ منه الحديث، والمشيخة في الكتابين واحدة غير مختلفة، ولكنّه زاد في *التهذيب* الحوالة على كتاب *الفهرست* الذي صنّفه في هذا المعنى.

٣ ـ أجزاء كتاب «الاستبصار» وعدد أحاديثه

ذكر الشيخ الطوسي عدد أجزاء وأحاديث كتابه هذا فقال:

«إنّي جزّأت هذا الكتاب ثلاثة أجزاء:

---

١. انظر: *الاستبصار*: ج١، ص٣.

٢. انظر: المصدر السابق: ج٤، ص٣٠٤.

الجزء الأوّل: العبادات، ويشتمل على (٣٠٠) باب، تتضمّن جميعها (١٨٩٩) حديثاً.

الجزء الثاني: العبادات أيضاً، ويشتمل على (٢١٧) باباً، تتضمّن جميعها (١١٧٧) حديثاً.

الجزء الثالث: المعاملات وغيرها من أبواب الفقه، ويشتمل على (٣٩٨) باباً، تتضمّن جميعها (٢٤٥٥) حديثاً.

وبذلك تبلغ جميع أبواب الكتاب (٩٢٥) باباً، تشتمل على (٥٥١١) حديثاً، حصرتها لئلاّ يقع فيها زيادة أو نقصان»[١].

هكذا قال رحمه الله، ولكنّ الصواب أنّ عدد الأبواب والأحاديث ـ على ما ذكره ـ يبلغ (٩١٥) باباً، و(٥٥٣١) حديثاً.

٤ ـ شروح كتاب «الاستبصار» وحواشيه

لهذا الكتاب شروح وحواشٍ لأساطين المذهب ذكرها العلاّمة الشيخ الطهراني، نذكر بعضاً منها:

- ***جامع الأخبار في شرح الاستبصار*** للعلاّمة الشيخ عبد اللطيف بن أبي جامع العاملي، وهو من الشروح المهمّة[٢].
- ***شرح الاستبصار*** للمحقّق الداماد السيّد محمّد باقر بن محمّد الحسيني الاسترآبادي[٣].
- ***استقصاء الاعتبار*** للشيخ فخر الدين محمّد بن الحسن بن زين الدين (الشهيد الثاني) صاحب كتاب ***الرجال*** المشهور[٤].
- ***شرح الاستبصار*** للسيّد الميرزا حسن بن عبد الرسول الحسيني الزنوزي الخوئي،

---

١. *الاستبصار*: ج٤، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣.

٢. انظر: *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*: ج١٣، ص٨٥.

٣. المصدر السابق: ص٨٣.

٤. المصدر السابق: ج١٣، ص٨٧.

وهو في عدّة مجلّدات[١].

- *حاشية على الاستبصار* للسيّد عبد الله بن نور الدين بن المحدّث الجزائري[٢].

حاشية على الاستبصار للمحدّث السيّد نعمة الله الجزائري، مؤلّف *الأنوار النعمانية*[٣].

المبحث الثاني: الجوامع الحديثيّة «الوافي، الوسائل، البحار»

قبل الخوض في التفاصيل ينبغي أن يُعلم أنّ الذي دعا أصحاب هذه الجوامع إلى تدوينها هو أنّهم رأوا أنّ كلّ واحدٍ من الكتب الأربعة المتقدّمة لا يغني عن الرجوع إلى سائر الكتب الحديثيّة الأُخرى الموجودة، فلذلك نهضوا بمشروعٍ جديدٍ، ألا وهو تدوين الجوامع الحديثيّة المشتملة على أحاديث الكتب الأربعة وبقيّة الكتب الموجودة، وترتيبها على الأبواب؛ تسهيلاً وتيسيراً للوقوف على ما ورد في كلّ موضوع، فكانت حصيلة تلك الجهود ظهور هذه الجوامع الحديثيّة إلى عالم الوجود، وانتفاع أهل العلم بها حتّى اليوم.

وسوف نتطرّق إلى هذه الجوامع ومؤلّفيها في ثلاثة فصول:

أوّلاً: كتاب «الوافي» ومؤلّفه الفيض الكاشاني

أ) الفيض الكاشاني

١ ـ ولادته ونشأته ووفاته

وُلد محمّد بن المرتضى بن محمود، المدعو بالمولى محسن الكاشاني والملقّب بالفيض الكاشاني سنة (١٠٠٧هـ)، وكانت نشأته في بلدة قم المشرّفة، ثمّ انتقل إلى كاشان، ثمّ رحل بعد ذلك إلى مدينة شيراز بعدما سمع بورود السيّد ماجد بن علي البحراني إليها،

---

١. *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*: ج١٣، ص٨٤.

٢. المصدر السابق: ج٦، ص١٨.

٣. المصدر السابق: ص١٩.

للأخذ من منهل علومه، والقراءة على الحكيم المتألّه المولى صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي، ثمّ عاد إلى كاشان وأصبح فيها مرجعاً فذّاً لا ندَّ له في زمانه.

توفّي الفيض الكاشاني في مدينة كاشان سنة (١٠٩١هـ)، في سنّ الرابعة والثمانين، ودفن فيها.

٢ ـ شيوخه في الرواية

لقد روى المولى المحسن الفيض الكاشاني عن جماعةٍ من فطاحل العلماء وأعلامهم، منهم:

- شيخ الإسلام بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي.
- المولى محمّد طاهر بن محمّد حسين الشيرازي القمّي.
- المولى خليل بن غازي القزويني شارح *الكافي*.
- المولى محمّد صالح المازندراني شارح *الكافي* أيضاً.
- الشيخ محمّد بن الحسن بن الشهيد الثاني.

٣ ـ أقوال بعض العلماء فيه

أثنى عليه الكثير من العلماء الذين عاصروه والذين ترجموه.

- قال ـ معاصره ـ الشيخ الحرّ العاملي:

«كان فاضلاً عالماً، ماهراً حكيماً، متكلّماً محدّثاً، فقيهاً محقّقاً، شاعراً أديباً، حسنَ التصنيف»[١].

- قال الشيخ الأردبيلي رحمه الله:

«العلاّمة المحقّق المدقّق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، فاضل كامل أديب، متبحّر في جميع العلوم»[٢].

---

١. *أمل الآمل*: ج٢، ص٣٠٥، الرقم ٩٢٥.

٢. *جامع الرواة*: ج٢، ص٤٢.

- قال المحدّث البحراني:

«كان فاضلاً محدّثاً أخباريّاً صُلباً»[١].

٤ ــ مؤلّفاته

ألّف الفيض الكاشاني كُتباً كثيرة في الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك، تقرب من مئتي كتاب ورسالة قد أفرد لها فهرساً خاصّاً، منها:

- ***الصافي في تفسير القرآن***، واختصره في تفسيره ***الأصفى***.
- ***المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء***.
- ***النوادر في جمع الأحاديث*** غير المذكورة في الكتب الأربعة.
- ***حاشية على الصحيفة السجّاديّة***.
- ***علم اليقين في أُصول الدين***، واختصره في كتاب ***المعارف وأنوار الحكمة***.
- ***مفاتيح الشرائع***.

وغيرها من الكتب والرسائل التي اختصر فيها مطوّلات مؤلّفاته، أو ترجم فيها ما كان قد ألّفه بالعربيّة.

ب) كتاب «الوافي»

١ ــ الغاية من تأليف كتاب «الوافي»

أمّا كتاب ***الوافي*** فهو أشهر الكتب الحديثيّة لهذا المحدّث الشهير، وقد فرغ من جمعه سنة (١٠٦٨هـ)، ثمّ اختصره مع حذف الأسانيد في كتابٍ سمّاه ***الشافي*** الذي فرغ منه سنة (١٠٨٢هـ).

وقد ذكر في مقدّمة كتاب ***الوافي*** الغاية من تأليفه فقال: «ليكون قانوناً... ودستوراً يعوَّل عليه... ولا يحتاجون معه إلى كتاب آخر، ولا يفتقروا بعده في استنباط المسائل إلى كثير

---

١. *لؤلؤة البحرين*: ص١٢١.

نظر، ويستريحوا من الاجتهادات الفاسدة»[١].

٢ ـ ترتيب كتاب الوافي وتصنيفه

- ترتيب الكتاب على مقدّمة وأربعة عشر كتاباً وخاتمة.
- ترتيب العناوين الأصليّة أوّلاً، ثمّ تأتي العناوين الفرعيّة بعدها، فمثلاً: يذكر الأُصول الاعتقادية كعنوان أصلي ويقسّمه إلى ثمانية أبواب كعناوين فرعية، منها: وجود الواجب، الوحدانية، صفاته، النبوّة، الإمامة... وهكذا.
- إيراد الأحاديث المتعلّقة بكلّ عنوان تحته.

إذا كان الحديث يدخل تحت أكثر من عنوان، فإن المصنّف يورده في العنوان الأصليّ أوّلاً، ثمّ يذكره في سائر الأبواب[٢].

- يلجأ المصنّف في بعض الأحيان إلى تقطيع الحديث، وربّما يكرّره إذا اقتضت الضرورة[٣].

٣ ـ خصائص وميزات كتاب «الوافي»

لابدّ هنا من التنبيه على جملة من خصوصيّات وميزات كتاب *الوافي*، منها:

- اشتماله على جميع أحاديث الكتب الأربعة. يقول المؤلّف في هذا الصدد: «وبذلت جهدي في أن لا يشذّ عنه حديث ولا إسناد تشتمل عليه الكتب الأربعة، ما استطعت إليه سبيلاً»[٤].
- إيضاح ما يحتاج إلى الشرح والتبيّين من الأحاديث من دون تطويل، كما قال المؤلّف في المقدّمة:

«وشرحت منه ما لعلّه يحتاج إلى بيانٍ، شرحاً مختصراً في غير طول، وأوردت

---

١. *الوافي*: ج١، ص٧، مقدّمة المصنّف.

٢. انظر: المصدر السابق، ص٤٠.

٣. المصدر السابق.

٤. المصدر السابق.

بتقريب الشرح أحاديث مهمّة من غيرها من الكتب والأُصول»[١].

- بيان وجوه الجمع بين الأحاديث المتعارضة وتأويلها بما يرفع التنافي بينها. قال المؤلّف رحمه الله:

«ووفّقت بين أكثر ما يكاد يكون متنافياً منه، توفيقاً سديداً، وأوّلت بعضه إلى بعض تأويلاً غير بعيد؛ ليكون قانوناً يرجع إليه أهل المعرفة والهدى»[٢].

- جُلّ اهتمام صاحب *الوافي* وعنايته كان مُنصبّاً على كتاب *الكافي* للشيخ الكليني، فتراه يترجم للكتب والأبواب في كتابه طبقاً لما في *الكافي*، فيورد أحاديثه أوّلاً، ثمّ يسرد أحاديث *تهذيب الأحكام* و*كتاب من لا يحضره الفقيه*.

ولمّا كانت أحاديث الأُصول والعقائد لم ترد إلاّ في كتاب *الكافي* ـ كما عُلم ممّا مرّ ـ دون سائر الكتب الأربعة فلذلك كانت أبواب أحاديث الأُصول والعقائد في هذا الكتاب مستقاةً من *الكافي* فقط، ومثاله:

باب «نفي الزمان والمكان والكيف عنه تعالى»

٢٧٢ ـ ١ *الكافي* ـ ١: ٨٨ محمّد، عن أحمد، عن السرّاد، عن أبي حمزة، قال: سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام فقال: أخبرني عن الله متى كان؟ فقال: «متى لم يكن حتّى أخبرك متى كان؟ سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً»[٣].

ثمّ إنّ المؤلّف رحمه الله جمع في كتابه *نوادر الأخبار* الأحاديث المتعلّقة بأُصول المعرفة من كتب أُخرى محذوفة الأسانيد؛ ليكون *كالمستدرك* لهذا القسم من كتاب *الوافي*.

---

١. *الوافي*: ج١، ص٧، ص٤٠.

٢. المصدر السابق: ج١، ص٧، مقدّمة المصنّف.

٣. *الوافي*: ج١، ص٣٤٩، ح١٢٧٢.

ثانياً: كتاب «وسائل الشيعة» ومؤلّفه الحرّ العاملي

أ) شيخ الإسلام الحرّ العاملي

١ ـ ولادته ونشأته ووفاته

وُلد أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي المعروف بالحرّ العاملي في قرية (مَشْغَرا)، إحدى قرى جبل عامل سنة (١٠٣٣هـ)، فنشأ وترعرع في أحضان العلم والمعرفة، وقرأ على أبيه وعمّه وجدّه لأُمّه، وغيرهم من العلماء، وأقام في جبل عامل أربعين سنةً، ثمّ سافر إلى العراق وإيران، واستقرّ به المُقام في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، فالتفّ حوله طلبة العلم هناك وأخذوا عنه العلوم والمعارف.

توفّي سنة (١١٠٤هـ)، ودُفن في خراسان عند مشهد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

٢ ـ شيوخه في الرواية

يروي رحمه الله بالإجازة عن:

أ) الحسين بن الحسن بن يونس العاملي.

ب) خال والده الشيخ عليّ بن محمود العاملي.

ج) الشيخ زين الدين بن محمّد بن الحسن بن الشهيد الثاني.

د) العلاّمة المجلسي صاحب *البحار*، وهو آخر من أجازه حين مروره بأصفهان، وقد أنس أحدهما بالآخر واستجازه، وكانت الإجازة بينهما مدبجة[1] كما يصطلح المحدّثون.

٣ ـ أقوال بعض العلماء فيه

أثنى عليه علماء كثيرون:

- قال العلاّمة ابن معصوم:

«عَلَمُ علمٍ لا تباريه الأعلام، وهضبةُ فضلٍ لا يُفصِح عن وصفها الكلام، أرّجت أنفاس فوائده أرجاء الأقطار، وأحيت كلّ أرضٍ نزلت بها، فكأنّها لبقاع الأرض

١. الإجازة المدبجة: هي أن يجيز كلّ من العالمين للآخر مرويّاته، وغالباً ما تقع بين أكابر العلماء.

أمطار، تصانيفه في جبهات الأيّام غرر، وكلماته في عقود السطور دُرر»[١].

- قال العلاّمة التستري:

«العالم الفاضل الأديب الفقيه، المحدّث الكامل الأريب الوجيه، الجامع لشتات الأخبار والآثار، المرتّب لأبواب تلك الأنوار والأسرار»[٢].

٤ ـ مؤلّفاته

وله مؤلّفات عديدة، من أشهرها:

- ***إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات.***
- ***أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل.***
- ***الفصول المهمّة في اُصول الأئمّة*** عليهم السلام.
- ***الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة.***
- ***الفوائد الطوسيّة.***

وغيرها من الكتب والرسائل النافعة التي تفصح عن غزارة علمه وعلوّ شأنه.

ب) كتاب «وسائل الشيعة»

وأمّا كتاب ***تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*** ويسمّى: ***وسائل الشيعة والوسائل*** اختصاراً، فهو من المؤلّفات المهمّة التي أثرت المكتبة الإسلامية بشكلٍ عام والشيعيّة منها بشكلٍ خاص.

١ ـ أهمّية كتاب «الوسائل» وسبب تأليفه

يكفي في الوقوف على أهمّية هذا الكتاب أنّه كان عليه معوَّل مجتهدي الشيعة من عصر مؤلّفه إلى يومنا هذا، وما ذلك إلاّ لحسن ترتيبه وتبويبه[٣]. وقد ذكر الشيخ الحرّ

---

١. *سلافة العصر*: ص٣٥٩.

٢. *مقابس الأنوار*: ص١٧.

٣. *أعيان الشيعة*: ج٩، ص١٦٨.

السبب الداعي له إلى جمع هذه الموسوعة حيث قال:

«إنّ مَن طالع كتب الحديث واطّلع على ما فيها من الأحاديث وكلام مؤلّفيها، وجدها لا تخلو من التطويل وبُعد التأويل، وصعوبة التحصيل وتشتّت الأخبار، واختلاف الاختيار، وكثرة التكرار، واشتمال الموسوم منها بالفقه على ما لا يتضمّن شيئاً من الأحكام الفقهيّة، وخلوّه من كثير من أحاديث المسائل الشرعية»[١].

٢ ـ مصادر كتاب «الوسائل»

تمّ جمع أحاديث هذا الكتاب من المصادر المشهورة والمعوَّل عليها، والتي لا تعمل الشيعة إلاّ بها ولا ترجع إلاّ إليها[٢].

وإنّ المصادر التي نقل منها بلا واسطة زادت على اثنين وثمانين مصدراً، وأمّا التي نقل منها بالواسطة فزادت على ستّة وتسعين مصدراً[٣].

وبلغت مدّة جمع هذا الكتاب وتدوينه ثماني عشرة سنة، خرج منه نحو الثلثين في جبل عامل، والباقي في المشهد المقدّس الرضوي على مشرّفه السلام[٤]، وأتمّ تأليفه عام (١٠٨٨هـ)، وأعاد النظر فيه ثلاث مرّات على الأقل.

٣ ـ محتوى الكتاب وترتيبه

اشتمل الكتاب على (٣٥٨٦٨) حديثاً، مع المكرّرات.

وهو مرتّب على ترتيب الكتب الفقهيّة المشهورة، فقد بدأ فيه بقسم العبادات، ثمّ المعاملات، ثمّ الأحكام والسياسات، وهذا يسّهل الأمر في الوقوف على أحاديث كلّ باب.

وقد أبدع المؤلّف فيه بحيث صار مرجعاً للعلماء منذ تأليفه إلى اليوم، واتّفقوا على

---

١. *وسائل الشيعة*: ج١، ص٥، مقدّمة المؤلّف.

٢. انظر: المصدر السابق: ص٧، مقدّمة المؤلّف.

٣. انظر: المصدر السابق: ج٣٠، ص١٥١ ـ ١٦٦.

٤. انظر: المصدر السابق: ص٤٦٨.

تناوله، وأجمعوا على النقل عنه والاستناد إليه، وذلك لحسن ترتيبه، وجودة تبويبه، وسعة إحاطته بالحديث عن مصادره، واشتماله على عمدة ما يحتاج إليه الفقيه في استنباطه.

٤ ـ منهج الحرّ العاملي في متون وأسانيد «الوسائل»

اتّبع صاحب *الوسائل* منهجاً خاصّاً بالنسبة لأسانيد الأحاديث ومتونها.

أ) منهجه في الأسانيد:

- اختصار أسانيد الأحاديث وطرقها بشكل لا يخلّ بالمقصود؛ وذلك بحذف ألفاظ التحمّل والأداء وتبديلها بالعنعنة، والاقتصار على المعروف من أسماء الرواة وألقابهم.
- إذا ورد الحديث في أكثر من مصدر، فإنّه يقتصر على إيراده من مصدرٍ واحد، ويذكر سائر طرقه من المصادر الأُخرى[1].
- يقدّم في كلّ باب الأحاديث التي هي أقوى سنداً على غيرها، وهو منهج الشيخ الكليني في *الكافي*، وتقدّم التعرّض له في الدرس الأوّل.
- يذكر الطرق والأسانيد والكتب التي اعتمد عليها في موسوعته الكبرى هذه وما يتعلّق بها في آخر الكتاب؛ وذلك إبقاءً للإشعار بأخذ الأخبار من تلك الكتب، وحذراً من الإطناب، مقتدياً في ذلك بالشيخ الطوسي وابن بابويه القمّي[2].

ب) منهجه في المتون:

- يفرد لكلّ مسألة باباً بقدر الإمكان، متتبّعاً لما ورد في ذلك الباب، سواء كان الحكم من المسائل الضروريّة أم الأحكام النظريّة.
- يستقصي الفروع الفقهيّة والأحكام المرويّة والسنن الشرعيّة والآداب الدينيّة والدنيويّة، وإن خرجت عمّا اشتملت عليه كتب فقه الإماميّة؛ لما في ذلك من:

---

١. انظر: *وسائل الشيعة*: ج١، ص١٤ ـ ١٥، ح٣.

٢. انظر: المصدر السابق ص٧، مقدّمة المؤلّف.

١ـ الحفظ لأحاديث المعصومين عليهم السلام.

٢ ـ جمع الأوامر والنواهي المتعلّقة بأفعال المكلّفين.

٣ ـ جعل الرجوع إليهم عليهم السلام لا إلى غيرهم[1].

- يترك الأخبار المشتملة على الأدعية الطويلة والزيارات والخطب المنقولة عن المعصومين عليهم السلام.

٥ ـ خصائص وميزات كتاب «الوسائل»

ولابدّ هنا من التنبيه على جملةٍ من خصوصيات هذه الموسوعة الشريفة وميزاتها، ومن أهمّها:

- تعقيب الأحاديث التي تحتاج إلى إيضاحٍ، ورفع ما قد يتراءى من التعارض بينها أحياناً، وذلك من خلال:

أ) ذكر وجوه الجمع، ناقلاً لها من ***التهذيب والاستبصار*** غالباً.

ب) التنبيه على ما مضى أو يأتي ممّا يدلّ على الحكم.

- تقطيع الأحاديث الطويلة اللفظ، أو المشتملة على عدّة أحكام؛ وذلك طلباً للاختصار وتجنّباً من التكرار.

- ضمّ كلّ حديث إلى ما يناسبه في باب واحد بحيث يتيسّر للطالب الاطّلاع على جميع ما يرتبط بالباب من الأحاديث المتّحدة في الدلالة، أو في السند والمتن، وبهذا:

أ) يستطيع أن يقارن بين أسانيد الأحاديث ومتونها.

ب) يقف بيسر على ما قد يكون في بعض أسانيد ومتون الأحاديث من الخلل والزيادة والنقصان.

ج) يُمكنه بسهولة تامّة تصحيح المتن أو السند أو كليهما.

---

١. انظر *وسائل الشيعة*: ج١، ص٦.

- الجمع بين شتات الأحاديث المتعلّقة بباب واحد، إمّا من المصادر المختلفة، أو من مواضع متباعدة من مصدر واحد، وهذا يغني الطالب عن بذل كثير من الجهد والطاقة في سبيل جمع الأشباه والنظائر من الأحاديث.
- شدّة الضبط والتحرّي، فإذا اختلفت المصادر في نصٍّ ـ ولو بشكلٍ طفيف ـ فإنّه ينقل النصّ من مصدر ويعقّبه بالمصدر الآخر قائلاً: «إلاّ أنّه زاد كذا» أو «قال كذا»، ونحو ذلك.

٦ ـ خاتمة كتاب «الوسائل»

وأمّا خاتمة كتاب ***وسائل الشيعة*** فإنّ الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله لمّا فرغ من تأليف موسوعته الحديثيّة؛ وضع لها خاتمة مفصّلة أضفت على الكتاب أهمّية بالغة، وقد اشتملت هذه الخاتمة على اثنتي عشرة فائدة في:

- بيان طرق أصحاب الكتب الأربعة وطرقه إليها.
- تفسير عِدّة الكليني وسائر مبهماته.
- ذِكر الكتب التي نقل منها الأحاديث، وشهادة كثير من العلماء بصحّتها.
- ذِكر أصحاب الإجماع، وأصحاب الأُصول ونحوهم.
- ذِكر جملة من القرائن المستفادة من أحوال الرجال، وغيرها من الفوائد.

٧ ـ الأعمال العلمية حول كتاب «الوسائل»

لمّا كان هذا الكتاب الشريف موضع عناية الفقهاء والعلماء، فقد كثرت حوله المؤلّفات من شروح وتعاليق وإيضاحات، كما وكانت لمؤلّفه رحمه الله عناية خاصّة به، وإليك بيان ذلك:

أ) الأعمال العلميّة للمؤلّف على «الوسائل»:

- بدأ بشرحه، لكن لم يخرج منه سوى مجلّد واحد في شرح جملة من مقدّماته،

واسمه *تحرير وسائل الشيعة*، وهو مطبوع[١].

- كتب عليه تعليقاً فيه بيان اللغات وتوضيح العبارات، أو دفع الإشكال عن متن الحديث أو سنده، أو غير ذلك[٢].
- عمل له فهرساً خاصّاً يشتمل على عناوين الأبواب، وعدد أحاديث كلّ باب، ومضمون الأحاديث، وسمّاه: *كتاب من لا يحضره الإمام*عليه السلام؛ لاشتماله على ما روي من فتاوى الأئمّةعليهم السلام[٣].
- اختصر *الوسائل* في كتاب سمّاه *هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمّة* بحذف الأسانيد والمكرّرات[٤].

ب) الأعمال العلميّة لبعض الأعلام على الوسائل

- ألّف العلاّمة الشيخ عبد الصاحب حفيد صاحب *الجواهر* كتاب *الإشارات والدلالات إلى ما تقدّم أو تأخّر في الوسائل* في بيان ما تقدّم وما تأخّر من الأحاديث التي يشير إليها صاحب *الوسائل* في كتابه. ولغيره أيضاً جهود في هذا المجال[٥].
- وضع المحدّث الخبير العلاّمة الشيخ حسين النوري الطبرسي مستدركاً على كتاب *الوسائل*، سمّاه *مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل*، جمع فيه جملةً وافرة من الأخبار التي لم يحوها كتاب *الوسائل*، وقد جعل له خاتمة طويلة احتوت على فوائد جليلة[٦].

---

١. انظر: *الذريعة*: ج٣، ص٣٩٣.

٢. انظر: المصدر السابق: ج٤، ص٣٥٣.

٣. انظر: المصدر السابق: ج٢٢، ص٢٣٠.

٤. المصدر السابق: ج٢٥، ص١٧١.

٥. *وسائل الشيعة*: ج١، ص٩٠، مقدّمة التحقيق.

٦. المصدر السابق.

- شرحه السيّد محمّد علي الإصبهاني الأبطحي، وسمّاه ***مصادر فقه الشيعة في شرح وسائل الشيعة***، صدر منه إلى الآن مجلّدان.
- شرحه الشيخ مسلم الداوري على شكل دروس ألقاها على طلبة العلوم الدينية، صدر منه إلى الآن مجلّد واحد.

ثالثاً: كتاب «بحار الأنوار» ومؤلّفه العلاّمة المجلسي

أ) العلاّمة المجلسي

أفرد العلاّمة المحدّث النوري ترجمة للعلاّمة المجلسي في كتاب ***الفيض القدسي في ترجمة العلاّمة المجلسي***[1]، ذكر فيه جوانب من حياته العلمية، ومكانته الاجتماعية، وسنذكر مقتطفات من هذه الترجمة على وجه الاختصار.

١ ـ ولادته ووفاته ومدفنه

وُلد محمّد باقر بن محمّد تقي بن مقصود علي الملقّب بالمجلسي والمعروف بالعلاّمة وشيخ الإسلام سنة (١٠٣٧هـ) في مدينة أصفهان، التي كانت آنذاك من المراكز العلمية المعروفة في العالم الإسلامي، وهو من عائلة معروفة بالعلم والتقوى، فوالده المولى محمّد تقي المجلسي من مفاخر علماء الشيعة، وله مؤلّفات كثيرة، وكان جدّه المرحوم الملاّ مقصود عليّ من العلماء الأفاضل أيضاً.

تُوفي سنة (١١١٠هـ)، وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة، ودُفن بأصفهان في جامعها الأعظم العتيق[2].

٢ ـ شيوخه وتلاميذه

تلقّى العلاّمة المجلسي دروسه وعلومه على يد جماعة من المشايخ العظام والعلماء

---

١. مطبوع مع *البحار* في ج١٠٢، وفي طبعة مؤسّسة الوفاء مطبوع في مقدّمة الكتاب ج«٠».

٢. انظر: *بحار الأنوار*: ج١٠٢، ص١٥٠ ـ ١٥٢.

الأعلام، كما وتتلمذ له الكثير من طلبة العلم الذين قيل: إنّهم بلغوا ألف نفس، وقال المحدّث الجزائري: «إنّهم يزيدون على ذلك»[١].

من شيوخه في العلم والرواية:

أ) والده المولى محمّد تقي المجلسي.

ب) المولى محمّد صالح المازندراني.

ج) العلاّمة المحدّث الحرّ العاملي.

د) المولى حسن بن علي التستري.

هـ) السيّد رفيع الدين الطباطبائي النائيني.

٣ ـ أقوال بعض العلماء فيه

من أقوال العلماء في حقّ هذا العالم الفقيه والمحدّث الجليل، والتي تدلّ على سموّ مقامه وعلوّ شأنه:

- قال الشيخ الأردبيلي: «جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، وحيد عصره، فريد دهره، ثقةٌ، ثبتٌ عينٌ، كثير العلم...»[٢].
- قال الشيخ يوسف البحراني: «لم يوجد له في عصره ولا قبله قرين في ترويج الدين، وإحياء شريعة سيّد المرسلينﷺ، بالتصنيف والتأليف، والأمر والنهي، وقمع المعتدين والمخالفين من أهل الأهواء والبدع»[٣].
- قال الشيخ الحرّ العامليرحمه الله: «عالم فاضل ماهر، محقّق مدقّق، علاّمة فهّامة، فقيه متكلّم محدّث ثقة ثقة، جامع للمحاسن والفضائل، جليل القدر، عظيم الشأن»[٤].

---

١. انظر: *بحار الأنوار*: ج١٠٢، ص٨٣.

٢. *جامع الرواة*: ج٢، ص٧٨.

٣. *بحار الأنوار*: ج١٠٢، ص١٧.

٤. *أمل الآمل*: ج٢، ص٢٤٨.

٤ ـ مؤلّفاته

أمّا مؤلّفاته وتصانيفه فهي على صنفين عربية وفارسية، من أشهرها:

حياة القلوب *زاد المعاد* *الوجيزة في الرجال*

عين الحياة *حقّ اليقين* *شرح الأربعين*

ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار

*مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول*صلى الله عليه وآله، وهو شرح لكتاب *الكافي*

ب) كتاب «بحار الأنوار»

أمّا كتاب ***بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار***عليهم السلام، ويسمّى ***بحار الأنوار والبحار*** اختصاراً، فإنّه يُعدّ أكبر موسوعة حديثيّة عرفها المسلمون حتّى اليوم، وهي تقع في مئة وعشرة مجلّدات.

١ ـ مكانة كتاب «البحار» وسبب تأليفه

لأجل الخصوصيّات الفذّة التي اشتمل عليها هذا الكتاب العظيم؛ فقد كانت لـه مكانته السامية بين كتب الطائفة الإمامية، وكان علماء الإمامية وشيوخهم بدؤوا بتدوين الجوامع الحديثيّة منذ القرن الثالث الهجري ـ كما تقدّم ـ ولكنّ أكثرها كان يقتصر على الأحاديث الفقهية، ولم يكن لروايات المعارف والأخلاق والتاريخ والآداب الاجتماعية وغيرها موقعاً خاصّاً بها، مع العلم بصدور الكثير منها عن المعصومين عليهم السلام.

فمن أجل ذلك نهض العلاّمة المجلسي بمهمّة جمع تلك الأحاديث وترتيبها وتبويبها على نحوٍ يسهل معه الاطّلاع على ما ورد في كلّ باب من أبواب العلم المتشعّبة.

٢ ـ طريقة تأليف كتاب «البحار»

تمّ تأليف هذه الموسوعة من خلال مراحل:

المرحلة الأولى: جمع الكتب المتداولة المشهورة.

المرحلة الثانية: تتبّع الأُصول المعتبرة المهجورة التي تُركت في الأعصار المتطاولة

والأزمان المتمادية؛ إمّا لاستيلاء سلاطين المخالفين وأئمّة الضلال، أو لرواج العلوم الباطلة بين الجهّال المدّعين للفضل والكمال، أو لقلّة اعتناء جماعة من المتأخّرين بها اكتفاءً بما اشتهر منها.

قال المجلسي رحمه الله:

«فطفقت أسأل عنها في شرق البلاد وغربها حيناً، وألحّ في الطلب لدى كلّ من أظنّ عنده شيئاً من ذلك وإن كان به ضنيناً، حتّى اجتمع عندي بفضل ربّي كثير من الأُصول المعتبرة التي كان عليها معوّل العلماء في الأعصار الماضية... فألفَيتها مشتملةً على كثير من الأحكام، فبذلت غاية جهدي في ترويجها وتصحيحها وتنسيقها وتنقيحها، فعزمت على تأليفها ونظمها وترتيبها وجمعها...»[1].

المرحلة الثالثة: الشروع في فهرسة عشرة كتب من كتب الحديث غير الفقهيّة، وهي: ***الخصال، الأمالي، العيون، علل الشرائع، معاني الأخبار، التوحيد***، وكلّها للشيخ الصدوق رحمه الله؛ ***وقرب الإسناد*** للحميري، ***وأمالي الطوسي***، ***وتفسير القمّي***، ***والاحتجاج*** للطبرسي، فأعدّ فهرساً سمّاه فهرس مصنّفات الأصحاب، وقد كان هو الأساس الأوّل لتأليف هذه الموسوعة الإسلامية الكبرى، والحجر الأساس لتدوين هذه المدوّنة العلمية[2].

المرحلة الرابعة: العزم على جمع متون الأحاديث كافّة ـ سوى ما في الكتب الأربعة ـ تحت عناوين خاصّة، فتمّ التخطيط لتأليف موسوعة ***بحار الأنوار***.

٣ ـ مصادر كتاب «البحار»

ذكر العلاّمة المجلسي في مقدّمة كتابه المصادر الشيعية التي استقى منها مادّة هذه

---

١. ***بحار الأنوار***: ج١، ص٣ ـ ٤، مقدّمة المؤلّف.

٢. انظر: المصدر السابق: ج١٠٣، ص٥، مقدّمة المحقّق.

الموسوعة والتي بلغت ثلاثمئة وخمسةً وستين مصنَّفاً[١].

وقد رمز لأربع وثمانين مصدراً منها لإيراده أغلب أحاديث تلك المصادر في موسوعته، ومن بينها أربعة رموز اختصّت بالكتب الأربعة المشهورة.

ومع ملاحظة سائر المصادر التي استعان بها في تدوين هذه الموسوعة، فإنّها تبلغ ستّمئة مصدر.

٤ ـ ترتيب الكتاب وتصنيفه

- بدأ بكتاب العقل والعلم والجهل، ثمّ كتاب التوحيد، وكتاب العدل والمعاد، وهكذا إلى خمسة وعشرين كتاباً[٢].
- فصّل الكُتب ورتّبها على أبواب.
- صدّر كلّ باب بالآيات المتعلّقة بالعنوان، وأورد بعدها شيئاً ممّا ذكره بعض المفسّرين فيها إن احتاجت إلى التفسير والبيان.
- في كلّ باب إمّا أن يورد تمام الخبر المتعلّق بالعنوان، أو الجزء الذّي يتعلّق به مع إيراد تمامه في موضع آخر أليق به، أو الإشارة إلى المقام المذكور فيه؛ لكونه أنسب بذلك المقام[٣].

٥ ـ خصائص وميزات كتاب «البحار»

لقد تضمّنت هذه الموسوعة الحديثيّة الكبرى خصوصيّاتٍ وميزاتٍ جمّةً، نذكر أهمّها وأبرزها:

- تُعتبر هذه الموسوعة بمثابة مكتبة صغيرة جامعة بين دفّتيها كثيراً من الكتب والرسائل، فقد أورد العلاّمة المجلسي في كتابه هذا خمساً وعشرين رسالة صغيرة من تأليفات المتقدّمين والمتأخّرين؛ وذلك إمّا لاختصارها، أو لتعلّقها بالموضوع

---

١. *بحار الأنوار*: ج١، ص٦ ـ ٢٤، مقدّمة المحقّق.

٢. المصدر السابق: ص٧٩ ـ ٨٠.

٣. المصدر السابق: ص٤.

الذي تكلّم فيه، أو حفظاً لها من الضياع والتلف.

- اشتمالها على المواضيع والأبحاث المختلفة، وفي هذا المجال يقول العلاّمة المجلسي:
- «من الفوائد الطريفة لكتابنا اشتماله على كتب وأبواب كثيرة الفوائد، جمّة العوائد، أهملها مؤلّفوا أصحابنا رضوان الله عليهم، فلم يفردوا لها كتاباً ولا باباً، ككتاب العدل والمعاد، وضبط تواريخ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وكتاب السماء والعالم المشتمل على أحوال العناصر والمواليد، وغيرها ممّا لا يخفى على الناظر فيه»[١].
- عدم إيراد أحاديث الكتب الأربعة إلاّ قليلاً؛ لكونها متواترة إلى مصنّفيها[٢].
- اختصار الأسانيد، والرمز للكتب التي يرجع إليها كثيراً.

العناية بذكر غريب الحديث، وبيان ما يُشكل من الأخبار وإيضاحه ببيانٍ شافٍ على غاية الإيجاز[٣]. ومع كلّ هذه المكانة العالية والميزات المهمّة لهذه الموسوعة وللمصادر الأُخرى للشيعة الإمامية، فإنّها تخضع ـ كغيرها من المصادر ـ للضوابط والموازين المقرّرة في حجّية الأسانيد والمتون، ومعرفة المقبول والمردود منها.

المبحث الثالث: الجوامع الحديثية المعاصرة ومصادر أُخرى

أوّلاً: الجوامع الحديثية المعاصرة

يحتوي هذا الفصل على بعض الجوامع الحديثيّة المهمّة والتي تُعتبر من مصادر الحديث الحديثة في أُسلوبها وتنظيمها، والتي تواكب المتطلّبات المعاصرة للباحثين وطلبة العلم، وسنتطرّق لها بشكل موجز.

---

١. *بحار الأنوار*: ج١، ص٥.

٢. انظر: المصدر السابق: ص٤٨.

٣. انظر: المصدر السابق: ص٤.

١ ـ كتاب «ميزان الحكمة»

هذا الأثر هو نتاج فكر جديد ظهر قبل أكثر من عقدين من الزمن، وهو لا يمثّل مجموعة حديثية أخلاقية أو وعظية فحسب، بل بالإضافة إلى كونه استجابة لمتطلّبات عصره في شتّى الاتّجاهات والمجالات، فإنّه يمثّل إجابة عن إشكالات وشبهات متنوّعة ـ ابتداءً بالشبهات الفلسفية، وانتهاءً بالشبهات المتعلّقة بسيرة أئمّة الدين ـ بنسقٍ واحد، وفي ضوء الرؤية المعرفيّة لأهل البيت عليهم السلام.

يغطّي *ميزان الحكمة* الذي هو تأليف الشيخ محمّد محمّدي الريشهري ـ بعرضه للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لأهل البيت عليهم السلام ـ مختلف مجالات الحياة الدينية على سعتها، ويستعرض القوانين والتعاليم الدينية في كثير من القضايا التي تعني المجتمع البشري، الجزئية والكلّية.

الهدف من كتابة هذه المجموعة

هو تقديم رؤية شمولية تجاه المعارف الدينية، ممّا يوفّر قراءة عميقة للتعاليم الإلهيّة، وهذه الرؤية هي حصيلة لتفسير كلّ آية ورواية ضمن منظومة متناسقة ومنسجمة للتعاليم الدينية. ويأتي التبويب الموضوعي للأحاديث في هذا السياق ليساعد على تحقيق هذا الهدف.

ميزات وخصائص كتاب «ميزان الحكمة»

أ) تحرّي الدّقة لإنجاز التبويب الموضوعي، وتحاشي تكرار الأحاديث وتداخل العناوين قدر المستطاع.

ب) لا يُعنى هذا الكتاب بالروايات الفقهية، بل يصبّ اهتمامه على الروايات ذات المضمون الأخلاقي والاجتماعي، أو المتعلّقة بالقضايا الفكرية والعقائدية.

ج) استفاد المؤلّف في هذه المجموعة من مصادر الفريقين الشيعة والسنّة، وقد ذكر الآيات القرآنية ذات العلاقة أوّلاً، ثمّ أردفها بروايات المعصومين عليهم السلام في كلّ باب.

د) على الرغم من أنّ المؤلّف لم يتناول أسانيد الروايات، إلاّ أنّه قد استفاد من تفسير

متون الروايات وترتيب الأحاديث المتشابهة في المعنى والمضمون مع غيرها من الأحاديث المعتبرة السند، حيث استطاع إلى حدٍّ كبير من فرز الأحاديث غير المعتبرة أوّلاً، وشرح وتوضيح ما صحّ منها ثانياً. ومن هذه الموارد ـ على سبيل المثال ـ: شروحه القيّمة فيما يتعلّق بمسألة النبوّة، وبعض الأبواب العقائدية المهمّة كالقضاء والقدر ومعرفة الله... إلخ.

هـ) تتألّف هذه المجموعة من (٥٦٤) عنواناً و(٤٢٦٠) باباً و(٢٣٠٣٠) حديثاً، اُدرجت العناوين الرئيسيّة لهذه المجموعة وفقاً للحروف الهجائيّة، وبدأت بموضوع «الإيثار»، وختمت بموضوع «اليقين».

وللكتاب عدّة طبعات مختلفة في خصائصها وعدد مجلّداتها[١].

نظراً لضخامة حجم كتاب *ميزان الحكمة* وعدم كونه ملائماً لظروف بعض القرّاء، فإنّه قد اُعيدت صياغته بشكل ملخّص باسم: *منتخب ميزان الحكمة*، تلخيص السيّد حميد الحسيني، وطُبع ليكون في متناول جميع القرّاء خصوصاً المبلّغين في سفرهم التبليغي.

يحتوي *منتخب ميزان الحكمة* على أهمّ مداخل *ميزان الحكمة*، فابتدأ هذا المنتخب بعنوان «الإيثار»، وانتهى بعنوان «اليقين». وقد طُبع مشتملاً على نصوص الأحاديث مع ترجمتها الفارسية وفي مجلّدين أيضاً بالحجم الوزيري، ويحتوي هذا المنتخب على (٦٨٤٨) حديثاً في (٤١٩) عنواناً رئيسياً و(١٩٩٠) عنواناً فرعياً، وهذه الطبعة امتازت بالجودة والأناقة والجمال[٢].

---

١. تصدّت دار النشر التابعة لمكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلميّة في قم المقدّسة لطباعة *ميزان الحكمة* للمرّة الأُولى وللفترة من (١٤٠٤) إلى (١٤٠٧هـ ق)، وتقع هذه الطبعة في عشر مجلّدات من الحجم الرقعي. وفي الطبعة الثانية تمّ مراجعة النصوص وتهذيبها في خمس مجلّدات من الحجم الوزيري، حيث اختصّ الجزء الخامس بفهارس المجموعة، ثمّ اُعيد طباعة هذه المجموعة كذلك في تسعة أجزاء، يتضمّن الجزء التاسع منها الفهارس، ثمّ طبعت في بيروت في اثني عشر جزءاً. ولقد كان الإقبال الكبير على هذا الكتاب وراء إعادة طباعته ما يقرب من عشرين مرّةً لحدّ الآن، مع الترجمة الفارسيّة وبدونها.

٢. *مرآة السعي*: إصدارات مؤسّسة دار الحديث: ص١٥ ـ ١٩.

٢ ـ كتاب «الحياة»

موسوعة إسلامية علمية موضوعية، تُخطّط مناهج الحياة الحرّة للفرد والمجتمع، وتدعو إلى دعم نظام إنساني صالح في جميع آفاق الأرض. وقد شارك في تأليف هذه الموسوعة كلّ من محمّد رضا الحكيمي، ومحمّد الحكيمي، وعلي الحكيمي.

اشتملت هذه الموسوعة ـ المتألّفة من ستّة مجلّدات ـ على اثني عشر باباً، وكلّ باب احتوى على فصول كثيرة، نتطرّق لذكر الأبواب وبعض فصولها ليتمّ التعرّف على محتويات الموسوعة بشكلٍ إجمالي وموجز:

الباب الأوّل: المعرفة وأصالتها

من فصوله: أهمّية المعرفة، طلب العلم، المعرفة كيفيّتها ومراتبها، مظاهر المعرفة المتكاملة، معرفة النفس، معرفة الكون، معرفة الله تعالى، معرفة الحجّة، معرفة الناس، وغيرها.

الباب الثاني: العقيدة والإيمان

من فصوله: أهمّية العقيدة، العقيدة الكبرى الإيمان بالله تعالى، الإيمان عقيدة وعمل، التوحيد والشرك، دور الإيمان في الاتّجاهات الاجتماعية، وغيرها.

الباب الثالث: العمل

من فصوله: أهمّية العمل، بين الإيمان والعمل، العمل لا الأمل، العمل طريق المعرفة، الدعوة بالعمل، العمل هو المقياس، النظم في العمل، اغتنام الفرص، التطلّع إلى المستقبل، وغيرها.

الباب الرابع: ميزات الإيدلوجية الإلهية

من فصوله: ترابط الإنسان والكون، الرقابة الغيبيّة وعمق أثرها، المنشأ الإلهي للحقوق، كرامة الإنسان، القدرة والعزّة والصمود، النجاة من اليأس، وغيرها.

الباب الخامس: الأُصول العامّة لرسالات الأنبياء

من فصوله: الهيكل العام، قيام الناس بالقسط، العدالة الاجتماعية، رفع الأغلال وإنقاذ

الإنسان، إصلاح المجتمعات البشرية، وغيرها.

الباب السادس: القرآن

من فصوله: حقيقة القرآن، الصراط المستقيم، كتاب الوعد والصدق، كتاب العمل، كتاب البشارة والإنذار، كتاب الشفاء والجلاء، كتاب الرضا والاطمئنان، وغيرها.

الباب السابع: الروّاد الصادقون وبعض خصائصهم

من فصوله: الصدق والأهليّة والإخلاص في سبيل الإنسان وسعادته، طلب الصلاح والإصلاح، في خدمة الناس وحاجاتهم، الزهد والقناعة، وغيرها.

الباب الثامن: العلماء

من فصوله: عظمة العلماء، العالم بعمله، مسؤولية العلماء أمام القرآن، العلماء الصالحون وبعض خصائصهم، الاقتراب والاجتناب، المرجعية والمرجع، وغيرها.

الباب التاسع: الولاية والحكومة (الفلسفة السياسية)

من فصوله: الحكم الديني الإلهي، أهداف الحكومة الدينية، السياسة العملية للحاكم الإسلامي، أئمّة العدل وأئمّة الجور، وغيرها.

الباب العاشر: الحاكم الإسلامي، وظائفه، من واجباته ومسؤولياته

من فصوله: اختيارات الحاكم الإسلامي وما يجب عليه، الحاكم الإسلامي ومسؤولياته الشخصية، الحاكم الإسلامي وعمّاله، وغيرها.

الباب الحادي عشر: المدخل إلى دراسة الاقتصاد الإسلامي (خطوط عامّة)

من فصوله: المال في التصوّر الإسلامي، المؤشّرات التوجيهية، الإسلام والنظام التكاثري الإترافي، وغيرها.

الباب الثاني عشر: المدخل إلى دراسة الاقتصاد الإسلامي (أُصول عامّة)

من فصوله: صور المالكيّة، العمل والعمالة ودورهما الرئيسي في البناء الاقتصادي، الاحتكار، الإنفاق، وغيرها.

٣ ـ موسوعة أحاديث أهل البيت

تأليف الشيخ هادي النجفي الإصفهاني، وهي أحدث جُهد حديثي واسع.

الهدف من تأليف هذه الموسوعة

إنّ الهدف الأساسي من تأليف هذه الموسوعة هو عرض أحاديث أهل البيت، وتعريف العالَم بمعارفهم؛ كي يقف الناس على محاسن أحاديثهم ـ وكلّها محاسن ـ ليهتدوا بها إلى الحقّ.

شرح المؤلّف أهمّ ما قام به من عملٍ، نختصره في النقاط التالية:

أ) ترتيب الأحاديث حسب مصادرها

استخرج المؤلّف أحاديث الكتاب من الجوامع الأُولى، فقدّم ما في *الكافي*، ثمّ ما جاء في كتب الصدوق، ثمّ ما رواه المفيد، ثمّ ما أورده الشيخ الطوسي، ثمّ ما رواه المحدّثون على الترتيب الزمني.

وقال المؤلّف حول هذا الترتيب: «وقدّمناهم لكون كتبهم واسعة تسمّى الجوامع».

ب) ذكر الأسانيد مع المتون

لم يهمل الأسانيد بل أثبتها مع متونها، وفي ذلك فائدة مهمّة، وهي الاستغناء عن الرجوع إلى المصادر لمعرفة الأسانيد فيما لو احتيج إلى ذلك.

ج) ذكر أحكام الأسانيد

أثبت المؤلّف ما للأسانيد من الأحكام الرجاليّة ـ حسب رأي المؤلّف طبعاً ـ وهو معتمدٌ في ذلك على أشهر الأقوال الرجاليّة.

د) التخريجات والإرجاعات

عمد المؤلّف إلى تخريج كلّ حديث من مصدره معتمداً على ما عيّنه من طبعات المصادر في فهرسها الخاصّ في آخر الكتاب.

ومضافاً إلى ذلك فقد أرشد القارئ إلى مزيدٍ من المراجع المتكفّلة لمزيد من الأحاديث المناسبة، ويذكر المؤلّف ذلك بقوله: «إن شئت أكثر من هذا فراجع»، وقد

اعتمد في هذا الإرجاع على الجوامع الأوّلية «الكتب الأربعة»، والجوامع الكبيرة المتأخّرة.

هـ) مدار أحاديث الموسوعة

صرّح المؤلّف بأنّ الكتاب ليس حاوياً لأحاديث الأحكام الشرعية، بل يحتوي على ما يزيد المؤمن معرفة في مجالات العقيدة والأخلاق.

و) ترتيب الكتاب

رتّب المؤلّف كتابه على العناوين المختارة مرتّبة على حروف المعجم، والعناوين المستخرجة من المتن حسب ما يدلّ عليه، أو موضوعه، وقد بلغت (٨٩٩) عنواناً.

وإذا كان العنوان واسعاً، قسّمه المؤلّف إلى عدّة عناوين فرعيّة تشتمل على عدد أكبر من الأحاديث.

ز) شرح الكلمات والاستفادة من الأحاديث

شرح المؤلّف الكلمات التي وجد فيها صعوبة؛ تسهيلاً على المراجعين، وكذلك قد يذكر بعد الانتهاء من إيراد الأحاديث، مجملاً لما استفاده منها حسب رأيه، وقد دلّل بذلك على قدرته الفائقة على فقه الحديث[١].

ثانياً: مصادر وأُصول أُخرى

يحتوي هذا الفصل على مجموعة من الكتب الحديثية المهمّة والتي تُعدّ من الأُصول والمصادر التي لها مكانة رفيعة عند علمائنا، والذي تمتاز به هذه المصادر عن سابقتها ـ التي ذكرناها في الدروس السابقة ـ هو اختصاصها بموضوعات خاصّة، فكلّ كتاب منها ـ غالباً ـ يختصّ بالأخبار المرويّة في موضوع معيّن، فلا تُعدّ هذه الكتب من الجوامع، بل يرجع إليها في موضوعاتها الخاصّة، ولذا أخّرنا البحث فيها مع قدمها ومكانتها الرفيعة وعدّها من الأُصول المهمّة والمُعتمدة، وسنتطرّق إلى ذكر أشهر هذه الأُصول والكتب مع بيانٍ مجملٍ عن محتواها، وذلك من خلال ثلاثة مباحث:

١. انظر: مجلّة علوم الحديث: السنة السادسة، العدد١١، ص٣١٩ ـ ٣٢٣.

أ) كتب ذات موضوع واحد

كتب الغَيبة

بعدما وقعت الغَيبة الكبرى للإمام المنتظر عجّل الله فرجه الشريف وخفي عن الأنظار، عرض الشكّ والريب لبعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقام العلماء والمحدّثون بإزاحة الشبهة التي طرأت في تلك العصور، فجمعوا الأحاديث المأثورة عن الصادقِين عليهم السلام المثبتة لولادة الإمام عليه السلام وطول غيبته وشمائله وما يتّصل بظهوره من الملاحم والفتن، وذلك في مصنّفات قيّمة عديدة، أهمّها:

أ) كتاب الغَيبة، لأبي عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني المعروف بابن أبي زينب.

شيخ من أصحابنا، عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث[1].

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «كتاب النعماني من أجلّ الكتب»[2].

ولم يقتصر المؤلّف رحمه الله على الرواية من طريق الخاصّة، بل أخرج فيه أحاديث من طريق العامّة أيضاً. وبالجملة، فهو من أهمّ وأقدم الكتب المصنّفة في الغَيبة، والمشتملة على أحاديث سديدة متناً وإسناداً.

ب) كتاب *إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الغَيبة وكشف الحيرة*، للشيخ الصدوق بن بابويه.

وهو مرتّب على (٥٨) باباً، أورد فيها المؤلّف أحاديث كثيرة في بشارة الأنبياء والأئمّة والكتب السماوية بولادة المهدي عليه السلام وغيبته وظهوره، وطرف من أوصافه وغير ذلك. ووضع له مقدّمة مبسوطة دفع فيها شبهات المخالفين في مسألة الغَيبة.

ج) كتاب *الإمامة والتبصرة من الحيرة* صنّفه والد الشيخ الصدوق رحمه الله في هذا الموضوع.

---

١. *جامع الرواة*: ج٢، ص٤٣.

٢. *بحار الأنوار*: ج١، ص٣١.

أورد فيه ما يربو على (٨٠) حديثاً.

د) كتاب *الغَيبة*، للشيخ أبي جعفر الطوسي.

أورد فيه أحاديث مسندة من طريقه تتعلّق بغيبة الإمام‌عليه‌السلام وما يرتبط بذلك، كما أنّه قد ردّ فيه على الشبهة المثارة حول هذا الموضوع، وجرى في ذلك على نهج المتكلّمين.

كتب الأمالي والمجالس

الإملاء: هو أن يملي الشيخ الحديث على التلميذ، سواء أكان إملاؤه من حفظه أم من كتابه، والتلميذ يكتب عنه[١]. وهو أعلى وأرفع طرق أداء الحديث.

وكانت مجالس الإملاء تُعقد لأكابر المحدّثين، فكانوا يملون أحاديثهم على الرواة، وكان هؤلاء يقيّدونها على حسب المجالس والإملاءات، فاجتمعت من ذلك كتب تسمّى «الأمالي».

وهي نظير الأصل في قوّة الاعتبار وقلّة تطرّق السهو والغلط والنسيان، ولاسيّما إذا كان إملاء الشيخ من كتابه المصحَّح أو عن ظهر القلب، مع الوثوق والاطمئنان بكونه حافظاً ضابطاً متقناً[٢]. وأشهر كتب الأمالي عند الشيعة الإمامية:

أ) أمالي الشيخ الصدوق

يبلغ مجموعها (٩٧) مجلساً، وقد شرع بإملائها في الثامن عشر من شهر رجب عام (٣٦٧هـ)، وختمها في (١٩) من شهر شعبان سنة (٣٦٨هـ) للهجرة.

وكان مجموع ما أملاه في هذه المدّة (١٠٤٩) حديثاً في فضائل الأعمال والسيرة والحكم والمواعظ والآداب ومناقب أهل البيت‌عليهم‌السلام، وربّما أملى في بعض المواسم كشهر محرّم ورمضان ما يناسب تلك الأيّام.

وكان ـ في الأغلب ـ يعقد مجلس الإملاء في يومي الثلاثاء والجمعة، وربّما عقد هذا

---

١. *أصول الحديث* لعبد الهادي الفضلي: ص٢٢٥.

٢. انظر: *الذريعة*: ج٢، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦.

المجلس في السفر أيضاً، كما يُعلم من الوقوف على محلّ الإملاء في أوائل المجالس.

ب) أمالي الشيخ المفيد

بلغت مجالسه (٤٢) مجلساً كان أغلبها في شهر رمضان المبارك، وبعضها في شهري رجب وشعبان.

وكان شروعه في الإملاء من سنة (٤٠٤هـ) إلى سنة (٤١١هـ)، وبلغ مجموع ما أملاه (٣٨٧) حديثاً في شتّى الأبواب.

ج) أمالي الشيخ الطوسي

بعد هجرته إلى النجف بدأ بإملاء الحديث وعقد المجالس لذلك من سنة (٤٥٥هـ) إلى سنة (٤٥٨هـ).

وكان مجموع تلك المجالس (٤٦) مجلساً، أملى فيها (١٥٣٧) حديثاً، لكنّ أحاديث المواعظ والمناقب تبرز من بينها بشكل واضح.

ومن الملاحظ في *أمالي* الشيخ الطوسي أنّ المجالس الثمانية عشر الأولى أبسط وأوسع من سائر المجالس، وقد أملى فيها (١١٦١) حديثاً، وفي المجالس التسعة الأُولى منها اقتصر على إملاء روايات شيخه المفيد.

ب) كتب لها مؤلّف واحد

توجد هناك كتب عديدة تحت عناوين مختلفة ألّفها الشيخ الصدوق، تحتوي هذه الكتب على جملة من الأحاديث الشريفة، والتي هي عبارة عن:

١ ـ كتاب «التوحيد»

رتّب المؤلّف أحاديث هذا الكتاب البالغة (٥٨٣) حديثاً في (٦٧) باباً، أورد فيها من غرر أحاديث التوحيد وصفات الله وأسمائه وأفعاله ما لم يجتمع في كتاب، وكذلك شرح بعض الأحاديث المشكلة، والغريب من الألفاظ الواردة في بعض المتون، كما ذكر من خلاله طرفاً من المباحث الكلاميّة في الردّ على المخالفين.

٢ ـ كتاب «عِلل الشرائع»

وقد سبقه البرقي صاحب ***المحاسن*** إلى التأليف في هذا المجال، لكنّ كتاب الصدوق أوسع. وهذا الكتاب يشتمل على (٣٨٥) باباً، أورد المصنّف فيها جملةً وافرة من الأحاديث التي تبيّن عِلل الأحكام الشرعيّة وحِكَمها، وأسباب بعض الآيات الكونيّة، وغير ذلك. وبالجملة، فهو كتاب ممتع مشتمل على علم غزير، يستمدّ منه الفقيه وغيره.

٣ ـ كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام»

ألّفه الشيخ الصدوق باسم الصاحب بن عبّاد وأهداه إليه. يحتوي هذا الكتاب على أبواب كثيرة في شتّى المناحي الدينية، ويشتمل على غرر وعيون الأحاديث التي رويت عن الإمام الرضا عليه السلام أو رواها هو عن آبائه الطاهرين عليهم السلام.

٤ ـ كتاب «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال»

وهو كتاب في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال والأقوال ومذامّهما، وذِكْر ما ورد من الثواب والعقاب في ذلك، وأحاديثه مسندة. ولم يقتصر المؤلّف على ما روي من طرق الأصحاب، بل روى أيضاً أحاديث بأسانيد عامّية.

وللبرقي أيضاً كتاب بهذا الاسم مطبوع في ***المحاسن***، بَيد أنّ كتاب ابن بابويه أكبر وأبسط.

٥ ـ كتاب «الخصال»

لقد رتّبه المؤلّف ترتيباً لطيفاً على الأعداد والخصال المحمودة والمذمومة، فبدأ بباب الواحد وانتهى بما بعد الألف، وأورد في كلّ باب حديثاً أو أكثر، وهو على منوال كتاب القرائن من ***المحاسن*** للبرقي، إلاّ أنّه أوسع منه.

وقد مرّ آنفاً التعريف بكتابَي ***إكمال الدين*** و***الأمالي*** للشيخ الصدوق أيضاً.

ج) كُتب أُخرى

١ ـ كتاب «الجعفريّات»

وهو من الكتب القديمة المعروفة المعوّل عليها، لإسماعيل بن الإمام موسى بن

جعفرعليه السلام، وكان من أصحاب الإمام الرضاعليه السلام.

قال النجاشي والطوسي: «سكن مصر، له كتب يرويها عن أبيه عن آبائه، مبوّبة»[١]، وهي الموجودة في هذا الكتاب.

ويسمّى *الأشعثيّات* أيضاً نسبة إلى راويه أبي علي محمّد بن محمّد بن الأشعث الكوفي.

وفي الطبعة الحديثة لهذا الكتاب بلغ مجموع أحاديثه (١٦٥١) حديثاً مع المكرّرات.

أغلب أسانيد الأحاديث تنتهي إلى النبيصلى الله عليه وآله أو الإمام عليّعليه السلام، وقد تنتهي بعض الأسانيد إلى السجّاد والباقر والصادقعليهم السلام، وذلك في موارد قليلة، وفي الكتاب أخبار يسيرة متفرّقة من غير طريق أهل البيتعليهم السلام[٢].

٢ ـ كتاب «صحيفة الرضاعليه السلام»

ويعبّر عنه أيضاً ***بمسند الرضا*** عليه السلام ***وبالرضويّات***، وهو من الكتب المعروفة المعتمدة، له نسخ متعدّدة وأسانيد مختلفة، ويزيد متن بعضها على بعض[٣].

وهذه الصحيفة المباركة، من الأُصول المشهورة المتداولة بين الأصحاب[٤]. وقد رواها أبو الجعد أحمد بن عامر الطائي سنة (١٩٤هـ) عن الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه الطاهرينعليهم السلام، وهو السند المعروف بسلسلة الذهب.

قال العلاّمة المجلسي: «كتاب *صحيفة الرضا*عليه السلام من الكتب المشهورة بين الخاصّة والعامّة»[٥].

قال أكابر العلماء: «لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرئ».

---

١. انظر: *معجم رجال الحديث* للسيّد الخوئي: ج٤، ص١٠٠ ـ ١٠١، الرقم ١٤٤٤.

٢. انظر: *خاتمة مستدرك الوسائل*: ج١، ص٣٦.

٣. انظر: المصدر السابق: ص٢١٧.

٤. المصدر السابق: ص٢٢٢.

٥. *بحار الأنوار*: ج١، ص٣٠.

وأحاديث هذه الصحيفة تزيد على (٢٠٠) حديث في الأحكام والتفسير والفضائل والطبّ والأخلاق والآداب وغير ذلك.

٣ ـ كتاب «الزهد»

تأليف الحسين بن سعيد بن حمّاد بن مهران الأهوازي، مولى علي بن الحسين عليه السلام، ثقة، عين، جليل القدر، روى عن الرضا وعن أبي جعفر [الجواد] وعن أبي الحسن [الهادي] عليهم السلام. أصله كوفي وانتقل مع أخيه الحسن إلى الأهواز، ثمّ تحوّل إلى قم، فنزل على الحسن بن أبان، وتوفي بها[1]، روى عنه البرقي، وأحمد بن محمّد بن عيسى، وعليّ بن إبراهيم بن هاشم، وغيرهم.

وقد أورد الكليني في ***الكافي*** طرفاً من أحاديث هذا الكتاب، كما أورد غيره أحاديثه في كتبهم.

وأحاديث هذا الكتاب في الرقائق والزهديّات ـ كما يظهر من اسمه أيضاً ـ وهو من أمتع ما صُنّف في هذا الباب، وقد طبع أكثر من مرّة.

٤ ـ كتاب «المحاسن»

تأليف الشيخ المحدّث الثقة الجليل أبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ ـ نسبة إلى برق رود قرية من قرى قم ـ وأصله كوفي.

كان رحمه الله من مشاهير المحدّثين، مصرَّح بتوثيقه في عبارات كثير من الأصحاب، روى عن جماعة من الثقات كسعد بن عبد الله الأشعري، ومحمّد بن الحسن الصفّار، وعبد الله بن جعفر الحميري، وغيرهم.

توفّي الحافظ البرقي في قمّ سنة (٢٧٤هـ)، وقيل: سنة (٢٨٠هـ)، وله مصنّفات مذكورة في كتب الفهارس والتراجم.

وكتاب ***المحاسن*** من الأُصول المعتبرة، وقد نقل عنه الكليني وكلّ من تأخّر عنه من

---

١. *خلاصة الأقوال* للعلاّمة الحلّي: ص١١٤.

المؤلّفين[١]، حتّى قيل: إنّه أبو *الكافي*.

وقد اشتمل على كتب كثيرة وأبواب وفيرة في الفقه والحكم والآداب والعلل الشرعية والتوحيد وسائر أبواب الأُصول والفروع، وهي تزيد على (٨٠) كتاباً قد ذُكرت أسماؤها[٢]، لكنّ الموجود منها لا يزيد على (١١) كتاباً ذكرها صاحب *الوسائل*[٣].

وعدد أحاديثه جاوزت (٢٧٠٠) حديث أكثرها مسندة، والمكرّر منها قليل جدّاً، وهو كتاب مطبوع متداول بين أهل العلم.

٥ ـ كتاب «قرب الإسناد»

تأليف الشيخ الثقة الجليل أبي العبّاس عبد الله بن جعفر بن الحسن الحميري القمّي، من أعلام القرن الثالث الهجري. شيخ القمّيّين ووجههم، وله كتب عديدة.

أمّا هذا الكتاب فهو من الأُصول المعتبرة المشهورة[٤]، والموجود منه الآن قرب الإسناد إلى الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام.

يبلغ مجموع أحاديث هذا الكتاب (١٣٨٧) حديثاً[٥]، وهي أحاديث متنوّعة في الفقه والسيرة والتفسير والعقيدة ونحو ذلك.

وللحميري أيضاً كتاب *قرب الإسناد* إلى صاحب الأمر عليه السلام[٦]، لكنّه لم يصل إلينا.

٦ ـ كتاب «النوادر»

تأليف أبي جعفر أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعري القمّي، ثقة من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ولقي الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام.

---

١. *بحار الأنوار*: ج١، ص٢٧.
٢. انظر: *المحاسن*: ج١، ص٨ ـ ٩، مقدّمة المحقّق.
٣. انظر: *وسائل الشيعة*: ج٣٠، ص١٥٥.
٤. *بحار الأنوار*: ج١، ص٢٦.
٥. كما في طبعة مؤسّسة آل البيت عليهم السلام بقم المشرّفة.
٦. انظر: *رجال النجاشي*: ص٢٢٠، الرقم ٥٧٣.

وكان شيخ القمّيين ووجههم وفقيههم غير مُدافَع، له كتب منها هذا الكتاب، وكان غير مبوّب، فبوّبه داوود بن كورة[١]، ولم يصل إلينا منها إلاّ قليل[٢].

بلغت أحاديث الكتاب (٤٥٦) حديثاً، وهو مطبوع.

٧ ـ كتاب «بصائر الدرجات»

تأليف أبي جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار القمّي، كان وجهاً في أصحابنا القمّيين، ثقة عظيم القدر[٣]، وكان معاصراً للإمام العسكري، وله مسائل كتب بها إليه، ومصنّفات كثيرة ذكرها النجاشي في *رجاله* والطوسي في *الفهرست*.

روى عنه الشيخ الكليني ومحمّد بن الحسن بن الوليد ومحمّد بن يحيى وغيرهم، توفّي سنة (٢٩٠هـ).

وهذا الكتاب من الأُصول المعتبرة التي روى عنها الشيخ الكليني وغيره[٤]، وقد جمع فيه أحاديث كثيرة في فضائل آل محمّد وما يتعلّق بالإمامة، أورد الشيخ الكليني جملةً منها في قسم الأُصول من *الكافي*.

اشتمل الكتاب على أبواب مختلفة، يبلغ مجموع أحاديثها (١٨٨١) حديثاً.

ولهذا الكتاب نسختان: كبرى وصغرى[٥]، والمطبوع المتداول اليوم هو النسخة الكبرى منه.

٨ ـ كتاب «تفسير العيّاشي»

تأليف أبي النضر محمّد بن مسعود العيّاشي السمرقندي، من طبقة ثقة الإسلام الكليني،

---

١. انظر: *رجال النجاشي*: ص٨٢، الرقم ١٩٨.

٢. *وسائل الشيعة*: ج٣٠، ص١٦٢.

٣. *طرائف المقال* للسيّد علي البروجردي: ج١، ص٢١٤، الرقم ١٢٧٠.

٤. *بحار الأنوار*: ج١، ص٢٧.

٥. *وسائل الشيعة*: ج٣٠، ص١٥٥.

جليل القدر واسع الأخبار بصير بالرواية مضطلع بها[١].

يُعدّ هذا التفسير من أقدم التفاسير الأثريّة، وقد تلقّاه العلماء ـ منذ تأليفه إلى يومنا هذا ـ بالقبول.

ومن المؤسف عليه أنّ النصف الثاني منه لم يصل إلينا، والنصف الأوّل منه لم يتجاوز قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٢].

ويبلغ مجموع أحاديثه (٢٧٢٢) حديثاً وأثراً، وجُلّ أحاديث هذا التفسير كانت مسندةً، لكنّ بعض النسّاخ حذف أسانيده للاختصار وبيّن عذره في ذلك[٣].

وقد قام بعض ذوي الهمم في هذا العصر[٤] باستدراك هذا الأمر من خلال المَشيخة التي وضعوها للعيّاشي، مضافاً إلى الأحاديث المستدركة التي لم ترد في النسخة المطبوعة من هذا التفسير القيّم.

---

١. *وسائل الشيعة*: ج ٣٠، ص ٤٨٥.

٢. الكهف: ١١٠.

٣. انظر: *بحار الأنوار*: ج ١، ص ٢٨.

٤. قسم التحقيق في مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، قم.

الأسئلة

١ ـ اذكر ثلاثة شيوخ للإمام الكليني.

٢ ـ عدّد أربع مؤلّفات للإمام الكليني سوى الكافي.

٣ ـ إلى كم قسم ينقسم كتاب الكافي؟ وما أسماؤها؟

٤ ـ عدّد اثنين من الشروح على كتاب الكافي؟

٥ ـ اذكر ثلاث حواشٍ على كتاب الكافي.

٦ ـ في أيّ عهدٍ عاش الشيخ الصدوق؟ وبماذا تميّز عصره؟ ولماذا؟

٧ ـ عدّد خمسة من مؤلّفات الشيخ الصدوق سوى الفقيه.

٨ ـ اذكر قولاً واحداً مختصراً لأحد العلماء في مدح الشيخ الصدوق.

٩ ـ جاء في المتن «ومن جملة هذه الأبواب، أبواب النوادر، فقد اشتمل هذا الكتاب الشريف على (١٧) باباً منها»، ما المقصود بالنوادر؟

١٠ ـ اذكر ثلاث خصائص وميزات امتاز بها كتاب الفقيه.

١١ ـ عدّد اثنين من الشروح أو الحواشي على كتاب الفقيه.

١٢ ـ اذكر اثنين من شيوخ الشيخ الطوسي.

١٣ ـ لقد أثنى بعض علمائنا على الشيخ الطوسي، اذكر قولاً لأحدهم.

١٤ ـ عدّد أربعة من مؤلّفات الشيخ الطوسي.

١٥ ـ إنّ الأحاديث التي أوردها الشيخ الطوسي في كتاب ***التهذيب*** على أقسام، اذكرها.

١٦ ـ علّل مايأتي:

أ) بدأ الشيخ في كتاب ***التهذيب*** بشرح باب الأحداث الموجبة للطهارة، وترك ما قبل ذلك ممّا يتعلّق بالتوحيد والعدل والإمامة.

ب) ما الذي حمل الشيخ رحمه الله على جمع كتاب ***تهذيب*** الأحكام وتأليفه؟

١٧ ـ يشتمل كتاب ***الاستبصار*** على جميع مارُوي من الأخبار المختلفة وبيان وجه التأويل فيها والجمع بينها، فما الغرض من ذلك؟

١٨ ـ اذكر اثنين من الحواشي على كتاب *الاستبصار*.

١٩ ـ ما هي الغاية من تأليف كتاب الوافي؟

٢٠ ـ امتاز كتاب الوافي بميزات، اذكر ثلاثة منها.

٢١ ـ في أيّ سنة كانت وفاة الفيض الكاشاني، وأين دُفن؟

٢٢ ـ اتّفق العلماء على تناول وتداول كتاب *الوسائل* وأجمعوا على النقل عنه والاستناد إليه، لماذا؟

٢٣ ـ وضع الحرّ العاملي خاتمة مفصّلة لكتابه *الوسائل*، اشتملت على (١٢) فائدة لها أهميّة بالغة، بيّن أهميّة الخاتمة بذكر ثلاث فوائد موجزة.

٢٤ـ للحرّ العاملي مؤلّفات أُخرى غير الوسائل عدّد ثلاثة منها.

٢٥ ـ لماذا يُعد كتاب *بحار الأنوار* أكبر موسوعة حديثيّة عرفها المسلمون حتّى اليوم؟

٢٦ ـ لقد أورد العلاّمة المجلسي في كتاب البحار خمساً وعشرين رسالة صغيرة من تأليفات المتقدّمين والمتأخّرين، لماذا؟

٢٧ ـ اذكر قولاً لأحد العلماء في حقّ العلاّمة المجلسي.

٢٨ ـ اذكر اثنين من ميزات وخصائص كتاب ميزان الحكمة باختصار.

٢٩ ـ لماذا تمّ تلخيص كتاب ميزان الحكمة بمجلّدين باسم منتخب ميزان الحكمة؟

٣٠ ـ إنّ مؤلّف موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام لم يهمل ذكر الأسانيد، بل أثبتها مع متونها، فما الفائدة في ذلك؟

٣١ ـ أحاديث كتب الغَيبة المأثورة عن الصادقِين عليهما السلام ماذا أثبتت، وماذا تناولت؟

٣٢ ـ ما معنى الإملاء وما مدى اعتباره؟

٣٣ ـ كم يبلغ عدد أحاديث كتاب صحيفة الرضا عليه السلام؟ وفي أيّ الموضوعات هي؟

(٥)

التعرّف على علم الرجال

- المدخل
- المبحث الأوّل: التعرّف على علم الرجال
- المبحث الثاني: علاقة علم الرجال بعلم الدراية وعلم التراجم
- المبحث الثالث: استخدام علم الرجال في العلوم المختلفة
- المبحث الرابع: التعرّف على مصادر علم الرجال الشيعية
- المبحث الخامس: التعرّف على أساليب تحقيق رجال السند

المدخل

السنّة النبويّة الشريفة مصدر من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله(عزّ وجلّ)، وذلك بصريح الآيات القرآنية المباركة، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[٣]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدلّ على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله والأخذ بما جاء به.

ومن البديهي أنّ الأساس في تحصيل العلوم الإلهيّة وتفصيلها وتوضيحها، يعود إلى السنّة الشريفة، والتي هي نفس قول وفعل وتقرير المعصوم عليه السلام[٤]؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم جاء لبيان الخطوط العامّة والأحكام الكلّية للشريعة الإسلامية، وأوكل تفصيلها وبيانها للنبي صلى الله عليه وآله، ومن بعده أهل بيته عليهم السلام؛ لكونهم اُمناء الله على وحيه.

أمّا العقل فلا طريق له إلى إثبات الأحكام الشرعية؛ لعدم إحاطته بالجهات الواقعية الداعية إلى جعل الأحكام الشرعية، نعم يمكن ذلك في موارد قليلة قد تمّ بيانها في علم اُصول الفقه.

---

١. الحشر: ٧.

٢. النور: ٦٣.

٣. المائدة: ٩٢.

٤. انظر: *الحبل المتين* **للعاملي**: ص٤.

وأمّا الإجماع فلا يكون حجّة، إلاّ ما كان كاشفاً عن قول المعصومعليه السلام، وهو نادر الوجود[١].

والمتحصّل من ذلك: إنّ استنباط الحكم الشرعي، وبيان الحقائق القرآنية لايكون ـ في الغالب ـ إلاّ عن طريق السنّة النبويّة الشريفة.

ومن الواضح أنّه لا سبيل للوصول إلى السنّة النبويّة الشريفة إلاّ عن طريق الأحاديث المعتبرة المروية عن المعصومينعليهم السلام، والتي هي كلام يحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره[٢].

وممّا ينبغي التصريح به: أنّه لا يمكن لنا أن نعتبر كلّ حديث وجِدَ في المصادر الحديثية حديثاً حاكياً عن السنّة الشريفة واقعاً، إلاّ بعد إحراز كون جميع من روى هذا الحديث ممّن يُعتمد على روايتهم ويوثق بهم، حتّى يمكن الحكم بصدور الحديث عن المعصومعليه السلام اعتماداً على تلك الوثاقة؛ وذلك لوجود جملة من الرواة الكذّابين والوضّاعين للحديث، كما دلّت الشواهد التاريخية عليه.

ومن خلال ذلك دعت الحاجة إلى الاهتمام بدراسة الحديث وما يتعلّق به من علوم، حتّى يمكننا الوثوق بأنّ هذه الأحاديث في واقعها حاكية عن قول المعصوم وفعله وتقريره.

ثمّ اعلم، إنّ العلم الذي يتكفّل ببيان أحوال رواة الحديث من حيث تشخيص ذواتهم وتبيين أوصافهم، هو علم رجال الحديث، واختصاراً يسمّى بـ«علم الرجال».

ومرادهم من الرجال: هم الرواة للأخبار والآثار الشرعيّة، سواء كان الراوي رجلاً أم امرأة. وإطلاق لفظ «الرجال» هنا جاء من باب التغليب، حيث إنّ عدد الرواة الذكور أكثر بكثير من عدد الرواة الإناث.

---

١. انظر: *معجم رجال الحديث* للخوئي: ج١، ص١٩ ـ ٢٠.

٢. *الحبل المتين*: ص٤؛ *نهاية الدراية* لحسن الصدر: ص٨٠.

وسنتحدّث في هذا الدرس عن المفاهيم العامّة في علم الرجال، وسنتطرّق إلى ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأوّل: التعرّف على علم الرجال

هناك عدّة مسائل مهمّة بإمكاننا أن نتعرّف من خلالها على علم الرجال، حيث تُعتبر هذه المسائل من مبادئ هذا العلم، وهي:

١ ـ تعريف علم الرجال

توجد هناك تعاريف عديدة لعلم الرجال، ومن جملة تلك التعاريف المذكورة هو: «العلم بأحوال رواة خبر الواحد ذاتاً ووصفاً، مدحاً وقدحاً، وما في حُكمهما»[١].

شرح التعريف

قوله: «العلم بأحوال رواة»، والمقصود به هو: معرفة الخصوصيات الفردية للراوي التي لها دخل في اعتبار أخباره أو عدم اعتبارها، أمّا ما ليس له تأثير في قبول أو ردّ روايته ـ كاللباس والعرق واللغة ـ فلا يبحث عنه في علم الرجال.

قوله: «خبر الواحد»، أخرج بهذا القيد: دراسة أحوال رواة الخبر المتواتر؛ لأنّ ملاك اعتبار الحديث في الخبر المتواتر هو كثرة الرواة في كلّ طبقة، بحيث تحيل العادة تواطئهم على الكذب، أمّا في الخبر الواحد فإنّ ملاك الاعتبار هو وثاقة الرواة.

قوله: «ذاتاً»، ويراد به معرفة هوية وشخصية ذات الراوي (اسمه ونسبه وشهرته)، بحيث يتميّز عن سائر الأشخاص المشتركين معه بالاسم أو اللقب.

قوله: «وصفاً»، ويراد به معرفة أوصافه من الوثاقة وغيرها، وهي الهيئة التي يُذكر بها ذلك الراوي، وهي على ثلاثة وجوه:

---

١. انظر: *توضيح المقال في علم الرجال* لملاّ علي الكني: ص٣٢.

الوجه الأوّل: المدح، ويراد منه الصفات الإيجابية التي يوصف بها الراوي، وله مرتبتان:

المرتبة العليا: وتُسمّى العدالة.

المرتبة الدنيا: وهي كلّ نقطة إيجابية مهما صَغُرت.

الوجه الثاني: القدح، ويراد منه الصفات السلبية التي يوصف بها الراوي، وله مرتبتان:

المرتبة العليا: كقولهم: «كذّاباً ووضّاعاً».

المرتبة الدنيا: وهي أقلّ نقطة سلبية يكون الراوي فيها ضعيفاً.

الوجه الثالث: قد لا يرد في الراوي مدحٌ ولا قدحٌ، بل قد يرد في سيرة الراوي وترجمة حياته بعض النقاط التي يمكن من خلالها أن نُلحق الراوي في وصف الممدوحين أو المذمومين. وإليه أشار بقوله: «وما في حكمهما».

٢ ـ وظيفة علم الرجال

من خلال التدقيق في تعريف علم الرجال يتّضح لنا أنّ البحوث الرجالية لابدّ أن تقع ضمن هاتين الوظيفتين:

الوظيفة الأُولى: تشخيص وتعيين هوية الراوي، اسمه ونسبه وشهرته، فبتعيين هويته يرتفع وجه الاشتراك مع آخرين قد يحملون نفس الهوية أو ما يشبهها.

الوظيفة الثانية: معرفة اعتبار الراوي من حيث الوثاقة والضعف وغيرهما من الصفات، حيث يترتّب على معرفة حاله من الوثاقة والضعف قبول حديثه أو ردّه.

ثمّ اعلم، إنّ أيّ علم أو فنّ أو مسألة، يتمّ من خلالها البحث عن إحدى هاتين الوظيفتين أو كلتيهما، فإنّ البحث فيه يعتبر بحثاً رجالياً.

وعليه، فإنّ الوظيفة الثانية ـ وهي ما يعبّر عنها بـ«الجرح والتعديل» ـ تعدّ قسماً من الأبحاث الرجالية، ومنه فإنّ تعريف علم الرجال بـ«الجرح والتعديل» تعريفٌ غير جامعٍ، فالنسبة بين علم الرجال وبين الجرح والتعديل هي العموم والخصوص المطلق، لا التساوي.

٣ ـ موضوع علم الرجال

عبارة عن: رواة الحديث من حيث اتّصافهم بكونهم ثقاتاً أو عدولاً، أو غير ذلك من الأحوال العارضة على الموضوع، والتي لها دخل في اعتبار خبرهم وعدمه[١].

٤ ـ أهمّية علم الرجال

ويثبت عن طريق الأدلّة النقلية والشواهد التاريخية التي تشير إلى وجود جملة من الكذّابين والوضّاعين الذين تلاعبوا في الأحاديث الشريفة حسب ما تملي عليهم أهواؤهم ومصالحهم الشخصية.

ولكثرتهم وخطورة عملهم هذا، راحت أقوال الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام تحذّر منهم وتتوعّدهم بعذابٍ أليم، كما جاء في الحديث الشريف: «**من كذّب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار**»[٢].

وهناك تصريحات من الأئمّة عليهم السلام بذمّ ولعن والبراءة ممّن كذّب على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الأئمّة عليهم السلام، أمثال: المغيرة بن سعيد، وابن الخطّاب وغيرهما.

حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**...إنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي...**»[٣]، وكذلك ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**إنّ أبا الخطّاب كذّب على أبي عبد الله عليه السلام، لعن الله أبا الخطّاب وكذلك أصحاب أبي الخطّاب...**»[٤]، وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «**إنّا أهل بيتٍ صادقون، لا نخلو من كذّابٍ يكذب علينا، فيسقّط صدقنا بكذبه علينا عند**

---

١. انظر: *كلّيات في علم الرجال* لجعفر السبحاني: ص١٢.

٢. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٤، ص٣٦٤؛ *تحف العقول*: ص١٩٣.

٣. *اختيار معرفة الرجال*: ج٢، ص٤٨٩، الرقم ٤٠١.

٤. المصدر السابق.

الناس»[١].

ممّا يستدعي ذلك كلّه الفحص والتفتيش عن جميع الرواة؛ ليحصل بذلك الوثوق بكون هذا الراوي ثقة فيؤخذ بخبره، أو غير ثقة فلا يؤخذ به.

إضافة إلى ذلك، فإنّ التعرّف على أحوال الرواة يفيدنا في مقام الترجيح بين الخبرين المتعارضين، حتّى يقدّم قول الأفقه والأورع ونحوهما.

ومن هنا، تتّضح مدى أهمّية علم الرجال، والخدمة التي يقدّمها للباحث ليتسنّى له استنباط الحكم المبحوث عنه من الأحاديث المعتبرة.

المبحث الثاني: علاقة علم الرجال بعلم الدراية وعلم التراجم

من خلال البحث المتقدّم يتبيّن أنّ موضوع علم الرجال هو: الراوي بما هو راوٍ، وبعبارة أُخرى: فإنّه يُطلق على علم الرجال علم معرفة الراوي. فإذا كان هذا هو المراد من علم الرجال، فما هي علاقته بعلم الدراية وعلم التراجم؟ ولأجل الجواب على هذا السؤال نذكر ما يلي:

أوّلاً: علاقة علم الرجال بعلم الدراية

عُرّف علم الدراية بأنّه: «علم يُبحث فيه عن سند الحديث ومتنه وكيفية تحمّله وآداب نقله»[٢]. فهو أحد العلوم المهتمّة والمختصّة بدراسة الحديث، حيث وضعت ضوابط وقواعد معيّنة للحديث المعتبر في هذا العلم.

لعلم الدراية جِهتَي اتّحاد وافتراق مع علم الرجال:

- يتّحدان في قسم من الهدف والغاية، وهما الخدمة للحديث سنداً.
- يفترقان بالموضوعات، فموضوع علم الدراية هو مجموع السند والمتن، بينما

---

١. *اختيار معرفة الرجال*: ج٢، ص٥٩٣، الرقم ٥٤٩.

٢. *نهاية الدراية* للسيّد حسن الصدر: ص٧٩.

موضوع علم الرجال هو أفراد سند الحديث.

مثال

عُرّف الحديث الصحيح في علم الدراية بأنّه: «ما اتّصل سنده إلى المعصومعليه السلام بنقل العدل الإماميّ عن مثله في جميع الطبقات»[1]. ومنه يتّضح ما يلي:

- إذا كان الراوي عادلاً إماميّاً وجميع رواة الحديث كانوا بهذه الكيفية، فيكون الحديث صحيحاً.
- وأمّا إذا لم يكن جميع الرواة عدولاً إماميّين، خرج الحديث عن كونه صحيحاً.

ثمّ اعلم إنّ بيان وتشخيص حال الرواة ـ من حيث العدالة والضبط والوثاقة وكونه إمامياً وغيرها من الصفات ـ موكول إلى علم الرجال.

ونستنتج ممّا تقدّم:

١ ـ إنّ علم الدراية: يبحث في المصطلحات والأُصول العامّة لتقييم الحديث.

٢ ـ إنّ علم الرجال: يبحث في حال أفراد الرواة على وجه التفصيل.

مثال تطبيقي

لاحظ رجال هذا السند: عليّ بن إبراهيم (عادل إماميّ)، عن أبيه إبراهيم بن هاشم (عادل إماميّ)، عن ابن أبي عمير (عادل إماميّ)، عن عمر بن أُذينة (عادل إماميّ)، عن الإمام الصادقعليه السلام...

فسلسلة رواة هذا الحديث قد اشتملت على رواة تمّ إظهار حالهم عند علماء الرجال بكونهم عدولاً إماميّين، فإذا رجعنا إلى الضابطة الكليّة التي أعطاها علماء الدراية في تعريف الحديث الصحيح، وهو: «ما اتصل سنده إلى المعصومعليه السلام بنقل العدل الإماميّ»، نصل إلى نتيجة: «أنّ هذا الحديث حديثٌ صحيحٌ».

---

١. *الرعاية في علم الدراية*: ص٧٧.

ثانياً: علاقة علم الرجال بعلم التراجم

عُرّف علم التراجم بأنّه: «العلم الذي يُبحث فيه عن أحوال الشخصيات المشهورة من العلماء وغيرهم».

وبما أنّ الكثير من رواتنا هم من الشخصيات المؤثّرة في عالمنا الإسلامي، فعادةً ما تُذكر أسماؤهم في علم التراجم لشهرتهم، بالإضافة إلى ذكرهم في علم الرجال كرواة، فمع وجود جهة تشابه من هذه الناحية، إلاّ أنّه هناك نقاط افتراق أيضاً، منها:

الافتراق من جهة الموضوع

موضوع علم الرجال: هو الرواة، سواء كان الراوي كثير الرواية أم قليلها.

موضوع علم التراجم: هو الشخصيات المشهورة في المجتمعات المختلفة، كالفقهاء والفلاسفة والوزراء وغيرهم من الشخصيات، بما فيهم الرواة المشهورين وكثيري الرواية، فلا يكون الرواة قليلو الرواية أو غير المشهورين محلّ بحث في هذا العلم.

فعلم الرجال يتناول الرواة فقط، ولا يتطرّق إلى الشخصيات غير الروائية. بينما علم التراجم يتطرّق إلى العلماء بمختلف علومهم وغيرهم من الشخصيات المؤثّرة السياسية والعسكرية وغيرها، وإلى المشهورين من الرواة. فالنسبة المنطقية بين هذين العِلمين من هذه الجهة هي العموم والخصوص من وجه.

الافتراق من جهة نوع المعلومات

علم الرجال: لا يتناول أحوال الراوي من جميع الجهات ـ كما ورد في التعريف ـ وإنّما يهتمّ بالمعلومات المؤثّرة في معرفة هويّة الراوي ومقدار الاعتماد على رواياته، ولذلك فإنّ الكثير من الأُمور لا تدخل في البحث الرجالي غالباً.

علم التراجم: يتناول أحوال الراوي وأُموره الشخصيّة، كالسفر الشخصي وبعض الحوادث التي قد تقع.

فالنسبة المنطقية بين هذين العلمين من هذه الجهة هي: العموم والخصوص المطلق.

المبحث الثالث: استخدام علم الرجال في العلوم المختلفة

يرتبط الحديث ارتباطاً وثيقاً مع كثير من العلوم الدينية، ومن خلاله يكون لعلم الرجال الدور الأكبر والارتباط الأوسع، باعتباره العلم الذي يتكفّل ببيان أحوال الرواة ذاتاً ووصفاً، كما اتّضح ذلك في الدروس السابقة، ومن جملة تلك العلوم التي ترتبط بعلم الرجال عن طريق الحديث، هي:

علم الرجال وعلم الفقه

عرّف علم الفقه بأنّه: «العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلّتها التفصيلية»[١].

ذكر الفقهاء في محلّه أنّ الأدلّة التي يُستخرج منها الحكم الشرعي هي: الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، إلاّ أنّ الفقيه يعتمد في استنباطه للحكم الشرعي ـ غالباً ـ على السنّة الشريفة، وذلك عن طريق الأحاديث الحاكية عنها، ومن هنا يعتبر علم الفقه من أكثر العلوم ارتباطاً بالحديث الشريف ومن خلاله بعلم الرجال.

وعليه، فكلّ مسألة فقهية يكون دليلها الحديث الشريف، فلابدّ من إخضاع هذا الحديث لعلم الرجال؛ لإثبات صحّة سنده حتّى يمكن من خلاله إثبات هذه المسألة الفقهية والتي تسمّى بـ«الحكم الشرعي».

علم الرجال وعلم أُصول الفقه

عرّف علم الأُصول بأنّه: «علم يبحث فيه عن قواعد تقع نتيجتها في طرق استنباط الحكم الشرعي»[٢]. وهذه القواعد على قسمين:

القسم الأوّل: القواعد العقلية، وهذا القسم ليس له علاقة بعلم الرجال؛ لارتكازه على البراهين العقلية.

القسم الثاني: القواعد الشرعية، وهذا القسم هو الذي يعتمد على علم الرجال، وذلك

---

١. *القواعد والفوائد* للشهيد الأوّل: ج١، ص٣٠؛ *معالم الدين* لابن الشهيد الثاني: ص٢٦.

٢. *أُصول الفقه* للمظفر: ج١، ص٤٩.

من خلال اعتماده على الأحاديث الشريفة.

من القواعد الأُصولية الشرعية هي قاعدة: أصالة البراءة الشرعية، فإنّها مأخوذة من الحديث المشهور والمعروف بـ«حديث الرفع»، وهو ما روي عن رسول الله ﷺ قوله: «**رُفع عن أُمّتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطُرّوا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفّة**»[1].

فالأُصولي إن تمّ له إسناد هذا الحديث إلى المعصوم عليه السلام، وثبت له صحّة سنده، فبإمكانه أن يؤسّس قاعدة أُصولية عامّة، وهي: براءة الذّمة في كلّ من هذه الأُمور التسعة.

ومن الواضح، فإنّ إثبات صحّة سند هذا الحديث يعتمد على علم الرجال بالدرجة الأُولى، وبالتالي يؤثّر ذلك سلباً أو إيجاباً على قبول هذه القاعدة، وهي: أصالة البراءة الشرعية.

علم الرجال وعلم الكلام

عُرّف علم الكلام بأنّه: «علم يُقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة»[2].

ثمّ إنّ المباحث الكلامية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: الموضوعات الكلامية التي يتمّ الاعتقاد بها على أساس المعرفة العلمية اليقينية، كوجود الصانع وتوحيده، والنبوّة، والمعاد، ونحوها. وعليه، فلا مجال فيها للاستناد إلى الأخبار الظنّية ولو كانت معتبرة.

القسم الثاني: الموضوعات الكلامية التي لا تكون المعرفة العلمية اليقينية شرطاً فيها، بل يمكن الاعتقاد بها استناداً إلى المصادر الموثوق بها، ومنها الأخبار المعتبرة وسائر

١. *الخصال* للشيخ الصدوق، ص٤١٧، ح٩.

٢. *الإمامة في أهمّ الكتب الكلامية* للميلاني، ص١٩.

الحجج والإمارات العلمية.

وهذه الموضوعات هي التي لها ارتباط بعلم الرجال؛ لكون العلم بها ناشئ عن طريق الأحاديث، فلابدّ من تمحيص هذه الأحاديث ببيان أحوال الرواة فيها وفرز الثقة عن غيره، ليحصل لنا الوثوق بصدورها عن المعصومعليهم السلام، ممّا يؤدّي ذلك إلى إثبات هذه المسألة العقائدية.

علم الرجال وعلم التفسير

عُرّف علم التفسير بأنّه: «بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها»[١].

فإنّ الكثير من المباحث القرآنية والتفسيرية تعتمد على الأحاديث الشريفة، فهي إذاً بحاجة إلى البحث الرجالي أيضاً، أمّا الموارد التي يكون للرواية دور إرشادي في بيان بعض من معاني القرآن، فإنّه يقلّ الاعتماد فيها على المباحث الرجالية.

علم الرجال وعلم التاريخ

عُرّف التاريخ بأنّه: «فنٌ يُبحث فيه عن وقائع من حيثية التعيين والتوقيت، بل عمّا كان في العالم»[٢].

إنّ علم التاريخ يرتبط بعلم الرجال ارتباطاً شديداً، فلا يمكن قراءة تاريخ الإسلام بشكلٍ عامّ أو تاريخ التشيّع في القرن الأوّل ـ على الأقلّ ـ بشكلٍ خاصّ، دون الاستفادة من المصادر الرجالية المعتبرة، والعكس صحيح أيضاً، فإنّ القراءة الرجالية إذا لم تعتمد على المعلومات التاريخية فسوف تبتعد عن الدقّة.

علم الرجال في المباحث الإسلامية العامّة (مثال تطبيقي)

ورد في بعض الروايات أنّ النساء هنّ السبب الذي يحول دون عبادة الله سبحانه، كما

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*: ج١، ص٤.

٢. *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*: ج١، ص٩.

جاء في هذه الرواية:

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أوّل ما عُصي اللَّه تبارك وتعالى بستّ خصال: حبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وحبّ الطعام، وحبّ النساء، وحبّ النوم، وحبّ الراحة**»[1].

يُلاحظ عليه: أنّ هذا الحديث غير معتبر سنداً؛ لأنّ فيه «عبد الله بن القاسم» الذي قيل فيه: إنّه «كذّاب واقفي».

وعلى هذا الأساس، لا يمكن نسبة هذا المعنى ـ أي إنّ المرأة تمنع عن عبادة اللَّه تعالى ـ إلى المعصوم عليه السلام.

ويتّضح ممّا تقدّم:

- إنّ كلّ علم يعتمد في مسائله ـ أو بعضها ـ على الحديث، فهذا يعني عدم استغنائه عن علم الرجال؛ وذلك للتلازم بين علم الرجال والحديث.
- دور علم الرجال وتأثيره في مباحث العلوم الإسلامية المختلفة.

المبحث الرابع: التعرّف على مصادر علم الرجال الشيعية

نستعرض في هذا الموضوع قسمين، وفيهما نبحث على عدّة مسائل تختصّ بالمصادر الرجالية، حيث نتعرّف من خلالها على مناهج تأليف المصادر الرجالية، وكذلك على أهمّ المصادر الرجالية عند الشيعة.

إلاّ أنّنا وقبل أن نبدأ بالخوض في هذين المبحثين، لابدّ لنا من بيان مقدّمة نوضّح فيها الطرق التي يتمّ من خلالها معرفة أحوال الرواة سلباً أو إيجاباً، فنقول:

يمكننا معرفة أحوال الأشخاص من خلال طرقٍ ثلاث:

---

١. *الخصال*: ص ٣٣٠، ح٢٧؛ *وسائل الشيعة*: ج ٢٠، ص٢٦، ح٢٤٩٣٩.

١ ـ المعرفة الواقعية: وتأتي هذه المعرفة عن طريق الاطّلاع المباشر على سلوك الشخص.

٢ ـ المعرفة الظاهرية: وتأتي هذه المعرفة عن طريق الاستماع لشهادة المطّلع على سلوك الشخص بشكلٍ مباشر.

٣ ـ المعرفة العلمية: وهي المكتسبة عن طريق الرجوع إلى الأسانيد التاريخية والوثائق الموجودة التي تحكي عن جوانب مختلفة لشخصية الفرد.

ومن الواضح أنّ معرفة الرواة غير متيسّرة لنا باستعمال الطريق الأوّل والثاني؛ لعدم معاصرة الرواة ومعاصرة من اطّلع على حالهم ليشهدوا لنا بذلك.

فلم يبق أمامنا إلاّ الطريق الثالث، وهو الرجوع إلى المصادر الرجالية المعتمدة باعتبارها وثائق تاريخية تحكي لنا أحوال الراوي، وعلى هذا الأساس فإنّ معرفة المصادر التي تستخرج منها المعلومات الرجالية تحظى بأهمّية كبيرة.

أوّلاً: مناهج تأليف المصادر الرجالية

دُوّنت المصادر الرجالية لأغراض وأهداف مختلفة، ولذلك فإنّ هناك تفاوتاً بينها من ناحية الشكل والمحتوى طبقاً لتلك الأهداف. ومن أهمّ مناهج تدوين تلك المصادر هي:

التأليف على منهج الطبقات

يتناول هذا النوع من المصادر طبقة الرواة، والفترة الزمنية والمكانية التي يعيش فيها الراوي، وذلك على أساس معاصرة الراوي لأحد المعصومين عليهم السلام.

- فهناك في بعض الكتب اثنا عشر باباً، تشمل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، حتّى الإمام العسكري عليه السلام، ما عدا الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الذي لم يكن له أصحاب إلاّ نوّابه الأربعة.
- وفي بعض المصادر يضاف إليها بابٌ آخر يختصّ بمن لم يروِ عن واحدٍ من المعصومين عليهم السلام، تحت عنوان: «باب من لم يروِ عنهم»، فالمجموع يكون ثلاثة

عشر باباً أو طبقة.

ومن أهمّ مصاديق هذا النوع من التأليف هي:

١ ـ *رجال البرقي*، تأليف أحمد بن محمّد بن خالد البرقي.

٢ ـ *كتاب الرجال*، تأليف الشيخ الطوسي.

التأليف على منهج المؤلّفين

يتناول هذا النوع من التأليف الرواة الذين كانت لهم كتب ومؤلّفات خاصّة بالحديث، فكلّ من له نسخة أو كتاب فسوف يُذكر في هذه الكتب الرجالية، وذلك على أساس الحروف الهجائيّة.

الجدير بالذكر أنّ هذا النوع من التدوين ـ أي الفهارس ـ هو من اختصاص الشيعة، فإنّ هناك كتباً كثيرة لدى الشيعة دوّنت عن طريق أصحاب الأئمّة عليهم السلام حتّى عام (٣٠٠هـ)، وبعد ذلك شعر العلماء في ذلك العصر بضرورة تدوين كتب فهارس تضمّ مؤلّفاتهم.

ومن أهمّ الفهارس التي دوّنت في ذلك الوقت هي:

١ ـ *فهرس أسماء مصنّفي الشيعة*، المشهور بـ(*رجال النجاشي*).

٢ ـ *الفهرست* للشيخ الطوسي.

التأليف على منهج الجرح والتعديل

هذا النوع من التأليف هو محاولة للتعرّف على الرواة المعتمدين وتمييزهم عن الرواة غير المعتمدين، وقد رتّبت مباحث هذه الكتب على قسمين:

١ ـ ما يتعلّق بالرواة المعتمدين.

٢ ـ ما يتعلّق بالرواة غير المعتمدين.

ومن أهمّ الكتب المدوّنة على هذا المنهج، هي:

- *خلاصة* الأقوال *في علم الرجال*، للعلاّمة الحلّي.
- *رجال ابن داوود*، تأليف تقي الدين الحلّي.

التأليف على منهج حروف المعجم

يتكفّل هذا النوع من التأليف بترتيب جميع المعلومات الرجالية حول كلّ راوٍ ورد ذكره في المصادر الرجالية. وقد نُظّم هذا النوع من الكتب على أساس حروف المعجم، وقد دوّنت الجوامع الرجالية المهمّة للشيعة على هذا الأساس.

إنّ أهمّية هذا النوع من التأليف يرجع إلى أنّ الذي يحاول الاستفادة من هذه المعاجم لا يحتاج للتنقيب عن أيّ نوع من المعلومات في المصادر الأُخرى، فإنّها تذكر جميع أسماء الرواة بترتيب الحروف الهجائيّة، ثمّ تذكر جميع المعلومات المتعلّقة بهذا الراوي، بخلاف الكتب المؤلّفة على المناهج الأُخرى، فإنّ الباحث يلتمس الحاجة من خلالها إلى بعض المعلومات، مثلاً هل أنّ الراوي من أصحاب الإمام أم لا؟ أو هل أنّه صاحب كتاب أم لا؟ أو هل أنّ هذا الراوي مطعون بالجرح أم لا؟

ومن أهمّ الكتب التي أُلّفت على هذا المنهج هو: ***معجم رجال الحديث*** للسيّد أبي القاسم الخوئي، حيث يعتبر هذا المصدر من المصادر الحديثة في علم الرجال.

ثانياً: المصادر الرجالية عند الشيعة

قبل أن نبدأ بذكر المصادر الرجالية الشيعية الموجودة بين أيدينا، لابدّ لنا من بيان نبذة مختصرة عن مصادر الرجال الشيعية بصورة عامّة تحت عنوان:

نبذة تاريخية عن مصادر علم الرجال عند الشيعة

اهتمّ علماء الشيعة من عصر التابعين إلى يومنا هذا بعلم الرجال، فألّفوا كتباً تتكفّل ببيان أحوال الرواة قوّةً وضعفاً.

- في أوائل النصف الثاني من القرن الأوّل، ألّف عبد الله بن أبي رافع ـ كاتب أمير المؤمنين ـ كتاباً أسماه: ***تسمية من شهد مع علي في حروبه***، ذكر فيه أسماء الصحابة الذين شايعوا عليّاً عليه السلام وحضروا حروبه. وإن كان في عدّه من الكتب

الرجاليّة ـ المصطلح عليها اليوم ـ كلام لا مجال لتفصيله.

- وفي القرن الثاني إلى أوائل القرن الثالث، توالى تأليف الكتب الرجالية، فأوّل ما اطّلعنا عليه من المصادر الرجالية بمعناها المصطلح عليها اليوم ما أَلّفه عبد الله بن جبلة الكناني (ت ٢١٩هـ) تحت عنوان *كتاب الرجال*، واستمرّ ذلك على يد ابن فضّال وابن محبوب وغيرهم حتّى أواخر القرن الثالث، إلاّ أنّه ممّا يؤسف له عدم وصول هذه المؤلّفات إلينا.

المصادر الرجالية الشيعية

في أوائل القرن الثالث الهجري بدأ التدوين الرسمي للكتب الرجالية واستمرّ ذلك إلى القرن الرابع عشر الهجري، إلاّ أنّه بإمكاننا تقسيم تلك المصنّفات إلى أربعة مجاميع ـ حسب الترتيب الزمني والاعتباري ـ نبيّن من خلالها المصادر المهمّة التي أُلّفت في هذه المرحلة والتي هي بين أيدينا.

المجموعة الأُولى: الأُصول الأوّلية

ومرادنا من الأُصول الأوّلية: هي تلك المصادر الرجالية التي أُلّفت في أسماء الرجال وتوثيقاتهم، وذلك في أوائل القرن الثالث الهجري، وحتّى القرن الخامس.

تعدّ هذه المصادر من الكتب المهمّة والمفصّلة في أسماء الرجال، حيث تعتبر من أقدم المصادر الرجالية التي وصلت إلينا من بين عشرات الكتب التي أُلّفت آنذاك في أسماء الرجال، ولذلك حُظيت بكثير من العناية والاهتمام.

فقد عاصر مؤلّفوها أساتذة الحديث وأساطينه، وكانوا قريبي العهد من رواة الأحاديث، لذلك تمكّنوا من الوقوف على أحوال الرواة وخصوصياتهم، إمّا عن طريق الحسّ والسماع، أو عن طريق جمع القرائن والشواهد المورثة للاطمئنان.

ومن أهمّ هذه المصادر، هي:

١ ـ *رجال البرقي* تأليف أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت٢٩٠هـ)، دُوّن هذا الكتاب على منهج الطبقات، ونادراً ما يُذكر فيه المدح والذمّ.

٢ ـ *اختيار معرفة الرجال* المعروف بـ(*رجال الكشّي*)، تأليف الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، جمع فيه كلّ الروايات المنقولة عن الأئمّة عليهم السلام أو أصحابهم حول الرواة، ولم يبد المؤلّف رأيه فيها.

٣ ـ *كتاب الرجال* المعروف بـ(*رجال الطوسي*)، تأليف الشيخ الطوسي، دُوّن على منهج الطبقات، ويحتوي على (١٣) باباً، باب لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وأحد عشر باباً لأصحاب الأئمّة عليهم السلام، وباب واحد لمن لم يروِ عن واحدٍ منهم عليهم السلام، حيث ذكر فيها (٦٦٤٩) اسماً.

٤ ـ *الفهرست* للشيخ الطوسي أيضاً، دُوّن على منهج المؤلّفين، فهو كما يظهر من اسمه فهرست عن مؤلّفي الشيعة، وقد اشتمل على (٩١٢) عنواناً.

٥ ـ *فهرس أسماء مصنّفي الشيعة* ويُعرف بين العلماء بـ(*رجال النجاشي*)، تأليف أحمد بن علي بن العبّاس النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، دُوّن على منهج المؤلّفين، فهو فهرست دقيق لمؤلّفي الشيعة ومصنّفاتهم، حيث يشتمل على (١٢٧٠) عنواناً أصليّاً.

المجموعة الثانية: الأُصول الثانوية

ومرادنا من الأُصول الثانوية: هي تلك المصادر الرجالية التي اُلّفت في أسماء الرجال وتوثيقاتهم، والتي استند فيها إلى الأُصول الأوّلية وإلى بعض المصادر الأُخرى، ككتاب *رجال الفضل بن شاذان*، وغيره، وذلك في القرن السادس والسابع الهجري.

حيث يعدّ مؤلّفوها من أشهر علماء الرجال بعد مؤلّفي الأُصول الأوّلية، ولهذا اشتهرت بين العلماء بالأُصول الثانوية لعلم الرجال.

ومن أهمّ هذه المصادر هي:

١ ـ *رجال ابن داوود*، تأليف تقي الدين الحسن بن علي بن داوود الحلّي (٦٤٧ ـ

٧٠٧هـ)، دوّنه على منهج الجرح والتعديل، ويحتوي على قسمين:

القسم الأوّل: يختصّ بالممدوحين والمهملين، ويبلغ عددهم (١٧٤٤) شخصاً.

القسم الثاني: يختصّ بالضعفاء، ويبلغ عددهم (٥٦٥) شخصاً.

٢ ـ *خلاصة الأقوال في علم الرجال*؛ تأليف العلاّمة الحسن بن يوسف المطهّر الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٦هـ)، دوّنه على منهج الجرح والتعديل، ويحتوي على قسمين:

القسم الأوّل: يختصّ بالرواة المعتمدين لدى العلاّمة، وهم (١٢٢٧) راوياً.

القسم الثاني: يختصّ بالرواة الضعاف، أو الذين يُردّ حديثهم، أو موقوفين،

المجموعة الثالثة: الجوامع الرجالية

ومرادنا من الجوامع الرجالية: هي تلك المصادر الرجالية التي أُلّفت في أسماء الرجال وأحوالهم، والتي جمعت بين طيّاتها جميع المعلومات المتعلّقة بالراوي، استناداً إلى الأُصول الأوّلية والثانوية لعلم الرجال، وبذلك اشتهرت بين العلماء بالجوامع الرجالية، وذلك من منتصف القرن العاشر حتّى القرن الرابع عشر الهجري.

إلاّ أنّنا بإمكاننا تقسيم هذه الجوامع ـ بلحاظ الفترة الزمنية ـ إلى قسمين:

القسم الأوّل: الجوامع الرجالية المتأخّرة

وأُلّفت هذه الجوامع من أواخر القرن العاشر وحتّى القرن الثاني عشر الهجري، ومن أهمّ هذه الجوامع:

١ ـ *منهج المقال في معرفة الرجال* المعروف بـ(*رجال الكبير*)، تأليف الميرزا محمّد بن علي بن إبراهيم الإسترآبادي (ت ١٠٢٨هـ).

هذا الكتاب يعتبر من أجمع الكتب الرجالية في ذلك الوقت، علماً بأنّ المؤلّف قام بتلخيصه مرّتين:

- تلخيص متوسّط تحت عنوان: ***تلخيص المقال في معرفة الرجال***، ويُسمّى ***برجال الوسيط***.

- تلخيص صغير تحت عنوان: ***توضيح المقال في معرفة الرجال***، ويُسمّى ***برجال الوجيز***.

٢ ـ ***نقد الرجال***، تأليف السيّد مصطفى بن الحسين التفرشي، وهو من تلامذة الإسترآبادي، ألّفه سنة (١٠١٥هـ)، حيث يقال إنّه كان حيّاً سنة (١٠٤٤هـ)[١].

ومن خصائص هذا الكتاب: إنّ المؤلّف قام برفع الزوائد والاستطرادات من كتاب اُستاذه.

٣ ـ ***مجمع الرجال***، تأليف زكي الدين عناية الله القهباني، من تلامذة الشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ).

ومن خصائص هذا الكتاب: إنّه ذكر الأُصول الأوّلية بنفسها، ثمّ علّق عليها في الحاشية.

٤ ـ ***جامع الرواة***؛ تأليف العلاّمة محمّد بن علي الأردبيلي، حيث يقال: إنّه كان حيّاً سنة (١١٠٠هـ)[٢].

ومن خصائص هذا الكتاب: إنّ المؤلّف جمع فيه رواة الكتب الأربعة: ***الكافي***، ***كتاب من لا يحضره الفقيه***، ***التهذيب*** و***الاستبصار***، وأخذ ترجمة حال الرواة من كتاب ***رجال الوسيط*** للإسترآبادي، أو كتاب ***نقد الرجال*** للتفرشي.

القسم الثاني: الجوامع الرجالية المعاصرة

في القرن الرابع عشر الهجري، ظهرت جوامع أُخرى لكلّ منها خصوصيّة معيّنة، ومن أهمّ تلك الجوامع:

١ ـ ***تنقيح المقال في أحوال الرجال***، تأليف الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ).

ومن خصائص هذا الكتاب: إنّه من أوسع الكتب الرجالية، فقد ذكر فيه ما يقارب (١٦٣٠٧) شخص، أورد فيه تراجم جميع الصحابة والتابعين، وسائر أصحاب الأئمّة عليهم السلام

---

١. انظر: *نقد الرجال*: ج١، ص٨، المقدّمة.

٢. انظر: *معجم مصطلحات الرجال والدراية* لمحمّد رضا جديدي نژاد: ص٢٠٠.

وغيرهم من الرواة[١]، حيث استفاد من (٣٢) كتاباً شيعياً و(٤) مصادر سنّية ممّا أعطاه تنوّعا وسعة في المعلومات.

٢ ـ *قاموس الرجال*، تأليف الشيخ محمّد تقي التستري (ت ١٤١٦هـ).

وهذا الكتاب عبارة عن بعض التعليقات والإشكالات على كتاب ***تنقيح المقال***، حتّى أخرجه كتاباً مستقلاً تحت عنوان ***قاموس الرجال***[٢].

٣ ـ ***معجم رجال الحديث***، تأليف السيّد الخوئي (ت ١٤١٤هـ).

يعتبر هذا الكتاب من أكبر الجوامع الرجالية المعاصرة وأكثرها دقّةً، حيث كُتب طبقاً للأُصول العلمية الدقيقة التي ميّزته عن غيره من الجوامع.

ولأجل التعرّف على هذا الكتاب جيّداً، لابدّ لنا من ذكر بعض الخصائص التي تميّز بها هذا الكتاب، وذلك من خلال جهتين:

الجهة الأُولى: الأسماء والعناوين

- إنّ جميع الأسماء والعناوين الموجودة في هذا المعجم مأخوذة من الكتب الأربعة ومن الأُصول الرجالية الأوّلية، ولذلك فإنّ ذكر عدد أحاديث الراوي الفلاني إنّما يكون على أساس الكتب الأربعة، وليس في جميع أحاديث الشيعة، وعليه فقد بلغت عناوين هذا الكتاب (١٥٧٠٦) عنوان.
- ذكر اسم الراوي بنفس العنوان الذي ورد في أسانيد المصادر الحديثية، حتّى إذا كانت هذه الأسماء لراوٍ واحد، فإنّه يقوم بإدخال كلّ واحد من هذه الأسماء تحت عنوان مستقلّ، فمثلاً ورد اسم **أحمد بن محمّد** بعدّة أشكال: (أحمد بن محمّد، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، أحمد بن أبي عبد الله، أحمد بن أبي عبد الله البرقي، البرقي)، فجميع هذه الأسماء يذكرها المؤلّف

١. انظر: *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*: ج٤، ص٤٦٦.

٢. انظر: *كلّيات في علم الرجال*: ص١٣٦.

بصورة مستقلّة، مع أنّ جميعها تحكي عن شخصٍ واحد.

نعم، إنّ تعدّد العناوين لشخصٍ واحد أحد المشاكل التي تعترض طريق الرجالي، إلاّ أنّ المؤلّف حلّ تلك المشكلة بإرجاع العناوين بعضها إلى بعض، فنظام الإرجاع في هذا المعجم يساعد الطالب في التعرّف على أنواع التعابير الواردة في الإسناد لشخصٍ واحد.

الجهة الثانية: ترجمة حال الراوي

- يعتمد المؤلّف على الأُصول الأوّلية في ترجمة حال الراوي، وإذا لم تكن المعلومات كافية، فإنّه يستفيد من المصادر المتأخّرة المعتبرة.
- يقوم المؤلّف بتشخيص طبقة الراوي مع ذكر شيوخه وتلاميذه.
- في الموارد غير الواضحة بالنسبة إلى اعتبار الراوي، يقوم المؤلّف بالبحث العلمي والدراسة الدقيقة لبيان النقطة.
- دراسة اختلاف نسخ الجوامع الحديثية في اسم الراوي وتصحيحها.

٤ ـ المفيد من معجم رجال الحديث، تأليف الشيخ محمّد الجواهري

ولأهمّية كتاب معجم رجال الحديث ووسعته، فقد قام عدّة من الباحثين باختصار محتوى هذا الكتاب، ومن أهمّ هذه الكتب هو كتاب ***المفيد من معجم رجال الحديث*** للشيخ محمّد الجواهري، فإنّ هذا الكتاب يضع بين أيدينا المعلومات الجامعة بالنسبة إلى الراوي الموجود في أسانيد الكتب الأربعة بأيسر طريق ممكن. وإليك نبذة مختصرة عن هذا الكتاب:

خصائص هذا الكتاب:

- ذكر المؤلّف أسماء جميع الأشخاص الموجودين في معجم رجال الحديث.
- نُظّم الكتاب على شكل جداول، ففي كلّ صفحة هناك ثلاثة أعمدة في الجانب الأيمن من الصفحة، وقد شخّص رقم العنوان على أساس: طبعة النجف بالرمز ن، وطبعة بيروت بالرمز ب، وطبعة طهران بالرمز ط.

- ذكر عنوان الراوي بخطّ غامق، وبعد ذلك ذكر معلومات مختصرة حول الراوي من كتاب معجم رجال الحديث، وذلك بخطّ عادي. ومن جملة هذه المعلومات:
  - ✓ الوثاقة أو الحُسن أو عدمهما.
  - ✓ تعيين طبقة الراوي.
  - ✓ ذكر اسم الإمام الذي روى عنه الراوي من دون واسطة (في حال وجوده).
  - ✓ ذكر عدد روايات الراوي في الكتب الأربعة.
  - ✓ بيان حكم طريق الشيخ الطوسي، أو الصدوق، أو كليهما إلى الراوي في مشيخة ***كتاب من لا يحضره الفقيه*** أو ***تهذيب الأحكام*** أو ***الاستبصار***.
  - ✓ بيان اتّحاد الراوي مع غيره من الرواة في الأسماء أو اختلافها.

المجموعة الرابعة: الكتب التحقيقية

ظهرت في القرون الأخيرة أنواع من الكتب الرجالية التي تقوم بدراسة القواعد والضوابط العامّة لعلم الرجال، فهذه المجموعة من الكتب لا تتناول أسماء الرجال ومواصفاتهم، بل تتناول:

- جملة من المفاهيم العامّة في التعرّف على علم الرجال، كتعريف علم الرجال وبيان موضوعه وأهمّيته، وغيرها من المواضيع.
- الأُصول العامّة والقواعد الكليّه في معرفة أحوال الرواة، والتي تطبّق من قبل الباحث أو الفقيه على الجزئيات الموجودة في كتب رجال الحديث، كالتوثيقات العامّة والخاصّة، وغيرها من القواعد.
- بعض الفوائد والنكات التي طرحها كبار الرجاليين.

وتُعرف هذه الكتب ***بالفوائد الرجالية***، أو ***الكلّيات الرجاليّة***، وأهمّ هذه المصادر:

١ ـ ***توضيح المقال في الدراية والرجال***، تأليف: الملاّ علي كني.

٢ ـ *سماء المقال في علم الرجال*، تأليف: أبو الهُدى الكلباسي.

٣ ـ *الرسائل الرجالية*، تأليف: أبو المعالي الكلباسي.

٤ ـ *الفوائد الرجالية*، تأليف: الشيخ فهد كجوري الشيرازي، وهو في الغالب من فوائد الوحيد البهبهاني.

٥ ـ *كلّيات في علم الرجال*، تأليف: الشيخ جعفر السبحاني.

المبحث الخامس: التعرّف على أساليب تحقيق رجال السند

إنّ التعرّف على أساليب تحقيق رجال السند ذاتاً ووصفاً ـ كما تقدّم في تعريف علم الرجال ـ يتمّ من خلال فعاليتين أساسيتين يتكفّل بهما الباحث الرجالي، وهما:

١ ـ المعرفة الدقيقة برجال السند.

٢ ـ معرفة اعتبار رجال السند.

إنّ عمل الرجالي في «الجرح والتعديل» يشبه عمل القاضي تجاه المتّهم، ولكي يصدر القاضي الحكم العادل عليه فلابدّ له من أن يتعرّف أوّلاً على المتّهم بشكل دقيق، ثمّ بعد ذلك يبدأ بمحاكمته، ثمّ الحكم عليه إمّا بالبراءة أو الإدانة.

ونفس الشيء بالنسبة لدراسة السند، فانّه لابدّ للرجالي أوّلاً من معرفة الراوي بشكل دقيق (باسمه ونسبه وشهرته) بحيث يتميّز عن سائر من يُسمّى باسمه، ثمّ بعد ذلك يبدأ بدراسة أحواله وأوصافه التي لها دخل في قبول روايته أو عدم قبولها، فيحكم عليه بعد ذلك إمّا بالوثاقة أو عدمها.

إنّ التعرّف على أساليب تحقيق رجال السند ـ من خلال المعرفة الدقيقة بالسند ومعرفة اعتبار الرواة في السند ـ يمرّ عبر ثلاث مراحل، المرحلتان الأوليتان تختصّ بمعرفة رجال السند، والمرحلة الثالثة تختصّ باعتبار الرواة، وقبل البدء في بيان هذه المراحل، لابدّ لنا من التعرف أوّلاً على الأساليب التي اعتاد عليها القدماء من علمائنا في اختصار سند الحديث، بالإضافة إلى إمكانية التعرّف على الطرق التي يتمّ من خلالها حلّ مسألة

الاختصار والتي تعتبر كمقدّمة قبل الدخول في بيان هذه المراحل، مع ذكر جملة من الأمثلة الروائية التي تساعد الطالب العزيز للتعرّف جيّداً على هذه الأساليب.

أساليب اختصار السند

يتمّ التعرّف على رجال السند فيما إذا ذكروا في سند الحديث بصورة تامّة، لكنّ طريقة الاختصار في سند الحديث كانت متداولة بين القدماء من علمائنا (رحمهم الله)، ممّا استدعى ذلك إلى لزوم التعرّف على أساليب الاختصار، وطريقة حلّه، فلابدّ من الالتفات إلى هذه النقطة المهمّة حتّى لا يغفل عنها في مقام صدور الحكم. ومن أهمّ أساليب الاختصار التي اعتاد عليها علماؤنا القدماء هي:

١ ـ التعليق

التعليق هو: عدم اتّصال السند في بدايته ـ من جهة المؤلّف ـ اعتماداً على السند المتقدّم، فيقوم المؤلّف بحذف قسم من السند اللاّحق تعليقاً على السند السابق.

والذي يرجع إلى المصادر الروائية ـ مع الأخذ بنظر الاعتبار مجموعة الأسانيد ـ يمكنه أن يتعرّف على هذا الأُسلوب من الاختصار، ولكنّ هذه المسألة قد تكون صعبة فيما إذا نظرنا إلى الروايات بصورة جزئية، أي مع غضّ النظر عن الأسانيد السابقة والمتقدّمة على الرواية المنظور إليها والمبحوث حول سندها.

وهذا الأُسلوب من الاختصار بالسند (التعليق) قد يكون بحذف راوٍ واحد أو راويين أو أكثر من ذلك.

أمثلة تطبيقية

المثال الأوّل

- عليّ بن إبراهيم، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن محمّد بن سنان،

عن أبي جرير القمّي، عن أبي الحسن عليه السلام...[١].

- محمّد بن خالد، عن حمزة بن عبيد، عن إسماعيل بن عباد، عن أبي عبد الله عليه السلام...[٢].

فإذا نظرنا إلى السند الثاني بنحوٍ إجمالي ـ مع غضّ النظر عن السند الأوّل ـ نرى أنّ المؤلّف قد روى عن محمّد بن خالد بدون واسطة، إلاّ أنّه في الحقيقة أنّ السند الثاني قد عُلّق على السند الأوّل بحذف راويين من ابتداء السند، وهما: علي بن إبراهيم وأحمد بن محمّد، فتكون سلسلة رجال السند الثاني كالتالي:

علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن حمزة بن عبيد، عن إسماعيل بن عباد، عن أبي عبد الله عليه السلام...

المثال الثاني

- عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام...[٣].
- سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام...[٤].

فإذا لاحظنا السند الثاني، نراه معلقاً على السند الأوّل، وذلك بعدم ذكر العدّة، فيكون السند بهذا الشكل: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة...

ثمّ اعلم إنّ معرفة هذا الأُسلوب من الاختصار (التعليق) ـ والذي غالباً ما يقع في بداية السند ـ يتطلّب معرفة شيوخ المؤلّف الذين يقعون في بداية سند الحديث، وهذا النوع من

---

١. *الكافي*: ج٨، ص٢٨٩، ح٤٣٧.

٢. المصدر السابق: ح٤٣٨.

٣. المصدر السابق: ج٢، ص٢٥١، ح١٠.

٤. المصدر السابق: ج٢، ص٢٥١، ح١١.

التعليق كثيراً ما يحدث في كتاب *الكافي*.

تنبيه

كلّ ما ورد في *الكافي* من قوله: «عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى»، أو «عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقي»، أو «عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد»، فهذه العِدَد جميعها معلومة ومعتبرة[1]. وكذا لا إشكال من ناحية سائر العدد، كما قالوا.

٢ ـ شبه التعليق

شبه التعليق هو: عدم اتّصال السند في بدايته من جهة المؤلّف اعتماداً على السند المتقدّم، مع كتابة لفظ خاصّ يدلّ على جزء السند المحذوف.

في مصطلح التعليق يجب ألاّ يحلّ لفظ خاصّ محلّ الأسماء المحذوفة، أمّا إذا حلّ لفظ خاصّ يدلّ على تلك الأسماء المحذوفة بالاعتماد على السند المتقدّم، كقولهم: «وبهذا الإسناد»، فهذا لا يُطلق عليه تعليق اصطلاحاً، بل هو شبه تعليق.

مثال

- علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمٰن، عن ابن بكير، عن حمزة بن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام...[2].
- وبهذا الإسناد، عن يونس، عن حمّاد، عن عبد الأعلى، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام...[3].

فقد اختصر بداية السند الثاني بقوله: «وبهذا الإسناد»، وأراد منه: علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى. فيكون السند الثاني بهذه الصورة: علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى،

---

١. انظر: *الكافي*: ج ١، ص٤٨، المقدّمة.

٢. المصدر السابق: ص١٦٣، ح ٤.

٣. المصدر السابق: ح٥.

عن يونس، عن حمّاد، عن عبد الأعلى...

٣ ـ التحويل

التحويل هو: جمع سندين أو أكثر في سندٍ واحد، بحيث يكون جزء منها مشترك بين هذه الأسانيد.

ومن أجل التّعرف جيّداً على أُسلوب التحويل نذكر أمثلة تطبيقية لهذا الأُسلوب:

المثال الأوّل

محمّد بن الحسن وعليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسى، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان، عن درست الواسطي، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى عليه السلام...[١].

وهذا السند في الواقع هو عبارة عن سندين، هما:

- محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسى...
- عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسى...

المثال الثاني

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام...[٢].

فقد عُطف في هذا السند راويان على راويين، حيث إنّ هذا السند في الحقيقة هو عبارة عن سندين، هما:

- عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري...
- محمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري...

---

١. *الكافي*: ج١، ص٣٢، ح١.

٢. المصدر السابق: ج٣، ص٣٥٠، ح١.

المثال الثالث

محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان وأبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار جميعاً، عن صفوان، عن مرازم، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام...[١].

في هذا السند يكون «أبو عليّ الأشعري» معطوفاً على «محمّد بن إسماعيل»؛ بدليل رفع «أبو علي»، حيث إنّ هذا السند في الحقيقة هو عبارة عن سندين هما:

- محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، عن مرازم...
- أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان، عن مرازم...

المثال الرابع

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد وأبو داوود، جميعاً عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن داوود بن فرقد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام...[٢].

قد عُطف في هذا السند راوٍ واحد على راويين، وذلك أيضاً بدليل رفع (أبو داوود)، وعليه يكون هذا السند أيضاً عبارة عن سندين، هما:

- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة...
- أبو داوود، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة...

ثمّ اعلم إنّ القرينة على التحويل، هي:

- وجود واو العطف.
- وجود لفظ «جميعاً».

ولكن في بعض الأحيان قد لا يوجد في السند لفظ «جميعاً»، ففي هذه الموارد لا يبقى طريق لمعرفة التحويل إلاّ التعرّف على الطبقات عن طريق الأسانيد المتشابهة، وفي هذا النوع من الإسناد يكفي إحراز طريق واحد، أو اثنين، ولا يلزم أن يكون جميع الرواة

---

١. *الكافي*: ج٧، ص٨، ح٦.

٢. المصدر السابق: ج٣، ص٢١، ح٣.

التي وردت أسماؤهم في السند معتبرين.

٤ ـ الإضمار

الإضمار هو: حذف اسم الراوي بذكر الضمير الدالّ عليه، إستناداً إلى السند المتقدّم.

ففي كثير من الأسانيد وبدلاً من ذكر الراوي الأوّل أو الثاني عادةً ما يستفاد من الضمير كقولهم: «عنه».

والمعرفة الدقيقة لمرجع الضمير تعتبر أمراً ضرورياً في التعرّف على أفراد السند، ولكنّ الإشكال في هذه المسألة هو أنّ مرجع الضمير لا يعود دائماً للشخص الأوّل، ولهذا فهناك احتمالات متعدّدة في هذه المسألة.

وطريقة التعرّف على مرجع الضمير هو الاستفادة من الأسانيد المشابهة، لاحظ الأمثلة التالية:

المثال الأوّل

- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الله بن جندب، عن سفيان بن السمط البجلي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام...[1].
- عنه، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن عمر بن أبان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام...[2].

مرجع الضمير في السند الثاني هو«محمّد بن يحيى».

المثال الثاني

- أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي

---

١. *الكافي*: ج٢، ص٤٠٤، ح٤.

٢. المصدر السابق:ص٤٠٥، ح٥.

المستهلّ، عن محمّد بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام...»[١].

- وعنه، عن صفوان، عن جارود بن المنذر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام...»[٢].

مرجع الضمير هو محمّد بن عبد الجبّار وليس أبو علي الأشعري؛ لوجود الواسطة بينه وبين صفوان بن يحيى، فهذان الموردان يمكن معرفتهما بسهولة بلحاظ السند السابق.

هذا وبعد أن تمّ التعرّف على أساليب اختصار السند وطرق حلّه، نستعرض الآن المراحل التي يتمّ من خلالها التعرّف على أساليب تحقيق رجال السند ذاتاً ووصفاً مع ذكر جملة من الأمثلة الروائية.

المراحل التي يتمّ من خلالها التعرّف على أساليب تحقيق رجال السند

المرحلة الأُولى: تمييز المشتركات

المشتركات هي: الأسماء المتشابهة التي تطلق على شخصين أو أكثر، كما هو الحال في (أحمد بن محمّد) المشترك بين عدّة أشخاص

إنّ التعرّف على الأسماء المشتركة له دور هامّ في دراسة الأسانيد، فإذا ما وجد راوٍ مشترك في السند بين جماعة (بلحاظ الاسم)، بعضهم موثّقون والبقية غير موثّقين، فلابدّ في هذه الحالة من دراسة السند بصورة دقيقة للتعرّف على الاسم المراد في السند.

ومن أجل علاج مسألة الاشتراك، لابدّ من التعرّف على:

- العوامل التي تؤدّي إلى وجود الاشتراك في السند.
- طرق رفع الاشتراك.

العوامل التي تؤدّي إلى وجود الاشتراك في السند

إنّ أهمّ العوامل التي تؤدّي إلى وجود الاشتراك في أسماء الرواة، هي:

---

١. *الكافي*: ج٣، ص١٣٤، ح١٣.

٢. المصدر السابق: ص١٣٥، ح١٤.

١ ـ مسألة الاختصار الذي كان متداولاً عند القدماء، وذلك بالاعتماد على الأسانيد السابقة.

٢ ـ اشتهار الشخص عند الراوي عنه، فيقوم باختصار اسمه استناداً إلى شهرته ـ حسب نظره ـ.

وإليك عدّة أمثلة تطبيقية تتعرّف من خلالها على كيفية نشوء الاشتراك في أسماء الرواة:

المثال الأوّل

جاء في *كتاب الكافي* وفي سندين متتابعين:

- عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن محمّد بن عذافر، عن أبي عبد الله عليه السلام...[1].
- عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة وفضيل ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام...[2].

فقد اختصر اسم الراوي الأوّل في السند الثاني، ولم يذكر إلاّ لفظ «علي»، حيث أصبح مشتركاً بين عدّة رواة ـ مع غضّ النّظر عن السند الأوّل ـ.

المثال الثاني

- محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن داوود بن فرقد، عن أبي سعيد الزهري، عن أبي جعفر عليه السلام...[3].
- محمّد، عن أحمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن حمزة بن الطيار إنّه عرض

---

١. *الكافي*: ج٣، ص٤٥٧، ح١.

٢. المصدر السابق: ح٢.

٣. المصدر السابق: ج١، ص٥٠، ح٩.

على أبي عبد الله عليه السلام...»[١].

لاحظ أنّ اختصار اسم «محمّد وأحمد» في السند الثاني، قد أدّى إلى وجود الاشتراك في الأسماء.

طرق رفع الاشتراك

توجد طرق عديدة لرفع الاشتراك في أسماء الرواة، نذكر جملة منها على وجه الإجمال:

١ ـ الرجوع إلى السند السابق، كما مرّ في المثالين السابقين.

ففي المثال الأوّل، فإنّ قوله في السند الثاني: «علي، عن أبيه» يراد منه: علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي، عن أبيه، وذلك اعتماداً على السند السابق.

كذلك في المثال الثاني، فإنّ قوله في السند الثاني: «محمّد، عن أحمد» يراد به: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، وذلك استناداً إلى السند السابق أيضاً.

٢ ـ الاستفادة من الأسانيد المشابهة

فعلى سبيل المثال إذا ورد سندٌ كالتالي: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام...

وكان قد ورد سند آخر بهذه الصورة التالية: عليّ بن إبراهيم القمّي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة وفضيل ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام...»[٢].

ولاحظنا أنّ هذين السندين متشابهان من جهة أسماء الرواة، فعليه بإمكاننا الحكم على أنّ لفظ «علي» في السند الأوّل يراد منه: «علي بن إبراهيم القمي».

٣ ـ الاستفادة من الطبقات

فمثلاً ورد اسم «أحمّد بن محمّد» في ثلاث طبقات في أسانيد ***الكافي***:

---

١. *الكافي*: ح١٠.

٢. المصدر السابق: ج١، ص٥٠، ح٢.

أ) طبقة مشايخ الكليني.

أي إنّ الكليني ينقل عنهم دون واسطة، وهو «أحمد بن محمّد العاصمي»

ب) طبقة مشايخ مشايخ الكليني.

أي إنّ الكليني ينقل عنهم بواسطة واحدة، وهو مردّد بين شخصين: «أحمد بن محمّد بن خالد البرقي» و«أحمد بن محمّد بن عيسى»، وفي بعض الموارد يصرّح فيها بأسمائهم، وأُخرى لايصرّح، وبما أنّهم موثّقون فليست هناك أيّة مشكلة.

ج) طبقة مشايخ مشايخ مشايخ الكليني.

أي إنّ الكليني ينقل عنهم بواسطتين، فيقول: «عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد...» وهذا المورد مردّد أيضاً بين «أحمد بن محمّد بن خالد»، «وأحمد بن محمّد بن عيسى».

٤ ـ الاستفادة من القرائن الزمانية والمكانية وبعض الخصوصيات الأُخرى التي تكشف عن اشتهار راوٍ معيّن في نقل الراوي عنه.

المرحلة الثانية: توحيد المختلفات

المختلفات هي: الأسماء المتعدّدة لمسمّىً واحد. وعليه تكون هذه المرحلة عكس المرحلة السابقة.

ثمّ اعلم إنّ هذه المسألة ـ توحيد المختلفات من أسماء الرواة ـ تحظى بأهمّية كبيرة عند الباحث الرجالي، فقد يحدث أنّ أحد الرواة وتحت اسم معين، قد وثّق أو ضعّف طبقاً لكتب الرجال، وفي اسمه الآخر لم يرد في ترجمته شيء، والذي يعبّر عنه بـ«المهمل».

ومن البديهي أنّ عدم معرفة وحدة الشخص مع الأسماء المختلفة يولّد لدينا إشكالاً مهمّاً في تحقيق رجال السند.

إلاّ أنّه بإمكاننا أن نقول: إنّ أهمّ الطرق التي يتمّ من خلالها إثبات وحدة الأشخاص

هي الاستفادة من الأسانيد المشابهة.

مثال

ورد في بداية بعض أسانيد *الكافي* «أبو عليّ الأشعري»، وهذا الاسم لم يرد فيه توثيقاً، وبما أنّ «أبا عليّ الأشعري» هو نفسه«أحمد بن إدريس» الّذي ورد في بداية أسانيد أُخرى تحمل نفس الطريق والذي ذكر توثيقه في كتب الرجال، فعليه ينحلّ هذا الإشكال، أي توثيق«أبي عليّ الأشعري».

المرحلة الثالثة: التوثيق والتضعيف

بعد الانتهاء من المرحلتين السابقتين ـ واللتين يتمّ من خلالهما التعرّف على هوية رجال السند ـ تصل النوبة إلى معرفة أحوال رجال السند.

ثُمّ اعلم إنّ الطريق إلى معرفة أحوال رواة الحديث ـ بالنسبة إلى زماننا هذا ـ لا يتمّ إلاّ من خلال الرجوع إلى الأسانيد التاريخية والوثائق الموجودة التي تحكي لنا جوانب مختلفة عن حياة الراوي وأحواله الشخصية التي لها دخل في اعتبار روايته أو عدم اعتبارها، والتي عُبّر عنها في الدرس الأوّل بـ(المعرفة العلمية)، وعلى رأس تلك الأسانيد المصادر الرجالية المعتمدة، كالأُصول الأوّلية وغيرها من المصادر المعتبرة.

وقبل الدخول في بيان أقسام التوثيقات والتضعيفات ومبانيها، لا بأس بذكر عدّة مواضيع يتمّ التعرّف فيها على معنى التوثيق والتضعيف، وكذلك إلى الوجوه التي يمكن تصوّرها في معرفة الرواة في الكتب الرجاليّة، وحكم كلّ منها بصورة إجمالية.

معنى التوثيق والتضعيف

الثقة: مصدر قولك: وثق به يثق، بالكسر فيهما، وثاقة وثقة ائتمنه... والوثاقة: مصدر الشيء الوثيق المحكم[1]. ووثّق فلاناً قال فيه: إنّه ثقةٌ أي مؤتمن[2]. ومنه الحديث: «**ليس**

١. *لسان العرب* لابن منظور: ج١٠، ص٣٧١ «وثق».
٢. *تاج العروس* للزبيدي: ج٧، ص٨٣ «وثق».

من العدل القضاء بالظنّ على الثقة»[1].

ومنه يستنتج معنى التوثيق في اصطلاح الرجاليين، وهو: الحكم لشخصٍ بكونه مؤتمناً ومعتمداً بنقله للحديث.

وأمّا التضعيف: فالضَّعف والضُّعف: خلاف القوّة[2]. فالضُّعف ـ بالضمّ ـ يكون في الجسد خاصّة... والضَّعف ـ بالفتح ـ يكون في الجسد والرأي والعقل، يقال: في رأيه ضَعف، ولا يقال: فيه ضُعف، كما يقال: في جسده ضُعف وضَعف[3].

ومنه يستنتج معنى التضعيف في اصطلاح الرجاليين وهو: الحكم على شخصٍ بكونه غير قوي وغير معتمد بنقله للحديث. وعدم القوّة هنا في رأيه وعقله.

ثمّ اعلم إنّ توثيق الراوي وعدمه إنّما ينصبّ بجواز الاعتماد على خبره أو عدمه، فالعدالة والوثاقة يعتبران من الشروط الأساسية للاعتماد على خبر الراوي، والعكس صحيح.

صور معرفة الرواة في الكتب الرجاليّة

تقدّم ممّا سبق أنّ وظيفة علم الرجال هي: معرفة هوية الراوي واعتباره، وعليه فإنّ الراوي بلحاظ هويته ينقسم إلى قسمين:

١ ـ معلوم الهوية، وهو: من عُرفت هويته في الكتب الرجالية.

٢ ـ مجهول الهوية، وهو: من لم تُعرف هويته بعدم ذكره في كتب الرجال، أو من ورد له ذكر بكتابة اسمه فقط مع مجهولية هويته عند المؤلّف.

وأمّا بلحاظ اعتباره فالراوي إذا كان مجهول الهوية فهو خارج بحثنا، وأمّا ما كان معلوم الهوية فينقسم إلى قسمين أيضاً:

١ ـ معلوم الحال، وهو: الذي قيّمه الرجاليون بالوثاقة أو بعدمها.

---

١. *مجمع البحرين*: ج ٤، ص ٤٦٤ «وثق».

٢. *الصحاح*: ج ٤، ص ١٣٩٠ «ضعف»؛ *كتاب العين*: ج ١، ص ٢٨١ «ضعف»؛ *لسان العرب*: ج ٩، ص ٢٠٣ «ضعف».

٣. *الفروق اللغوية* لأبي هلال العسكري: ص ٣٣٠.

٢ ـ غير معلوم الحال، وهو: الذي لم يوجد له تقييم في كتب الرجاليين، وهو على قسمين:

أ) مجهول الحال، وهو: من نصّ الرجاليون على جهالة حاله.

ب) مهمل الحال، وهو: من ذكر اسمه في كتب الرجال من غير أن يمدح أو يذمّ (مسكوت عنه).

وعليه فبإمكاننا أن نلخّص هذه الأقسام من خلال أربع صورٍ هي:

الصورة الأُولى: مجهول الهوية.

الصورة الثانية: معلوم الهوية والحال.

الصورة الثالثة: معلوم الهوية ومجهول الحال.

الصورة الرابعة: معلوم الهوية ومهمل الحال.

حكم الصور المتقدّمة

قد قسّموا في علم مصطلح الحديث الخبر الواحد بلحاظ أحول الرواة إلى أربعة أقسام، هي: الصحيح والحسن والموثّق والضعيف. وأرجعوا جميع الأقسام الأُخرى من ناحية الاعتبار إلى هذه الأقسام الأربعة.

إلاّ أنّ هذا ليس مورد بحثنا، ولكنّه بإمكاننا أن نبيّن بشكل مجمل أحكام هذه الصور، ولكن لا على سبيل القطع:

الصورة الأُولى: إذا كان الراوي مجهول الهوية فمن الطبيعي لا يمكن الاعتماد على روايته مطلقاً؛ وذلك لجواز كونه كافراً.

الصورة الثانية: إذا كان الراوي معلوم الهوية والحال فهو إمّا أن يكون ممدوحاً أو مذموماً في كتب الرجال.

- ✓ فإن كان ممدوحاً، فإمّا أن يكون المدح مدحاً نصّ فيه على عدالته ووثاقته، فإنّ روايته تكون معتبرة، ويمكن الركون إليها والوثوق بها.

وإمّا أن يمدح مدحاً لا ينصّ فيه على عدالته ووثاقته كقولهم: خيّر، حافظ،

وجه... فأيضاً بإمكاننا الأخذ بروايته إن تـمّ الوثـوق بهـا بانـضمام بعـض القـرائن المؤيّدة.

- ✓ وإن كان مذموماً، كما لو نصّ على كذبه أو فسقه أو وضعه للحديث، فلا يمكن الركون إلى خبره لاحتمال كونـه قـد وضـع هـذا الحـديث، إلاّ إذا اعتـضد قولـه بجملة من القرائن التي يمكن معها الوثوق بهذا الخبر، كموافقته للقرآن أو السنّة القطعيّة أو الإجماع أو الشهرة على القول بجبرها لضعف السند.

الصورة الثالثة والرابعة: إذا كان الراوي معلوم الهوية ومجهول الحال أو معلوم الهوية ومهمل الحال فيمكن العمل بـرواياتهم طبقـاً لـبعض المبـاني، وذلـك علـى القـول: بأصـالة العدالة عند الشكّ في كون هذا الشخص المسلم عادلاً أم لا.

قال الشيخ الطوسي: «الأصـل فـي الإسـلام العدالـة، والفـسق طـارئ عليـه يحتـاج إلـى دليل»[١].

والـدليل علـى هـذا الأصـل: إنّ حـال المـسلم يحمـل علـى القيـام بالواجبـات وتـرك المحرّمات، ومن ثمّ جرى عليـه هـذا الحكـم حتّـى لا يجـوز رميـه بفعـل محـرّم ولا تـرك واجب أخذاً بظاهره[٢].

تنبيه

لا يصحّ إجراء أصـالة العدالـة ـ مـع صـحّتها ـ علـى الـصورة الأُولـى (الـراوي مجهـول الهويّة)؛ لعدم إحراز كونه مسلماً، وهذا الأصل لا يجري إلاّ في المسلم، كما ظهر من قول الشيخ رحمه الله.

هذا وبعد أن تمّ التعرّض إلى معنى التوثيق والتضعيف وصور معرفة الراوي في الكتـب الرجاليّة وحكمها بشكل مجمل، نبدأ ببيان أقسام التوثيق ومبانيه مع غضّ النظر عن أقـسام

---

١. *الخلاف*: ج٦، ص٢١٨.

٢. انظر: *مسالك الإفهام*: ج١٣، ص٣٩٨.

التضعيف ومبانيه؛ وذلك لاشتراكهما في نفس التقسيم.

أقسام التوثيق ومبانيه

هناك سؤال يطرح نفسه وهو: بعد أن عرفنا أنّ الطريق إلى معرفة الرواة هو المعرفة العلميّة، وذلك عن طريق الأسانيد التاريخية المعتمدة وعلى رأسها المصادر الرجاليّة، فكيف يمكن الحصول على بيان أحوال الرواة على أساس المصادر الرجاليّة؟

وللإجابة على هذا السؤال لا بدّ لنا أن نتعرّف أوّلاً على أنواع التوثيق، ومن ثمّ نقوم بعرض مباني تلك الأنواع، فنقول: إنّ التوثيق ينقسم إلى قسمين: التوثيق الخاصّ، والتوثيق العامّ. وإليك بيان كلّ قسم على وجه التفصيل مع ذكر مبانيه:

القسم الأوّل: التوثيق الخاصّ

وهو توثيق شخص أو أشخاص معيّنين بذكر أسمائهم من دون أن تكون هناك ضابطة عامّة تشملهم، فالدلالة على وثاقتهم بهذا الشكل دلالة مطابقية.

كأن يقال مثلاً: «زرارة بن أعين ثقة» فهذا توثيق خاصّ؛ لأنّه عيّن وثاقة زرارة بذكر اسمه، وكذلك إذا قيل مثلاً: «زرارة ومحمّد بن مسلم وبريد بن معاوية و... ثقات» فهذا توثيق خاصّ أيضاً؛ لأنّه شخّص وثاقة هؤلاء بصورةٍ فردية دقيقة، أي وردت أسماؤهم في التوثيق.

هذا وبعد أن بيّنا مفهوم التوثيق الخاصّ، فإنّ من أهمّ الأسئلة المطروحة هي: من هم الأشخاص الذين يُقبل توثيقهم في حقّ الراوي؟ وطبقاً للمباني المعتبرة لابدّ أن يصدر التوثيق الخاصّ من:

١ ـ نصّ أحد المعصومين

في الموارد التي يرد فيها توثيق أو تضعيف من قبل المعصوم في أحد الأشخاص، فمن المؤكّد أنّ ذلك هو الملاك في العمل، وهو أوضح الطرق وأسماها، ولكن يتوقّف ذلك على ثبوته برواية معتبرة عنه.

مثال ذلك:

- ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام ـ بسندٍ معتبر ـ في حقّ الأعلام الأربعة: زرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وبريد العجلي، وليث بن البختري.

قال الكشّي رحمه الله: «حدّثني حمدويه، قال: حدّثني يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد الأقطع، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام إلاّ زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي؛ ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين وأُمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة**»[1].

فبهذا النصّ الشريف ـ وغيره من النصوص المعتبرة ـ استُدلّ على وثاقة هؤلاء الأعلام الأربعة(رحمهم الله).

- روي عن الإمام الرضا عليه السلام ـ بسندٍ معتبر ـ في حقّ المغيرة بن سعيد.

فعن الكشّي، قال: «حدّثني محمّد بن قولويه، قال: حدّثني سعد بن عبد الله، قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبي يحيى زكريا بن يحيى الواسطي، وحدّثنا محمّد بن عيسى بن عبيد، عن أخيه جعفر بن عيسى وأبو يحيى الواسطي، قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «**كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام، فأذاقه اللّه حرّ الحديد**»[2].

فقد استُدلّ بهذا النصّ وأمثاله على تضعيف المغيرة بن سعيد، وعدم قبول رواياته؛ للنصّ على كذبه.

---

١. *اختيار معرفة الرجال* للطوسي: ج١، ص٣٤٨، ح٢١٩.

٢. *معرفة الرجال*: ج٢، ص٤٨٩، ح٣٩٩.

تنبيه

لا يمكن الاعتماد على الرواية الضعيفة في إثبات وثاقة الراوي أو حسنه، كما لا يمكن الاستدلال على وثاقة شخص وحسنه برواية نفسه عن الإمام عليه السلام؛ لاستلزامه الدور الواضح[١]، أو أنّ ذلك يثير سوء الظنّ به، حيث قام بنقل مدائحه وفضائله في الملأ الإسلامي.

٢ ـ تصريح أحد أعلام المتقدّمين

ذكرنا سابقاً أنّ الأبحاث الرجالية المعاصرة تقوم على أساس الأسانيد العلمية المذكورة في حقّ الرواة. فقد وردت في كتب الرجاليين المتقدّمين روايات على شكل أخبار آحاد تتحدّث عن أحوال رواة الحديث، وقد نُقلت هذه الروايات عن المعصومين عليهم السلام بأسانيد معتبرة.

ولهذا قام أصحاب الأُصول الأوّلية باكتساب المعلومات المتعلّقة بأحوال الرواة ـ غالباً ـ من خلال هذا المسلك، حيث عملوا على تدوين الأخبار الواردة في حقّ الرواة في كتبهم ومصنّفاتهم.

ومن البديهي فإنّ هذه الأخبار والروايات المنقولة ـ من كتب أصحاب المعصومين عليهم السلام عن طريق الكتب التي تلتها ـ في الأُصول الأوّلية، تعدّ معتبرةً؛ لأنّها مروية عن طريق خبر الثقة الذي يعتبر حجّة في الأحكام والموضوعات[٢]، كما ثبت ذلك بالسيرة العقلائية الممضاة من قبل الشارع، إضافة إلى جملة من الأخبار الدالّة على ذلك إلاّ ما خرج بالدليل، كباب القضاء والمرافعات وهلال شهر رمضان وشوّال.

أمّا تقييد ذلك بالمتقدّمين ـ وهم الرجاليون إلى القرن الخامس الهجري ومن جملتهم: البرقي، الكشّي، ابن قولويه، الصدوق، المفيد، النجاشي، الطوسي وأمثالهم (رحمهم الله) ـ فهو

١. انظر: *معجم رجال الحديث*: ج١، ص٣٩.
٢. انظر: المصدر السابق: ص٤١.

من أجل إخراج بعض تقييمات المتأخّرين (المستندة على الآراء والاجتهادات) عن دائرة الاعتبار.

ذلك لأنّ الكتب الرجالية التي اُلّفت بعد الأُصول الأوّلية تتضمّن آراءً واجتهادات خاصّة لا وجود لها في الأُصول الأوّلية، ولم تستند تلك الآراء على الأخبار والروايات، ومن هنا فلا يوجد لدينا دليل على حجّية اجتهاداتهم.

٣ ـ تصريح أحد أعلام المتأخّرين

اعلم إنّ توثيقات وتضعيفات المتأخّرين (أعلام القرن السادس والسابع) لا يمكن الأخذ بها على وجه الإطلاق؛ لاشتمالها على الاجتهادات والحدسيات، ولا دليل على لزوم الأخذ باجتهاداتهم، إلاّ في موارد معيّنة، وهي:

- التوثيقات والتضعيفات التي تُنقل عن المتأخّرين في حقّ معاصريهم، والتي تستند إلى الأُمور الحسّية.
- نقل التوثيق والتضعيف عن المصادر الأصليّة التي لم تصل إلينا، ولم تستند تلك التوثيقات أو التضعيفات على الرأي والاجتهاد.

كما في توثيقات الشيخ منتجب الدين (المتوفّى بعد عام ٥٨٥هـ) وابن شهر آشوب صاحب ***معالم العلماء*** [ت ٥٨٨هـ][١]، فإنّهما لأجل قرب عصرهما من عصر أصحاب الأُصول الأوّلية، كانوا يعتمدون في تقييماتهم إلى السماع، أو الأخذ من الكتب المعروفة، أو الاستناد إلى الاستفاضة أو الشهرة. ومن هنا فإنّ الأُصول الثانوية تتحدّد ضمن دائرة تلك المنقولات المعتبرة.

٤ ـ الإجماع على الوثاقة

من جملة ما تثبت به الوثاقة أو الحسن هو أن يدّعي أحد من المتقدّمين أو المتأخّرين (الثقات) الإجماع على وثاقة أحدٍ (وإن لم يكن أسماء المجمعين معلوماً لدى السامع)،

---

١. *معجم رجال الحديث*: ج١، ص٤٢.

كما اتّفق ذلك في إبراهيم بن هاشم، فقد ادّعى ابن طاووس الاتّفاق على وثاقته عند نقله لرواية في سندها إبراهيم بن هاشم، حيث قال: «ورواة الحديث ثقات بالاتّفاق»[١]، فإنّ هذه الدعوى تكشف عن توثيق بعض القدماء لا محالة، وهو يكفي في إثبات الوثاقة[٢].

وبعد أن تمّ الحديث عن التوثيق الخاصّ ومبانيه، لا بأس ببيان الألفاظ الدالّة على التوثيق والتضعيف.

ألفاظ التوثيق

بعد أن تعرّفنا على التوثيقات المعتبرة تصل النوبة إلى التعرّف على ألفاظ التوثيق، حيث إنّ بعض تلك الألفاظ والمصطلحات دلالتها على التوثيق إجماعية ومورد اتّفاق بين العلماء، والبعض الآخر مورد اختلاف بينهم. وعليه فبإمكاننا تقسيم ألفاظ المدح والتوثيق إلى أربع طوائف:

الطائفة الأُولى: الألفاظ التي تدلّ على الوثاقة قطعاً، كقولهم في الراوي: (عدل، ثقة، مأمون، ثقة ثقة، صدوق، حجّة)، وأمثال ذلك. فلا ريب في ثبوت الوثاقة بهذه الألفاظ؛ لظهورها وصراحتها بإجماع العلماء.

الطائفة الثانية: الألفاظ التي تدلّ على الوثاقة ضمناً، كقولهم في الراوي: (صحيح الحديث، عظيم الشأن، وجه من وجوه أصحابنا، جليل القدر، عظيم المنزلة)، وما شاكلها من الألفاظ، فإنّ دلالتها غير صريحة على التوثيق وإن كان ظاهرها التوثيق، حيث إنّ المتتبع خارجاً لمراد استعمالات مثل هذه العبارات ـ من قبل العلماء الأعلام ـ يكشف أنّ المراد منها توثيق أصحابها. إلاّ أنّها لا تدلّ على الضبط الذي هو شرط آخر للاعتماد على الرواية.

الطائفة الثالثة: ما دلّ على الوثاقة دلالة ظنّية، كقولهم: (وجيه، من علمائنا، من

---

١. *فلاح السائل*: ص١٥٨.

٢. انظر: *معجم رجال الحديث*: ج١، ص٤٥.

أصحابنا، فاضل، ديّن، سليم الجنبة، محدّث، حافظ، خاصّي، صاحب الإمام، معتمد الكتاب)، ونحوها من الألفاظ التي تثبت وجود جنبة إيجابية عند الراوي يُعبّر عنها بالمدح، لكنّه لا يمكن الاعتماد عليها بمفردها في إثبات الوثاقة من دون أن تنظمّ إليها قرائن تثبت ذلك، ودعوى تلازم الفضل والعلم والصحبة و... مع الوثاقة ممّا لا تكاد تقبل أساساً، وشواهده الحاليّة والتاريخيّة كثيرة.

الطائفة الرابعة: ما دلّ على التوثيق دلالة احتماليّة، كقولهم: (له كتاب، له أصل، قارئ، متكلّم، حسن، خيّر، رحمه الله)، ونحوها. فهذه الألفاظ أيضاً لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات الوثاقة، إذ لا ملازمة عقليّة أو عرفية بينها وبين الوثاقة، وملاحظة الخارج شاهد على هذا النقض، وإن كان في بعض المورد يُستفاد منها كقرينة على ذلك[1].

ألفاظ التضعيف

وهي كثيرة ومستفادة من عبارات الرجاليين المختلفة، وخصوصاً أصحاب الأُصول الأوّلية. وسنحاول حصر هذه الألفاظ في أربع طوائف أيضاً:

الطائفة الأُولى: الألفاظ التي تدلّ على عدم الوثاقة اتّفاقاً، وهي على قسمين:

- الألفاظ التي تدلّ على نفي العدالة أو الصدق، مثل: (ليس بعادل، ليس بصادق، ليس بمرضيّ...).
- الألفاظ التي تدلّ على كذب الراوي وافترائه صراحةً، كقولهم: (كذّاب، وضّاع، مفتر...).

ولا شبهة في دلالة هذه الألفاظ على التضعيف؛ لصراحتها ووضوحها، وقد جرت عادة الأصحاب على طرح روايات أمثال هؤلاء الأشخاص، إلاّ إذا كانت هناك قرائن تؤيّد روايتهم، كموفقة القرآن أو السنّة القطعية أو الإجماع ونحوها، ذلك لجواز صدقهم ولو مرّة واحدة.

---

١. انظر: *بحوث في فقه الرجال* للفاني: ص٧٧ ـ ٨٢.

الطائفة الثانية: الألفاظ التي تصرّح بالضعف مطلقاً، كقولهم: (فلان ضعيف)، ونحوه، فإنّ هذا اللفظ يحتمل ثلاث صور:

١ ـ احتمال إرادة الضعف في العقيدة.

وهذا المعنى لا يدلّ على عدم الوثاقة في اصطلاح الرجاليين ـ والتي هي الأمانة في نقل الحديث ـ حيث لا تلازم بين فساد العقيدة وعدم الوثاقة؛ لوجود جملة من الرواة المخالفين مع كونهم ثقاتاً معتمدين عند أصحابنا، كغياث بن كلّوب، وحفص بن غياث، والسكوني، وغيرهم.

٢ ـ احتمال إرادة نقل الأحاديث عن الرواة مطلقاً دون الاعتماد على الثقات منهم.

فإنّ ذلك كان مذمّة في الراوي ردحاً من الزمن، ولذا نجد أنّ أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعري أخرج أحمد بن محمّد بن خالد البرقي من قمّ لاعتماده الضعاف، مع عدم التأثير على وثاقته.

٣ ـ احتمال إرادة الضعف في نفس الراوي، بمعنى الوضع والكذب والافتراء ونحو ذلك.

وعليه فلا يمكن لنا إثبات الاحتمال الثالث إلاّ بوجود قرينة تدلّ عليه، ومنه إذا ورد توثيق لراوٍ ما قد ذُكر بحقّه التضعيف في مكانٍ آخر بقولهم: (ضعيف) فإنّه يحتمل إرادة الصورتين المتقدّمتين.

الطائفة الثالثة: الألفاظ التي تدلّ على التضعيف لجنبة محدّدة لا مطلقاً، وهي على نوعين:

١ ـ ما يرجع إلى معتقده، كقولهم: (فطحي، واقفي، بتريّ)، وغيرها، لكنّه ـ كما تقدّم ـ لا تلازم بين عدم الوثاقة والخلاف في المذهب.

٢ ـ ما يعود إلى سلوكه مع غضّ النظر عن الجنبة القولية، كقولهم: (مخلّط، متعصّب، مجفو)، وغيرها، فإنّ هذه الألفاظ أيضاً غير ظاهرة في نفي الوثاقة؛ وذلك لصدق الجفاء على إعراض الأصحاب عنه لانفراده بروايات ما أو اعتماده الضعفاء، وأيضاً

لصدق التخليط على من خلط في كتبه سقيماً وصحيحاً، أو أنّه كان في معتقده مخلّطاً بين الحقّ والباطل.

الطائفة الرابعة: الألفاظ التي تحتمل التضعيف، كقولهم: (مجهول أو مهمل)، وقد تمّ بيان حكمهما في صور معرفة الرواة في كتب الرجاليين[١].

القسم الثاني: التوثيق العام

وهو توثيق جماعة تحت ضابطة عامّة وعنوان كلّي، فالدلالة على وثاقة الشخص الداخل تحت هذه الضابطة دلالة تضمّنية.

فكما أنّ الوثاقة تثبت بإخبار ثقة، فلا يُفرّق في ذلك بين أن يشهد الثقة بوثاقة شخصٍ معيّن بخصوصه، أو أن يشهد بوثاقته في ضمن جماعة، فإنّ العبرة هي الشهادة بالوثاقة، سواء أكانت الدلالة مطابقيّة أم تضمّنية.

وهناك موارد كثيرة للتوثيق العامّ، نكتفي هنا بالتوثيقات التي ذكرها آية الله السيّد الخوئي رحمه الله في *معجم رجال الحديث*، والتي حكم بثبوتها.

١ ـ توثيق جميع من ذُكر في أسانيد روايات «تفسير علي بن إبراهيم القمّي»

والدليل عليه: هو قوله في مقدّمة تفسيره: «نحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا، ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض اللّه طاعتهم، وأوجب ولايتهم...»[٢].

فإنّ علي بن إبراهيم يريد بما ذكره إثبات صحّة تفسيره، وأنّ رواياته ثابتة وصادرة من المعصومين عليهم السلام، وأنّها انتهت إليه بواسطة المشايخ والثقات من الشيعة، وعلى ذلك فلا موجب لتخصيص التوثيق بمشايخه الذين يروي عنهم علي بن إبراهيم بلا واسطة[٣].

٢ ـ توثيق جميع من ذُكر في أسانيد «كامل الزيارات» لجعفر بن محمّد بن

---

١. انظر: *بحوث في فقه الرجال*: ص٨٢ ـ ٨٦.

٢. *تفسير القمّي*: ج١، ص٤.

٣. *معجم رجال الحديث*: ج١، ص٤٩.

قولويه

والدليل عليه: هو قول المؤلّف في أوّل كتابه: «قد علمنا بأنّنا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا(رحمهم الله برحمته)، ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشذّاذ من الرجال، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم»[١].

قال السيّد الخوئي: «هذه العبارة واضحة الدلالة على أنّه لا يروي في كتابه رواية عن المعصوم إلاّ وقد وصلت إليه من جهة الثقات من أصحابنا (رحمهم الله)»[٢].

وقد كان رأي السيّد الخوئي في هذا الموضوع يشبه رأيه في شيوخ *تفسير القمّي*، إلاّ أنّه رجع عن رأيه هذا في أواخر عمره، ولم يوثّق إلاّ شيوخ ابن قولويه بدون واسطة[٣].

٣ ـ توثيق مشايخ النجاشي بلا واسطة

والدليل عليه: هو وجود عدّة عبارات في رجال النجاشي يصرّح من خلالها أنّه كان يبتعد عن رواية الضعفاء، كما ورد في ترجمة أحمد بن محمّد بن عبيد الله بن الحسن الجوهري، حيث قال: «رأيت هذا الشيخ وكان صديقاً لي ولوالدي وسمعت منه شيئاً كثيراً، ورأيت شيوخنا يضعّفونه، فلم أروِ عنه شيئاً، وتجنّبته...»[٤].

وقال في ترجمة محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول: «وكان في أوّل أمره ثبتاً ثمّ خلط، ورأيت جلّ أصحابنا يغمزونه ويضّعفونه... ورأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيراً، ثمّ توقّفت عن الرواية عنه إلاّ بواسطة بيني وبينه»[٥].

فلاشكّ في ظهور ذلك أنّه لا يروي عن الضعفاء بلا واسطة، وهذا ما أكّد عليه في

---

١. *كامل الزيارات*: ص ٢٠.

٢. *معجم رجال الحديث*: ج ١، ص ٥٠.

٣. نُقل هذا الكلام عن السيّد الخوئي عن طريق تلامذته، وهو المبني الأخير عنه رحمه الله.

٤. *رجال النجاشي*: ص٨٦، الرقم ٢٠٧.

٥. المصدر السابق: ص٣٩٥، الرقم ١٠٥٩.

الكثير من العبارات، وهذا يعني أنّ النجاشي‌رحمه‌الله كان مقيّداً بالنقل عن الثقات، ولذلك فإنّ جميع شيوخه قد عدّوا من الثقات.

٤ ـ توثيق آل أبي شعبة الحلبي

والدليل عليه: هو شهادة النجاشي بذلك، فإنّ كلّ راوٍ منسوب إلى آل أبي شعبة الحلبي فهو ثقة، وقد ذكر النجاشي ذلك في شرح حال عبيد الله بن أبي شعبة الحلبي، حيث قال: «... وآل أبي شعبة في الكوفة بيت مذكور من أصحابنا، وروى جدّهم أبو شعبة عن الحسن والحسين‌عليهما‌السلام، وكانوا جميعهم ثقاتاً مرجوعاً إلى ما يقولون...»(١).

٥ ـ توثيق آل الرواسي

والدليل عليه: هو توثيق النجاشي لهم عند شرح حال محمّد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي، حيث قال: «وهم ثقات لا يُطعن عليهم بشيء»(٢).

٦ ـ توثيق من روى عنه علي بن الحسن الطاطري في كتبه الفقهيّة

والدليل عليه: هو كلام الشيخ الطوسي في كتاب *الفهرست*، حيث قال: «كان واقفياً شديد العناد في مذهبه... وله كتب في الفقه، رواها عن الرجال الموثوق بهم وبرواياتهم»(٣).

---

١. *رجال النجاشي*: ص ٢٣٠ و ٢٣١، الرقم ٦١٢.

٢. المصدر السابق: ص ٣٢٤، الرقم ٨٨٣.

٣. *الفهرست* **للطوسي**: ص١٥٦، الرقم ٣٩٠.

الأسئلة

(متن): عُرّف علم الرجال بأنّه: «العلم بأحوال رواة خبر الواحد ذاتاً ووصفاً، مدحاً وقدحاً، وما في حُكمهما».

١ ـ ما هو المراد من قوله: «العلم بأحوال رواة خبر الواحد».

٢ ـ ما هي الوظيفتان اللتان يتمّ البحث عنهما في علم الرجال؟

٣ ـ لماذا دعت الحاجة إلى الاهتمام بعلم الرجال؟

٤ ـ ما الفرق بين علم الرجال وعلم الدراية؟

٥ ـ ما الفرق بين علم الرجال وعلم التراجم؟

٦ ـ لماذا يعدّ علم الفقه من أكثر العلوم ارتباطاً بعلم الرجال؟

٧ ـ اذكر مثالاً توضّح من خلاله استخدام علم الرجال في إثبات بعض القواعد الأُصولية؟

٨ ـ كيف يتمّ الاعتماد على علم الرجال في إثبات بعض المسائل الكلامية؟

٩ ـ عدّد الطرق التي يتمّ من خلالها معرفة أحوال الرواة، وأيّ منها يمكن الاستناد عليه في زماننا هذا؟

١٠ ـ ما هي الموضوعات التي تبحث في الكتب التحقيقية؟

١١ ـ اذكر أربعة مصادر من الأُصول الأوّلية لعلم الرجال، وعيّن منهج تأليفها.

١٢ ـ ما هي أهمّ الكتب المدوّنة على أساس الجرح والتعديل؟ اذكرها مع مؤلّفيها؟

١٣ ـ ما هي أهمّية التأليف على منهج حروف المعجم؟ وما هي أهمّ الكتب التي أُلّفت على هذا المنهج في زماننا الحاضر؟

١٤ ـ اذكر أهمّ أساليب الاختصار التي اعتاد عليها علماؤنا القدماء.

١٥ ـ تأمّل في الأمثلة التالية، ثمّ حاول حلّ الاختصار في الأسانيد المختصرة، مع الإشارة إلى أُسلوب الاختصار.

المثال الأوّل

عليّ بن إبراهيم، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن محمّد بن سنان...

محمّد بن خالد، عن حمزة بن عبيد، عن إسماعيل بن عباد...

المثال الثاني

علي بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمٰن...

وبهذا الإسناد، عن يونس، عن حمّاد، عن عبد الأعلى...

المثال الثالث

محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان وأبي عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار جميعاً، عن صفوان...

المثال الرابع

أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي المستهل...

وعنه، عن صفوان، عن جارود بن المنذر...

١٦ ـ ما المراد بالمشتركات، وما هي فائدة البحث فيها؟

١٧ ـ ما المراد بالمختلفات، وما هي فائدة البحث فيها؟

١٨ ـ ما هو الطريق الذي يمكن من خلاله التعرّف على أحوال رواة الحديث في زماننا هذا؟

١٩ ـ كيف يمكن لنا تفسير معنى التوثيق والتضعيف في اصطلاح الرجاليين؟

٢٠ ـ ما هي الوجوه التي يمكن تصوّرها في معرفة أحول الرواة في الكتب الرجاليّة؟

٢١ ـ لماذا لا يمكن إجراء أصالة العدالة ـ على القول بصحّتها ـ بحقّ الراوي مجهول الهويّة، مع إمكان إجرائها بحقّ الراوي مجهول الحال؟

٢٢ ـ عدّد أقسام التوثيق، مع الأمثلة.

٢٣ ـ عدّد مباني التوثيق الخاصّ؟

٢٤ ـ علّل ما يلي:

أ) لا يمكن الاستدلال على وثاقة الراوي أو حسنه برواية نفسه عن الإمام.

ب) المغيرة بن سعيد ليس ثقة.

ج) الاعتماد على توثيقات المتقدّمين وتضعيفاتهم.

٢٥ ـ هل يدلّ قولهم (فلان ضعيف) على كذب الراوي وافترائه، ولماذا؟

٢٦ ـ علّل ما يلي:

أ) لا يمكن استفادة التضعيف بمعنى الكذب والافتراء من قولهم: فلان مخلّط.

ب) لا يمكن استفادة التوثيق في اصطلاح المحدّثين من قولهم: فلان فاضل، عالم.

٢٧ ـ كيف يتمّ الاستدلال بقول علي بن إبراهيم القمّي: «نحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا، ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض اللّه طاعتهم، وأوجب ولايتهم...» على توثيق جميع من ذكر في أسانيد تفسيره؟

٢٨ ـ ماذا نستفيد من قول النجاشي في ترجمة محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول: «... ورأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيراً، ثُمّ توقّفت عن الرواية عنه إلاّ بواسطة بيني وبينه».

(٦)

فقه الحديث

- المدخل
- المبحث الأوّل: التعرّف على فقه الحديث
- المبحث الثاني: الأُمور الضرورية لفهم الحديث
- المبحث الثالث: مراحل فهم الحديث
- المبحث الرابع: موانع فهم الحديث

المدخل

يعطي الفكر الإسلامي للحديث الشريف منزلة خاصّة؛ لأنّه يعتبر الركيزة الثانية بعد القرآن الكريم. وعليهما تعتمد أركانه، ومنهما تستنبط أحكامه، فالنبيّ الأعظم وأهل بيته عليهم السلام في أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم حجّة الله على خلقه أجمعين، وهم السبيل لمعرفة منهج الحياة القويم الذي يرتضيه ربّ العالمين.

ولمّا كان النبي صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وشريعته خاتمة الشرائع فلابدّ من أمر يحفظ سنّته، وينقل لنا أقواله وأقوال أهل بيته عليهم السلام وتعاليمهم للأجيال اللاّحقة؛ كي يستضيؤوا بنور هديها، ويسيروا على نهجها وسبيلها، وتتمّ حجّة الله سبحانه على من لم يعاصره، فكان الحديث الشريف هو الحافظ والمبيّن لها، فهو الحجّة علينا بعد القرآن الكريم.

ومن هنا أولى المسلمون اهتماماً بالغاً بالحديث لم يحظَ به أمثاله في الأُمم السالفة، فنقلوه مسنداً، وحاولوا المحافظة على حدوده وألفاظه قدر الإمكان؛ كي يستلهموا منه المفاهيم بشكلها الصحيح، وذلك أنّ للنقل الدقيق ونقل القرائن المكتنفة بالكلام دوراً هامّاً في فهمه بشكلٍ صحيح، وترتيب الأثر عليه.

لكنّ النقل الدقيق للأحاديث والنصوص لايعني سهولة فهمها فهماً صحيحاً، بل قد ينقل النصّ بدقّة ومع ذلك قد يُساء فهمه لبعض العوامل، فمثلاً: الاشتراك اللفظي قد يسبّب الاشتباه في المراد، واستعمال الألفاظ المشتركة رائج في اللغة والحديث، كما أنّ الألفاظ غير المشتركة قد يُساء فهمها لبعض العوامل كتطوّر اللغة؛ إذ إنّ اللغة في حال تغيّر وتطوّر دائمين، ولهذا نجد بعض الألفاظ والتراكيب مستعملاً في زمان دون آخر.

فمثلاً: العرف في زماننا الحاضر يستعمل لفظ «الاستعمار» بمعنى سيطرة الدول الأجنبيّة على ثروات الشعوب الأُخرى، ولهذا لا يكاد يطلق هذا اللفظ إلاّ ويقارنه الإحساس بالظلم، بينما نجد استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم بمعنى العمارة في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[1]، وهذا المعنى لا أثر له في استعمال هذا اللفظ في المحاورات العرفية في هذا الزمان على الرغم من كونه وارداً في القرآن الكريم.

نعم، إذا قُرِئت الآية فهموا منه معنى العمارة، لكن لا بسبب استعماله بهذا المعنى، بل بسبب القرينة المذكورة.

وأيضاً نجد العرف يستعمل لفظ «القطار» اسماً لواسطة النقل المعروفة، مع أنّه استُعمل في الروايات بمعنى الإبل التي تسير متتالية، ففي ***كتاب من لا يحضره الفقيه***: «نهى رسول الله أن يُتخطّى القطار، قيل: يا رسول الله، ولِمَ؟ قال: **لأنّه ليس من قطارٍ إلاّ وما بين البعير إلى البعير شيطان**»[2].

فإذا تغيّرت معاني بعض الألفاظ الواردة في الحديث خلال هذه الفترة التي تفصلنا عن صدوره، فلا ريب أنّ الفهم الصحيح للحديث يقتضي أن نفهمه لما هو الظاهر منه عرفاً في زمان صدوره لا في زماننا الحاضر؛ لأنّ المتكلّم يراعي المتفاهَم من الكلام في زمانه لا في الأزمنة اللاّحقة.

وهناك أُمور أُخرى أيضاً لها هذا التأثير على فهم الحديث، فلابدّ من علمٍ يتولّى هذه المهمّة، فكان ذلك العلم هو فقه الحديث، وهو يحاول الإجابة على السؤالين التاليين:

١ ـ ما هي العوامل المؤثّرة على فهم الحديث؟

---

١. هود: ٦١

٢. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٢، ص٢٩١، ح٢٤٨٧.

٢ ـ ماهي الأُمور التي تمنع عن فهم الحديث؟

فقد يطلق الكلام الواحد ويختلف معناه بحسب العوامل المختلفة، فما هي هذه العوامل كي نأخذها بنظر الاعتبار في فهم المراد الأصلي من الحديث؟ وما هي المراحل المنطقية للوصول إلى المعنى المقصود؟ وهل توجد موانع تمنع من فهم الحديث أم لا؟ وإن كانت فما هي كي نتحاشاها؟ مجموع هذه المباحث وما دار مدارها هي التي يتناولها فقه الحديث.

ومن هنا نقسّم البحث الى أقسام:

القسم الأوّل: التعرّف على فقه الحديث ببيان تعريفه، ومنزلته، وأهمّيته، وفائدته.

القسم الثاني: الأُمور الضرورية لفهم الحديث، من معرفة المتن الأصلي للحديث، ومعرفة نسخه، وعلاج التصحيف الطارئ عليه.

القسم الثالث: مراحل فهم الحديث، ويتكوّن من مرحلتين أساسيتين هما:

الأوّل: فهم المفردات والتراكيب.

والثاني: فهم المراد الجدّي.

القسم الرابع: الأُمور المانعة من فهم الحديث.

المبحث الأوّل: التعرّف على فقه الحديث

١ ـ تعريف فقه الحديث

في مدخل كلّ علم يقع الكلام في توضيح حدوده والغرض الأساسي منه، وبعبارة مختصرة؛ لتسهل الإحاطة الإجمالية به على الباحث، وهو أمر حسن وإن لم يكن من صميم أبحاث العلم، ويمكن أن نعرّف فقه الحديث بما يلي:

«علم يبحث في متن الحديث ويبيّن الأُسس الصحيحة لفهمه، والمراحل التي ينبغي

سلوكها وطيّها لمعرفة المقصود الأصلي منه»[1].

ولأجل أن يفهم المخاطب كلام المتكلّم اعتمد العقلاء جملة من الأُسس، نظير الاعتماد على ظهور اللفظ في معنىً معيّن، وعدم إرادة غيره، ما لم تنصب قرينة على ذلك. وهذا الظهور متأثّر بعوامل عديدة، بعضها مبيّن وبعضها غير مبيّن، مع أهمّية الجميع، ودورها في فهم الكلام، فمثلاً: للقرائن الحالية دور هامّ في انعقاد الظهور وفهم المقصود الأصلي من الكلام، ومن خلالها يتّضح أنّ المتكلّم جادّ في كلامه أم هازل، وهل يريد بكلامه معناه الحقيقي أم المجازي، إلى غير ذلك من الجهات، فإذا جاء سائل وقيل له: «الله يعطيك»، فهم منها: «انصرف»، ولم يفهم منها الدعاء له، مع أنّ الألفاظ لا تدلّ على الانصراف، وما ذاك إلاّ من خلال تأثير القرائن الحالية على ظهور هذا التركيب. فهذه الأُسس على أهمّيتها لم تبيّن بشكل مناسب، فلابدّ من تسليط الأضواء عليها وتوضيحها.

كما أنّ بعض العوامل لها تأثير سلبي على فهم الحديث، فينبغي تسليط الأضواء عليها أيضاً؛ ليتمّ فهم الحديث بشكلٍ صحيح. فيتّضح لك أنّ فقه الحديث يتناول القواعد العامّة والكلّية لفهم الحديث، وليس المسائل الجزئية.

٢ ـ منزلته بين علوم الحديث

إذا ألقينا نظرة على علوم الحديث لمعرفة منزلة فقه الحديث بينها، وجدناها على ثلاثة أنواع:

أ) ما يبحث عن سنده فقط، وهو «علم الرجال».

ب) ما يبحث عن متن الحديث ومحتواه، وهو جملة من العلوم، منها: فقه الحديث، غريب الحديث، شرح الحديث واختلاف الحديث. وتعدّ الثلاثة الأخيرة من فروع فقه الحديث؛ لاستمدادها منه واعتمادها عليه.

ج) ما يعمّ السند والمتن، وهي العلوم التي تبحث عن الحديث بنظرة شاملة، نظير: علم

---

١. انظر: *روش فهم حديث* لعبد الهادي المسعودي (فارسي): ص٧.

الدراية أو اصطلاحات الحديث، تاريخ الحديث، نقد الحديث.

ففقه الحديث بمنزلة الأُمّ لعدد من علومه الأُخرى، كشرح الحديث، واختلاف الحديث، وغريب الحديث، ونقد الحديث، وغيرها، ولولاه لما أثمرت ثمارها المطلوبة؛ فإنّه يمدّ يد العون إليها في أبحاثها المختلفة لتنتهي إلى النتيجة المرجوّة، وبهذا تتّضح منزلته بين علوم الحديث.

٣ ـ أهمّيته

أكّدت الروايات الشريفة على الاهتمام بفهم الحديث، وأن يكرّس المؤمن جهده في دراية الحديث وفهمه، لا في روايته فحسب، فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده عن إبراهيم الكرخي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتّى يعرف معاريض كلامنا، وأنّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً، لنا من جميعها المخرج**»[١].

وروى الشيخ الكليني رحمه الله بسنده عن طلحة بن زيد، قال: سمعتُ أبا عبد الله يقول: «**إنّ رواة الكتاب كثير، وإنّ رعاته قليل، وكم من مستنصحٍ للحديث مُستغشٍّ للكتاب، فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية، والجُهّال يحزنهم حفظ الرواية...**»[٢].

فهذان الحديثان وغيرهما يشيران إلى أهمّية الفهم الصحيح للحديث، وأنّ رواية الحديث دون فهمه أمر مرجوح، ولهذا جعله الإمام من همّة الجهّال، بل صرّحت الروايات بأنّ الرجل لا يكون فقيهاً حتّى يُلحن له في القول فيعرف اللحن، ولا تكون هذه الحالة إلاّ مع مرتبة عالية من الفهم.

روى النعماني بسنده عن المفضّل، قال: قال أبو عبد الله: «**خبر تدريه خير من عشرة ترويه، إنّ لكُلِّ حقٍّ حقيقةً و لكلِّ صوابٍ نوراً**. ثمّ قال: **إنّا ـ والله ـ لا نعدّ الرجل**

١. *معاني الأخبار* للصدوق: ص٢، ح٣.

٢. *الكافي* للكليني: ج١، ص٤٩، ح٦.

من شيعتنا فقيهاً حتّى يُلحَن له فيعرف اللّحن»[١].

ففي نظر أهل البيت عليهم السلام لا يكون الرجل فقيهاً ما لم يكن بهذه المنزلة من الفهم بحيث يُلحَن له في القول فيعرف اللحن فيه، وهذا ما يبيّن الأهمّية القصوى والمنزلة الرفيعة لفقه الحديث؛ إذ إنّه يتولّى بيان القواعد والأُسس الكلّية لفهم الحديث، وعلاج أسباب الفهم الخاطئ له.

٤ ـ فائدته

الهدف الأصلي من الحديث هو تطبيقه والعمل به كما هو واضح، وهو متوقّف على فهمه فهماً صحيحاً كما لا يخفى، ونذكر هنا فائدتين مهمّتين من فوائد هذا العلم، هما:

أ) سموّ الإيمان والمعرفة

يمكن أن نعدّ هذه الفائدة من أهمّ فوائد «فقه الحديث»؛ وذلك أنّ الإيمان رهين المعرفة الحقّة، وسبيل المعرفة هو الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، ولهذا ورد في الرواية المروية عن بريد الرزّاز عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**يا بُنيّ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم؛ فإنّ المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان، إنّي نظرتُ في كتابٍ لعليّ عليه السلام فوجدتُ في الكتاب: إنّ قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته، إنّ الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا**»[٢].

ب) تقويم الأحاديث

من التعابير المتعارفة بين علماء الحديث قديماً وحديثاً هو التعبير عن الحديث الذي يرون لزوم العمل به بـ«الحديث الصحيح»، وعن الحديث الذي يرون عدم لزوم العمل به بـ«الحديث الضعيف».

---

١. *الغيبة* للنعماني: ص١٤٤، ح٢.

٢. *معاني الأخبار*: ص١ ـ ٢، ح٢.

لكنّ التعبير بالصحيح له معنيان:

١ ـ فقد يُطلق ويُراد به معنى اصطلاحي في زماننا، وهو: أنّ جميع رواته من العدول الإمامية.

٢ ـ كما قد يُطلق ويُراد به معنى آخر هو: الحديث الذي يورث الاطمئنان والوثوق، وهذا المعنى هو المقصود من الصحيح والضعيف في عبارات القدماء، بل التعبير الاصطلاحي ناشئ من هذا التعبير.

فالمتأخّرون من علماء الحديث يرون أنّ سبيل معرفة الخبر المعتبر والذي يلزم العمل به تابع لوثاقة رواته، وفي قبال ذلك يرى المتقدّمون منهم أنّ ذلك تابع لتقييم الحديث سنداً ومتناً، لا السند مستقلاً، ولا المتن مستقلاً، بل يعاملون السند كمقوّم من المقوّمات إلى جانب مقوّمات أُخرى عديدة، كسلامة المتن، وعدم إعراض العلماء عنه، وموافقة الأحاديث الأُخرى له، وغير ذلك ممّا له دخل في حصول الوثوق بالمضمون الوارد في الحديث.

وهذا المنهج يعتمد أُسلوب نقد الحديث في التصحيح والتضعيف، فما كان ضمن الشروط المطلوبة حكموا باعتباره، وما لم يكن كذلك لم يعتنوا به، فإذا كان رجال سند الحديث من الثقات لم يقولوا باعتباره بمجرّد ذلك، وإذا كان أحد رجال السند مجهولاً أو محكوماً بعدم وثاقته لم يحكموا بضعفه لذلك، بل المعيار عندهم هو حصول الاطمئنان العرفي وعدمه، فإن حصل من مجموع القرائن وثوق بالخبر اعتمدوا عليه، وإلاّ فلا.

والذي يشهد لما ذكرناه تصريح كبار الفقهاء بذلك، فهذا الشيخ الصدوق رحمه الله المتوفى (سنة ٣٨١هـ) روى في كتابه *الخصال* الخبر التالي:

«حدّثنا أبي (رضي الله عنه)، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن السندي بن الربيع، عن محمّد بن القاسم بن فضيل بن يسار، عن أيمن بن محرز يرويه عن القاسم وابن فضّال: إنّ حريزاً قال: من حجّ ثلاث سنين متواليةً ثمّ حجّ أو لم يحجّ فهو بمنزلة مُدمن الحجّ».

وعلّق عليه بقوله: «قال مصنّف هذا الكتاب: هذا الإسناد مضطرب، ولم أُغيّره؛ لأنّه كان هكذا في نسختي، والحديث صحيح»[1].

فصرّح بأنّ الإسناد مضطرب، ومع ذلك قال: «الحديث صحيح»، وهو صريح في أنّ الميزان في تقييم الأحاديث ليس هو السند فحسب، وإنّما السند هو أحد المقوّمات في تقييمه، ومع اختلال السند لا يطرح الحديث مباشرةً، وإلاّ فلو كان المعيار لتقييم الحديث هو السند فقط لما صدر منه ذلك.

المبحث الثاني: الأُمور الضرورية لفهم الحديث

هناك جملة من الأُمور لها دور في فهم النصّ؛ سواء كان حديثاً أم غيره، فلابدّ من رعايتها في فهم الحديث. وهناك جملة من الأُمور لها دور في تصحيح تعاملنا مع الحديث من أجل فهمه وترتيب الأثر عليه، فقد يُنقل النصّ في بعض الكتب على أنّه حديث، فنحاول فهمه وتفسيره وفق القواعد العرفية أو مع الأخذ بنظر الاعتبار الأحاديث الأُخرى الواردة في ذلك الموضوع، كلّ ذلك اعتماداً على كون النصّ المذكور حديثاً، لكنّ السؤال المطروح هو: هل هذا الوثوق والاعتماد على أنّ ما يُنقل بصفة الحديث هوحديث صحيح، أم أنّه لابدّ فيه من رعاية بعض الأُمور لإثبات أنّه حديث، ثمّ البدء بتفسير الحديث وفهمه؟

وبعبارةٍ أُخرى: هل أنّ جميع ما يُنقل في الكتب باعتباره حديثاً ينبغي أن يُعامل معاملة الحديث، أم أنّه ينبغي رعاية بعض الأُمور قبل تفسير الحديث وتجشّم تأويله؟ هذا ما نريد تسليط الضوء عليه في هذا الفصل، وذلك ضمن النقاط التالية:

---

١. *الخصال*: ص١١٧، ح١٠٠.

١ ـ معرفة المتن الأصلي للحديث

تقدّم أنّ العمل بالحديث متوقّف على فهمه ومعرفة المقصود الأصلي منه، وهذا رهين عوامل مختلفة، بعضها مؤثّر عليه بنحوٍ إيجابي، والآخر مؤثّر عليه بنحوٍ سلبي؛ بحيث لو لم تؤخذ بنظر الاعتبار فقد تؤدّي إلى فهم الحديث بشكلٍ خاطئ وبعيد عن المقصود، وهذا هو الداعي لتأسيس «فقه الحديث»

لكن قبل الدخول في المراحل المطلوبة لفهم الحديث لابدّ من ثبوت صدور الحديث أوّلاً، وثبوت متنه ثانياً؛ وذلك لعدم الجدوى في البحث عن كلامٍ لا يُعلم انتسابه إلى المعصوم، أو اُحرز انتسابه ولم نعلم متنه.

وبعبارةٍ أوضح: علينا الإجابة على السؤالين التاليين قبل البحث في معنى الحديث:

أ) هل المتن المنقول في الكتاب الفلاني حديث أم لا؟

ب) هل متن الحديث هو الذي بين أيدينا أم غيره؟

أمّا السؤال الأوّل: فيمكن الإجابة عليه من خلال تخريج الحديث ومعرفة المصادر التي أوردته؛ إذ قد ينكشف لنا من خلال تخريجه أنّه لا أثر له في المصادر القديمة، وإنّما اشتهر بكونه حديثاً في القرون المتأخّرة، نظير: «حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين»، و«الصلاة معراج المؤمن»، فمثل هذين النصّين لا اطمئنان بكونهما حديثين، فلا نبحث في معناهما.

وأمّا إذا عثرنا على النصّ في الكتب الحديثية المعتبرة وثبت لنا صدور الحديث عن المعصوم عليه السلام، وصلت النوبة للسؤال الثاني وهو: هل متن الحديث هو الذي بين أيدينا أم غيره؟ وذلك أنّ غير المعصومين من الناس قد يخطؤون في النقل، مهما بلغوا من الدقّة ومهما بلغوا من الكمال؛ إمّا بسبب الاشتباه في القراءة، أو بسبب الاشتباه في السماع، أو لنقصٍ في الخطّ، أو لعدم وضوح بعض الكلمات، أو لغير ذلك من عوامل الوقوع في الخطأ والاشتباه، وهو المسمّى بالتصحيف. ولهذا قد يرد الحديث الواحد بنسخ مختلفة، فلابدّ من الاطمئنان بكون المتن الذي بين أيدينا هو متن الحديث؛ إذ لا جدوى في فهم

النصّ الذي تختلف بعض ألفاظه عن اللفظ الصادر من المعصوم ، ولعلّ منشأ بعض الاشتباهات في فهم الحديث راجع إلى هذه النقطة، بل سبب غرابة بعض النصوص هو هذه النقطة أيضاً، ولهذا قد نلتجئ للتأويل أحياناً لتصحيح المعنى، فمثلاً: من يقرأ قوله: «**من ينال فوق قدره استحقّ الحرمان**»[١] يتحيّر في معناه، ومن هنا قد يلتجئ لتأويله كي يجعل له معنى مقبولاً، مع أنّه لو راجع نسخ الحديث في المصادر الأُخرى لوجده هكذا: «**من سأل فوق قدره استحقّ الحرمان**»[٢]، وهو واضح المعنى ولا غموض فيه، بل هو موافق للاعتبار أيضاً، فلا يحتاج إلى التأويل.

٢ ـ ملاحظة نسخ الحديث

تبيّن لك مّما ذكرناه أنّ الحديث الواحد قد تتعدّد نسخه بسبب الاشتباه في النقل الذي هو من طبيعة البشر، فإذا أحرزنا كون المتن حديثاً منتسباً للمعصوم، فلا بدّ من ملاحظة نسخه في المصادر الحديثية المختلفة؛ ليعلم مقدار الاختلاف بينها من خلال مقارنة بعضها مع البعض الآخر، ويُعرف بالتالي المتن الأصلي للحديث. ويمكن العثور على نسخ الحديث المختلفة بأحد أُسلوبين:

أ) نسخة الكتاب التي كانت في يد المؤلّف، أو النسخ الأُخرى للكتاب، سواء كتبت في عصر المؤلّف أم بعده.

ب) الكتب المختلفة التي نقلت هذا الحديث، سواء كانت متقدّمة زماناً على الكتاب الذي روى هذا الخبر، أو معاصرة له، أو متأخّرة عنه، وسواء كانت من مصادر الكتاب ككتاب ***من لا يحضره الفقيه*** وكتاب ***الكافي*** بالنسبة لكتاب ***بحار الأنوار***، أم لم تكن كذلك ككتاب ***من لا يحضره الفقيه*** وكتاب ***الكافي*** بالنسبة لكتاب ***الزهد*** للحسين بن سعيد الأهوازي، وسواء كانت لمؤلّفٍ واحد ككتاب ***معاني***

---

١. *الدرّة الباهرة*: ص٦، ح٩.

٢. *أعلام الدين*: ص٣٠٣؛ *عدّة الداعي*: ص٤٠؛ **مستدرك *الوسائل***: ج٥، ص٢١٥، ح٥٧٢٢.

الأخبار وكتاب *الخصال*، أم لأكثر من مؤلّف.

ولا ينبغي إغفال الروايات المروية في الجوامع الحديثية باعتبار أنّ مؤلّفيها اعتمدوا غالباً على نسخ معتبرة من المصادر التي رووا عنها، فهي بمثابة نسخة اُخرى لهذه الكتب التي نقلوا عنها.

٣ ـ علاج التصحيف

التصحيف لغةً: هو الخطأ، قال ابن منظور: «التصحيف: الخطأ في الصحيفة»[١]، والمراد منه هنا الخطأ في نقل الحديث بسبب العوامل المختلفة. وهذا أمر طبيعي في الكتابة، ولهذا قد لا نجد كتاباً إلاّ وفيه بعض الأخطاء المطبعية، ولكن بما أنّ الحديث قد وصل إلينا بنسخٍ كثيرة ومن طرق عديدة، مع ما أبدى المسلمون من اهتمامٍ في نقله وحفظه، حتّى أنّ علماءنا لم يجوّزوا نقله إلاّ بالإجازة، وكانوا يقرؤون الكتاب على الاُستاذ قبل روايته، فإنّ ذلك يحدّ من الاشتباهات المحتملة، مضافاً إلى النهضة العلمية في عصرنا الحاضر لتحقيق التراث الإسلامي الذي يتصدّره كتب الحديث. ولكن هذا لا يعني أنّ جميع ما فيها صحيح، وإنّما هو احترام الجهود المبذولة في هذا المجال وعدم إغفالها.

وهذه التصحيفات قد توجب غموض المعنى تارةً، ودلالته على معنىً غير مقبول عقلاً أو عرفاً اُخرى، فمثلاً: نجد الغموض في العبارة الأخيرة من الحديث التالي:

عن جابر، قال: «سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لي أبوين مخالفين؟ فقال له: **برّهما كما تبرّ المسلمين، يسمّى هو الآباء**»[٢].

والذي يهوّن الخطب انتشار البرامج الإلكترونية المختلفة والتي اُودعت فيها أغلب الكتب الحديثية، وهذا ما يسهّل على الباحث العثور على نسخ الحديث المختلفة بأسرع وقتٍ ممكن ومن دون عناء.

---

١. *لسان العرب*: ج٩، ص١٨٧ «صحف».

٢. *الزهد* للحسين بن سعيد: ص٣٥، ح٩٣.

المبحث الثالث: مراحل فهم الحديث

إذا ثبت لنا صدور الحديث وانتسابه للمعصوم عليه السلام، وثبت لنا متن الحديث، وصلت النوبة لفهمه؛ إذ الغرض الأقصى منه هو فهمه والعمل به، لكن لا تلازم بين ما دلّت عليه الألفاظ بحسب وضعها اللغوي وبين المراد الجدّي منه.

توضيح ذلك: إنّه إذا ألقى أحد الشخصيّات كلمة أو خطاباً في ملأ عام، فهو يريد نقل ما في ذهنه إلى المخاطب، فيصوغه في قالبٍ مفهوم للمخاطب، وذلك بالاعتماد على أُسس التفاهم والتحاور السائدة بين العقلاء، فيورد الألفاظ والتراكيب بحسب ما لهما من دلالة لغوية أو عرفية. نعم، قد لا يرى نفسه ملزماً باستعمال اللفظ أو التركيب بالمعنى المنسبق منه عند إطلاقه، بل قد يستعمله ويريد به معنىً آخر كالمعنى المجازي، وعندئذٍ هو ملزم بنصب قرينة دالّة على ذلك.

وبعبارةٍ أُخرى: لا يوجد تلازم أكيد بين مدلول اللفظ ومراد المتكلّم، وإنّما قد يختلف المراد عن مدلول الكلام الظاهري؛ وذلك لاعتماد المتكلّم على القرائن المختلفة في بيان مقصوده.

وعلى هذا الأساس، سنبحث مراحل فهم الحديث ضمن مرحلتين رئيسيتين، هما: فهم متن الحديث بمفرداته وتركيباته، وفهم المراد الجدّي من الحديث.

أوّلاً: فهم متن الحديث

فهم الكلام ـ أيّاً كان مضمونه، وأيّاً كانت لغته ـ متوقّف على فهم متنه أوّلاً؛ وذلك بفهم كلّ من مفرداته والتركيب المستعمل فيه، وفهم المراد منه ثانياً، وذلك بملاحظة القرائن الدالّة على المقصود والمراد الجدّي منه، فإذا لم تحصل هاتان المرحلتان لم يُفهم الكلام بشكلٍ صحيح.

فبعد الفراغ من انتساب النصّ إلى المعصوم تصل النوبة لفهمه، والقدم الأوّل لذلك هو

فهم مفرداته وتركيباته.

١ ـ فهم المفردات

يتمّ فهم المفردات بالاستمداد من العلوم الأُخرى المتعلّقة بذلك؛ كعلم اللغة، وعلم الصرف، وغريب الحديث. وفيما يلي الإشارة إلى دور هذه العلوم في فهم مفردات الحديث:

أ) علم اللغة

يتجسّد علم اللغة في كتب اللغة، وهي تلعب دوراً هامّاً في بيان معاني الألفاظ، حيث تذكر استعمالات اللفظ الواحد مفرداً كان أم مركبّاً، حقيقةً كان أم مجازاً، فيمكن فهم معنى اللفظ المبهم من خلال الرجوع إليها، وبالتالي يتمّ فهم الحديث. والرجوع إلى اللغة لفهم معاني الألفاظ يكون بأحد منهجين:

المنهج المتعارف

هذا المنهج يعتمد على الرجوع إلى استعمالات المادّة في كتب اللغة لمعرفة المعنى المناسب للّفظ الوارد في الحديث، وبالتالي فهم المعنى المقصود من الحديث. والأصل الذي يعتمده هذا المنهج هو صحّة ما يذكره اللغويون، وأنّ ما يذكرونه هو المعنى الأصلي للموادّ[1].

وهذا المنهج ناجح ونافع في كثير من المواطن، ومن مزاياه سرعة العثور على المعنى المطلوب مع قصر الطريق بالقياس إلى المنهج الآخر، فليس له إلاّ مرحلة واحدة، وهي البحث عن مادّته في كتب اللغة بعد معرفة نظمها وترتيبها، ولهذا فهو منهج جيّد لأغلب الباحثين، لكن شرطه الأساسي هو الرجوع إلى الكتب اللغوية القديمة، فلا يمكن الاعتماد على الكتب الحديثة؛ لأنّ الألفاظ المبحوث عنها يرجع استعمالها إلى اثني عشر قرناً أو

١. المعاني على أقسامٍ ثلاث: أوّلها المعنى الحقيقي، وهو ما وضع اللفظ بإزائه. والثاني: المعنى المجازي، وهو في قبال المعنى الحقيقي. والثالث: المعنى الأصلي وهو المعنى الساري في جميع مشتقّات المادّة.

أكثر، ومن المحتمل تغيّر الاستعمال خلال هذه المدّة الطويلة. ولكنّ أحد مشاكل هذا المنهج هو أنّ كتب اللغة قد لا تفرّق بين المعنى الحقيقي والمجازي، وبالتالي يشتبه المعنى على الباحث.

المنهج الاجتهادي

إذا ألقينا نظرة على كيفية تدوين كتب اللغة أحسسنا بأنّ المنهج السابق في معرفة معاني الألفاظ قد لا يكون مجدياً أحياناً في استنباط معاني الألفاظ الواردة في النصوص القديمة بما فيها الحديث الشريف، فلابدّ من سلوك منهجٍ آخر يؤمّن لنا حاجتنا من اللغة، وهذا المنهج هو الذي أطلقنا عليه «المنهج الاجتهادي».

توضيح ذلك: إنّ علماء اللغة اعتمدوا في جمع المفردات وبيان معانيها على تنقّلهم في البادية من مكانٍ إلى آخر، ولهذا تجدهم يسندون بعض المعاني إلى أقوال أهل البادية، وبطبيعة الحال إنّ هذا الجمع للمفردات ليس مستوفياً، ومن جانبٍ آخر فإنّ أهل البادية كغيرهم قد يستعملون اللفظ بمعنى مجازي كاستعمالهم له بمعناه الحقيقي، ولهذا نجد كلا المعنيين في كتب اللغة، ولم يأخذ علماء اللغة على عاتقهم تمييز أحدهما عن الآخر.

وبعبارةٍ أوضح: إنّ كتب اللغة تذكر موارد استعمال اللفظ الواحد، سواء الحقيقي منها أم المجازي، من دون التزام بتمييز أحدهما عن الآخر، فنحن نواجه هاتين المشكلتين، والأُسلوب السابق لا يعالجهما، مع أنّنا قد نجد بعض الألفاظ في الحديث الشريف ولا نجد لها معنىً مناسباً في كتب اللغة، فما هو السبيل لذلك؟ السبيل لذلك هو البحث عن المعنى الأصلي للمادّة، وذلك بمتابعة المعاني المذكورة لمشتقّات مادّة الكلمة، سواء في كتب اللغة أم في كتب غريب الحديث أم في كتب فروق اللغات؛ لكشف معناها الأصلي.

كتب غريب الحديث

المراد من «غريب الحديث» هو الكلمات والتراكيب المبهمة؛ لفقدان القرائن، أو لترك

الاستعمال أو تغيّره نتيجة العوامل المختلفة خلال هذا الفاصل الزمني الطويل[١]، أو المستعملة في الحديث بمعنىً خاصّ من بين المعاني اللغوية[٢]، أو استعملت فيه بمعنىً اصطلاحي[٣]. فالكتب اللغوية التي تولّت بيان معاني هذه الكلمات والتراكيب في الحديث يُطلق عليها عنوان «كتب غريب الحديث». ومن الواضح أنّه لا يمكن فهم الحديث من دون فهم هذه الألفاظ وهذه التراكيب المستعملة فيه.

كتب فروق اللغة

من جملة الكتب التي تنفعنا في فهم المعنى الأصلي للألفاظ هي كتب الفروق اللغوية؛ فإنّ اللغة العربية لغة واسعة جدّاً، وفيها من الدقّة واللطافة ما لا يخفى على أهل الفنّ والخبرة، فالذي يدقّق في استعمالات هذه اللغة يجد الفرق بين الألفاظ المتقاربة المعنى والتي قد لا يفرّق العرف في استعمالها؛ نظير الجلوس والقعود، والسير والمشي، والإنسان والبشر، والأب والوالد، وهكذا. ولهذا ادّعى البعض عدم وجود الترادف في اللغة العربية؛ لأنّ الخصوصيات والجهة الملحوظة في كلّ لفظ تختلف عن الخصوصيات والجهة الملحوظة في اللفظ المرادف له.

---

١. نظير لفظ «كاتب» في الحديث التالي: «أوّل مَن كاتب لقمان الحكيم، وكان عبداً حبشياً» (*مستدرك الوسائل*: ج١٦ ص٢٦، ح١٩٠١٥)؛ فإنّ معنى الكتاب والمكاتبة: «أن يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال يُنجّمه عليه، ويكتب عليه أنه إذا أدّى نجومه في كلّ نجمٍ كذا وكذا فهو حرّ، فإذا أدّى جميع ما كاتبه عليه فقد عتق، وولاؤه لمولاه الذي كاتبه» (*لسان العرب*: ج١، ص٧٠٠ «كتب»)، فإنّ طول الفاصل الزمني بيننا وبين صدور الحديث وما لازمه من تغيّر الوضع الاجتماعي واضمحلال العبودية الفردية، أدّى إلى ترك استعمال الألفاظ المتعلّقة بالعبد وشؤونه، ومنها المكاتبة.

٢. مثال ذلك: «الثجّ: الصبّ الكثير، وخصّ بعضهم به صبّ الماء الكثير؛ ثجّهُ يثجّهُ ثجّاً فثجّ وانثجّ، وثجثجه فتثجثج» (*لسان العرب*، ج٢، ص٢٢١ «ثجج»). مع أنّه استُعمل في الحديث بمعنى سيلان دماء الهدي والأضاحي، قال ابن الأثير في شرح قوله: «أفضل الحجّ العجّ والثجّ»: الثجّ: سيلان دماء الهدي والأضاحي (*النهاية في غريب الحديث*: ج١، ص٢٠٧ «ثجّ»).

٣. نظير: «السبع المثاني» الوارد في القرآن والحديث.

إذن من خلال مراجعة كتب «فروق اللغة» يمكن معرفة خصوصيات الألفاظ الواردة في الحديث، وبالتالي معرفة المعنى الأصلي لها، وهو ما يؤدّي إلى فهم النصوص فهماً دقيقاً.

مثال:

إذا أراد شخص البحث عن حقوق الأبوين في النصوص الإسلامية مثلاً، فإنّ عليه ملاحظة النصوص المشتملة على لفظي «الأب» و«الوالد» و«الأمّ» و«الوالدة»، فإذا لم يأخذ بنظر الاعتبار خصوصيات الألفاظ المذكورة فإنّ فهمه للنصوص سوف لا يكون دقيقاً، ولربّما سبّب له الإشكال أحياناً، وما هو إلاّ نتيجة عدم التمييز الدقيق بين العناوين المذكورة؛ فالوالد من وُلد له ولد، وأمّا الأب فهو المربّي، ولهذا قال ابن فارس في بيان معنى «أبو»: «الهمزة والباء والواو يدلّ على التربية والغذو. أبوتُ الشيءَ آبوهُ أبواً: إذا غذوته، وبذلك سُمّي الأبُ أباً»[١].

ولهذا قد يُطلق الأب على غير الوالد أيضاً؛ كالعمّ، دون العكس، وهذا ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[٢]، فأطلق عنوان الأب على آزر، مع أنّه عمّه.

وكذا الأمّ، فإنّها غير الوالدة ـ وإن استُعمل أحدهما مكان الآخر ـ ولهذا ميّز القرآن الكريم بين الاستعمالين؛ فعبّر بالأمّ تارةً، وبالوالدة أُخرى، فقال عزّ من قائل: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ

---

١. *معجم مقاييس اللغة*: ج١ ص٤٤ «أبو».

٢. التوبة: ١١٤.

بِوَلَدِهِۦ..﴾[١]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[٢]، فعبّر بالأُمّ في الموضع الذي يشير فيه إلى الجانب التربوي، وبالوالدة في الموضع الذي يشير فيه إلى الجانب التكويني.

ب) علم الصرف

من مزايا اللغة العربية هو رجوع الألفاظ المتّفقة في الحروف الأصلية إلى مادّة واحدة مع اختلافها هيئة، وهذه المزية هي المسمّاة بالاشتقاق، فالألفاظ التالية: «علِمَ، يعلم، أعلمُ، العالِمون، العِلم، العلماء...» وغيرها[٣]، ترجع جميعاً إلى مادّة واحدة هي «علم»، وهذا واضح.

إنّما الذي نريد التنبيه عليه هو أنّ بعض هيئات المادّة الواحدة قد يشابه هيئة مادّة أُخرى، مّما يوقعنا في الخطأ، ولهذا لابدّ من الاهتمام بهذا الجانب عند فهمنا للحديث الشريف؛ وذلك بإرجاع اللفظ إلى الموادّ التي يمكن رجوعه إليها، ثمّ تقويم كلّ احتمال منها.

مثال:

ورد في دعاء يوم الثلاثاء: «اللّهمّ صلّ على محمّد خاتم النبيّين وتمام عدّة المرسلين وعلى آله الطيّبين الطاهرين...»، فلفظ «عدّة» يحتمل أن يكون بتشديد الدالّ «عدّة» وتخفيفها، فعلى الأوّل يكون من مادّة «عدد» ويكون معنى الدعاء: «اللّهمّ صلّ على محمّد الذي هو خاتمة النبيّين وبه يتمّ عدد المرسلين...»، وعلى الثاني هو من مادّة «وعد» وعليه فمعنى الدعاء كالتالي: «اللّهمّ صلّ على محمّد الذي هو خاتم النبيّين الذي تمّ وعد المرسلين بمجيئه وعلى آله الطيّبين الطاهرين».

---

١. البقرة: ٢٣٣.

٢. مريم: ٢٨.

٣. وردت مشتّقات مادّة «علم» في القرآن الكريم في أكثر من (١٠٠) هيئة.

٢ ـ فهم التراكيب

الكلام يتكوّن من مجموعة أُمور، هي المفردات التي هي بمنزلة اللّبنات له، والتي يدلّ كلّ منها على معنىً خاصّ، والمعنى الحاصل لها من محلّها في الجملة كالفاعل والمفعول و... والهيئة التركيبية الحاصلة من ضمّ مفردة إلى أُخرى بهذا الترتيب والشكل الخاصّ، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ دلّ على معنىً يختلف عن قولنا: «نَعبُدُكَ ونَستعينُ بكَ»، وإذا قال المتكلّم: «العالمُ زيدٌ»، وقال: «زيدٌ العالمُ» كان بينهما فرق كبير، ومنشأ هذا الفرق هو الهيئة التركيبية للجملة. وسوف نتعرّض لجملة من الأُمور لها دور في فهم التراكيب أو الهيئة التركيبية، وهي كما يلي:

أ) الإعراب

من خصائص اللغة العربية أنّها تبيّن بعض خصائص الكلام بواسطة الإعراب ومن دون تغيير في تركيب الجملة، فإذا قرأنا قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[١] بكسر «وَرَسُولِه»، كان معناها أنّ الله بريء منه ـ والعياذ بالله ـ بخلاف ما لو قُرئت بالضمّ.

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢]، حيث يدلّ على أنّ الذي يخشَى الله ويخافه حقيقة هم خصوص العلماء، وأمّا غيرهم فلا يخشاه حقّ الخشية. أمّا إذا قلنا: «إنَّما يَخْشَى اللهُ منْ عبادِه العُلَماءَ» كان معناه أنّ الله ـ سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ يخشى من العلماء فقط. فمن خلال تغيير الإعراب فقط أمكن تغيير معنى الجملة إلى معنىً آخر يختلف عن الأوّل بالمرّة.

فالذي يريد التعاطي مع الحديث الشريف والنصوص القرآنية الكريمة عليه أن يأخذ هذا الجانب من اللغة العربية بعين الاعتبار، خصوصاً وأنّ الحديث الشريف وصل إلينا

١. التوبة: ٣.
٢. فاطر: ٢٨.

عارياً عن الإعراب، مّما قد يوقعنا في الاشتباه في الفهم.

مثال :

روي عن الإمام الكاظمعليه السلام قوله: «كفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه»[١]، فيمكن قراءة قوله: «ما نهيت عنه» بصيغتي المعلوم والمجهول، فإذا قُرئت بصيغة المعلوم كان المقصود من الحديث هو: «لا تفعل ما نَهيتَ الآخرينَ عنه». وأمّا إذا قُرئت بصيغة المجهول كان مدلوله: «لا تركب المعاصي»، وبينهما فرق كبير.

ب) الاصطلاحات

المعنى الذي تفيده الألفاظ في اللغات المختلفة بسيط عادة؛ فإذا أرادوا التعبير عن السائل الذي به دوام الحياة قالوا في العربية: «ماء»، وفي الإنجليزية: «water»، وهكذا. لكنّ بعض المعاني ليست كذلك وإنّما هي معاني ضخمة، ولا يوجد بإزائها لفظ معيّن، وفي نفس الوقت تكون الحاجة لبيانها متكرّرة؛ فلأجل بيان هذه المعاني الضخمة تجعل الاصطلاحات.

نعم، الاصطلاح قد يكون بين جماعة معيّنة من المجتمع أو بين طائفة خاصّة من أبناء اللغة، وقد يكون بين أبناء بلاد دون اُخرى، أو مذهب دون آخر، وهكذا؛ فكما توجد بين الأطبّاء والمهندسين اصطلاحات خاصّة بهم ولا يفهمها غيرهم من أبناء اللغة، وتوجد بين العراقيّين اصطلاحات لا يفهمها أبناء الحجاز أو غيرهم، كذلك توجد بين أبناء المذاهب المختلفة بعض الاصطلاحات تخصّهم دون غيرهم، أو بين أبناء دين معيّن؛ نظير لفظ «الطهارة»، فإنّها في اللغة بمعنى النظافة من القذارات، وفي الدين الإسلامي بمعنى النظافة من قذارات خاصّة، فقد يكون الشيء قذراً لغةً طاهراً شرعاً، وقد يكون العكس أيضاً.

فوضع الاصطلاح للدلالة على المعاني الضخمة بألفاظ موجزة، أو لبيان معنىً خاصّ غير المعنى الموضوع له لغةً، ومن هذا القبيل الكثير من الاصطلاحات العلمية الشائعة في

---

١. *الكافي*: ج١، ص١٦، ح١٢.

العلوم المختلفة.

فالذي يتعاطى مع الحديث ويريد فهمه فهماً صحيحاً عليه أن يفهم الاصطلاحات المستعملة فيه لما لها من دور هامّ في ذلك، فمثل التعبير: «عقل عن الله»[1]، أو «مات حتف أنفه»[2] فإنّه لا يمكن فهمهما بمراجعة مفرداتهما في كتب اللغة؛ لأنّهما اصطلاحان، ومعنى الاصطلاح غير المعنى الحاصل من ضمّ معاني بعض المفردات إلى البعض الآخر، ولعلّه لذلك يصعب فهم الاصطلاح، خصوصاً إذا كانت ألفاظه مستعملة في اللغة بمعنىً غير المعنى المقصود في الاصطلاح، فإنّه يوجب الإيهام أحياناً.

وينبغي أن نلتفت إلى أنّ بعض الاصطلاحات قد استُعمل في القرآن أوّلاً وفي الحديث تبعاً؛ نظير: «السبع المثاني»[3]، «أُمّ الكتاب»، ففهم الاصطلاح القرآني نافع في فهم الحديث أيضاً؛ لأنّه ناظر إليه.

ج) المجازات

استعمال المجاز يضفي على الكلام جمالاً، ويكسبه حلاوة ولطافة، لكنّه في نفس الوقت يوجب صعوبة في فهمه على من لا خبرة له به، فالمجاز شبيه بالاصطلاح من جهة أنّ المراد منه غير المراد من معاني مفرداته، ويختلف عنه من جهة أُخرى، وهي أنّ الجهة الملحوظة في المجاز هي الناحية الأدبية والبيانية والبلاغية، والملحوظ في الاصطلاح إفادة معنىً واسع بألفاظ قليلة.

وبما أنّ النبيّ وأهل بيتهعليهم السلام من الفصحاء والبلغاء، وكلامهم مفعم بالاستعمالات المجازية، فلاريب في أنّ الباحث في الحديث بحاجة الى مدّ النظر إلى هذا الجانب؛

---

١. *الكافي*: ج٢، ص٥٩، ح٩، والمراد منه أن تكون المعرفة مستندة إلى الله سبحانه.

٢. المصدر السابق: ج١، ص٥٠٥، ح١، والمراد منه الموت الطبيعي.

٣. المستعمل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)، واستعمل في الحديث تبعاً للاصطلاح القرآني في مواضع عديدة منها ما في: *الكافي*: ج٤، ص٧٢، ح٣؛ ***وكتاب من لا يحضره الفقيه***: ج٢، ص١٠٣، ح١٨٤٨.

ليكون فهمه له فهماً صحيحاً، وإلاّ فإنّه سيقع في أخطاء فاحشة، وهذا ما سيتّضح إن شاء الله من خلال الأمثلة:

مثال (١)

روى موسى بن بكر عن رجلٍ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتى النبيّ أعرابي فقال له: ألستَ خيرنا أباً وأُمّاً وأكرمنا عقباً، ورئيسنا في الجاهلية والإسلام؟! فغضب النبيّ وقال: يا أعرابي، كم دون لسانك من حجاب؟ قال: اثنان؛ شفتان وأسنان. فقال النبي صلى الله عليه وآله: **فما كان في أحد هذين ما يردّ عن غرب لسانك هذا؟! أما إنّه لم يعطَ أحدٌ في دنياه شيئاً هو أضرّ له في آخرته من طلاقة لسانه، يا عليّ، قم فاقطع لسانه.** فظنّ الناس أنّه يقطع لسانه، فأعطاه دراهم»[١].

مثال (٢)

بينا رسول الله يتحدّث مع نسائه إذ قال لهنّ: «**أسرعكنّ لحوقاً بي أطولكنّ يداً**»[٢]، فأخذن يتطاولن بالأيدي، حتّى ماتت زينب بنت جحش، مع أنّ يد سودة كانت أطول الأيدي. والذي يتأمّل ويراجع حياة زينب بنت جحش يجد أنّها أسخاهنّ نفساً وأكرمهنّ، فكانت تشتري الغزل فتغزله وتبيعه وتتصدّق بثمنه على الفقراء[٣].

مثال (٣)

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من يَعطِ باليد القصيرة يعط باليد الطويلة**»[٤].

---

١. *معاني الأخبار*: ص١٧١، ح١.

٢. *المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوري: ج٤، ص٢٥.

٣. انظر: *بحار الأنوار*: ج١٨، ص١١٤.

٤. *نهج البلاغة*: الحكمة ٢٣٢.

ثانياً: فهم المراد الجدّي

الذي يراجع المجتمع وأبناء العرف لملاحظة منهجهم في بيان المعاني المقصودة لهم يجد كلامهم على أنحاء، فتارةً يتكلّمون بألفاظ وتعابير لا تحتمل أكثر من معنى؛ نظير قول الوالد لولده: «ائتني بالماء». وتارةً يتكلّمون بألفاظٍ وتعابير تحتمل أكثر من معنى، وبما أنّ هدف أبناء العرف والعقلاء من الكلام هو بيان المطلوب والمراد فلا يتكلّمون بكلامٍ غير مفهوم؛ لأنّه خلاف المقصود، فإذا استعملوا لفظاً أم تركيباً يحتمل أكثر من معنىً نصبوا قرينةً دالّة على المقصود.

١ ــ متابعة القرائن

وهناك نقطتان يلزم البحث عنهما هنا؛ الأُولى هي دور القرائن في فهم الكلام، والثانية في أنواع القرائن:

أ) دور القرائن في فهم الكلام

بعد فهم مفردات الكلام وتركيباته يتمّ فهمه بشكلٍ ابتدائي وأوّلي، لكنّ السؤال التالي يطرح نفسه وهو: هل أنّ هذا المعنى الظاهر ابتداءً هو المقصود للمتكلّم ضرورةً، أم يصحّ إرادة معنىً آخر؟ فإذا قال: «رأيت بحراً» وألحقه بكلامٍ آخر، فهل من الضروري أن يريد بالبحر الماء الكثير ذي الأمواج المتلاطمة، أو يصحّ إرادة المعنى المجازي منه كالعالم؟

وإذا قال: «رأيت عيناً» فهل يتعيّن إرادة العين الباصرة، أو يصحّ إرادة الجاسوس؟

وهذا يبتني على صحّة استعمال اللفظ في معناه المجازي أو في المعاني الحقيقية النادرة، وهو صحيح بلا إشكال، بل هو رائج، ولولاه لفقد الأدب ركناً مهمّاً من أركانه، فالمجازات والكنايات لها سهم وافر في الأدب؛ لأنّها تضفي على الكلام حلاوة وطراوة لا تحصل له بغيرهما. نعم، هو بحاجة إلى نصب قرينة على المعنى المقصود، فإذا قال: «رأيت بحراً» وأراد بذلك رؤية العالم، فعليه نصب قرينة دالّة على ذلك، وإلاّ كان خاطئاً.

وكذا المثال الثاني؛ لأنّ للعين في لغة العرب معانٍ كثيرة، منها: «بقر الوحش، وهو اسم

جامع لها كالعيس للإبل»[1]، و«عَينُ الماء»، و«الناحية»، و«عَينُ الشمس»، و«المالُ العَتيدُ الحاضر الناضُّ»، و«النقدُ، يقال: اشتريت العبد بالدين أو بالعَين»، و«الدينار» و«الذّهَبُ عامَّةً»[2]، وغيرها.

فإذا أراد المتكلّم استعمال العين في أحد المعاني المذكورة كان له ذلك، لكن مع نصب القرينة الدالّة على المعنى المقصود، لينتقل السامع إلى خصوص ذاك المعنى الذي دلّت عليه القرينة، وبذلك يفهم مقصود المتكلّم. فإذا لم يلحظ القرينة أخطأ في فهم المقصود بلاريب. وبهذا تتّضح دور القرائن في فهم الكلام، ومنه تتّضح أهمّية متابعة القرائن.

ب) أنواع القرائن

القرائن المكتنفة بالكلام متنوّعة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيّين هما: القرائن المقالية، والقرائن المقامية. والقرائن المقالية على قسمين أيضاً، هما: القرائن المتّصلة، والقرائن المنفصلة.

وأمّا القرائن المقامية فهي متنوّعة، نظير: المرتكزات العرفية، والعادات والآداب الاجتماعية، وحال المتكلّم من الجدّ والهزل وغيرهما، والأجواء التي صدر فيها الكلام، وهي المعبّر عنها بأسباب الصدور، واختلاف المخاطبين فهماً وتحمّلاً ومذهباً ولهجةً و... وغيرها من القرائن التي لها دخل في فهم مراد المتكلّم مع عدم بروز ما يدلّ عليها لفظاً في مقام التعبير والبيان.

مثال للقرائن المقالية

إذا قال الوالد لولده: «رأيت الأُسود في جبهات القتال»، فهم من «الأُسود» الرجال الشجعان، ولم يفهم منها الحيوانات المفترسة؛ لأنّها اقترنت بقوله: «في جبهات القتال»،

---

١. *العين*: ج٢، ص٢٥٥ «عين».

٢. انظر: *لسان العرب*: ج١٣، ص٣٠١ ـ ٣٠٩ «عين».

فهذه العبارة قرينة على مراد المتكلّم من الأسد، وهي قرينة مقالية متّصلة بالكلام.

وقد تكون هذه القرينة منفصلة عنه، كما لو قال: «ذهبت إلى جبهات القتال، فكانت الحرب ضارية، والمعارك شديدة» ثمّ، أعقب ذلك بكلامٍ آخر وقال: «الليوث تحمل على أعدائها»، فإنّ الكلام الأوّل قرينة على إرادة الشجعان من الليوث.

مثال للقرائن المقامية

إذا قال أحدنا للآخر: «قال العالم كذا»، فالذي يعيش في محيط علمي وأجواء دينية يفهم من هذا التعبير العالم الديني، والذي يعيش في أجواء بعيدة عن الدين نظير الأجواء الجامعية في أُوروبا يفهم من هذا التعبير العالم في بعض المجالات كالعالم بالذرّة، بينما نجد استعمالها في كتب الحديث بمعنى الإمام المعصوم عليه السلام، نظير النصّ التالي:

«وقال العالم عليه السلام: ضمنت لمن اقتصد ألاّ يفتقر»[1].

وهذا الفهم ناشئ من مقام المتكلّم، لأنّه في مقام بيان الروايات، ولهذا لو طرق هذا الكلام أسماع رجل عربي لا يعرف المعهود والمرتكز من هذا التعبير بين أهل الحديث لم يفهم منه ذلك.

وبما أنّ الروايات الشريفة صدرت في أجواء معيّنة تحيط بها قرائن معينة، وفي مجتمع تحكمه عادات وتقاليد اجتماعية معيّنة وترتكز في أذهانه أُمور مختلفة، فجميع هذه الأُمور لها دور في فهم الكلام، فإذا لم تُؤخذ بنظر الاعتبار لم يُفهم بشكلٍ صحيح.

وهناك قسم من القرائن المقامية له تأثير بالغ على فهم الحديث، وهو «أسباب ورود الحديث»، فأفردناه بالبيان لأهمّيته.

ج) أسباب ورود الحديث

المراد بأسباب ورود الحديث هو ما كان سبباً لصدور الكلام من المعصوم عليه السلام، وذلك أنّ كلّ متكلّم ينطق بشيء من الكلام فإنّما يقصد به أمراً معيّناً، والذي يحرّكه نحو هذا

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٣، ص١٦٧، ح٣٦٢٢.

الكلام هو داعٍ معيّن، كسؤال سائل، أو ردّ شبهة، أو بيان مسألة، أو علاج مرضٍ أخلاقي أو اجتماعي، إلى غير ذلك.

ودواعي صدور الكلام من المتكلّم لها تأثير على فهم مراده الجدّي بحيث لو لم تؤخذ بنظر الاعتبار انحرف مدلول الكلام عن المعنى المقصود أحياناً واشتبه السامع أو القارئ في فهمه، فتأثير أسباب الورود على معنى الكلام كتأثير الأجواء المحيطة والمكتنفة بصدور الكلام؛ من نوع المخاطب، والمستوى الثقافي للمخاطب أو المخاطبين، والمجتمع الذي صدر فيه الكلام، والعادات الحاكمة عليه، وغير ذلك من القرائن التي عبّرنا عنها فيما سبق بالقرائن المقامية، والتي يعتمد عليها المتكلّم من دون تصريح بشيء منها.

وانطلاقاً ممّا ذكرناه ولأجل فهم المقصود الأصلي من الحديث نرى لزوم البحث في المصادر الناظرة للحديث والتي تبيّن سبب صدوره، أو التي تبيّن بعض الجوانب والقرائن المؤثّرة في فهمه. وهذه المصادر مختلفة، ككتب التأريخ والتفسير والسيرة والمغازي والرجال وغيرها. ويمكن تحديد نوع المصادر من خلال ملاحظة مضمون الحديث وموضوعه، فمثلاً: إذا أردنا فهم الخطب الحماسية للإمام الحسين عليه السلام فهماً صحيحاً، فإنّه يتوقّف على إدراك الوضع الاجتماعي السائد آنذاك، وإذا أردنا فهم الخطب العلوية التي يمدح بها الإمام نفسه فهماً صحيحاً، فإنّه يتوقّف على إدراك الوضع السياسي والحرب الإعلامية الشديدة التي شنّها معاوية ضدّ الإمام عليه السلام من خلال بثّ الرسائل في العراق ومصر وإشاعة الأكاذيب عليه[1] وللتوضيح نذكر بعض الأمثلة:

مثال (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من بشّرني بخروج آذار فله الجنّة**»[2]. هذا الحديث من الصعب توجيهه ضمن معنى مستقيم، ولهذا طعن به بعض أهل السنّة، ونقل عن أحمد بن حنبل أنّه

---

١. انظر: *موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكتاب والسنّة* للريشهري: ج٦، ص٥ ـ ٤٤.

٢. انظر: *مقدّمة ابن الصلاح*: ص١٦١.

ضعّفه[١]. ولكن إذا ما راجعنا المصادر الأُخرى وعرفنا سبب وروده اتّضح وجهه، وتمّ فهمه من دون حاجة إلى تأويل، فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله هذا الحديث بالشكل التالي:

«حدّثنا محمّد بن أحمد السناني وأحمد بن الحسن القطّان والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب وعليّ بن عبد الله الورّاق وعليّ بن أحمد بن محمّد الدقّاق (رضي الله عنهم)، قالوا: حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن زكريا القطّان، قال: حدّثنا بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن أبيه، عن أبي الحسن العبدي، عن سليمان بن مهران، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم في مسجد قبا وعنده نفر من أصحابه، فقال صلى الله عليه وآله: **أوّل من يدخل عليكم الساعة رجل من أهل الجنّة**. فلما سمعوا ذلك قام نفر منهم فخرجوا وكلّ واحد منهم يحبّ أن يعود ليكون هو أوّل داخل فيستوجب الجنّة، فعلم النبي ذلك منهم، فقال لمن بقي عنده من أصحابه: **سيدخل عليكم جماعة يستبقون، فمن بشّرني بخروج آذار فله الجنّة**. فعاد القوم ودخلوا ومعهم أبو ذرّ، فقال لهم: في **أيّ شهر نحن من الشهور الرومية؟** فقال أبو ذرّ: قد خرج آذار يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله: **قد علمت ذلك يا أبا ذرّ، ولكن أحببتُ أن يعلم قومي أنّك رجلٌ من أهل الجنّة، وكيف لا تكون كذلك وأنت المطرود من حرمي بعدي، لمحبّتك لأهل بيتي، فتعيش وحدك، وتموت وحدك، ويسعد بك قوم يتولّون تجهيزك ودفنك، أُولئك رفقائي في جنّة الخلد التي وُعد المتّقون**»[٢].

مثال (٢)

روى الشيخ الكليني رحمه الله في كتابه *الكافي* الخبر التالي:

«محمّد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عاصم بن حميد،

---

١. انظر: *مقدّمة ابن الصلاح* ؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني: ج٢، ص٢٣٧.

٢. *علل الشرائع*: ج١، ص١٤٦، ح١؛ *معاني الأخبار*: ص٢٠٤، ح١؛ *بحار الأنوار*: ج٢٢، ص٤٢٣، ح٣٣.

عن عليّ بن المغيرة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، الميتة يُنتفع بشيءٍ منها؟ قال: لا. قلت: بلغنا أنّ رسول الله مرّ بشاةٍ ميتة فقال: **ما كان على أهل هذه الشاة إذ لم ينتفعوا بلحمها أن ينتفعوا بإهابها.** قال: **تلك شاةٌ لسودة بنت زمعة زوج النبي، وكانت شاةً مهزولةً لا يُنتفع بلحمها فتركوها حتّى ماتت، فقال رسول الله: ما كان على أهلها إذ لم ينتفعوا بلحمها أن ينتفعوا بإهابها أن تذكّى**»[١].

وكما ترى فإنّ عليّ بن المغيرة سمع الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن الشاة الميتة، وأنّ أهلها إذا لم ينتفعوا بلحمها فما كان عليهم أن ينتفعوا بجلدها، فتعجّب منه؛ لأنّه رآه مخالفاً للأحاديث الدالّة على نجاسة الميتة، ومن المعلوم أنّ الصلاة بجلدٍ نجسٍ باطلةٌ، فسأل الإمامَ عليه السلام عن ذلك الخبر، فبيّن الإمام للسائل سبب صدور الحديث النبويّ.

٢ ـ تكوين الأُسرة الحديثية

أ) المراد من الأُسرة الحديثية والهدف من تكوينها

تقدّم أنّ لملاحظة القرائن دوراً أساسياً في فهم المراد من الكلام، وأنّ القرائن على قسمين: مقالية ومقامية، وأنّ المقالية على قسمين أيضاً: متّصلة ومنفصلة. أمّا ملاحظة القرائن المتّصلة فواضح، إنّما الكلام في القرائن المقامية أو المقالية المنفصلة، إذ كيف يتسنّى لنا ملاحظتها مع بعدنا عن عهد صدور الحديث؟

إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ الأحاديث الشريفة هي كلام المعصومين عليهم السلام الذين هم حجج الله سبحانه، وكلام الحجّة سديد وعارٍ عن التهافت، أي متناسق ومنسجم بعضه مع البعض الآخر، فهو كالبنيان المرصوص الذي يعضد أوّلُه آخرَه، ويبين آخرُه أوّلَه، فالروايات الواردة في باب بمنزلة القرائن المنفصلة لفهم الرواية الواردة في بابٍ آخر.

---

١. *الكافي*: ج٣، ص٣٩٨، ح٦.

نعم، لابدّ من نوع ترابط وعلقة بين الرواية التي نريد فهمها والروايات الأُخرى، وهذه العلقة لها صور مختلفة؛ كعلقة التعميم والتخصيص، والشرح والبيان، بل وعلقة المضادّة أيضاً؛ فإنّ الأشياء تُعرف بأضدادها. هذا من جهة.

ومن جهةٍ أُخرى فإنّ الروايات وردت بألسنة مختلفة وعن أئمّة متعدّدين، فالمضمون الواحد قد يرد في الروايات الشريفة ببيانات متعدّدة، وهذا ما يعيننا على فهم المراد من الحديث المطلوب.

إذاً إذا أردنا معرفة رأي أهل البيت عليهم السلام في مجالٍ معيّن فلابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار النقطة المشار إليها، وهي أنّ بعض أحاديثهم يبيّن البعض الآخر، وأنّ بين أحاديثهم انسجاماً كاملاً، ومن ضمّ بعضها للبعض الآخر يتّضح المراد منها.

وعلى ضوء ما تقدّم يمكن تعريف الأُسرة الحديثية بأنّها: مجموع الأحاديث التي لها علقة بالحديث المطلوب بنحوٍ من الأنحاء، سواء كانت مشابهة ومتّحدة مضموناً مع الحديث المذكور، أم كانت مغايرة له لفظاً، ولكنّها جميعاً تدور حول محورٍ واحد، أم كانت من الأحاديث المخالفة والمضادّة له.

ب) فوائد الأُسرة الحديثية

الفائدة الأُولى: تحصيل الاطمئنان

إنّ من أهمّ فوائد الأُسرة الحديثية هو حصول الوثوق والاطمئنان بالنتيجة والحكم الذي دلّت عليه الرواية، فإذا دلّت الرواية على نجاسة الدم ـ مثلاً ـ فقد لا يحصل لنا الوثوق والاطمئنان بنجاسة جميع الدماء، ويمكن أن يحصل لنا الوثوق بعد ملاحظة الروايات الواردة في هذا الباب وهذا الموضوع، بل بعد ملاحظة جميع ما له علقة بالدم ونجاسته.

وهذا الأُسلوب ـ أعني اعتماد المتكلّم على كلامه الصادر في مجال آخر لتفهيم المراد ـ لا يختصّ بالروايات الشريفة، بل هو أُسلوب عرفي عقلائي، وهو سائد في حياتنا اليومية

ومحاوراتنا العرفية، حيث نعتمد على ما ذكرناه سابقاً في بيان بعض الجهات المقصودة؛ فإذا قال الوالد لولده: «لا تأتني بماءٍ مثلّج»، وقال له بعد أيّام: «ائتني بالماء»، فإنّ الولد سيفهم منه إرادة الماء غير المثلّج، بل لو جاءه بماءٍ مثلّج فإنّ أباه سيعاتبه على ذلك، ويقول له: ألم أقل لك: «لا تأتني بماءٍ مثلّج؟» ويرى العرف صحّة هذه المؤاخذة وهذا اللوم.

أضف إلى ذلك أنّ التشريع والتقنين يقتضي اُسلوباً يختلف عن الاُسلوب المستخدم في المحاورات العرفية في بعض الجهات، فالقوى المقنّنة ـ أو المجالس التشريعية ـ في الدول المختلفة تتبع اُسلوباً خاصّاً في بيان القوانين، فقد لا تذكر الحكم بتمام خصوصياته في مادّة قانونية واحدة، وإنّما تستخدم اُسلوب الإجمال والتفصيل أو ذكر الخاصّ بعد العام أحياناً، وتذكر الخصوصيات المطلوبة لمادّة معينة ضمن مادّة قانونية لاحقة، وهكذا، بل تكاد لا توجد مادّة قانونية إلاّ ولها مخصّص أو مقيّد أو ملحق يبيّن بعض جهاتها المبهمة والمجملة.

ولهذا فالذي يريد تطبيق القانون والعمل به لا يستطيع إغفال الموادّ القانونية الاُخرى التي لها نوع ارتباط بهذه المادّة؛ فإذا دلّت إحدى الموادّ القانونية على لزوم رعاية حقوق الآخرين، ودلّت مادّة اُخرى على حرّية أبناء المجتمع، فلا يمكن التمسّك بالمادّة الدالّة على حرّية أبناء المجتمع في صورة استلزامه انتهاك حقوق الآخرين، وذلك أنّ المراد الجدّي والحقيقي من هذه المادّة هو حرّية أبناء المجتمع ضمن رعاية حقوق الآخرين.

وبعبارةٍ أوضح: الموادّ القانونية قد يقيّد بعضها البعض الآخر وقد يعمّمه، وما ذاك إلاّ لأنّ فهم مادّة قانونية معيّنة لا يكون معتبراً وحجّة إلاّ بعد ملاحظة الموادّ القانونية المرتبطة بها وأخذها بنظر الاعتبار.

وكذا الروايات الشريفة، فإنّ جملة منها موادّ قانونية، فلا يمكن فهم مدلولها النهائي إلاّ بعد ضمّ الروايات الاُخرى التي لها نحو ارتباط بها إليها. نعم، ليس جميع الروايات موادّ قانونية، بل بعضها اُمور تاريخية أو آداب اجتماعية وأمثال ذلك ممّا لا مسرح للتقنين فيه،

فلا ينبغي خلط أحدهما بالآخر.

الفائدة الثانية: تخصيص الحكم وتقييده

فإنّ بعض الأدلّة له دلالة واسعة، وبعضها دون ذلك، فالأوّل كقولنا: «جميع طلاّب المدرسة أذكياء»، والآخر كوصفنا طالباً من طلاّبها بقولنا: «إنّه ليس ذكياً»، فيعبّر عن الحكم الأوّل بالعامّ، وعن الحكم الثاني بالخاصّ، فإذا ورد حكمان أحدهما عامّ والآخر خاصّ واجتمعا في بعض المصاديق، لزم تقديم حكم الخاصّ وعدم الأخذ بحكم العامّ في هذه المصاديق؛ لأنّ ظهور الخاصّ أقوى من ظهور العامّ[١].

وقد يكون الحكم المذكور في الدليل متعلّقاً بطبيعة معيّنة من دون تقييدها بقيدٍ، نظير قولنا: «الماء طاهر»، «الثلج أبيض»، فقد صُبّ الحكم فيهما على طبيعة الماء وطبيعة الثلج لا على أفرادهما، بل لم تؤخذ الخصوصيات الفردية بنظر الاعتبار أصلاً، ولهذا يمكن أن يصيب الماء نجاسة فيتنجّس، أو يضاف للماء لون فيصير الثلج أصفر وهكذا، ومع ذلك فالحكم الأوّل صحيح أيضاً؛ لأنّه لاحظ الطبيعة ولم يلحظ الأفراد الخارجية.

فهذا النوع من الأحكام يسمّى بالمطلق، وفي قباله «المقيّد»، وهو ما إذا انصبّ الحكم الوارد في الدليل على الفرد أو الأفراد بخصوصياتها، نظير قولنا: «ماء الحوض نجس»، فإنّ الملحوظ فيه هو ماء معيّن خارجاً، لا طبيعة الماء إذا كان في الحوض.

وبعبارةٍ أوضح: قد نذكر حكماً ثمّ نحاول تخصيصه أو تقييده ببعض القيود، فالثاني هو المخصّص أو المقيّد، فإذا اجتمع الدليل المطلق مع المقيّد في مصداق واختلف حكمهما لزم العمل بالمقيّد، لأنّ دلالته عليه أقوى من المطلق كالمثال المتقدّم.

فمن فوائد الأُسرة الحديثية هو الأخذ بالمقيّد وترك المطلق، وبالخاصّ وترك العامّ، ولتوضيح ما ذكرناه إليك بعض الأمثلة:

---

١. *الاستصحاب*: ص٣٣٢ ـ ٣٣٣؛ عناية *الأصول في شرح الكفاية*: ص١٨٨.

مثال (١)

عن عليّ بن رئاب، عن ابن أبي يعفورٍ ويوسف بن عمارة، قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ مع الإسراف قلّة البركة»[١].

وعن عليّ بن جذاعة، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **اتّق الله ولا تسرف ولا تقتّر، وكن بين ذلك قواماً؛ إنّ التبذير من الإسراف، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾، إنّ الله لا يعذّب على القصد**»[٢].

وروى عبد الله بن أبي يعفورٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله: **ما من نفقةٍ أحبّ إلى الله من نفقة قصد، ويبغض الإسراف إلاّ في حجٍّ أو عمرةٍ**»[٣].

فالحديثان الأوّلان مطلقان وشاملان لجميع أنواع الإسراف؛ سواء كان في الحجّ أم في غيره، والحديث الأخير خاصّ بغير الحجّ والعمرة، وهو مقدّم على الأوّلين دلالةً.

مثال (٢)

عن منصور بن حازمٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا رضاع بعد فطامٍ... ولا طلاق قبل النّكاح**»[٤].

وعن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**لا طلاق إلاّ ما أُريد به الطّلاق**»[٥].

وعن زرارة، عن اليسع، قال: سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: «**لا طلاق إلاّ على السنّة، ولا طلاق على السنّة إلاّ على طهرٍ من غير جماعٍ، ولا طلاق على سنّةٍ وعلى طهرٍ من غير جماعٍ إلاّ ببيّنةٍ، ولو أنّ رجلاً طلّق على سنّةٍ وعلى طهرٍ من غير جماعٍ ولم**

---

١. *الكافي*: ج٤، ص٥٥، ح٣.

٢. *مستدرك الوسائل*: ج١٣، ص٥١، ح١٤٧١٧.

٣. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٢، ص٢٧٩، ح٢٤٤٦؛ ج٣، ص١٦٧، ح٣٦٢١.

٤. *الكافي*: ج٥، ص٤٤٣، ح٥.

٥. المصدر السابق: ج٦، ص٦٢، ح١.

يشهد لم يكن طلاقه طلاقاً، ولو أنّ رجلاً طلّق على سنّةٍ وعلى طهرٍ من غير جماعٍ وأشهد ولم ينو الطّلاق لم يكن طلاقه طلاقاً»[١].

فالحديث الأوّل دالّ على أنّ شرط الطلاق وقوع النكاح قبله، ولم يذكر شرطاً آخر له، فهو مطلق بالنسبة لبقية الشروط، والحديث الثاني دالّ على شرطٍ آخر للطلاق وهو القصد، فما لم يكن الزوج ناوياً للطلاق بكلامه فلا يقع الطلاق، وأمّا بقية الشروط فهو مطلق بالنسبة إليها. وأمّا الحديث الثالث فقد ذكر عدداً من شروط الطلاق، فيقدّم الشرط المذكور في كلّ منها على الإطلاق المستفاد من الآخر، ونتيجة ذلك أنّ الطلاق الصحيح هو ما اجتمعت فيه جميع الشروط المذكورة.

الفائدة الثالثة: تشخيص وتحديد دائرة المفاهيم

ورد الكثير من المفاهيم في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وقد انصبّ عليها المدح تارةً والذمّ أُخرى، بل قد تتعلّق بها أحكام شرعية أو أخلاقية، وهذه المفاهيم قد لا تكون حدودها واضحة تمام الوضوح، أو أنّ المفهوم منها شرعاً ليس هو عين المفهوم منها عرفاً، وذلك أنّ الشارع أضاف لها بعض القيود فغيّر دائرة مفهومها، فمن خلال جمع الأُسرة الحديثية تتّضح معالم المفهوم، وبتبع ذلك يصير الحكم المنصبّ عليه واضحاً أيضاً.

كما قد يطلق اللفظ ويراد به أحد معنيين، ولكن لطول الفاصل الزمني بيننا وبين عهد النصّ اندرس أحد المعنيين وبقي استعمال اللفظ منحصراً في المعنى الآخر، ومن خلال جمع الأُسرة الحديثية يتّضح المعنى المقصود، ولنذكر بعض الأمثلة لتتضّح الفكرة كاملة:

مثال (١)

روى الكليني بسنده عن عبد الملك بن عمروٍ الأحول، قال: «تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه

---

١. *الكافي*: ج٦، ص٦٢، ح٣.

الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾، قال: فأخذ قبضةً من حصىً وقبضها بيده فقال: **هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه**، ثمّ قبض قبضةً أُخرى فأرخى كفّه كلّها ثمّ قال: **هذا الإسراف**، ثمّ أخذ قبضةً أُخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها وقال: **هذا القوام**»(١).

وعن إسحاق بن عبد العزيز، قال: «سئل أبو عبد الله عليه السلام عن التدلّك بالدقيق بعد النّورة؟ فقال: **لا بأس**. قلت: يزعمون أنّه إسراف؟ فقال: **ليس فيما أصلح البدن إسراف... إنّما الإسراف فيما أتلف المال وأضرّ بالبدن**»(٢).

فمفهوم الإسراف عرفاً يختلف عن الإسراف في نظر الشارع، والحديث الثاني يبيّن مفهومه في نظر الشارع.

مثال (٢)

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتى رجلٌ النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أيّ الناس أفضلهم إيماناً؟ قال: **أبسطهم كفّاً**»(٣).

وعن أبي جعفرٍ المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**شابٌ سخيٌ مرهقٌ في الذّنوب أحبّ إلى الله من شيخٍ عابدٍ بخيلٍ**»(٤).

وعن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: ما حدّ السخاء؟ فقال: **تخرج من مالك الحقّ الّذي أوجبه الله عليك، فتضعه في موضعه**»(٥).

فالحديثان الأوّلان يبيّنان محبوبية السخاء، ولكن هل السخاء المطلوب شرعاً هو

---

١. *الكافي*: ج٦، ص٤٩٩، ح١٤.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق: ص٤٠، ح٧.

٤. المصدر السابق: ج٤، ص٤١، ح١٤.

٥. المصدر السابق: ص٣٩، ح٢.

السخاء العرفي، أو أنّه شيء آخر؟ الحديث الأخير يبيّن أنّ السخاء شرعاً هو غير السخاء عرفاً؛ فإذا كان على الشخص بعض الحقوق وبذل ماله فلا يعدّ سخاء شرعاً.

ج) أساليب تكوين الأُسرة الحديثية

جمع الأحاديث التي تدور حول محورٍ واحد قد لا يكون سهلاً للكثير من الباحثين، وإن كان للتطوّر التقني والتقدّم العلمي دور في تسهيل ذلك من خلال الحاسبات الإلكترونية والبرامج المختلفة التي تجعل آلاف النصوص تحت اختيار الباحث في بضع ثوانٍ، لكن ليست جميع النصوص متضمّنة للألفاظ المبحوث عنها، فقد يكون اللفظ الوارد في بعض الأحاديث مغايراً لغيره من الأحاديث، ومن هنا فلابدّ من إلقاء نظرة حول أساليب جمع الأحاديث الدائرة حول محورٍ واحد.

الأُسلوب الأوّل: مراجعة الجوامع الحديثية والمصنّفات الموضوعية

القدم الأوّل للبحث عن الأحاديث المذكورة هو مراجعة الجوامع الحديثية والمصنّفات الموضوعية والكتب المؤلّفة حول موضوعٍ واحد؛ فقد بذل المحدّثون جهداً كبيراً في جمع الأحاديث وتبويبها تبويباً موضوعياً، فإنّ الرجوع إلى هذه الكتب يعيننا على معرفة الأحاديث التي لها علقة بالموضوع وإن لم تتضمّن ألفاظه المعروفة. وعلى سبيل المثال: الرجوع إلى كتاب ***بحار الأنوار*** و***وسائل الشيعة*** يعين الباحث في معرفة الروايات المتعلّقة بالموضوع الواحد، وأمّا الكتب المؤلّفة حول موضوعٍ معيّن فنظير ***مصادقة الإخوان*** للشيخ الصدوق.

الأُسلوب الثاني: مراجعة المعاجم اللفظية والموضوعية

الطريق الثاني للوصول إلى الأحاديث ذات الصلة بالحديث المبحوث عنه هو الرجوع إلى المعاجم اللفظية، فقد اُلّفت المعاجم اللفظية العديدة للكتب الحديثية؛ نظير ***المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار***، و***المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ***. و***المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة***. وغيرها.

فالذي يريد جمع الأحاديث الواردة حول الصديق والصداقة فإنّه يجدها تحت مادّة

«صدق»، فالنصوص التالية وغيرها تجدها تحت المادّة المذكورة من كتاب *المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة*:

- **«الصديق من صَدَقَ غيبَهُ»**[١].
- **«لا يكون الصديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته»**[٢].
- **«حسد الصديق من سقم المودّة»**[٣].
- **«يا بني، إيّاك ومصادقة الأحمق؛ فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصادقة البخيل؛ فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر؛ فإنّه يبيعك بالتافه، وإيّاك ومصادقة الكذّاب؛ فإنّه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب»**[٤].
- **«لا تتّخذنّ عدوّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك»**[٥].
- **«أصدقاؤك ثلاثةٌ، وأعداؤك ثلاثةٌ، فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدوّ عدوّك. وأعداؤك: عدوّك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك»**[٦].

كما توجد بعض المعاجم الموضوعية للحديث ذكرت الأحاديث حسب المواضيع المتعلّقة بها، نظير: «المعجم الموضوعي لنهج البلاغة»، فهذه المعاجم نافعة أيضاً في العثور على الأحاديث المطلوبة.

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٣١.
٢. المصدر السابق: الحكمة ١٣٤.
٣. المصدر السابق: الحكمة ٢١٨.
٤. المصدر السابق: الحكمة ٣٨.
٥. المصدر السابق: الكتاب ٣١.
٦. المصدر السابق: الحكمة ٢٩٥.

الأُسلوب الثالث: الاستعانة ببرامج الحاسوب الآلي

فتح الحاسوب الآلي آفاقاً جديدة أمام الباحثين في المجالات المختلفة، بما في ذلك علوم الحديث، فجعل الكتب الحديثية المختلفة في متناول أيديهم، مع إتاحته الفرصة لهم بالبحث عن المطلوب بأنحاء مختلفة خلال ثوانٍ عديدة وبشكلٍ دقيق، وهذا ممّا يعيننا في جمع الأحاديث المتّحدة المضمون أو المشتركة في محورٍ معيّنٍ والواردة في الكتب المختلفة.

بل أتاحت لنا بعض البرامج البحث عن اللفظ بهيئاته المختلفة، وذلك من خلال البحث عن مادّته، بل فسحت المجال أمامنا للبحث المركّب سواء من مادّة وهيئة، أو هيئتين، أو مادّتين، وهذا ما يختصر لنا المسافة ويوصلنا إلى المطلوب بأقصر وقت ممكن، فإذا بحثنا عن مادّة «صدق» فإنّنا سنواجه عدداً كبيراً من الأحاديث وردت فيها هذه المادّة، ممّا يستغرق وقتاً كثيراً لمراجعتها، في حين أنّنا إذا بحثنا عنها مع مادّة أُخرى انخفض عدد النتيجة بشكلٍ كبير وواضح، نظير البحث عن مادّتي «صدق» و«عدوّ»، وهكذا.

المبحث الرابع: موانع فهم الحديث

الفهم الصحيح للكلام رهين بأُمور عديدة تقدّم جملة منها في الدروس السابقة عند بياننا لمراحل فهم الحديث، لكن هناك جملة من العوامل لها تأثير سلبي على فهم الحديث، فلابدّ من عدم إغفالها؛ لتثمر المراحل المشار إليها فيما مضى ثمارها المطلوبة.

فكما ينبغي تهيئة الأرضية المناسبة للفهم الصحيح، كذلك ينبغي إزالة العقبات التي من شأنها حرف المعنى وسوقه نحو معنىً غير مقصودٍ للمتكلّم، وبالتالي تضييع كلّ الجهود المبذولة لفهم الحديث فهماً صحيحاً، وقد أوردنا جملة من هذه الموانع في هذا القسم، وهي:

١ ـ الاشتراك اللفظي

اللغة العربية كغيرها من اللغات تشتمل على ألفاظ لها معاني عديدة، وهو المسمّى اصطلاحاً بالاشتراك اللفظي، وهذه المعاني قد تختلف في مقدار الاستعمال، فبعضها مستعمل بكثرة والآخر بقلّة، وهكذا، فالذهن ينصرف إلى المعنى المستعمل بكثرة غالباً، ويغفل المعنى المستعمل بقلّة، وهذا ما قد يحرف الذهن عن المعنى المقصود للمتكلّم.

فإذا وردت بعض هذه الألفاظ في الحديث الشريف أشكل فهمه، بل قد ينحرف الحديث عن معناه[1]، كما سيتّضح ذلك بعد قليل من خلال المثال إن شاء الله. ومن هنا فلابدّ من إزالة هذه العقبة عن طريق الفهم الصحيح، وسبيل ذلك أحد أمرين:

أ) جمع الأحاديث المتشابهة وضمّ بعضها للبعض الآخر، وهو ما عبّرنا عنه بـ«تكوين الأُسرة الحديثية».

ب) تطبيق المعاني الواردة في اللغة على اللفظ الوارد في الحديث؛ لمعرفة المعنى المناسب من بين المعاني، وإليك بعض الأمثلة:

مثال (١)

الخبر المعروف المروي عن خاتم الأنبياء محمّدﷺ، وهو قوله: «**اختلاف أُمّتي رحمة**»[2].

حيث قيل: إنّ الاختلاف يوجب ظهور الآراء المختلفة، ممّا يبرز الطاقات الكامنة في المجتمع، ولهذا وصفه النبيﷺ بالرحمة، مع أنّ المراد بالاختلاف في الحديث معنىً آخر، كما ورد التصريح به في الرواية التي رواها عبد المؤمن الأنصاري، قال: «قلتُ لأبي

---

١. إن قلت: لماذا يستعمل النبي والأئمّة عليهم السلام هذه الألفاظ مع احتمال الخطأ في معناها؟

قلنا: أوّلاً: استعمال الألفاظ المشتركة رائج في اللغة والعرف، وقد سار الأئمّة على الأُسلوب العرفي. وثانياً: مجرّد الاشتراك لا يعني الخطأ دائماً، فقد يكون اللفظ مستعملاً بكثرة سابقاً، ثمّ تغيّر استعماله على طول الزمان فصار قليلاً. وثالثاً: قد يكون تعدّد المعنى مطلوباً للمتكلّم أحياناً.

٢. *كنز الفوائد*: ص٢٩٨.

عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً يروون أنّ رسول الله قال: اختلاف أُمّتي رحمة؟ فقال: **صدقوا**. فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟! قال: **ليس حيث تذهب وذهبوا، إنّما أراد قول الله عزّوجلّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله فيتعلّموا ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم، إنّما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله، إنّما الدين واحد إنّما الدين واحد**»[2].

مثال (٢)

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**أوّل من هشّم من العرب جميعاً جدّنا هاشم، وأوّل من عرقب جعفر بن أبي طالبٍ ذو الجناحين يوم مؤتة، وأوّل من ارتبط فرساً في سبيل الله تبارك وتعالى المقداد بن الأسود الكنديّ... وأوّل من كاتب لقمان الحكيم وكان عبداً حبشيّاً**»[3].

فإنّ لفظ «كاتب» له معنيان؛ أحدهما «راسل»، والآخر ما ذكره ابن الأثير الجزري بقوله: «الكتابة: أن يكاتب الرجل عبده على مالٍ يُؤدّيه إليه منجّماً، فإذا أدّاه صار حُرّاً»[4].

فقد يُفهم الحديث بشكلٍ خاطئ، فتُحمل كلمة «كاتب» على المعنى الأوّل؛ لكثرة استعمالها فيه، مع أنّ المراد هو المعنى الثاني، بقرينة قوله: «**وكان عبداً حبشيّاً**»، ولهذا أدرجه القاضي النعمان في باب «ذكر المكاتبين» في كتابه ***دعائم الإسلام***، لكن بسبب الاشتراك أُدرج في بعض كتب الحديث المتأخّرة في باب المراسلة.

---

١. التوبة: ١٢٢.

٢. *علل الشرائع*: ج١، ص٨٥، ح٤؛ *وسائل الشيعة*: ج٢٧، ص١٤٠، ح٣٣٤٢٥.

٣. *مستدرك الوسائل*: ج٨، ص٣٠٢، ح٩٥٠١.

٤. *النهاية في غريب الحديث* لابن الأثير: ج٤، ص١٤٨ «كتب».

٢ ـ تطوّر اللغة

أشرنا فيما سبق إلى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية جُعلت للتفاهم بين أبناء المجتمع، ولهـذا فإنّها تختلف في بعض الألفاظ من منطقة إلى اُخرى، ومن زمانٍ إلى آخر، كلّ ذلك حسب الظروف الحاكمة على المجتمع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، ولهذا فإنّ لغة أبناء الريف وأبناء البادية تختلف شيئاً مّا عن لغة أبناء المدينة، وما ذاك إلاّ لاختلاف ظروفهم ومتطلّبات حياتهم ونوع حوائجهم، فنجد بعض الألفاظ في البادية ولا نجد له أثراً في المدينة، وكذا العكس. وبهذا يتّضح أنّ اللغة ظاهرةٌ حيّة قابلة للتغيّر والتغيير حسب ما تقتضيه الظروف.

وبما أنّ زمان صدور الحديث الشريف يرجع إلى اثني عشر قرناً أو أكثر، فمن الطبيعي أن تتغيّر بعض الاستعمالات وتندرس اُخرى وتُبتدع ثالثة، كلّ ذلك حسب حاجة المجتمع لهذه الألفاظ، والظروف المارّة عليه خلال هذه الفترة، فاندرست بعض الاستعمالات لفقدان الحاجة إليها، وتغيّر استعمال البعض لتغيّر الظروف[١]، فإذا كان اللفظ مستعملاً في معنىً معيّنٍ، ثمّ تغيّر استعماله أو كان له أكثر من معنى واندرس المعنى المستعمل فيه، حملنا اللفظ على المعنى الذي نفهمه من اللفظ، مع أنّ المراد غيره. وسيتّضح ذلك من خلال الأمثلة إن شاء الله.

مثال (١)

«عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عميرٍ، عن أبي عوفٍ البجليّ، قال: سمعت أبا

١. مثال ذلك: لفظ «القطار» في الحديث التالي والذي تقدّمت الإشارة إليه في المدخل: «عن عبيد بن زرارة، قال: كنت أنا ونفر من أصحابنا مترافقين، فيهم ميسّر، فيما بين مكّة والمدينة، فارتحلنا ونحن نشكّ في الزوال، فقال بعضنا لبعض: فامشوا بنا قليلاً حتّى نتيقّن الزّوال ثمّ نصلّي. ففعلنا، فما مشينا إلاّ قليلاً حتّى عرض لنا قطار أبي عبد الله، فقلت: أتى القطار...» (*الكافي*: ج٣، ص٤٣١، ح٤).

عبد الله عليه السلام، يقول: **الوضوء**[1] **قبل الطّعام وبعده يزيدان في الرّزق**»[2].

فكلمة الوضوء لها معنيان: الأوّل: وهو المستعمل في زماننا، وهو «غسل الوجه والكفّين، ومسح الرأس والرجلين بكيفية خاصّة»، والثاني: هو غسل اليدين. فإذا فهمنا الحديث طبقاً لاستعمال الوضوء في هذا الزمان، كان المعنى المفهوم منه خاطئاً، وما ذاك إلاّ لاستعمال لفظ الوضوء في الحديث بمعناه اللغوي الذي اندرس فيما بعد وبقي المعنى الشرعي له.

مثال (٢)

ورد لفظ التعمّق في عدد من الروايات، كالرواية التالية:

«عن عاصمِ بن حميدٍ، قال: سُئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال: **إنّ الله عزّوجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أَقوام متعمّقون، فأَنزل اللهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾**[3]**، فمن رام وراء ذلك فقد هلك**»[4].

والذي نفهمه اليوم من لفظ التعمّق هو الدقّة الفائقة في استنباط المعاني، وعليه فالمراد من الرواية هو أنّ الله أنزل سورة التوحيد والآيات من سورة الحديد من أجل هؤلاء المتعمّقين، مع أنّا نجد ذمّ التعمّق في الروايات الشريفة، نظير الروايات التالية:

---

١. المراد بالوضوء في الحديث هو «غسل اليدين»، والذي يدلّ على ذلك هو الأحاديث الأُخرى الواردة في هذا المجال، نظير الحديث التالي: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الوضوء قبل الطعام يبدأ صاحب البيت لئلاّ يحتشم أحد، فإذا فرغ من الطعام بدأ بمن عن يمين صاحب البيت حرّاً كان أو عبداً. قال: وفي حديث آخر: يغسل أوّلاً ربّ البيت يده، ثمّ يبدأ بمن على يمينه، وإذا رُفع الطعام بدأ بمن على يسار صاحب المنزل، ويكون آخر من يغسّل يده صاحب المنزل؛ لأنّه أولى بالصبر على الغمر» (*الكافي*: ج٦، ص ٢٩٠، ح ١).

٢. *الكافي*: ج٦، ص ٢٩٠، ح ٥.

٣. الحديد: ٦.

٤. *الكافي*: ج١، ص ٩١، ح ٣.

قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فانظُر أيها السّائل، فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به واستضئ بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سُنّة النبي وأئمّة الهدى أثره، فكِلْ علمه إلى الله سبحانه، فإنّ ذلك مُنتهى حقّ الله عليك.**

واعلم أَنّ الرّاسخين في العلم هم الذين أَغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الإقرارُ بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يُحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين»[1].

وقوله عليه السلام: «**والكفر على أَربع دعائم: على التعمّق، والتنازع، والزيغ، والشقاق، فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيّئة وسكر سكر الضلالة، ومن شاقّ وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أَمرهُ وضاق عليه مخرجه**»[2].

وقوله عليه السلام: «**بُني الكفر على أَربع دعائم: الفسق، والغلوّ، والشكّ، والشبهة... والغلوّ على أربع شعبٍ: على التعمّق بالرّأي، والتنازع فيه، والزيغ، والشقاق؛ فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ، ولم يزدد إلاّ غرقاً في الغمرات، ولم تنحسر عنه فتنة إلاّ غشيته أُخرى، وانخرق دينه، فهو يهوي في أَمرٍ مريج...**»[3].

ومن خلال هذه الروايات وروايات أُخرى فهمنا أنّ كلمة «التعمّق» تدلّ على معنىً مذموم لا ممدوح، كما نفهمه في هذا الزمان.

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ٩١.

٢. المصدر السابق: الحكمة ٣١.

٣. *الكافي*: ج٢، ص٣٩١، ح١.

وكذلك يمكن أن نعيّن المراد من كلمة «التعمّق» من خلال مراجعة كتب اللغة:

قال الخليل الفراهيدي في هذا المجال: «المُتَعَمِّقُ: المُبالغ في الأَمر المتـشدِّد فيـه الـذي يطلب أقصى غايته»[١]. ولهذا فإنّ مفاد الرواية الواردة بـشأن سـورة التوحيـد والآيـات مـن سورة الحديد هو أنّ الله علم أنّه سيكون أُناس متعمّقـون فـي آخـر الزمـان، فـأنزل سـورة التوحيد للحفاظ على هذه العقيدة الأساسية والأصل الديني، فالرواية تذّم المتعمّقين أيضاً.

فلفظ «التعمّق» كان مذموماً في زمان صدور الحديث، وصار ممدوحاً فـي زماننـا، ومـا هو إلاّ لتغيّر الظروف وتطوّر اللغة.

٣ ـ خلط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي

ذكرنا فيما سبق أنّه استُعملت في الحديث ـ كغيـره ـ بعـض الاصـطلاحات، وقلنـا: إنّ معنى الاصطلاح لا يفهمه إلاّ أهل الاصطلاح أو من له اطّلاع عليـه، وإنّـه لا يمكـن فهـم الاصطلاح من خلال كتب اللغة.

والنقطة المهمّة التي نودّ الإشارة إليها هنـا هـي أنّ الاصـطلاح لـيس لفظـاً إبـداعياً مـن المصطلح، بل هو استخدام أحد الألفاظ اللغوية الموضوعة لمعنىً معـيّنٍ فـي معنـىً آخـر، ومن هنا فقد يكون بين الاصطلاح وبين المعنى اللغوي الأصلي نوع انسجام، وقد لا يكون كذلك، فإذا استُعمل اللفظ في الحديث وكان هذا اللفظ مستعملاً أيضاً بمعنىً اصـطلاحي بين طائفةٍ معيّنة من المجتمع، انصرف إلى المعنى الاصطلاحي بين أبناء تلك الطائفة حتّى وإن كان المراد به معناه اللغوي، وهذا هو المانع عن فهم الحديث فهماً صحيحاً.

وبعبارةٍ أوضح: استعمال لفظ ذي معنيين اصطلاحيّ ولغويّ قد يوقع السامع المـستأنس بالاصـطلاح فـي الخطـأ، فيتـصوّر إرادة المعنـى الاصـطلاحي مـع إرادة المعنـى اللغـوي، وبالأمثلة التالية يتّضح ما ذكرناه:

مثال (١)

---

١. كتاب *العين*: ج ١، ص ١٨٧ «عمق»؛ *لسان العرب*: ج ١٠، ص ٢٧١ «عمق».

عن أبي عبد الله عليه السلام: «**الحكمة ضالّة المؤمن، فحيثما وَجَدَ أحدكم ضالّته فليأخذها**»[١].

فلفظ «الحكمة» له معنيان: لغوي عام، واصطلاحي خاص بالفلاسفة؛ وهو بمعنى «الفلسفة»، ففهم بعض الحكماء من هذا الحديث مدح الفلسفة، وفي قبال ذلك فهمه المخالفون للفلسفة بشكلٍ آخر، فقالوا: «الضالّة» تعني «الضلالة»، وبذلك حاولوا الطعن على الفلسفة بأنّها توجب الضلال.

وكلا الفهمين ـ كما تلاحظ ـ مبني على إرادة المعنى الاصطلاحي من لفظ «الحكمة» وهو «الفلسفة»، مع أنّ المراد منها هو المعنى اللغوي وهو «المنع».

قال ابن فارس في هذا الصدد: «الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأوّل ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم. وسمّيت حكمة الدابّة لأنّها تمنعها، يقال: حكمت الدابّة وأحكمتها. ويقال: حكمت السّفيه وأحكمته؛ إذا أخذت على يديه. والحكمة هذا قياسها؛ لأنّها تمنع من الجهل. وتقول: حكّمت فلاناً تحكيماً؛ منعته عمّا يريد. وحكّم فلانٌ في كذا إذا جعل أمره إليه»[٢].

وقال الخليل الفراهيدي: «الحكمة: مرجعها إلى العدل والعلم والحلم»[٣].

ولهذا قال الطريحي في *مجمع البحرين*: «الحكمة: العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعارٌ من حكمة اللّجام، وهي ما أحاط بحنك الدابّة يمنعها الخروج. والحكمة: فهم المعاني، وسمّيت حكمةً؛ لأنّها مانعةٌ من الجهل»[٤].

فتفسير الحكمة بالفلسفة ليس في محلّه، وإنّما المراد منه العلم الحاجز للإنسان عن

---

١. *الكافي*: ج٨، ص١٦٧، ح١٨٦.

٢. *معجم مقاييس اللغة* لابن فارس: ج٢، ص٩١ «حكم».

٣. كتاب *العين*: ج٣، ص٦٦ «حكم».

٤. *مجمع البحرين*: ج١، ص٥٥٣ «حكم».

ارتكاب الأفعال غير اللائقة والجاهلة. كما أنّ تفسير الضالّة بالضلال ليس صحيحاً أيضاً، وإنّما المراد بها هو «البُغية» و«ما يطلبه الإنسان». ومنشأ هذا الخطأ في الفهم هو حمل اللفظ الوارد في الحديث على المعنى الاصطلاحي، أو فقل: سببه الخلط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

مثال (٢)

عن النبيﷺ قال: «**إذا دُعي أحدكم إلى طعامٍ فليجب، فإن كان مُفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليصلِّ**»[١].

فالصلاة بحسب اصطلاح الفقهاء والمتشرّعين تعني الأفعال الخاصّة من الركوع والسجود و... فإذا حملنا الحديث على هذا المعنى كان معناه: «إذا دُعي أحدكم إلى طعامٍ وكان صائماً فليأتِ بأفعال الصلاة»، مع أنّ الصلاة في اللغة بمعنى الدعاء.

قال الخليل الفراهيدي في هذا المجال: «صلوات الرسول للمسلمين: دعاؤه لهم وذكرهم. وصلوات الله على أنبيائه والصالحين من خلقه: حسن ثنائه عليهم وحسن ذكره لهم. وقيل: مغفرته لهم. وصلاة الناس على الميّت: الدعاء. وصلاة الملائكة: الاستغفار»[٢].

وقال ابن منظور في ***لسان العرب***: «الصلاة: الركوع والسجود. والصلاة: الدعاء والاستغفار. وصلاة الله على رسوله: رحمته له وحسن ثنائه عليه. قال الأزهري: هذه الصلاة عندي الرحمة، ومنه قوله(عزّ وجلّ): ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾، فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سُمِّيت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار»[٣].

وبه يتبيّن وجه الاصطلاح الشرعي للصلاة، والتناسب بينه وبين المعنى اللغوي، وعلى

---

١. *سنن الترمذي*: ج٢، ص١٣٩، ح٧٧٧.

٢. *العين*: ج٧، ص١٥٤ «صلو».

٣. *لسان العرب*: ج١٤، ص٤٦٤ «صلا».

هذا الأساس يكون معنى الحديث كالتالي: «... وإن كان صائماً فليدع لأرباب الطعام بالبركة والخير».

ولهذا صرّح ابن الأثير قائلاً: «في الحديث: إذا دُعي أحدكم إلى طعامٍ فليجب، وإن كان صائماً فليصلّ؛ أي: فليدع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة»[1]. لكنّ المعنى الثاني والمقصود قد لا يخطر على الذهن؛ لاستئناسه بالمعنى الاصطلاحي.

٤ ـ سذاجة الفهم

إذا أردنا نسبة أمرٍ معيّن إلى الشريعة المقدّسة أو إلى أحد المعصومين عليهم السلام فهو متوقّف على إحراز ذلك الأمر أوّلاً، وفهمه فهماً صحيحاً ثانياً. وقد ذكرنا في بحثنا حول الأُسرة الحديثية أهمّية تكوينها، ودورها في فهم الكلام فهماً صحيحاً؛ إذ الأحاديث الواردة في الباب والموضوع الواحد يفسّر بعضها بعضاً، بل تقدّم أنّ الأحاديث الواردة في المواضيع المرتبطة بهذه المسألة والأحاديث المعارضة أيضاً لها دور هامّ في فهم الحديث، وهذا ما اتّضح في الدروس السابقة.

وإنّما الذي نريد تسليط الضوء عليه في هذا الفرع هو أنّه قد يكون للحديث معنىً عرفي ومعنىً آخر أعمق منه، والمراد منه هو المعنى العميق، لكن بسبب التواني في تكوين الأُسرة الحديثية ـ سواء كان هذا التواني لعذرٍ أم لغيره ـ يتمّ فهم الحديث وفقاً لمعناه العرفي البسيط، وهذا ما يجرّنا إلى ترتيب آثارٍ سيّئةٍ على الحديث، والانزلاق في الانحرافات أحياناً.

وما ذكرناه لا يختصّ بقسمٍ من الأحاديث دون آخر، فكما هو جارٍ في الأحاديث الأخلاقية جارٍ في الأحاديث العقائدية أيضاً، وكما يجري فيهما يجري في غيرهما من المجالات المختلفة أيضاً. نعم، قد يكون مسرحه في مجالٍ منها أكثر من غيره.

والذي يراجع الواقع الخارجي للمجتمع الإسلامي يجد أنّ أساس بعض الانحرافات

---

١. *النهاية في غريب الحديث*: ج٣، ص ٥٠ «صلا».

السلوكيّة والعقيديّة هو الفهم الساذج للحديث، نظير الأحاديث الواردة في الحبّ، وأنّ الإنسان مع من أحبّ، كالحديثين التاليين:

«قال رجل لرسول الله ﷺ: إنّي أُحبّك. فقال: **إنّك لتُحبني؟** فقال الرجل: إي والله. فقال النبيّ: **أنت مع من أحببت**»[١].

وعن أنس بن مالك: «إنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الساعة، فقال: **ما أعددتَ لها؟** قال: حُبّ الله ورسوله. قال: **أنت مع من أحببت**»[٢].

فإنّ معناهما الساذج والذي يتبادر لعوامّ الناس هو أنّ الحبّ العاطفي المجرّد عن العمل الصالح كافٍ لنجاة الشخص يوم القيامة، بل هو المعيار لتقويم الأفراد وتمييز الصالح عن الطالح، وبهذا المعنى تمسّك بعض الناس لتبرير تقاعسهم عن أداء الفرائض والأعمال الصالحة، مع أنّ الروايات الأُخرى الواردة في هذا الباب دالّة على أنّ الملاك والمعيار للنجاة يوم القيامة هو العمل الصالح، بل الآيات الكريمة ـ فضلاً عن الروايات الكثيرة ـ صريحة في ذلك أيضاً:

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٣].

﴿**قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾[٤].

فالآية الأُولى علّقت حبّ الله على اتّباع النبي ﷺ، والآية الثانية أمرت بطاعته ﷺ وعقّبت ذلك بقولها: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾، فوسمت المتولّي عن طاعة النبيّ بالكفر، والله لا يحبّ الكافرين.

---

١. *أعلام الدين في صفات المؤمنين* للديلمي: ص٤٤٩.

٢. *الأمالي* للطوسي: ص٣١٢، ح٦٣٥؛ *بحار الأنوار*: ج٢٧، ص٨٥، ح٢٩.

٣. آل عمران: ٣١.

٤. آل عمران: ٣٢.

فهل يعقل أن يكون المعيار في التقويم يوم القيامة هو الحبّ العاطفي فقط وإن كان مجرّداً عن العمل الصالح؟! بل صرّحت الآيات العديدة بأنّ الجنّة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، نظير الآيات التالية:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ...﴾(١).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٢).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا...﴾(٣).

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(٤).

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٥).

والملفت للنظر أنّ القرآن الكريم ذكر العمل الصالح في تسعة وخمسين موضعاً، وقد اقترن الإيمان بالعمل الصالح في ثمان وخمسين منها، وفي الموضع الآخر اقترن الصبر بالعمل الصالح(٦)، وهذا يعني أنّ الإيمان لا ينفصل عن العمل الصالح.

فالمراد من الحبّ المذكور في الأحاديث المشار إليها وغيرها هو الحبّ الحقيقي، وهو الحبّ المقترن بالعمل بما يريده المحبوب، وترك ما يوجب سخط المحبوب؛ إذ المحبّ الحقيقي تابع لحبيبه ويحاول دوماً أن يكسب رضا محبوبه، ويتجنّب سخطه، وهذا هو

---

١. البقرة: ٢٥.

٢. البقرة: ٨٢.

٣. النساء: ٥٧ و١٢٢.

٤. النساء: ١٢٤.

٥. المائدة: ٩.

٦. انظر: هود: ١١.

معنى الإتيان بالعمل الصالح والواجبات وترك المعاصي والمحرّمات. ولهذا ورد في جملة من الروايات: «**أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت**»[1]، وهو دالّ على أنّ الذي يعود للإنسان في الآخرة هو كسبه ونتيجة عمله.

٥ ـ التقطيع المخلّ للحديث

التقطيع: جعل الكلام قطعة قطعة ونقل البعض دون الآخر، وهو أمر رائج عند العرف والعقلاء في مقام نقل الكلام الطويل؛ فإذا خطب أحد رؤساء الجمهورية ـ مثلاً ـ خطاباً هامّاً، فإنّ وكالات الأنباء تنقل المقاطع المهمّة من هذا الخطاب. وكذا الحديث؛ فإنّ بعض الأحاديث طويلة ومشتملة على فقرات متعدّدة، وقد تدور حول محاور متعدّدة، ففي مقام الاستشهاد أو الاستدلال به، بل في مقام نقله أيضاً قد تُنقل فقرة من هذه الفقرات دون الباقي، وهذا ما يرافق ضياع أسباب ورود الحديث وجملة من القرائن السياقية وغيرها، وهو من أسباب سوء فهم الحديث.

فتقطيع الحديث وإن كان موجباً للاختصار ونقل الفقرة المقصودة فقط، وهو ممّا يسهّل على المخاطب فهم المقصود بسرعة، مضافاً إلى عدم ملله من طول الكلام، لكنّه قد يلازم سوء فهم الحديث أو إبهام معناه أحياناً، وهذا هو التقطيع المخلّ.

مثال:

روى الشيخ الحرّ العاملي عن محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن إبراهيم بن أبي محمود، عن الرضا، في حديثٍ قال: «ولقد خرجت إلى نزهةٍ لنا ونسي الغلمان الملح فذبحوا لنا شاةً»[2].

ولا نفهم للحديث معنىً واضحاً، وبمراجعته في المصدر الأصلي له، وهو كتاب *الكافي* نجد أنّ سبب ذلك هو تقطيع الحديث. والمتن الكامل له هو كالتالي:

---

١. *الكافي*: ج٨، ص ٨٠، ح٣٥.

٢. *وسائل الشيعة*: ج١١، ص ٤٦٠، ح ١٥٢٦٠.

محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: «قال لنا الرّضا: **أيّ الإدام أحرى؟** فقال بعضنا: اللّحم، وقال بعضنا: الزيت، وقال بعضنا اللّبن، فقال هو: **لا، بل الملح**. ولقد خرجنا إلى نزهةٍ لنا ونسي بعض الغلمان الملح، فذبحوا لنا شاةً من أسمن ما يكون فما انتفعنا بشيءٍ حتّى انصرفنا»[1].

٦ ــ فهم الحديث طبقاً للأهواء والرغبات

فهم الكلام تابع لأُمور عديدة، بعضها تابع لفهم مفردات الكلام، وهذا ما يُعرف من خلال مراجعة كتب اللغة، وبعضها تابع لفهم التركيب المستعمل في الكلام، وهذا ما يُفهم من خلال مراجعة الاستعمالات المشابهة له، وبعضها تابع لأُمور ارتكازية وعاطفية وغير محسوسة نتيجة الاعتقاد بعقيدة معيّنة، أو ممارسة عمل معيّن، أو السكن في محلّ معيّن، أو غير ذلك. فهذه الأُمور الارتكازية لها دور هامّ في فهم الكلام من دون شعور السامع بذلك. فمثلاً: وردت بعض الأحاديث في ذمّ بعض البلدان ـ كالبصرة والشام وأصفهان ـ أو ذمّ بعض المِهن والأعمال ـ كالحياكة ـ فإذا ما عُرضت هذه الأحاديث على أهل هذه البلدان أو أصحاب هذه الحرف والأعمال، فإنّهم يفهمونها بشكلٍ يختلف عن فهم غيرهم لها، وما هذا إلاّ بسبب الميول والأهواء. وإليك بعض النماذج من ذلك:

في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عبد الله بن عبّاس وهو عامله على البصرة: «**اعلم أنّ البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم...**»[2].

وفي كتابٍ له عليه السلام إلى قثم بن العبّاس وهو عامله على مكّة: «**أمّا بعد، فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يعلمني أنّه وجّه إلى الموسم أناسٌ من أهل الشام، العمي**

---

١. *الكافي*: ج٦، ص٣٢٦، ح ٧.

٢. *نهج البلاغة*: الكتاب ١٨.

القلوب، الصمّ الأسماع، الكمه الأبصار، الّذين يلبسون الحقّ بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، ويحتلبون الدنيا درّها بالدين، ويشترون عاجلها بآجل الأبرار المتّقين، ولن يفوز بالخير إلاّ عامله، ولا يجزى جزاء الشرّ إلاّ فاعله»[١].

وروى الشهيد الثاني في شرح النفليّة عن الشيخ جعفر بن أحمد القمّي في كتاب الإمام والمأموم بإسناده إلى الصّادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **لا تصلّوا خلف الحائك ولو كان عالماً، ولا تصلّوا خلف الحجّام ولو كان زاهداً، ولا تصلّوا خلف الدبّاغ ولو كان عابداً**»[٢].

فإنّ أهالي هذه المدن وأصحاب هذه المِهن والأعمال يحاولون فهم هذه الأحاديث وأمثالها بما لا ينتهي إلى ذمّهم، مع أنّ مضمون الحديث لو كان صحيحاً لزم الأخذ به بمعناه الذي دلّت عليه القرائن والأحاديث الأُخرى، وإن لم يكن صحيحاً لزم طرحه من الأساس، لا تأويله أو فهمه بنحوٍ ينسجم مع واقعنا وحالنا وما ترتضيه نفوسنا. وهذا لا يختصّ بأهل البصرة، بل هو عامّ في كلّ قوم أو أهل مدينة أو أصحاب لغة أو... ممّن ورد في حقّهم مدح أو ذمّ في النصوص الشريفة.

وفي علاج ذلك لابدّ أن يحاول الإنسان تجريد ذهنه عن هذه الأُمور عند تعامله مع الحديث، وذلك بأن يفرض نفسه من أبناء مدينة أُخرى ومن أصحاب حرفة أُخرى، ويلاحظ فهمه للحديث عندئذٍ، أو يلاحظ فهمه للأحاديث الواردة في مدن وحرف أُخرى؛ ويفهم هذا الحديث كفهمه لتلك.

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٣٣.

٢. *مستدرك الوسائل*: ج٦، ص٤٦٤، ح٧٢٥٥.

ملحق

تقدّم في الأبحاث السابقة أنّ فهم الحديث يتوقّف على فهم ألفاظه أوّلاً ثمّ المراد الجدّي منه، وفهم الألفاظ يتوقّف في كثير من الأحيان على الرجوع إلى كتب اللغة كما هو واضح. لكن يا ترى هل يمكننا الرجوع إلى جميع كتب اللغة حتّى الكتب اللغوية المعاصرة، أم يلزم الرجوع إلى الكتب اللغوية القديمة باعتبارها مقاربة لعصر صدور النصّ؟ وهل يمتاز بعض كتب اللغة على الآخر بشيء أم لا؟

وقد عقدنا هذا الملحق لبيان خصوصيات بعض الكتب اللغوية التي لها دور فعّال في فهم الحديث والنصوص الإسلامية، بياناً يناسب هذه الدورة المختصرة. وانتقينا من بينها الكتب التالية: ***العين***، و***معجم مقاييس اللغة***، و***النهاية في غريب الحديث***؛ لأهمّيتها البالغة في هذا المجال.

١ ــ كتاب «العين»

كتاب ***العين*** للخليل بن أحمد الفراهيدي، اللغوي البارع المتوفّى في القرن الثاني سنة (١٧٥هـ) هو أوّل كتاب لغوي على طريقة المعجم، حيث إنّ هذه الطريقة لم تكن معروفة عند لغويي العرب آنذاك، فكانت كتبهم لشرح الألفاظ اللغوية الغريبة والصعبة فحسب، لا لبيان جميع الألفاظ الواردة في اللغة، كما لم تكن تحظى بنظمٍ سهل كي يستطيع القارئ من خلاله أن يتوصّل إلى بغيته، فاستطاع الخليل أن يبدع نظماً جديداً يسهل من خلاله الرجوع إلى المطلوب عند الحاجة، كما حاول استقصاء الموادّ المختلفة، ولم يقتصر على البعض دون البعض.

أمّا نظم الموادّ فقد كانت الكتب السابقة عليه موضوعية؛ بمعنى أنّ الألفاظ المتعلّقة بموضوعٍ معيّن تجعل في موضعٍ واحد، كالألفاظ الواردة في الحرب والنضال، والألفاظ الواردة في الأطعمة والأشربة، وهكذا، ولهذا ظهرت الكتب التالية: «كتاب الخيل» و«كتاب المطر» وغيرها.

وهذا الأُسلوب يتطلّب من القارئ البحث عن المطلوب في المواضع التي يظنّ وجود اللفظ فيها، فإن لم يجده لزمه البحث عنه في جميع الكتاب، فجاء الخليل بنظمٍ سهل جديد وهو نظم الموادّ على أساس المعجم، وفتح بذلك أمام العرب ولأوّل مرّة باب الترتيب المعجمي للموادّ اللغوية، فرتّب موادّ كتابه *العين* على أساس ترتيب مخارج الحروف، وقسّم كلّ حرف منها إلى أبوابٍ بحسب الأبنية هي: الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي. وبذلك جعل جميع الألفاظ المشروحة تحت اختيار القارئ بأُسلوبٍ سهل المؤونة بالقياس إلى غيره.

نعم، كلّ عمل إبداعي وابتكاري أو في مراحله الابتدائية قد يُبتلى ببعض النقائص والعيوب، يتمّ تلافيها ورفعها بمرور الزمان، فالأُسلوب المذكور والذي جاء به الخليل وإن أصبح متروكاً هذا اليوم باعتبار تطوّر نظم المعاجم وجعلها بحسب ترتيب الحروف العربية لا بحسب مخارجها، لكنّ للخليل قدم السبق، ولكتاب *العين* فضيلة الإحصاء والاستقصاء.

وقد قام الشيخ محمد حسن بكائي بترتيب الكتاب، وتولّت مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة طبعه ضمن مجلّدٍ واحد ذي حجمٍ كبير. كما قامت مؤسّسة الهجرة بترتيب الكتاب ترتيباً حديثاً، وطبعته ضمن ثلاثة أجزاء. وبذلك تمّ إحياء هذا الكتاب.

أهمّ خصائص الكتاب

أ) بيان معاني الألفاظ في عصر النصّ

بما أنّ هذا الكتاب من مؤلّفات أواسط القرن الثاني، وهو عصر صدور الحديث، بل إنّ أغلب الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام من أحاديث هذا القرن، ففي مقام تعاطينا مع الحديث وفهمه تبدو قيمة هذا الكتاب أكثر؛ باعتبار معاصرته للنصّ، وهذا ما يبعث على اطمئناننا بالمعنى الذي نستنبطه من الحديث؛ حيث تقدّم أنّ اللغة في حال تطوّر وتغيّر، فالمعنى المذكور للّفظ الوارد في الحديث إذا لم يكن من معاني تلك البرهة لم يحصل لنا الاطمئنان والوثوق به، بخلاف ما إذا كان معناه في هذه الفترة، وهذه من خصوصيات

كتاب *العين*.

ب) استقصاء الألفاظ

ذكر محقّق الكتاب في مقدّمته: إنّ الكتب اللغوية قبل الخليل لم تكن جامعة وشاملة لجميع الألفاظ، وإنّما كانت مختصّة بالألفاظ الغريبة، ولم تكن تجمع الألفاظ الواضحة للمجتمع آنذاك، فجاء الخليل وجمع الألفاظ الواضحة إلى جانب الغريبة، وبذلك حاول جمع الاستعمالات العربية آنذاك، وهذا ما يبيّن لنا معاني الألفاظ المختلفة في تلك البرهة، مضافاً إلى حفظه اللغة عن الضياع.

٢ ـ كتاب«معجم مقاييس اللغة»

تقدّمت الإشارة إلى وجود ثلاثة أنحاء من المعاني: المعنى الحقيقي، والمجازي، والأصلي، وقلنا: إنّ المعنى الحقيقي هو المعنى الذي وضع اللفظ بإزائه، وأمّا المعنى المجازي فهو المعنى الذي استُعمل اللفظ فيه لمناسبة معيّنة تربطه بالمعنى الحقيقي، وذلك أن تُلحظ خصوصية معيّنة في المعنى الحقيقي، فيستعمل اللفظ في معنىً آخر بلحاظ هذه الخصوصية؛ نظير استعمال البحر في الكريم لسعة كرمه، واستعمالها في العالم لسعة علمه، وهكذا.

والأدب العربي يعتمد على هذا القسم من المعاني بمقدار كبير، بحيث لو حذفناها من اللغة ما بقي لها طراوة وجمال، ولتهدّم أحد أركان البلاغة.

وأمّا المعنى الأصلي فهو المعنى الجامع بين مشتقّات المادّة الواحدة، وعلى أساسه سرى المعنى الواحد في جميع المشتقّات.

وتوضيح ذلك: إنّ إحدى خصائص اللغة العربية هي الاشتقاق، فالهيئات العديدة تشتقّ من مادّة واحدة، ويسري معنى هذه المادّة في جميع هذه الهيئات. فالمعنى الأصلي هو المعنى المشترك والجامع بين هذه الهيئات.

ومعرفة هذا المعنى نافعة للغاية في فهم الكتاب الكريم والحديث الشريف؛ باعتبار أنّ كتب اللغة لم تستقصِ جميع الهيئات وجميع المعاني، فقد نجد لفظاً في الحديث ولا

نجده في كتب اللغة، وقد نجده في اللغة ولا نجد له معنىً مناسباً للحديث، ففهم مثل هذا الحديث يتوقّف على معرفة المعنى الأصلي للكلمة.

والكتاب الذي يتميّز ببيان المعاني الأصلية من بين كتب اللغة هو كتاب ***معجم مقاييس اللغة***، تأليف أحمد بن فارس المتوفّى في أواخرالقرن الرابع سنة (٣٩٥هـ)، فأبدع في هذا المجال، وأرجع المشتقّات المختلفة إلى أُصولها بدقّة. لكن لصعوبة منهج الكتاب بقي مهجوراً في زوايا المكتبات، وقد قمتُ أخيراً وأحد الإخوة بترتيب الكتاب ترتيباً حديثاً؛ ليسهل تناوله والاستعانة به للباحثين.

نموذج من الكتاب

قال في مادّة (بتر): «الباء والتاء والراء أصل واحد؛ وهو القطع قبل أن تتمّه، والسيف الباتر القطّاع. ويقال للرجل الذي لا عقب له: أبتر. وكلّ من انقطع من الخير أثره فهو أبتر. والأبتر من الدوابّ ما لا ذنب له... وخطب زياد خطبته البتراء؛ لأنّه لم يفتتحها بحمد الله تعالى والصلاة على النبيصلى الله عليه وآله. ورجل أباتر: يقطع رحمه يبترها»[1].

منهج الكتاب

سلك ابن فارس المنهج التالي في بيان المعاني، فشرع بالثنائي من كلّ حرف، ثمّ عقّبه بالثلاثي، وأخيراً ذكر الرباعي والخماسي؛ فمثلاً: بدأ كتاب الهمزة كالتالي: (أبّ ــ أتّ ــ أثّ) حتّى انتهى بـ(أن ـ أو ـ أي)، ثمّ ذكر الثلاثي مبتدئاً بـ(أبت ـ أبث) ومنتهياً بـ(أين ـ أيه ـ أيي)، وابتدأ حرف الباء بـ(بت ـ بث... بو ـ بيء[2])، ثمّ عقّبه بالثلاثي مبتدئاً بـ(بتر ـ بتع... ــ بين ـ بأس ـ بأو)، ثمّ ذكر الرباعي والخماسي.

كما أنّه نظّم الموادّ في كلّ حرف وفي كلّ باب وفق الأساس التالي: أن يبدأ الباب بالمادّة التي يكون الحرف الثاني منها بعد هذا الحرف في حروف الهجاء. فمثلاً: في

---

١. ***معجم مقاييس اللغة***: ج١، ص١٩٤ «بتر».

٢. قال:«الباء والياء، والباء والهمزة ليست أُصولاً تقاس...».

حرف الباء شرع بالمادّة (بت)، وأخّر الباء والهمزة إلى آخر الباب. وكذا في الثلاثي، حيث افتتحه بـ(بتر)، وأخّر الباء مع الهمزة إلى آخر الباب، فذكر: (بأس ـ بأو) بعد (بين). وكلّما تقدّمت الحروف اضطرب نسق الموادّ أكثر، فمثلاً: بدأ كتاب العين بمادّة (عفّ) حتّى وصل إلى (عن)، ثمّ ذكر (عب ـ عت ـ عد... عط ـ عظ)، وكذا الثلاثي.

٣ ـ «النهاية في غريب الحديث»

أشرنا فيما سبق إلى أنّ بعض كتب اللغة تختلف عن غيرها، ويُطلق عليها كتب «غريب الحديث»، والفرق الأساس بينها وبين كتب اللغة الأُخرى هو أنّها لا تتناول بالشرح والبيان جميع المفردات اللغوية، وإنّما تتناول خصوص الألفاظ الواردة في الحديث الشريف، إذا كانت مبهمة المعنى أو أُريد بها معنىً يختلف عن المعنى المتبادر منها.

وبداية تأليف هذه الكتب هو القرن الثاني، ولكنّ المنهج الذي كانت تعتمده في بداية أيّامها يختلف عن المنهج الفعلي لها؛ فكان المحور لبيان الألفاظ الغريبة هو الحديث؛ بمعنى أنّهم يذكرون الحديث المشتمل على لفظ غريب، ثمّ يشرحون الألفاظ الغريبة الواردة فيه، سواء كان اللفظ الغريب من مادّة «أبٍ» أم من مادّة «يهب»، ولهذا كان العثور على المطلوب فيها صعباً، بخلاف الكتب الفعلية، فإنّ منهجها على أساس مادّة اللفظ الغريب، فإذا كان في الحديث الواحد لفظان غريبان ذكر كلّ منهما في بابه المناسب له.

أهم خصائص الكتاب

يُعدّ كتاب ***النهاية في غريب الحديث*** من الكتب المهمّة في بابه، ولعلّه من أهمّ الكتب في بابه؛ والنقاط البارزة في هذا الكتاب والتي جعلته مبرزاً في هذا المجال هي:

أ) إنّه سهل المؤونة، وهذه من الأُمور المهمّة في كتب اللغة.

ب) إنّه من الكتب القديمة، مّما يورث الاعتماد على المعاني المذكورة فيه.

ج) لمؤلّفه اطّلاع واسع في مجالي اللغة والحديث، مّما أعانه على فهم الحديث، وبالتالي تمييز المعنى المناسب من غيره.

د) جمعه للألفاظ الغريبة أكثر من الكتب السابقة عليه؛ وذلك أنّه اعتمد عليها وأضاف

إليها بعض الألفاظ.

منهج الكتاب

يتبع هذا الكتاب الأُسلوب المعجمي؛ فهو يذكر الألفاظ الغريبة التي يصعب إرجاعها إلى مادّتها ضمن لفظها، ويشير إلى مادّتها، نظير: «الغد» المذكور ضمن مادّة «غدد» مع أنّ أصله «غدو»، و«اللاّت» المذكور ضمن مادّة «لات» مع أنّ مادّته «ليه»، و«لدة» المذكور ضمن مادّة «لدا» مع أنّ أصله «ولد»، و«مدره» المذكور ضمن مادّة: «مدره» مع أنّ الميم زائدة.

ومنهجه في شرح الألفاظ الواردة ضمن مادّة واحدة، يتمثّل بشرح كلّ لفظ منها ما لم يتكرّر في الحديث، فإن تكرّر اللفظ الغريب في عدد من الأحاديث وأُريد من الجميع معنى واحد ذكر المعنى بعد أوّل حديث منها، وعقّبه بقوله: «ومنه حديث...» ويورد لفظ الحديث.

ورمّز في أوائل بعض الأحاديث بالرمز «س» أو «هـ»، وهو إشارة إلى المصدر الذي اعتمده في بيان هذا المعنى.

نموذج من الكتاب

قال في مادّة (يمم) «فيه: ″ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ، فلينظر بم ترجع″. اليمّ: البحر.

وفيه ذكر: ″التيمّم للصلاة بالتراب عند عدم الماء″، وأصله في اللغة: القصد. يقال: يممته وتيمّمته، إذا قصدته، وأصله التعمّد والتوخّي. ويقال فيه: أممته، وتأمّمته بالهمزة، ثمّ كثر في الاستعمال حتّى صار التيمّم اسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب.

ومنه حديث كعب بن مالك: ″فيمّمت بها التنّور″ أي قصدت. وقد تكرّر في الحديث.

وفيه ذكر: ″اليمامة″ وهي الصقع المعروف شرقي الحجاز، ومدينتها العظمى حجر

اليمامة»[١].

١. *النهاية في غريب الحديث*: ج٥، ص ٣٠٠ «يمم».

الأسئلة

١ ـ ما هو دور فقه الحديث في تقويم الأحاديث؟

٢ ـ إذا تغيّرت معاني بعض الكلمات خلال الفترة التي تفصلنا عن صدور الحديث، فهل الفهم الصحيح للحديث هو ما وافق معناه هذا اليوم، أم ما وافق معناه في زمان صدوره؟ اذكر سبب ذلك.

٣ ـ ما هي الأُمور التي من اللاّزم معرفتها قبل الدخول في مباحث فقه الحديث؟

٤ ـ اذكر لنا بعض الأمثلة لنصوص اشتهر أنّها من الأحاديث لكنّها ليست كذلك.

٥ ـ بيّن كيف يؤثّر تعدّد النسخ على فهمنا للحديث في بعض الأحيان، موضّحاً ذلك بالأمثلة.

٦ ـ ما المراد من التصحيف في الاصطلاح؟

٨ ـ كيف يؤثّر التصحيف على فهمنا للحديث؟

٩ ـ ما هي المراحل التي يمرّ بها فهم الحديث؟

١٠ ـ كيف نفهم مفردات الحديث؟

١١ ـ هناك منهجان لفهم مفردات الحديث من خلال علم اللغة، ما هما؟

١٢ ـ ما هو دور علم الصرف في فهم مفردات الحديث؟

١٣ ـ بيّن الفرق بين المعنى الحقيقي والمجازي والأصلي.

١٤ ـ هل يمكن فهم الاصطلاح المركّب من خلال فهم مفرداته وضمّ إحداها للأُخرى؟

١٥ ـ ما هو دور الارتكاز العرفي في فهم الحديث؟

١٦ ـ ما هو تأثير أسباب ورود الحديث على فهم الأحاديث؟

١٧ ـ كيف يمكن معرفة أسباب ورود الحديث؟

١٨ ـ ما هي الأُسرة الحديثية؟

١٩ ـ ما هو دور الأُسرة الحديثية في فهم المراد؟

٢٠ ـ ما هي فوائد تكوين الأُسرة الحديثية؟

٢١ ـ كيف نكوّن الأُسرة الحديثية؟

٢٢ ـ وضّح كيف يكون الاشتراك اللفظي عقبة في طريق فهم الحديث؟

٢٣ ـ كيف يمكن أن نعالج مشكلة الاشتراك اللفظي والتي قد تسبّب تحريف المعنى؟

٢٤ ـ ماذا تعني كلمة الاختلاف الواردة في قولهﷺ: «**اختلاف أُمتي رحمة**»؟ بيّن كيف فهمت ذلك؟

٢٥ ـ اذكر السبب الرئيسي لتطوّر اللغة، وما هو أثر تطوّرها على فهم الحديث؟

٢٦ ـ بيّن كيف يكون الفهم الساذج من موانع فهم الحديث، موضّحاً ذلك بالأمثلة؟

٢٧ ـ ما هو أثر التقطيع على فهم الكلام؟

٢٨ ـ كيف يؤثّر الهوى ومرتكزات الإنسان الذهنية على فهمه للحديث؟

٢٩ ـ ما هي خصائص كتاب ***العين*** للخليل بن أحمد الفراهيدي؟

٣٠ ـ ما هي خصوصية كتاب ***معجم مقاييس اللغة*** بين كتب اللغة؟

٣١ ـ ما الفرق بين المعنى الحقيقي والأصلي؟

٣٢ ـ ما هي خصائص كتاب ***النهاية في غريب الحديث***؟

(٧)

في رحاب نهج البلاغة

- المدخل
- المبحث الأوّل: التعرّف على الكتاب والمؤلّف
- المبحث الثاني: آفات الدين والتديّن في نهج البلاغة

المدخل

نهج البلاغة كتاب عظيم بما يحمل من علوم ومعارف إلهيّة، وبما له من قدرة على حلّ جميع المشاكل البشرية في شتّى مجالات الحياة، وتشخيص الأمراض النفسية والروحية، وتشخيص علاجها بالصورة الصحيحة والدقيقة، وبيان المعايير والموازين التي على أساسها تُعرف قيمة الإنسان، وبيان كيفية تنظيم علاقة الإنسان بربّه من خلال الالتزام بالأوامر والنواهي، وعدم التعلّق بالدّنيا وألاّ يتّخذها غاية وهدف لوجوده، كذلك يبيّن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وكيفية التعامل معه.

نهج البلاغة كتابٌ إنساني بما للكلمة من معنى؛ لأنّه لم يجعل المعيار في التفاضل بالمال أو المنصب أو الجاه أو الحرّية والعبودية، وإنّما بالتّقوى وبالقيم والمبادئ والأخلاق، وطالب في المساواة في الحقوق بين الناس لا على أساس التمييز العنصري.

لاريب أنّ *نهج البلاغة* هو من أثمن وأهمّ تراث ثقافي في الإسلام بعد القرآن الكريم والسنّة النبويّة؛ لأنّه صدر من إنسان عظيم في علمه وكماله وفضائله وفصاحته وبلاغته، إنسان ارتقى إلى أعلى مراتب الكمال بعد النبي صلى الله عليه وآله، بل هو نفس النبيّ؛ وهو سيّد الموحّدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وسنتعرّف في هذا الدرس على الكتاب ومؤلفه:

المبحث الأول: التعرّف على الكتاب والمؤلّف

نتعرّض في هذا العنوان إلى قسمين:

أوّلاً: حياة الشريف الرضي

للتعرّف على حياة وشخصية الشريف الرضي ومكانته وفضله لابدّ من بيان عدّة أُمور:

١ ـ نسبه الشريف

هو أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادقعليه السلام[١].

أُمّه فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن الناصر، ينتهي نسبها إلى الإمام زين العابدينعليه السلام.

٢ ـ ولادته ووفاته

ولد الشريف الرضي في بغداد سنة (٣٥٩هـ) وترعرع في أُسرة عُرفت بالتقوى والورع والعلم وشرف النسب من جهة الأعمام والأخوال، وتوفّي في بغداد سنة (٤٠٦هـ)[٢]، ودفن فيها في جانب الكرخ.

٣ ـ حياته العلمية

بدأ السيّد الرضي منذ طفولته ـ وبمعيّة أخيه السيّد المرتضى ـ باكتساب العلوم التمهيدية، فأبدى ذكاءً وقّاداً ومواهب نادرة في شتّى الأصعدة العلميّة. ولم يكن قد مضى من عمره الشريف عشرة أعوام حينما شرع بنظم الشعر، وأبدى في هذا المجال قريحة غير مسبوقة، ولم يتجاوز العشرين من سنّه إلاّ وكان قد تميّز عن كلّ أقرانه في جميع المعارف والعلوم الإسلاميّة، وبلغ في نظم الشعر مرتبة لم يبلغها غيره.

وقد كان فذّاً في كلّ الصفات الحميدة، كعزّة النّفس، وبُعد النظر، والسخاء، والسماحة، والالتزام بالشرع، واجتناب التملّق والضعة، والزهد، والتقوى. وكان حرّ النفس

---

١. *نهج البلاغة* تحقيق محمّد عبده: ج١، ص٦، مقدّمة المحقّق.

٢. انظر: *الغدير*: ج٤، ص٢١٠.

والتفكير.

قال العلاّمة الأميني:

«على الباحث عن مواقفه ومقاماته ونفسياته الكريمة أن يقرأ ولو بصورة مصغّرة دروس المناصب التي تولاّها الشريف، فعندئذ يجد صورة مكبّرة تجاه عينه، ممثلة من العلم، والفقه، والحكمة، والثقة، والسداد، والأَنَفَة، والفتوّة، والهيبة، والعظمة، والجلال، والروعة، والوفاء، وعزّة النفس، والرأي، والحزم، والعزم، والبسالة، والعفّة، والسؤدد، والكرم، والإباء، والغنى عن أيّ أحدٍ»[1].

٤ ـ ألقابه

لقّبه بهاء الدولة سنة (**٣٨٨ه**) بالشريف الأجلّ، وفي سنة (**٣٩٢ه**) بذي المنقبتين، وفي سنة (**٣٩٨ه**) بالرضيّ ذي الحسبين، وفي سنة (**٤٠١ه**) أمر أن تكون مخاطبته ومكاتباته بعنوان «الشريف الأجلّ»، وهو أوّل من خوطب بذلك من الحضرة الملوكية[2].

٥ ـ المناصب التي شغلها الشريف الرضي

تولّى الشريف نقابة الطالبيّين[3]، وإمارة الحاجّ[4]، والنظر في المظالم[5] سنة (**٣٨٠ه**)، وهو ابن (**٢١**) عاماً على عهد الطائع، وصدرت الأوامر بذلك من بهاء الدولة وهو بالبصرة سنة (**٣٩٧ه**)، ثمَّ عهد إليه في (**٦**) محرّم سنة (**٤٠٣ه**) بولاية أُمور الطالبيّين في جميع

---

١. *الغدير*: ج٤، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٢. المصدر السابق: ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

٣. **النقابة**، وهي: موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف؛ ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى. (*الغدير*: ج٤، ص٢٠٤).

٤. **الولاية على الحجّ**، وهي ضربان: أحدهما: أن تكون على تسيير الحجيج، والثاني: على إقامة الحجّ. (الغدير: ج٤، ص٢٠٨).

٥. **النظر في المظالم**، وهو: قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاهد بالهيبة، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفّة، قليل الطمع، كثير الورع. (الغدير: ج٤، ص٢٠٧)

البلاد، فدُعي: «نقيب النقباء»[١].

٦ ـ ما جاء في حقّه على لسان العلماء

قال الرفاعي:

«فإنّه الشريف الأجلّ، نقيب النقباء ببغداد، ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة، وكان صاحب ورع وعفّة، وعدل في الأقضية، وهيبة في النفوس»[٢].

قال النسّابة العمري:

«إنّه نقيب نقباء الطالبيّين ببغداد، وكانت له هيبة وجلالة، وفيه ورع وعفّة وتقشّف، وفيه مراعاة للأهل وغيرة عليهم، وعسف على الجاني منهم، وكان أحد علماء الزمان، قرأ على أجلاّء الرجال»[٣].

قال العلاّمة الأميني:

«وسيّدنا الشريف الرضي هو مفخرة العترة الطاهرة، وإمامٌ من أئمّة العلم والحديث والأدب، وبطلٌ من أبطال الدين والعلم والمذهب، هو أوّلٌ في كلّ ما ورّثه سلفه الطاهر من علم متدفّق، ونفسيات زاكية»[٤].

ونقل العلاّمة الأميني جملة من الأقوال في مدح الشريف الرضي وفضله، منها:

- قال الثعالبي: «هو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق»[٥].
- قال الباخروزي في *دمية القصر*: «له صدر الوسادة بين الأئمّة والسادة، وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذكاء: ما أنورك! ولحضارة: ما أغررك! وله شعر إذا افتخر

---

١. *الغدير*: ج٤، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٢. المصدر السابق: ص٢٠٤.

٣. *المجدي في أنساب الطالبيين* للنسّابة العمري: ص١٢٦.

٤. *الغدير*: ج٤، ص١٨١.

٥. *المصدر السابق*: ص٢٠٢.

به أدرك للمجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه»[١].

ثانياً: نظرة حول الكتاب

نهج البلاغة هو العنوان الذي اختاره السيّد الرضيّ رحمه الله لمختارات من خطب الإمام عليّ عليه السلام ومواعظه، ورسائله، وعهوده، وكلماته القصار. إنّه كتاب يتألّق في الثقافة الإسلامية كالشمس في رابعة النهار، وكالصَدَفة المكتظّة بجواهر الحكم الرفيعة.

وللتعرّف على هذا الكتاب لابدّ من بيان عدّة اُمور:

١ ـ مكانة الكتاب

لاريب أنّ *نهج البلاغة* هو من أثمن وأهمّ تراث ثقافي في الإسلام من بعد القرآن الكريم. إنّه منظومة من كافّة الأبعاد التكوينية لإنسانٍ كامل؛ باعتبار صدوره عن وجود يُعدّ الوجود الأسمى في الإنسانية من بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

قال الشيخ محمّد تقي التستري:

«لم يؤلّف أحد مثل كتاب الشريف الرضي هذا، فإنّ أهمّية كلّ كتاب بمقدار فائدته، وقيمته بقدر عائدته، ولم يبلغ بكتابه هذا بعد كتاب الله تعالى كتاب، فإنّه تاليه في الفصاحة والبلاغة، وفي الاشتمال على كلّ نصح وحكمة»[٢].

وقال الإمام الخميني قدس سره في وصف مكانة هذا الكتاب الشريف:

«إنّ كتاب *نهج البلاغة* وهو رشحات روحه الشريفة، يعدّ ـ لتربيتنا وتعليمنا نحن الغافين في أسرّة الأنا وخلف حجب الأنانية ـ دواء للشفاء، ومرهماً لكلّ الأوجاع الفردية والاجتماعية، ومنظومة بأبعاد الإنسان والمجتمع الإنساني كلّه، منذ زمن صدورها وإلى أيّ مدى يبلغه التاريخ، مهما يظهر من المجتمعات والاُمم، ومهما يصله المفكّرون والفلاسفة

---

١. *الغدير*: ج ٤، ص٢٠٣.

٢. *بهج الصباغة*: ج ١، ص١٧، مقدّمة المؤلّف، ط ١، سبهر.

والباحثون، وحيثما يغورون فيه ويتعمّقون»[١].

٢ ـ دوافع التأليف

معرفة العامل الذي حدا بالشريف الرضي لتأليف *نهج البلاغة* وإيجاد مثل هذا الأثر العظيم، يعتبر من الأُمور المهمّة لمعرفة هذا الكتاب. وفي المقدّمة التي كتبها الشريف الرضي *لنهج البلاغة* يعرض دوافع جمع وتأليف هذا السفر على النحو التالي:

«فإنّي كنت في عنفوان السنّ وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمّة عليهم السلام، يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقيّة الكتاب محاجزات الأيّام ومماطلات الزمان.

وكنت قد بوّبت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصّلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمّن محاسن ما نُقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة؛ فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجَبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعّبات غصونه، من خطب وكتب ومواعظ وأدب، فأجبتهم إلى الابتداء بذلك، عالماً بما فيه من عظيم النفع، ومنشور الذكر، ومذخور الأجر.

واعتمدت به أن أُبيّن عن عظيم قَدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة، مضافةً إلى المحاسن الدائرة والفضائل الجمّة، وأنّه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأوّلين الذين إنّما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذّ الشارد، فأمّا كلامه فهو من البحر الذي لا

---

١. *صحيفه نور* (فارسي)، مجموعة توجيهات الإمام الخميني: ج١٤، ص٢٢٤، ط١، وزارة الإرشاد الإسلامي.

يُساجَل، والجمّ الذي لا يُحافَل»[١].

بمثل هذه المحفّزات والتوجّهات بدأ الشريف الرضي العمل، وراح ينتقي ويصنّف جواهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ تبويب الكتاب

استخرج السيّد الرضي كلام أمير المؤمنين عليه السلام من كتبٍ شتّى، ونظّمه بأُسلوب جيّد ومحبّب. **وقد** كتب هو عن أُسلوب تبويبه لموادّ الكتاب ما نصّه:

«ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطابٍ ثلاثة، أوّلها: الخُطَب والأوامر. وثانيها: الكتب والرسائل. وثالثها: الحِكَم والمواعظ. فأجمعت بتوفيق اللّه تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثمّ محاسن الكتب، ثمّ محاسن الحِكَم والأدب؛ مفرداً لكلّ صنف من ذلك باباً، ومفصّلاً فيه أوراقاً؛ لتكون مقدّمة لاستدراك ما عساه يشذّ عنّي عاجلاً ويقع إلي آجلاً»[٢].

٤ ـ عدد الخطب والرسائل والأقوال في «نهج البلاغة»

اختار الشريف الرضي من كلام أمير البيان عليّ عليه السلام: (٢٤١) خطبة وكلاماً، و(٧٩) رسالةً ومكتوباً، و(٤٨٩) حكمةً وموعظةً[٣].

وقد أشار هو إلى أنّ ما جمعه في هذه المجموعة إنّما هو مختارات من كلام ورسائل الإمام عليّ عليه السلام، وليس جميع ما موجود في الكتب من كلامه ورسائله. وهذا ما يوضّحه في مقدّمة ***نهج البلاغة*** على النحو التالي:

«ولا أدّعي ـ مع ذلك ـ أنّي أُحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتّى لا يشذّ عنّي منه شاذّ، ولا يندّ ناد، بل لا أبعد أن يكون القاصر عنّي فوق الواقع إلي، والحاصل في ربقتي دون

---

١. *نهج البلاغة* تحقيق محمّد عبده: ج١، ص١٠ ـ ١١، مقدّمة المؤلّف.

٢. المصدر السابق: ص١٢.

٣. انظر: *نهج البلاغة* ضبط صبحي الصالح: ص٥٤٤ و٧١٤ و٨٤٠

الخارج من يدي»[١].

قال اليعقوبي المؤرّخ المشهور (ت سنة ٢٨٤هـ):

«...وحفظ الناس الخطب، فإنّه خطب بأربعمئة خطبة حفظت عنه، وهي التي تدور بين الناس ويستعملونها في خطبهم وكلامهم»[٢].

وكتب المؤرّخ المعروف المسعودي (ت سنة ٣٤٦هـ):

«الذي حفظ الناس عن عليّ من خطبه وسائر مقاماته أربعمئة خطبة ونيف وثمانون خطبة، يوردها على البديهة، تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً»[٣].

إنّ هذا العدد من الخطب المتداولة الشائعة هو تقريباً ضعف ما اختاره الشريف الرضي، ولاشكّ أنّ خطب الإمام عليه السلام وكلماته وكتاباته وحكمه ومواعظه أكثر من هذا بكثير.

٥ ـ وجه التسمية

جعل الشريف الرضي عنوان مؤلّفه القيّم ***نهج البلاغة***، وكتب حول وجه هذه التسمية:

«ورأيت من بعدُ تسمية هذا الكتاب ***بنهج البلاغة***؛ إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرّب عليه طلاّبها، فيه حاجة العالم والمتعلّم، وبغية البليغ والزاهد»[٤].

وقد اختار الشريف الرضي لهذا الكتاب الخالد أنسب ما يناسبه من العناوين، بخصوص هذا الأمر قال الشيخ محمّد عبده:

«ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيّد الشريف الرضي من كلام سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه؛ جمع متفرّقة، وسمّاه بهذا

---

١. *نهج البلاغة* تحقيق محمّد عبده: ج١، ص١٣، مقدّمة المحقّق.

٢. *مشاكلة الناس لزمانهم* لليعقوبي: ص١٥، صادر دار الكتاب الجديد، بيروت.

٣. *مروج الذهب ومعادن الجواهر*: ج٢، ص٤١٩، ط دار الهجرة، قم.

٤. *نهج البلاغة* تحقيق محمّد عبده: ج١، ص١٣، مقدّمة المحقّق.

الاسم *نهج البلاغة*، ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد ممّا دلّ عليه اسمه»[١].

٦ ـ أساليب شرح «نهج البلاغة»

ولأهميّة هذا الكتاب الخالد توالت عليه الشروح منذ العهد القريب من الشريف الرضي بما يزيد على السبعين شرحاً، وكان أوّل من شرحه السيّد عليّ بن الناصر، الذي كان معاصراً للشريف الرضي، الذي أسماه ***بأعلام نهج البلاغة***[٢].

وقد اتُّبِعت في شرحه الأساليب التالية:

الأُسلوب الترتيبي

وهو دراسة وشرح الخطب والرسائل والحكم والكلمات القصار بشكلٍ متسلسلٍ، من بداية الكتاب إلى نهايته.

وهذا هو الأُسلوب الذي اعتمده كثير من شُرّاح النهج، من منظارٍ معيّن بحسب منحاه وميوله الفكرية، وطفق يشرح ويفسّر وجوهاً معيّنة من هذه المجموعة، مركّزاً على جوانب خاصّة انطلاقاً من نمط رؤيته للأُمور.

لكلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أوجهٍ شتّى وتجلّيات وجاذبيات مختلفة، ولأجل دركه واستيعابه بصورةٍ أفضل وأشمل، لابدّ من دراسته من زوايا وجِهات عدّة، من الناحية اللغوية والأدبية والبلاغية، من حيث شأن الصدور، من الناحية التاريخية، من الزاوية الاجتماعية والسياسية، من الناحية الحقوقية، من البعد العقيدي والفكري، من الناحية الفلسفية والعرفانية، من الزاوية التربوية والتعليمية، من زاوية علم النفس الفردي والاجتماعي، من منظار الإدارة ونظام الحكم، من الناحية الفقهية، من الناحية التفسيرية، من الناحية الأخلاقية، ومن جوانب وأبعاد أُخرى؛ حيث إنّ كلّ مقطع من كلام الإمام له

---

١. *نهج البلاغة*: ج١، ص٤.

٢. *الغدير*: ج٤، ص١٨٦.

صلته بالأبعاد المذكورة أعلاه، وغير المذكورة أيضاً.

ومن جملة الذين شرحوا *نهج البلاغة* بالأُسلوب الترتيبي، هم:

- ظهير الدّين أبو الحسن عليّ بن زيد البيهقي، المعروف بفريد خراسان، وهو من علماء القرن السادس (ت سنة ٥٦٥هـ)، في *معارج نهج البلاغة*.
- قطب الدين أبو الحسن سعيد بن هبة اللّه بن حسن الراوندي، المعروف بالقطب الراوندي، وهو من علماء القرن السادس (ت سنة ٥٧٣هـ)، في *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*.
- أبو الحسن محمّد بن الحسين البيهقي النيشابوري، المعروف بقطب الدين الكيدري، من كبار علماء الشيعة في القرن السادس، في *حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة*.
- عزّ الدين عبد الحميد بن هبة اللّه بن أبي الحديد المعتزلي، وهو من علماء القرن السابع (ت سنة ٦٥٦هـ)، في *شرح نهج البلاغة*.
- كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني، وهو من علماء القرن السابع (ت سنة ٦٧٩هـ)، في *شرح نهج البلاغة*.
- المولى فتح اللّه الكاشاني، وهو من علماء القرن العاشر (ت سنة ٩٨٨هـ)، في *تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين*.
- ميرزا حبيب اللّه بن محمّد الخوئي، وهو من علماء القرن الرابع عشر (ت سنة ١٣٢٤هـ)، في *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*.

الأُسلوب التجزيئي

وهو انتخاب جزء من *نهج البلاغة*، أو بعض الخطب والكلام، أو الرسائل والمكتوبات، أو الحكم والكلمات القصار؛ ليتمّ شرحها ودراستها.

ويشبه هذا الأُسلوب الأُسلوب الترتيبي، مع فارق أنّ الذي يخضع للشرح والدراسة هو جزء مختار من النهج، ومن الطبيعي أنّ بالمستطاع التدبّر في ذلك الجزء من جهات

وزوايا مختلفة، واستلهام الدروس منه والاهتداء به.

إنّ الميزة الرئيسية في هذا الأُسلوب هي إمكانية التركيز على الخطبة أو الرسالة أو الحكمة المنتقاة والتعمّق فيها، ولن تكون ثمّة حاجة إلى زمن طويل للمراجعة، بينما تحتاج المراجعة والدراسة الترتيبية إلى زمن طويل.

ومن الكتب التي أُلّفت في هذا الأُسلوب: كتاب ***شرح في رحاب نهج البلاغة*** للشهيد مرتضى مطهري.

الأُسلوب الموضوعي

اختيار موضوع معيّن من ***نهج البلاغة***، وتشخيص كافّة الموادّ ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة بهذا الموضوع، ودراستها وتبويبها، ومن ثمّ عرض النتائج المستخلصة منها، وهكذا يمكن مناقشة مختلف الموضوعات التربوية والعقيدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في ضوء ***نهج البلاغة***.

ومن خصائص هذا الأُسلوب أنّه قلّما يفرض على الباحث تشتّتاً موضوعياً، إنّما يمكن الوصول عبره إلى نتائج موضوعية مركّزة، بعد دراسة الجوانب المختلفة لموضوعٍ معيّن، وتقديم شرح وبيان كامل حول ذلك الموضوع. وبالمقدور من خلال هذا الأُسلوب تحديد آراء الإمام عليّ عليه السلام ـ وهو تجسيد الإسلام الخالص الجامع ـ حول موضوع معين، والتعرّف على سيرته ومنهجه بخصوص الأحوال والموضوعات المختلفة.

في هذا الأُسلوب تفسّر بعض كلمات الإمام عليه السلام المستخرجة من مواضع شتّى، فتدلّ بذلك على الاتّجاه الصحيح لفهم ***نهج البلاغة***، ذلك أنّ ***نهج البلاغة*** مجموعة واحدة ومتجانسة برمتها لا يختلف أوّلها عن آخرها. وعلى حدّ تعبير ابن أبي الحديد المعتزلي:

«وأنت إذا تأمّلت ***نهج البلاغة*** وجدته كلّه ماءً واحداً، ونَفَساً واحداً، وأُسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز أوّله كأوسطه، وأوسطه كآخره، وكلّ سورة منه وكلّ آية مماثلة في المأخذ

والمذهب والفنّ في الطريق والنظم لباقي السور»[١].

إنّ هذه السمة الفذّة في *نهج البلاغة* توفّر الأرضية اللاّزمة للمراجعة الموضوعية والتأشير إلى المشكلات واستخلاص الحُلول وسبل العلاج.

ومن أهمّ الكتب التي كُتبت في هذا الأسلوب، هي:

- ***بهج الصباغة*** تأليف الشيخ محمّد تقي التستري، يحتوي على أربعة عشر مجلّداً، جمع فيه من الأدب والتاريخ والأخبار والآثار، فرتّبه بحسب المعنى، فجمع ما هو راجع إلى التوحيد في موضع، وما هو راجع إلى النبوّة في موضع، وما هو راجع إلى الإمامة في موضع، إلى غير ذلك؛ فرتّبه على فصول، وتحت كلّ فصّل عناوين.
- ***نظام الحكم عند الإمام عليّ*** عليه السلام تأليف الشيخ محمّد مهدي شمس الدين.

المبحث الثاني: آفات الدين والتدين في نهج البلاغة

قبل أن نبدأ بالبحث عن هذا الموضوع نتحدث عن:

أوّلاً: مفهوم آفات الدين والتديّن

الآفة لغةً هي: العاهة، أو عرض مفسد لما أصابه[٢].

الآفة اصطلاحاً هي: تلك الأُمور والمفاهيم التي من شأنها أن تؤدّي إلى فساد الدين والانحراف عنه.

وقد وردت هذه المفاهيم كراراً في كلام الإمام عليّ عليه السلام:

- «**صن إيمانك من الشكّ، فإنّ الشكّ يفسد الإيمان كما يفسد الملح**

---

١. *شرح نهج البلاغة* لابن أبي الحديد: ج١٠، ص١٢٨ ـ ١٢٩.

٢. **القاموس** *المحيط*: ج٣، ص١٧٧، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العسل»[١].

- «**آفة الدين سوء الظنّ**»[٢].
- «**سبب فساد الدين الهوى**»[٣].
- «**غلبة الهوى تفسد الدين**»[٤].
- «**طاعة الشهوة تفسد الدين**»[٥].
- «**لا يسلم الدين مع الطمع**»[٦].
- «**فساد الدين الطمع**»[٧].
- «**كثرة الكذب تفسد الدين وتعظم الوزر**»[٨].
- «**دع الحسد والكذب والحقد؛ فإنّهنّ ثلاثة تشين الدين وتهلك الرجل**»[٩].

ثانياً: أهمّية التعرّف على آفات الدين والتديّن

الدين هو: أجمل تجلّيات الرحمة الإلهيّة لهداية البشر.

والتديّن هو: الإقبال على هذه الرحمة والسير في طريق هديها.

وللدين معنيان:

الأوّل: بمعنى التشريع الصادر من الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يمكن أن تـصل إليـه

---

١. *عيون الحكم والمواعظ:* ص٣٠١.

٢. المصدر السابق: ص١٨٢.

٣. المصدر السابق: ص٢٨١؛ *مستدرك الوسائل*: ج١٢، ص١٤٤.

٤. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٣٤٨.

٥. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٣١٨؛ *مستدرك الوسائل*: ج١١، ص٣٤٤.

٦. المصدر السابق: ص٥٣٩.

٧. المصدر السابق: ص٣٥٧.

٨. المصدر السابق: ص٣٨٩.

٩. المصدر السابق: ص٢٥٠.

الآفات.

الثاني: بمعنى تطبيق هذه الشريعة وفهمها، وهذا هو المقصود منه في هذا البحث، والذي تصل إليه الآفات؛ لأنّه من الشؤون البشرية.

لذا فإنّ الآفات والمضارّ في مبحث آفات الدين والتديّن إنّما ترجع إلى نمط توجّه الناس نحو الدين، أو فهم الإنسان واستيعابه للدين، أو نوع المعرفة الدينية، أو أُسلوب التديّن؛ وهذه كلّها شؤون كانت على الدوام موضع اختلاف وعرضه للآفات والمضارّ.

وقد وضّح ذلك الإمام عليّ عليه السلام حينما بعث عبد الله بن عبّاس لمحاورة الخوارج قائلاً له:

«**لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنّة، فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً**»[1].

كان للخوارج توجّهات سطحية للدين وفهم جامد للقرآن، الأمر الذي سار بهم في طريق الخطأ، ووضعهم على جادّة الضياع، إلاّ أنّهم كانوا يعتبرون تصوّراتهم القرآنية والدينية هذه عين الصواب.

يستوعب التديّن مجالين في الحياة:

الأوّل: النظري، وهو الأفكار والمعارف والمعتقدات الدينية والإيمان.

الثاني: العملي، وهو الإقرار والأفعال والسلوك الديني.

أي إنّه يشمل الأفكار والمعارف والمعتقدات الدينية والإيمان، كذلك الإقرار والأفعال والسلوك الديني. ورد في حِكم أمير البيان: «**الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان**»[2].

وكلا المجالين النظري والعملي، عرضة للإصابة بالآفات والمضارّ المختلفة.

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٧٧.

٢. المصدر السابق: الحكمة ٢٢٧.

وبعد أن استعرضنا هذه المقدّمة، نذكر آفات الدين والتديّن في نهج البلاغة، وأودّ أن أقول بأن الآفات والأضرار التي تهدّد **الدين والتديّن** في أقوال وكتب الإمام‏عليه السلام، بعضها داخلية أي من داخل الدين، وبعضها خارجية أي من خارج الدين، ولأجل ذلك سيتمّ التعرّف في هذا الدرس على قسمين:

أوّلاً: الآفات الداخلية للدين والتديّن

المراد من الآفات الداخلية: فهم الدين فهماً خاطئاً، كالإكراه والإجبار، وعدم التدرّج والتمكّن من الهداية والتربية، وجرّ التديّن إلى التكلّف. ومن جملة هذه الآفات:

١ ـ الإكراه في الدين

الدين حقيقة معنوية وجوهر روحاني يتعامل ويتعاطى مع روح الإنسان وفؤاده، وما لم يحصل التقبّل والإقبال القلبي عليه سينسلخ السلوك الديني عن هويّته الحقيقية، ويبتعد عن ماهيّته الفطرية.

المعتقد الديني والإيماني ليس شيئاً يحصل بالإكراه والإجبار، والتهديد والتطميع، والشدّة والعنف؛ لأنّهما من سنخ الحبّ والارتباط القلبي للإنسان بأجمل التجلّيات الرحمانية للحقّ تعالى؛ وإذا انقلبت أجمل التجلّيات الرحمانية هذه بواسطة الإكراه والإجبار والتهديد والتطميع والشدّة والعنف، فلن يبقى معنى للحبّ، ولا قبول من أعماق الوجود والتسليم الحقيقي والاتّباع الانتخابي الواعي.

ليس للإكراه والإجبار معنىً في الأُمور المتعلّقة بقلب الإنسان وروحه؛ والدين أمر يتعلّق بقلب الإنسان وروحه، والتديّن حصيلة نمط من العلاقة يقيمها الإنسان مع الحقيقة المتعالية للدين.

ومن هنا، كان الإكراه والإجبار في الدين ممّا يؤدّي إلى أضرار أساسية في الدين والتديّن. قال تعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[١].

الإيمان معرفة واعتقاد قلبي، والتديّن نابع من مثل هذا الإيمان، ولا سبيل إلى الإكراه والإجبار فيما هو من سنخ المعرفة والاعتقاد القلبي. قال الإمام عليّ عليه السلام في حكمة متألّقة حول ماهيّة الإيمان وتجلّياته حينما سألوه عنه:

«**الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان**»[٢].

إذا كان للإكراه والإجبار دور في الأُمور ذات العلاقة بقلب الإنسان وروحه، فسيؤدّي ذلك إلى نفور الفؤاد وعماه، وما يرشح عن القلب الأعمى فهو مصاب بشتّى الآفات والأمراض. وللإمام عليّ عليه السلام في هذا الشأن كلام واضح وصريح حينما قال:

«**إنّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإنّ القلب إذا أُكره عَمِي**»[٣].

٢ ـ سوء فهم الدين

إذا لم يُفهم الدين بصورة صحيحة عميقة، فسيحصل لدى الإنسان فهم عليل وتصوّرات ناقصة ومريضة، ومثل هذا الفهم لا يقود إلى مقاصد الدين، إنّما يدور حول نفسه. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**المتعبّد على غير فقه، كحمار الطاحونة، يدور ولا يبرح**»[٤].

التديّن الفارغ من الفهم الصحيح للدين، مسرحية لأعمال دينية في ظاهرها، لكنّها خالية من روح الدين وحقيقته، وبالطبع فهي خالية من محتوى الدين ولا نصيب لها من النتائج المترتّبة عليه. وعلى حدّ تعبير الإمام عليّ عليه السلام:

---

١. البقرة: ٢٥٦.

٢. *نهج البلاغة*: الحكمة ٢٢٧.

٣. المصدر السابق: الحكمة ١٩٣.

٤. *الاختصاص* للشيخ المفيد: ص٢٤٥.

«كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلاّ الجوع والظمأ، وكم من قائمٍ ليس لـه مـن قيامه إلاّ السهر والعناء، حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم»[١].

إذا كان الانشداد إلى الدين خالياً من الفهم الصحيح، فإنّه سيؤدّي إلى الإضرار بالدين والتديّن، ومثل هذا التديّن معناه تنسّك جاف وتعبّد بلا روح وفهم معوج.

حذّر الإمام عليّ عليه السلام من هكذا تعامل مع الدين قائلاً:

«ولا تكونوا كجفاة الجاهلية، لا في الدين يتفقّهون، ولا عن اللّه يعقلون، كقيض بيض في أداحٍ يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شرّاً»[٢].

إنّ سوء فهم الدين خطير وكارثي إلـى درجـة حـذّر منـه الإمـام بهـذه الـصورة، وشبّه عديمي الفهم العميق للدين بأنّهم وحالهم كبيضة أفعى في عشّ طيور، كسرها ذنب؛ لأنّها قد تكون بيضة طائر، لكن ما يخرج منها شرّ وضرر؛ لأنّها في الحقيقة بيضة أفعى.

هكذا فهم الإمام عليّ عليه السلام المتـديّنين فـي الظـاهر، لكـنّهم بـسبب عـدم فهمهـم للـدين يسيرون على جادة الجاهلية، أي أنّ معـاقبتهم والتـصدّي لهـم غيـر جـائز؛ لأنّهـم يظهـرون الإسلام، ولكنّهم لعدم فهمهم يتسبّبون في ألف شرٍّ وفسادٍ، وقد عبّر عليه السلام عن هكـذا تـديّن وتنسّك بقوله: «**ربّ متنسّك ولا دين له**»[٣].

٣ ـ التكلّف في الدين والتديّن

التكلّف لغةً: هو بمعنى التجشّم أو المشقّة[٤].

ذكر الراغب الإصفهاني:

«إنّ تكلّف كلمة تُطلق على العمل الذي يؤدّي بمشقّة أو تصنّع أو حرص. لـذلك فهـو على قسمين:

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة ١٤٥.

٢. المصدرالسابق: الخطبة ١٦٦.

٣. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٢٦٥.

٤. انظر: *الصحاح* للجوهري: ج٤، ص١٤٢٤ «الكف».

الأوّل: تكلّف محمود: وهو الحالة التي تحضّ الإنسان على بلوغ ما يريده ويصبو إليه، وتسهّل عليه العمل الذي يمارسه، وتجعله محبوباً إلى نفسه، ولذلك تُستخدم مفردة التكليف في باب التكلّف في العبادات.

الثاني: تكلّف مذموم: وهو الحالة التي يمارس فيها الإنسان فعله برياء وتصنّع، وفي هذا المعنى قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «**أنا وأتقياء أُمّتي براء من التكلّف**»[2].

التكلّف اصطلاحاً: هو فرض دساتير وقواعد في مساحة من الدين والتديّن، جعلها الشارع المقدّس منطقة فراغ وترك المكلّفين فيها أحراراً، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3].

ولاشكّ أنّ إيجاد مثل هذا التكلّف خلاف الدين الفطري، ولأنّه أمر مفروض على منطقة فراغ دينية، لذلك سيؤدّي إلى المشقّة، ولا يمكن التديّن بمشقّة، مضافاً إلى أنّه يفضي إلى التظاهر والرياء.

فالدين مثلاً رسم حدوداً لغذاء وملبس المؤمنين، وتركهم أحراراً داخل هذه الحدود، فإذا أقدم البعض بدافع الجهل أو التحجّر أو التعنّت أو التظاهر بالقداسة على إيجاد قيود وأغلال داخل هذه الحدود التي ترك الشارع المقدّس المؤمنين أحراراً فيها، ضاربين بعرض الجدار حرّية الاختيار وتنوّع المراتب وتعدّد الأذواق في منطقة الفراغ، فسينجرف الدين والتديّن إلى التكلّف المذموم الضارّ.

إنّ إيجاد التكلّف في الدين والتديّن بمعنى تبديل منطقة فراغ التديّن إلى منطقة مملوءة بالأوامر والنواهي، سيجرّ الناس إلى التكلّف والتصنّع، ويضعف الدين والتديّن

---

١. ص: ٨٦.

٢. *المفردات غريب القرآن*: ص ٤٣٩.

٣. البقرة: ٢٨٦.

ويضرّهما؛ لأنّ فرض أوامر ونواه داخل الحدود الحرّة للدين خلاف روح الشريعة.

روى الإمام عليّ عليه السلام:

«قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: **إنّ اللّه تعالى حدّ لكم حدوداً فلا تتعدّوها، وفرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وسنّ لكم سنناً فاتّبعوها، وحرّم عليكم حرمات فلا تهتكوها، وعفا لكم عن أشياء رحمةً منه [لكم] من غير نسيانٍ فلا تتكلّفوها**»[1].

إنّ التظاهر بالقدسية والإفراط فيها يدفع المرء إلى تجاهل مثل هذه التعاليم السامية، ظنّاً منه أنّ الدين يجب ألاّ تكون فيه منطقة فراغ، ولا ينبغي أن تُترك بعض الأُمور للمؤمنين أنفسهم ليتصرّفوا كيفما شاؤوا طبقاً لأذواقهم وبما يتلاءم مع عصرهم وبيئتهم.

إنّ التحجّر والتعنّت يفرض على الإنسان أن يطالب الدين بدساتير وقوانين في كلّ الأُمور، فإذا واجه مساحة ليس لها مثل هذه الدساتير الدينية وضع هو من نفسه دساتير وتكاليف، حتّى يصلح الحرّية والاختيار الذي منحه الشارع للناس!

مقتضى الجهل والتحجّر هو أنّ الإنسان حينما يواجه مناطق الفراغ الدينية، يتصوّر أنّ اللّه الرحمٰن نسي تحديد تكاليف لهذه المناطق، إذاً فمن واجبه رسم حدود وقيود لها!

لكنّ الإمام عليّ عليه السلام يردّ بكلّ قوّة على هؤلاء القدسويّين المتحجّرين الجهلة حينما يقول:

«**إنّ اللّه افترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدّوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلّفوها**»[2].

إنّ الذين ينكرون وجود مناطق حرّة في الدين تكون ضرورية جدّاً للتديّن الصحيح، كالذين يعدّون دين اللّه ناقصاً ويتحرّون إكماله. وعلى حدّ تعبير الإمام عليّ عليه السلام:

---

١. *الأمالي* للشيخ المفيد: ص١٥٩، ح١.

٢. *نهج البلاغة*: الحكمة ١٠٥.

«**أم أنزل اللّه سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه**»[١].

لاريب أنّ الإسلام دين كامل لكلّ الأجيال ولكلّ العصور، ومن لوازم مثل هذا الدين ألاّ يكون فيه تكلّف، بل يترك أهل الإيمان أحراراً في بعض المساحات، فتكون الحرّية هناك هي التكليف حتّى لا ينزلق الدين والتديّن إلى التكلّف.

الواقع أنّ هذه القاعدة إذا لم تُراع وبادر البعض إلى التكلّف في الدين والتديّن، فستلحق الدين والتديّن أضرار خطيرة قد لا يمكن جبرها.

ثانياً: الآفات الخارجية للدين والتديّن

المقصود من الآفات الخارجية هي: تلك الأعمال والتصرّفات المرتبطة بالعوامل الاجتماعية والسياسية المؤثّرة على الواقع البشري، ومن تلك الآفات:

١ ـ سلوك العلماء وتأثيرهم على الدين والتديّن

إنّ سلوك الأفراد ـ الذين يُعرف عنهم أنّهم رجال الدين ورموزه ـ له تأثير حاسم على الدين والتديّن لدى الناس، فإنّ علماء الدين والمبلّغون والمربّون والمعلّمون، وكلّ من يراه الناس باعتباره من الشخصيات الدينية بشكلٍ من الأشكال، يتوقّعون منهم تديّناً تامّاً كاملاً.

بل إنّ الإنسان قبل أن يتأثّر بأقوال الشخصيات الدينية وكلامهم وتبليغهم، يتأثّر بسلوكهم وأفعالهم وممارساتهم، لذا فإنّ سلوك الشخصيات الدينية ـ ولاسيّما علماء الدين ـ على جانب كبير جدّاً من الأهمّية في تعزيز مكانة الدين أو تضعيفه أو نشره أو تنفير الناس منه.

العلماء الذين يشكّلون خطراً على الدين وعلى سلوكيات المجتمع الإسلامي على أصناف، منهم:

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ١٨.

أ) العلماء الذين لا يعملون بعلمهم

هؤلاء يشكّلون خطراً على الدين وعلى سلوك المجتمع الإسلامي، وتوصية الإمام عليّ عليه السلام في هذا الشأن مهمّة جدّاً:

«**مَن نصّب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم**»[١].

إنّ صلاح المجتمعات وفسادها منوط بقوّة سلوك الشخصيات الدينية. وفي المجتمعات التي تحكمها حكومة دينية يتحمّل علماء الدين والفقهاء وكذلك المسؤولون والحكّام مسؤوليات أكبر من الجميع في هذا الميدان. روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«**صنفان من أُمّتي إذا صلحا صلحت أُمّتي، وإذا فسدا فسدت أُمّتي. قيل: يا رسول الله، ومن هما؟ قال: الفقهاء والأُمراء**»[٢].

إذا لم يعمل علماء الدين بعلمهم، تضاعف خطر اهتزاز العقائد الدينية والالتزام الديني لدى الناس، وحينما لا يعمل علماء الدين بعلمهم؛ فإنّهم في الواقع يعرّضون الناس لمشكلات فكرية تتعلّق بالدين والتديّن، ومن ذلك أنّهم سيجرّون الناس إلى أسئلة من قبيل: ما الإشكال في ألاّ يعمل علماء الدين بما يعلمون وما يدعون الآخرين إليه؟ ألا يجب على الدين بالدرجة الأُولى أن يؤدّبهم بآدابه ويجعلهم من أهل العمل والالتزام بتلك الآداب؟ أليسوا يعلمون أُموراً هي التي تدفعهم إلى مثل هذا السلوك والأعمال؟

لا يمكن للناس أن يفصلوا بسهولة بين الدين والتديّن من ناحية، وبين العلماء غير العاملين، وهذا ما يعرّض معتقدات الناس الدينية لأمواج التشكيك والغموض، وفي حال

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة ٧٣.

٢. *الخصال* للصدوق: ص٣٧، ح١٢.

عدم توفّر ملاكات الدين والعُروة الوثقى، فإنّ تهرّب الناس من الدين والتديّن سيكون ظاهرة طبيعية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: في توصية سامية:

«**إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم؛ فإنّ كلّ محبّ لشيء يحوط ما أحبّ**».

وقال عليه السلام:

«أوحى الله إلى داوود عليه السلام: **لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين**»[1].

ب) العلماء المنتهكون للقيم الدينية

إنّ سلوك وممارسات **الشخصيات الدينية لا** تُفهم بطابعها الشخصي والفردي، وصلاحهم وفسادهم ينتقلان إلى المجتمع بحسب مراتبهم ودوائر نفوذهم وعملهم.

بالنظر للمكانة الخطيرة للشخصيات الدينية في المجتمع وتوقّعات الناس منهم، فإنّ علماء الدين إذا أساؤوا العمل وتصرّفوا بخلاف ما يدعون إليه، فستلحق **الدين والتديّن** أشدّ المضارّ والآفات.

إذا انتهكت القيم والسلوكيات الدينية من قبل الذين **لا** يتوقّع هذا منهم على الإطلاق، فإنّ العقيدة الدينية لدى الناس ستتزعزع، وتتقوّض ميولهم نحو **الدين والتديّن**.

قال الإمام عليّ عليه السلام في حكمة نيّرة لجابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه)[2]:

«**يا جابر، قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف**

---

١. *الكافي*: ج١، ص٤٦، ح٤.

٢. جابر بن عبد الله الأنصاري أحد أجلاّء صحابة الرسول، بايع بيعة العقبة الثانية، وكان من أوّل المسلمين في المدينة، شارك في بدر وأُحد، وروي عنه أنّه كان مع رسول الله في (١٧) غزوة، أو في (١٨) غزوة على بعض الروايات. وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام في صفّين، كفّ بصره في أواخر عمره، وتوفيّ سنة (٧٤هـ) أو (٧٧هـ) عن عمر يناهز (٩٤) عاماً. (انظر: *أعلام نهج البلاغة*، محمّد هادي أميني: ص١٥).

أن يتعلّم، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه. فإذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلّم، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه»[١].

فعلى هذا، يجب أن تتوفّر للدين والتديّن معايير جلية مُحكمة، ولا تخلط أوراق قطّاع طرق الدين بأوراق الدين، إنّما ينبغي الفصل بكلّ صراحة بين طريق الإسلام النبويّ والعلويّ، وطريق إسلام السلطويّين والمفسدين؛ حتّى لا تتلوّث ساحة الدين ولا يتشوّه وجهه.

قال الإمام عليّ‏ عليه السلام:

«**لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به**»[٢].

ج) العلماء المتظاهرون بالعلم

وهؤلاء يشكّلون خطراً كبيراً على الدين وعلى المجتمع الإسلامي. وقد تحدّث الإمام عليّ‏ عليه السلام عن المتظاهرين بالعلم، وأنّهم أشخاص يسمّون أنفسهم علماء أو يسمّيهم البعض علماء، لكنّهم لا نصيب لهم من العلم الحقيقي، إنّما هم خزّان الجهل والضلالة والعوج، أولئك اُمّة خطيرة على الدين والتديّن.

إنّ سلوكيات المتظاهرين بالعلم تزعزع المعتقدات الدينية للناس، وتفسد تديّنهم، وتهدم قيمهم الإنسانية.

قال الإمام عليّ‏ عليه السلام في وصف هؤلاء قطّاع طرق الدين:

«**وآخرُ قد تسمّى عالماً وليس به، فاقتبس جهائلَ من جُهّال وأضاليلَ من ضُلاّل، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحقّ على أهوائه، يؤمِّن الناس من العظائم ويهوّن كبير الجرائم، يقول:**

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة ٣٧٢.

٢. المصدر السابق: الخطبة ١٢٩.

أقفُ عند الشبهات وفيها وقع، ويقول: أعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميّت الأحياء»[١].

المتظاهرون بالعلم هم ناشرو ثقافة الخداع والكذب، ومهدّمو أُسس الأخلاق في المجتمع، يطرحون كتاب الله والدين والحقّ والحقيقة بما يحقّق مقاصدهم النفسية وميولهم الشيطانية، وكما قال الإمام علي عليه السلام:

«**نصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحقّ على أهوائه**».

ما يطابق إرادتهم وأهواءهم هو الحقّ، وما يعارض ميولهم ورغباتهم باطل، هؤلاء هم أئمّة أنفسهم، بل يظنّون أنّهم محور كلّ شيء، وكما عبر عنهم الإمام عليّ عليه السلام:

«**لا يقتصّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصيّ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يَعفُون عن عيب، يعملون في الشبهات، ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمّات على آرائهم، كأنّ كلّ امرئٍ منهم إمامُ نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرىً ثقات وأسباب محكمات**»[٢].

أدعياء العلم يؤمّنون الناس ممّا يستتبع العذاب الأليم، ويهوّنون الذنوب العظام، ويسوّغون أقبح القبائح، ويصغّرون أكبر الجرائم: كما قال الإمام عليه السلام: «**يؤمِّن الناس من العظائم ويهوِّن كبير الجرائم**»[٣]، وهكذا فهو يهدم القيم الأخلاقية والإنسانية، ويضرب الحرمات الدينية والشرعية عرض الجدار؛ لأنّ مصالحه ومقاصده لا تتحقّق إلاّ عن هذا

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ٨٧.

٢. المصدر السابق: الخطبة ٨٨

٣. المصدر السابق: الخطبة ٨٧

الطريق.

٢ ـ العنف المنسوب إلى الدين

الدين تجلّي رحمانية الله تعالى بحقّ خلقه، فهو غير منسجم في أساسه ومبانيه مع العنف، ولا يوصي بالعنف، وما نطالعه فيه من عقوبات وتطبيق للأحكام وإقامة للحدود إنّما هو تشدّد لحفظ القوانين، والحدود ليس عنفاً وممارسات قبيحة وعنتاً وهتكاً لحرمات الناس. وليس في تطبيق الحدود والقوانين من غاية سوى العطف والشفقة والرحمة على المجرم وعلى المجتمع الإنساني.

إنّ تطبيق الحدود والقوانين وبطريقة دقيقة وشديدة، ممارسة يُراد منها:

- صيانة الحرمات وحماية حقوق البشر.
- الحيلولة دون تعدّي المعتدين.
- صدّ الخونة والمجرمين عن الخيانة والجريمة.

وهذه اُمور عُقلائية ضرورية، بل هي أكثر الممارسات إنسانية لحفظ سلامة الفرد والمجتمع. وهذا ما يشير إليه الإمام عليّ عليه السلام في قوله: «**فرض الله... إقامة الحدود إعظاماً للمحارم**»[(١)].

الإمام عليّ عليه السلام نفسه كان يعظّم الحدود والقوانين الدينية ويحترمها، إلى درجة لا يسمح معها لأيّ كان بأن يتجاوزها ويهملها حتّى بمقدار شعرة؛ لأنّ في ذلك انتهاكاً لحرمات الناس وحقوقهم، وإضراراً بسلامة الفرد والمجتمع. وقال في هذا الصدد:

«**والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهّداً، أو أجرّ في الأغلال مُصَفّداً، أحبّ إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيءٍ من الحطام، وكيف أظلمُ أحداً لنفسٍ يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها...**».

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة ٢٥٢.

إلى أن قال:

«**والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلب شعيرة، ما فعلته**»[١].

هكذا يتكلّم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ وهو مظهر رحمانية الباري (عزّ وجلّ) ـ عن صيانة الحدود والقوانين بخصوص نفسه، ويبدي هذه الدرجة الرفيعة من الالتزام بالقوانين والحدود.

إنّ الإصرار على حفظ الحدود ورعاية القانون والالتزام به، والنظر إلى الجميع على أنّهم متساوون قباله، وتطبيق الحدود والقوانين بدقّة وشدّة، هو عين الرحمة والعطف على الجميع، وهذا لا يُسمّى عنفاً، فهل معاقبة المجرم والقاتل والمعتدي على حريم الآخرين وحقوقهم عنف؟ ما يكتنفه الدين من عقوبات هو تطبيق للقوانين الإلزامية التي تسنّ بكثير من الشروط والاعتبارات، فهي بمثابة الرحمة والشفقة والإخلاص الذي يدفع الطبيب الحاذق لإجراء عملية جراحية للمريض.

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أسمى ربيب في مدرسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، كان يحبّ جميع الناس ويطلب السعادة لهم جميعاً، لكنّه في الوقت نفسه لا يتنازل قيد ذرّة في تطبيق القانون على المعتدين على حقوق الناس والخونة والمجرمين. فهو مثلاً قال في بداية عهده لمالك الأشتر:

«**واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم؛ فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه**

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ٢٢٤.

وصفحه»[١].

واضح كم يوصّي الإمام‌عليه السلام بالرحمة والمحبّة واللطف، ويحذّر من العنف والشدّة مع الناس، ويعتبر الأصالة للسماحة والعفو، ولكن حينما ينتهك أحد القوانين ويتعدّى الحدود والحقوق فقد كان الإمام يتعامل معه بقوّة وشدّة، ويؤكّد على تطبيق القوانين رحمةً بالآخرين، ولا يتردّد في معاقبة المعتدين على حرمات الناس وحقوقهم ومنتهكي حدود الله وأحكامه. فقد كتب مثلاً رسالة لزياد بن أبيه نائب عبد الله بن عبّاس على البصرة، قال فيها:

«**وإنّي أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدّةً تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر. والسلام»**[٢].

إذا مورس العنف باسم الدين وتحت لواء التديّن، تغيّر وجه الدين عن حقيقته، وهذا تضعيف للدين والتديّن، وإضرار حقيقي للإقبال على الدين، وإفساد للسلوك الديني. إنّ العنف والغلظة من قبل مسؤولي الدين يغلق أبواب الهداية المفتّحة، ويخيف الناس من كلّ شيء يرتبط باسم الدين، ويجعلهم يهربون من الدين والأُمور الدينية. قال الله في آية يخاطب بها رسول الرحمة الخاتم‌صلى الله عليه وآله:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣].

لا يمكن كسب القلوب بالشدّة والحدّة، ولا يمكن مدّ الجسور بينها وبين محبّة الله تعالى عن طريق **العنف والإكراه**، هذه حقيقة يذكّر بها الله تعالى بكلّ صراحة. الخُلق العظيم للرسول‌صلى الله عليه وآله هو الذي اجتذب القلوب وألّف بينها واستقطب الأرواح الهاربة،

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٥٣.
٢. *نهج البلاغة*: الكتاب ٢٠.
٣. آل عمران: ١٥٩.

ولولا ذلك لما بقيت للإسلام ولا للمسلمين من باقية. كما عبّر عن ذلك الإمام عليّ عليه السلام بقوله:

«**مَن خشنت، عريكته أقفرت حاشيته**»[1].

العنف والشدّة والغلظة والحدّة في نظر الإمام عليّ عليه السلام من أقبح الأُمور وأسوأ الخصال، وقد جاء في بيان له عليه السلام:

- «**الخُرقُ شرّ خُلُق**»[2].
- «**أقبح شيءٍ الخُرق**»[3].
- «**أسوأ شيءٍ الخُرق**»[4].
- «**لا خُلق أشين من الخُرق**»[5].

إنّ العنف والغلظة في رأي الإمام عليّ عليه السلام قبيح ومفسد، إلى درجه أنّه إذا ارتبط بأيّ شيء جعل ذلك الشيء قبيحاً ومنفِّراً ومنبوذاً، وقد قال عليه السلام:

«**ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه، ما كان الخُرق في شيء إلاّ شانه**»[6].

وعليه، إذا فُرض العنف على الدين والتديّن فسيعيبهما، ويمسخ جمال الدين ولطفه وهدايته قبحاً وتشويهاً وضلالاً، وسيفضي بالتالي إلى نتائج وخيمة جدّاً.

في حديث وتوصية نيّرة قالها الإمام الصادق عليه السلام لعمّار بن أبي الأحوص، يُفصل بين الإسلام العلويّ، وبين الإسلام الأمويّ:

«**فلا تخرقوا بهم، أما علمت أنّ إمارة بني أُميّة كانت بالسيف والعسف والجور،**

---

١. *موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنّة والتاريخ*: ج١٠، ص٢٢٧، ح٥٥٤٨.
٢. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٥١.
٣. المصدر السابق: ص١١٣.
٤. *مستدرك الوسائل*: ج١٢، ص٧٣.
٥. *غرر الحكم*: ح١٠٣٦٠.
٦. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٤٨١.

وأنّ إمارتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقيّة وحسن الخلطة والورع والاجتهاد؟ فرغِّبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه»[١].

العنف باسم الدين ومن قبل المنسوبين إلى الدين، له تبعات هدّامة على المعتقدات الدينية وأخلاق الناس وسلوكهم ومعنوياتهم.

ذكر الإمام عليّ عليه السلام عهداً أعقب حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله تميّز بمثل هذه السمات، فقد ظهرت فيه سلوكيات عنيفة في المجالات السياسية والحكومية من قبل رؤساء المجتمع والمنتسبين إلى الدين، فقد كان كلامهم غليظاً حادّاً فيه كثير من التهديد والإرهاب، وتعاملهم عنيفاً وشديداً، وهذا ما ترك تأثيرات سلبية عديدة على معتقدات الناس ومعنوياتهم وسلوكهم، حيث قال عليه السلام:

«فصيّرها في حوزةٍ خشناء، يغلظ كَلمُها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنَقَ لها خَرَمَ، وإن أسلس لها تقحّم، فمُني الناس ــ لعمر الله بخَبط[٢] **وشِماس**[٣] **وتلوّن**[٤] **واعتراض**[٥]**»**[٦].

يُلخّص الإمام تبعات السياسة العنيفة لتلك الحقبة بأربعة أُمور، هي: الخبط، الشماس، التلوّن، والاعتراض. وهذه تعابير تدلّ على أنّ الناس أُصيبوا بالانحراف والخروج عن الطريق المستقيم والتلوّن والرياء والبعد التامّ عن الحقّ.

ويدلّ كلام أمير البيان عليّ عليه السلام عن أنّ العنف يجرّ الناس إلى أنواع الانحرافات والتمرّد، ويحضّهم على الرياء والتلوّن والنفاق، وهي من أخطر الأمراض الروحية التي

---

١. *الخصال*: ص٣٥٤، ح٣٥؛ *وسائل الشيعة*: ج١٦، ص١٦٥، ح٢١٢٤٨.

٢. الخبط: هو السير على غير جادة ومحجّة.

٣. الشماس: النفار.

٤. التلوّن: هو التلفّت والتبدّل.

٥. الاعتراض: فهو ها هنا أيضاً ضربان: التلوّن، والتغيّر وترك لزوم القصد والجادة

٦. *نهج البلاغة*: الخطبة ٣.

تصيب الإنسان، ويزيل السلامة عن سلوك الناس والاعتدال عن أفعالهم، ويدفعهم إلى الانحراف يميناً ويساراً، وانتهاج طرق الإفراط والتفريط.

الغلظة منفِّرة بطبيعتها، وإذا مورست ضدّ الناس باسم الدين فسينفر بعض الناس من الدين بعد أن تتشوّه صورته في أنظارهم.

قال الإمام عليّ‏ عليه السلام في رسالة إلى زياد بن أبيه حينما ولاّه على فارس خلفاً لعبد الله بن عبّاس:

«**استعمل العدل واحذر العسف والحيف؛ فإنّ العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف**»[1].

ذكر الإمام هنا أنّ العنف والتعسّف يهرِّب الناس من ديارهم وبيوتهم، كما أنّ العسف والعنف باسم الدين يشرّد الناس من ديارهم وبيوتهم الحقيقية وأوطانهم الأصلية، أي الدين والتديّن. وما ترتّب على عنف الكنيسة في القرون الوسطى من تبعات وآثار نموذج بارز لهذه الحقيقة.

كتب الشهيد مرتضى المطهري رحمه الله عن هذه القضية في كتابه ***الدوافع نحو المادّية***:

«كان للكنيسة مضافاً إلى معتقداتها الدينية الخاصّة، جملة من الأُصول العلمية المتعلّقة بالعلم والإنسان، تضرب بجذورها غالباً في الفلسفات اليونانية وغير اليونانية، وقد وجدت طريقها تدريجياً إلى أذهان كبار علماء الدين المسيحي، فأُلحقت بأُصول العقيدة المسيحية، حتّى أضحت معارضة هذه العلوم الرسمية مخالفة وجريمة يجب التصدّي لها وللمنادين بها بكلّ شدّة. إنّنا هنا لا نروم مناقشة الحرّية الدينية وحقّ الإنسان في اختيار عقيدته الدينية بشكلٍ حرّ، وأنّ أُصول العقيدة الدينية يجب أن تُبحث وتُمحّص بنحوٍ حرّ، وإلاّ كان الإكراه على الضدّ من روح الدين الّذي يقصد هداية الناس وإسعادهم. أن تكون أُصول الدين تحقيقية وليست تقليدية أو إجبارية، فكرة ينحاز إليها الإسلام

---

١. *نهج البلاغة*: الحكمة ٤٧٦.

ويعاضدها، خلافاً للمسيحية التي اعتبرت أُصول الدين منطقة محظورة على العقل. وقد وقعت الكنيسة في خطئها الأكبر من ناحيتين أُخريين:

الأُولى: هي أنّ الكنيسة اعتبرت بعض المعتقدات العلمية البشرية الموروثة عن فلاسفة أسلاف وعلماء كلام مسيحيّين في عداد أُصول الدين المسيحي، ورأت أنّ معارضتها تعني الارتداد عن الدين.

والثانية: هي أنّها لم تكتف بظهور الارتداد على هذا الشخص أو ذاك، بحيث تُقصي كلّ من يثبت ويظهر ارتداده عن المجتمع المسيحي، إنّما راحت تفتّش وتنقّب بطريقة بوليسية عنيفة عن ما في ضمائر الناس وقراراتهم من عقائد. وأخذت تحاول بلطائف الحيل العثور على أبسط دليل أو علامة على معارضة الفرد أو الجماعة لعقيدة دينية، حتّى تبادر إلى إيذائه بكلّ عنف وشدّة.

لذلك لم يكن العلماء والباحثون ليتجرّؤوا على التفكير بما يعارض ما تعتبره الكنيسة علماً، أي إنّهم كانوا مرغمين على التفكير كما تفكّر الكنيسة. هذه الضغوط الشديدة على الأفكار التي شاعت منذ القرن الثاني عشر حتّى التاسع عشر في بلدان فرنسا وبريطانيا وألمانيا وهولندا والبرتغال وبولندا وأسبانيا، تركت بطبيعة الحال ردود أفعال جدّ سيّئة حيال الدين»[١].

وبعد أن ذكر الشهيد المطهري جانباً من جرائم محاكم التفتيش وممارسات التعذيب والعنف والقتل التي انتهجتها هذه المحاكم باسم الدين، يكتب قائلاً:

«الدين الذي يجب أن يكون دليل الهداية ورسول المحبّة، بدأ في الغرب على الصورة التي رأيناها. كان تصوّر الجميع عن الدين هو العنف والقمع والاستبداد، ومن البديهي ألاّ يكون ردّ فعل الناس قبال هذا الأُسلوب سوى رفض الدين من الأساس ورفض الركيزة الرئيسية للدين، أي وجود الله.

---

١. *الدوافع نحو المادّية* للشهيد مرتضى مطهري: ص٨٥ ـ ٨٦، ط٨، دار حكمت، سنة ١٩٧٨م.

رجال الدين ـ الذين يعدّون بالتالي ممثلي الدين ـ إذا ارتدوا جلود النمور وكشّروا عن أنياب الذئاب واستخدموا التكفير والتفسيق خصوصاً لأجل أغراضهم الخاصّة، فإنّ الدين سيتلقّى أعنف الضربات لصالح النزعة المادّية»[١].

لا مراء أنّه متى ما استُخدم العنف باسم الدين وارتُكبت الجرائم لأجله، فإنّ خطر التملّص من الدين سيكون أكثر مداهمة وحدّة.

٣ ـ السلوك الاستبدادي من قبل المسؤولين الدينيّين

السلوك الاستبدادي يتناقض بكلّ تأكيد مع الدين والتديّن، وإذا ما انجرف المسؤولون الدينيون لأيّ سبب من الأسباب ومهما كانت التبريرات إلى السلوك الاستبدادي، فستكون النتيجة ضعضعةً لأركان الدين وإهداراً لماء وجهه، وتنفيراً للناس عنه. وللإمام عليّ عليه السلام في عهده لمالك الأشتر أمر عظيم القدر والقيمة قال فيه:

«ولا تقولنّ إنّي مُؤمَّرٌ، آمُرُ فأُطاع؛ فإنّ ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرّب من الغير»[٢].

يعتبر الإمام عليّ عليه السلام استبداد الرؤساء باسم الدين تطرّقاً للفساد إلى القلوب، وتخريباً للدين، واقتراباً لتغيّر الأحوال والأوضاع، وخراب الدين في هذه الغمرة ليس بالشيء الذي يمكن تعويضه بسهولة وتلافي تبعاته بيسر.

لذا يتوجّب على المنسوبين للدين والمتولّين لزمام الأُمور تحاشي الاستبداد والدكتاتورية بكلّ دقّة؛ لأنّ النتيجة لن تكون سوى الهلاك، وقد قال الإمام عليّ عليه السلام بكلّ صراحة: «**من استبدّ برأيه هلك**»[٣].

وبالطبع فإنّ **الاستبداد** من قبل المسؤولين لا يهلكهم لوحدهم، إنّما يوجّه ضربات

---

١. *الدوافع نحو المادّية*: ص٩٢.

٢. *نهج البلاغة*: الكتاب ٥٣.

٣. المصدر السابق: الحكمة ١٦١.

مهلكة للدين والتديّن أيضاً، ذلك أنّ الاستبداد يجرّ الإنسان إلى التمرّد والتعدّي والحدّة والتشدّد، لهذا فإنّ تبعاته المخرّبة ليست لها حدود. يطلق الإمام عليّ عليه السلام في عهده لمالك الأشتر هذا التحذير قائلاً:

«**وإذا أحدثَ لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهةً أو مخيلةً، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامِنُ إليك من طِماحك، ويكفّ عنك من غَرِبك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك**»[1].

المستبدّ من منظار الإمام عليّ عليه السلام يفتقر للعقل النيّر المميِّز، فتسلّطه على الناس وأرواحهم وأموالهم وأعراضهم يدفعه إلى الطغيان والحدّة والشدّة وانتهاك الحرمات والضراوة، وإذا تلبّس مثل هذا المستبدّ بقناع الدين ومارس استبداده باسم الدين، فمن الواضح كم سيساعد على تهرّب الناس من الدين ونفورهم من التديّن، وهذا أفظع ظلم للدين والتديّن.

يحذّر الإمام عليّ عليه السلام مالك الأشتر في عهده إليه من الاستبداد دوماً؛ لأنّه يدير الأُمور كحاكم إسلامي ومسؤول ديني، وكلّ سلوكياته وأفعاله ستُحسب على الدين. ومن جملة تحذيرات الإمام وتوصياته: «**ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم**»[2].

إنّ الاستبداد والدكتاتورية نزعة ضارية ووحشية، ومثل هذه الممارسات إذا مورست باسم الدين وصدرت عن الشخصيات الدينية، سيهرب الناس من الدين، كما يهربون من الحيوان المفترس.

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٥٣.

٢. المصدر السابق: الكتاب ٥٣.

الأسئلة

١ ـ اذكر قولين من أقوال العلماء في حقّ الشريف الرضي.

٢ ـ اذكر ألقاب الشريف الرضي التي لقّبه بها بهاء الدولة.

٣ ـ اذكر الدوافع التي من أجلها جُمع نهج البلاغة؟

٤ ـ ماذا يحوي كتاب نهج البلاغة؟

٥ ـ ما عدّد الخطب والرسائل والأقوال في نهج البلاغة؟

٦ ـ ما هي المهامّ التي كان يشغلها الشريف الرضي؟

٧ ـ ما هو الأُسلوب الموضوعي؟ وضّحه.

٨ ـ ما هي الميزة الرئيسية في الأُسلوب التجزيئي؟

٩ ـ ما هو مفهوم آفات الدين والتدين؟

١٠ ـ تحدّث باختصار عن الإكراه والإجبار في الدين.

١١ ـ تحدّث عن سوء فهم الدين.

١٢ ـ اذكر قولاً للإمام عليّ عليه السلام حول سوء فهم الدين.

١٣ ـ تعرّض الإمام علي عليه السلام لتبعات السياسة العنيفة بأربع تبعات، اذكرها.

١٤ ـ اذكر نصّاً عن الإمام عليّ عليه السلام حول موضوع عدم عمل العلماء بعلمهم.

١٥ ـ تحدّث بإيجاز عن العنف المنسوب إلى الدين.

١٦ ـ اذكر قولين للإمام عليّ عليه السلام عن قبح العنف.

١٧ ـ تحدّث بإيجاز عن السلوك الاستبدادي من قبل المسؤولين الدينيّين.

(٨)

الحديث والحياة

- المدخل
- الموضوع الأوّل: الرضا عن الحياة
- الموضوع الثاني: أسـاليب مواجهـة الاضـطرابات والعقـد النفسية

المدخل

مادام الإنسان يعيش في هذه الدنيا المطبوعة على كدر، والتي تعتبر محلّ اختبار وابتلاء له، وقنطرة للوصول إلى الحياة الأبدية، فلابدّ له من التعرّض إلى مشاكل هذه الحياة؛ لأنّ جميع البشر تواجههم مشاكل في حياتهم، ولكنّ الإنسان الذي يريد النجاح في حياته يجب عليه اكتساب مهارات خاصّة من أجل النجاح والتوفيق، وأنّ اليأس وخيبة الأمل تكمن في عدم معرفة تلك المهارات، وهذا بدوره ينعكس سلباً على عدم رضا الإنسان عن الحياة.

وعليه، يشعر بعدم السعادة في الحياة، ومن ثمّ زيادة الضغوط النفسية عليه ممّا يجعله مرشّحاً للإصابة بالأمراض والاضطرابات النفسية.

ومن لطائف رحمة الله سبحانه وتعالى الذي أوجد الإنسان في هذه الدنيا المليئة بالمشاكل، أن أعطاه التعاليم التي تقلّل وترفع عنه تلك الضغوط النفسية التي تخلفها المشاكل في هذه الحياة.

وقد علّم الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام أتباعهم تعاليم كثيرة في هذا المجال (تقليل الضغوط النفسية)، لما تحتلّه من مكانة مهمّة في تكامل الإنسان الروحي؛ لكي تصبح حياة أهل الإيمان أكثر نشاطاً وفاعلية في هذه الدنيا للوصول إلى مرحلة التكامل الروحي.

وعلى هذا الأساس، أصبح الهدف واضحاً من وضع دروس الحديث والحياة، وهو التعرّض لبعض هذه التعاليم وتعلّمها والتأكيد عليها، ومن هذه التعاليم: الرضا عن الحياة،

أساليب مواجهة الاضطرابات، والضغوط النفسية.

الموضوع الأوّل: الرضا عن الحياة

الحياة التي يعيشها الإنسان يمكن أن تكون لها حالتان: الحياة تحت ظلّ الظروف العادية، والأُخرى التي تكون ضمن الظروف الاضطرارية الصعبة نتيجة للصعوبات والعقبات التي تمرّ على الإنسان.

وهذا الموضوع (الرضا عن الحياة) جُعل هدفه العيش تحت الظروف العادية، رغم أنّ النجاح والتوفيق في الحياة يحتاج إلى مهارات خاصّة في هذه الدنيا.

وسوف نتعرّض إلى أربعة أقسام، وهي:

أوّلاً: انسجام الآمال مع الواقع

الإنسان بطبيعته يطلب الراحة ويتوقّع بأنّ الدنيا هي المكان الذي يلبّي فيه كلّ رغباته، والواقع خلاف ذلك تماماً، فهي ليست محلاً للراحة والدعة والهدوء.

ويتوضّح ذلك من خلال أمرين:

الأوّل: يتصوّر الإنسان أنّ الدنيا هي المكان المناسب لتلبية رغباته وأُمنياته، والحصول على الراحة التامّة، وهذا ما يُطلق عليه التطلّعات.

الثاني: الواقع خلاف هذا التصوّر تماماً، فهو ليس محلاً للراحة والدعة والهدوء، فالكثير من الناس لم تتحقّق أمانيهم في هذه الدنيا، وهذا ما يُطلق عليه بالواقعيات.

قال الرسولﷺ: «**إنّ الله** (عزّ وجلّ) **يقول:... وضعتُ الراحة في الجنّة والناس يطلبونها في الدنيا فلا يجدونها**»[1].

ومن هذا المنطلق فإنّ طلب غير المتيسّر يؤدّي إلى اليأس وخيبة الأمل، وهو بدوره

---

١. *عوالي اللئالي* لابن أبي جمهور الأحسائي: ج٤، ص٦٢، ح١١.

يستتبع الإحباط وعدم الرضا.

وفي حديثٍ آخر عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَن طلب ما لم يُخلق تعّب نفسه ولم يُرزق»[١].

فالإنسان يطلب كمال الراحة، ويتوقّع وجودها في هذه الدنيا فلا يجدها، وهو الذي يدعوه للإحباط وعدم الرضا، قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «**اتّق الله وأجمل في الطلب، ولا تطلب ما لم يُخلق، فإنّ من طلب ما لم يُخلق تقطعّت نفسه حسرات ولم ينل ما طلب**»[٢].

وقد علّل الإمام عليه السلام سبب اليأس وخيبة الأمل، فقال: «**وكيف يَنال ما لم يُخلق**»[٣]؟ وهذا أصل بديهي لا يمكن توقّعه وانتظاره في هذه الحياة.

وقد علّم الإمام الصادق عليه السلام أصحابه هذا الأصل؛ كي تكون حياتهم أكثر سعادة، فقال: «**لا تتمنّوا المستحيل. قالوا: من يتمنّى المستحيل؟ فقال: أنتم، ألستم تمنّون الراحة في الدنيا؟ قالوا: بلى. فقال: الراحة للمؤمن في الدنيا مستحيلة**»[٤].

فإذا ما علم الإنسان أنّ الدنيا ليست مكاناً للراحة والدعة، فسوف ينعكس ذلك على شعوره بالراحة والاطمئنان، ومن ثمّ الرضا عن الحياة.

وعليه، فإنّ التعارض بين الواقعيات التطلّعات، هو الذي يؤثّر على الآمال وعدم تحققّها في هذا الواقع، ممّا يؤدّي إلى عدم شعور الإنسان بالرضا عن الحياة، ويولد عنده الشعور بخيبة الأمل.

---

١. *نظم درر السمطين* للزرندي الحنفي: ص١٥٨.

٢. *الخصال*: ص٦٤.

٣. المصدر السابق.

٤. *بحار الأنوار*: ج٧٨، ص١٩٥.

الأمل

من المباحث المهمّة في هذا المجال هي مسألة الآمال، فالأمل له جذور في الرجاء والانتظار، وهو الذي يعطي للإنسان دفعة من النشاط والحيوية والرجاء في المستقبل.

الأمل لغةً: توقّع حصول الشيء، وأكثر ما يستعمل فيما يُستبعد حصوله[١].

الأمل اصطلاحاً: هو القوّة المحرّكة للإنسان نحو المستقبل. وله جذور في الرجاء والانتظار.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المجال: «**إنّما الأمل رحمة من الله لأُمّتي، لولا الأمل ما أرضعت أُمٌّ ولداً، ولا غرس غارسٌ شجراً**»[٢].

ومع ذلك فإنّ لكلّ شيء حدّاً يتراوح بين الإفراط والتفريط، والأمل لا يخرج عن هذا الإطار.

فالجانب التفريطي هو اليأس من الحياة، والجانب الإفراطي يتمثّل في طول الأمل، كما ورد تسميته في التعاليم الدينية. وطول الأمل يعني الطموحات التي تتجاوز عمر الإنسان، وبما أنّ الدنيا ليست محلاً لتحقيق تلك الطموحات، فطول الأمل سوف يؤثّر تأثيراً سلبياً على عدم الرضا في هذه الدنيا، ولذلك قال الإمام عليّ عليه السلام «**من كثر مناه قلّ رضاه**»[٣].

التأثير النفسي لطول الأمل

أصحاب الآمال الطويلة والطموحات الواسعة عادةً ما يتوقّعون لذائذ في الأشياء التي يفتقدونها، ولذلك قلّما تجدهم يستفيدون ممّا تحت أيديهم من نعم، فتراهم دائماً في حالة من عدم الرضا والسخط. ومن هنا، فإنّ طول الأمل يعني عدم رضا الإنسان، واعتبار

---

١. *تاج العروس*: ج ١٤، ص ٣٠.
٢. *تاريخ بغداد*: ج ٢، ص ٥٠؛ *بحار الأنوار*: ج ٧٤، ص ١٧٣.
٣. *عيون الحكم والمواعظ*: ص ٤٢٤

كلّ ما هو موجود قليل لا يفي بالغرض.

ومن هذا المنطلق قال الإمام علي‌عليه السلام: «**تجنّبوا المُنى؛ فإنّها تُذهب بهجة ما خُوِّلتم، وتَستصغرون بها مواهب الله تعالى عندكم، وتُعقبكم الحسرات فيما وهّمتم به أنفسكم**»[1].

خصائص طول الأمل

يتحوّل طول الأمل إلى عامل مثبِّط غير سارّ، وأسباب ذلك كثيرة، نشير إلى بعضٍ منها:

١ ـ عدم تحقّق الأماني

طول الأمل لا نهاية له، ولا يمكن للإنسان تحقيق كلّ الرغبات، وبالتالي سوف يشعر باليأس والإحباط، وهذا الشعور هو من عوامل عدم الرضا.

قال الإمام عليّ‌عليه السلام: «**اعلم يقيناً أنّك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك...**»[2].

وقال‌عليه السلام: «**حاصل الأماني الأسف**»[3]، وقال أيضاً: «**حاصل المنى الأسف، وثمرته التلف**»[4].

٢ ـ طول الترقّب والانتظار

الأمل والترقّب أمران لا يمكن فصلهما عن بعضهما، فإذا كانت الأماني كبيرة غير ممكنة التحقّق، فسوف يطول انتظار الإنسان، قال الإمام عليّ‌عليه السلام: «**من أمّلَ ما لا يمكن، طال ترقّبه**»[5].

---

١. *الكافي*: ج٥، ص٨٥، ح٧.

٢. *نهج البلاغة*: الكتاب ٣١.

٣. *محاسبة النفس* للكفعمي: ص٦٨.

٤. *موسوعة أحاديث أهل البيت* للشيخ هادي النجفي: ج١١، ص٩٩، ح١٣٦١٥.

٥. *عيون المواعظ والحكم*: ص٤٣٩ .

ثانياً: معنى الحياة

الإنسان بطبيعته هادف يطلب الكمال ويكره العبثية؛ لأنّها لا ترضيه ولا تسعده، فإنّ البقاء حيّاً بالنسبة له من دون معنى ولا هدف لحياته، يجعله يشعر بالإحباط واليأس، حتّى لو كانت جميع الإمكانات المادّية متيسّرة له؛ لأنّ السعادة لا تكمن دائماً في ظلّ توفّر الرفاه ووجود العناصر المادّية، فقد تكون الحياة البسيطة الشاقّة سعيدة في بعض الأحيان، شرط أن يدرك الإنسان فيها معنى الحياة، ولذلك فإنّ توفير الإمكانات المادّية ليس له قيمة في إدراك معنى الحياة.

فالذي يعطي الحياة معنى لابدّ أن يكون أسمى من الحياة نفسها، بل إنّ الشيء المعادل بالحياة لا يمكن أن يعطي الحياة معناها وقيمتها، إلاّ إذا كان له قيمة أسمى من الحياة.

والسؤال المطروح هنا، هل يمكن أن تكون الدنيا غايةً للحياة؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إنّ هناك نوعين من المعاني التي يمكن تصوّرها للحياة:

المعنى الحيواني: هو التصوّر بأنّ الحياة هي الأكل اللذيذ أو اللبس الفاخر، فغاية الحياة بالنسبة إليه هي تحصيل أكبر قدر من اللذة.

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**فما خُلقت ليشغلني أكل الطيّبات، كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها، تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يُراد بها...**»[1].

وهو بدوره لا يكون أسمى من الحياة نفسها؛ لأنّ الذي يكون همّه من الدنيا هو الأكل والشرب فقط، لا يدرك معنى الحياة أبداً، وتكون الدنيا عنده هدف لا غاية، فلا يعرف ما يُراد به فيها.

والقرآن الكريم يصف من يعتبر الحياة غايةً وهدفاً قائلاً: ﴿**وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ**﴾[2].

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٤٥.

٢. الرعد: ٢٦.

وخاطبهم القرآن قائلاً: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١].

المعنى الإنساني: ويكمن في إيجاد معنى الحياة، وذلك عن طريق اتّخاذ المثل الأعلى، ولذلك فمن الطبيعي أنّ الذي يعتبر الدنيا وسيلةً لا هدفاً يدرك معنى الحياة الواقعية، ويكون راضياً عن حياته.

أمّا من حيث القيمة فإنّ الدنيا وجميع ما فيها لا تساوي شيئاً بالقياس إلى الحياة الأبدية الخالدة، والدنيا إنّما خُلقت لغيرها، فهي من أجل خدمة الإنسان، وهي وسيلته للوصول إلى الحياة الواقعية الأبدية.

قال الرسولﷺ: «**فإنّ الدنيا خُلقت لكم وأنتم خُلقتم للآخرة**»[٢]، وقال الإمام عليّ عليه السلام: «**الدنيا خُلقت لغيرها ولم تُخلق لنفسها**»[٣].

وصرّح أيضاً عليه السلام: «**أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها؛ ليعلم أيّهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خُلقنا ولا بالسعي فيها أُمرنا**»[٤].

وكذلك فإنّه اعتبر الدنيا مزرعة للآخرة، وهذا يعني أنّها طريق ووسيلة للحياة وليست هدفاً لها.

قال الرسولﷺ: «**الدنيا مزرعة الآخرة**»[٥].

وهذا المعنى ورد في الآية: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[٦].

ومنه يظهر أنّ المعنى الواقعي للحياة هو في اتّخاذ أعلى مثل وأسمى معنى وهو الله جلّ

---

١. القصص: ٦٠.

٢. *ميزان الحكمة*: ج٢، ص٨٩١

٣. *نهج البلاغة*: الحكمة ٤٦٣.

٤. *نهج البلاغة*: الكتاب ٥٥.

٥. *عوالي اللئالي*: ج١، ص٢٦٧، ح٦٦.

٦. النساء: ٧٧.

وعلا؛ لأنّه المعنى المتعالي الخالد، والنتيجة أنّ الإنسان سوف يعيش من أجل هذا الهدف، والسعي من أجل رضاه والتقرّب إليه محتملاً المصاعب والمشاقّ، ومن خلال هذا المعنى فقط يخرج الإنسان من ظلمات الحيرة والعبثية واللاّهدفية؛ لأنّه يعيش من أجل أسمى مفهوم للحياة، وعند ذلك سوف تتحقّق للإنسان السعادة والطمأنينة وراحة البال[١].

ثالثاً: إدراك النعم

يعتبر إدراك النعم من المباحث المؤثّرة في موضوع بحثنا (الرضا عن الحياة)، وعلى هذا الأساس يتمّ تقسيم البحث فيه إلى قسمين:

أ) معنى النعمة لغةً

تدلّ على ترفّهٍ وطيب عيش وصلاح[٢]. وعُرّفت أيضاً بأنّها: ما أُنعم به من رزقٍ ومالٍ وغيره[٣].

وقال العلاّمة الطباطبائي في تفسيرها: «ففي الكلمة شيءٌ من معنى اللين والطيب والملائمة، فكأنّها مأخوذة من النعومة، وهي الأصل في معناها، وقد اختصّ استعمالها بالإنسان؛ لأنّ له عقلاً يدرك به المنافع والمضارّ، فيستطيب النافع ويستلئمه ويتنعّم به»[٤].

ب) إدراك النعمة

إنّ حياة الإنسان (وخاصّة المؤمن) لا تخلو من النعم، فهناك الكثير منها في حياة الإنسان، وهي يمكن أن تكون عاملاً من عوامل الشعور بالسعادة، ولكنّ هذا الأثر لا يكون ظاهراً إلاّ إذا أدركنا النعم.

---

١. وما ورد في أدبيات الدين تحت عناوين مثل: «في سبيل الله» و«الله» و... يمكن تحليله بنفس هذه الصيغة.

٢. *معجم مقاييس اللغة* لأحمد بن فارس: ج٥، ص٤٤٦ «نعم».

٣. *المعجم الوسيط*: ص٩٣٥ ـ ٩٣٦، ط المكتبة الإسلامية، اسطنبول.

٤. *تفسير الميزان*: ج١١، ص٨١

وبعبارةٍ أُخرى: إنّ وجود النعم في حياة الإنسان ليس له تأثير كبير في الشعور بالرضا والسعادة، لكنّ معرفة النعم هي العامل المهمّ في هذا المجال، ولذلك فإنّ الشعور بالرضا والسعادة هو في إدراك النعم.

ولكنّ السؤال المهمّ هنا هو: كيف يمكن معرفة النعم وإدراكها؟

الجواب: هو بالقياس إلى الأدنى الذي هو أحد الطرق المهمّة في معرفة النعم الدنيوية، من خلال النظر إلى من هو دونه في الواقع المادّي، وهذا لا يحدث إلاّ عن طريق الاستفادة من المقارنة، أي مقارنة حجم النعم التي نمتلكها مع ما يملك الآخرون، وهي ناشئة من طبيعة الإنسان الميّالة إلى التقييم والموازنة لحاله مع حال الآخرين.

ولكي يتّضح معني المقارنة بشكلٍ جليّ لابدّ من معرفة ثلاثة مصطلحات:

١ ـ هدف المقارنة: هو الشخص الذي يكون موضعاً للمقارنة.

٢ ـ المستوى الأعلى للمقارنة: إذا كان الهدف في مستوى أعلى من حيث الواقع المادّي، وتسمّى المقارنة الصعودية.

٣ ـ المستوى الأدنى للمقارنة: إذا كان الهدف في مستوى أدنى من حيث الواقع المادّي، وتسمّى المقارنة النزولية.

والمقارنة هي إحدى الوسائل في هذا التقييم، ومن خلال هذه الموازنة يتعرّف الإنسان على حجم واقعه المادّي الذي يؤثّر على رضا الإنسان، إمّا يصبح نشيطاً متفائلاً، أو ساخطاً يائساً.

وعلى هذا الأساس، سوف نسلّط الضوء على المقارنة التي لها التأثير المباشر في الرضا عن الحياة، وهذا لا يتمّ إلاّ عن طريق معرفة: مجال المقارنة وأنواع المقارنة، والتأثير النفسي للمقارنة ونتائجها.

مجال المقارنة

أمّا البحث في مجال المقارنة، فنقول: إنّ للمقارنة مجالين:

أ) المقارنة الاجتماعية في مجالها المادّي.

ب) المقارنة المعنوية.

قبل الخوض في موضوع المقارنة الاجتماعية في مجال الأُمور المادّية، لابدّ من التعرّف على بعض المصطلحات المتعلّقة بالبحث، وهي:

أنواع المقارنة

للمقارنة عدّة أنواع، ومن أهمّها:

أوّلاً: المقارنة المخفَّضة

وهي المقارنة التي تقلّل من مستوى رضا الإنسان عن الحياة، وتسمّى أيضاً: «المقارنة الصعودية»، وسبب تسميتها بذلك؛ لأنّ الهدف المقارنة في مستوى أعلى من حيث الواقع المادّي، وهي تقلّل من مستوى رضا الشخص عن حياته.

١ ـ التأثير النفسي للمقارنة المخفّضة

ذكرنا أنّ المقارنة المخفّضة تقلّل من مستوى رضا الشخص عن حياته، وهذا التأثير ناشئ من تلك المقارنة التي تجعل الإنسان يصغّر ويحقّر نعم الله التي يمتلكها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم أن تمدّوا أطرافكم إلى ما في أيدي أبناء الدنيا، فمن مدّ طرفه إلى ذلك طال حزنه، ولم يشف غيضه، واستصّغر نعمة الله عنده، فيقلّ شكره»[1].

مثال تطبيقي:

ما وردَ في قصّة قارون، فقد أعطى الله سبحانه وتعالى لقارون أموالاً وكنوزاً ينوء بحملها الرجال من أُولي القوّة.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾[2]، فإنّ

١. *بحار الأنوار*: ج٧٢، ص٣٦٨، ح٧٨.

٢. القصص: ٧٦.

خروج قارون بالأُبّهة ومظاهر الغنى جعل البعض يقارن وضعيته المالية والمادّية بوضعية قارون، فكان يتمنّى أن تكون له مثل ما عند قارون من أموال وثروات. والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحالة، بقوله تعالى:﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

ومن جانبٍ آخر، هنالك من أظهر موقفاً آخر تجاه سلوك قارون، حيث يصوّر القرآن لنا هذه الحالة بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾[2].

وعندما رأت المجموعة الأُولى ما أصاب قارون في الآية: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[3]، ندمت على قولها، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

٢ ــ حتمية المقارنة المخفّضة

إنّ مشاهدة الحياة المترفة التي يعيشها بعض الأفراد لا تؤدّي حتماً إلى المقارنة المخفّضة، كما في المثال المتقدّم (قصّة هارون) فنجد أنّ كلاً من المجموعتين المذكورتين قد شاهدتا سلوك قارون، ولم تتأثّر بهذا السلوك إلاّ مجموعة واحدة فقط، والتي تمنّت ما عند قارون من الأموال والأُبهة، أمّا المجموعة الأُخرى التي لم تقارن ورجت ثواب الله ورضوانه، حيث قامت بالموازنة بين ما تملك وما عند قارون من مظاهر

---

١. القصص: ٧٩.
٢. القصص: ٨٠
٣. القصص: ٨١
٤. القصص: ٨٢

مادّية مترفة ولم تتأثّر بها، وهذا يعني أنّ المشاهدة لا تؤدّي حتماً إلى المقارنة المخفّضة، فالحلقة بين المشاهدة والمقارنة هي التطلّع إلى ما عند الآخرين، فإذا تغيّرت المشاهدة إلى نوع من التطلّع فإنّها تنتج المقارنة المخفّضة. والعكس صحيح.

قال تعالى:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[١].

وفي هذه الآية أُطلق على الأموال (زهرة الحياة الدنيا)، أي إنّ عمرها قصير مقابل الرزق الإلهي الذي يتميّز بخاصّيتين: الخيرية والبقاء، فإذا كان الأمر بهذه الصورة فإنّ النعم الدنيوية التي كان يتمتّع بها قارون لا قيمة لها حيث تدعو البعض إلى التطلّع إليه وتمنّي ما عنده، أي إنّ الإنسان إذا منع نفسه من النظر إلى دنيا الآخرين والتطلّع إليهم فسوف لا تحصل لديه المقارنة الصعودية.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٢].

هذه الآية تتحدّث عن ظاهرة الإعجاب، وتريد أن تلفت نظر المسلمين إلى عدم الانبهار بالحياة القارونية التي يعيشها بعض الناس، وأنّ الثروة والأموال قد تكون في بعض الأحيان وسيلة لعذاب الإنسان في هذه الدنيا، ومن هذا المنطلق فإنّ الشخص الذي يعلم حقيقة عاقبة الترف القاروني سوف يزول عنه الإعجاب.

٣ ـ المعاشرة والمقارنة المخفّضة

بيّنا في البحث السابق الدور الذي يلعبه «عدم التطلّع إلى ما عند الآخرين» في الحيلولة دون بروز ظاهرة المقارنة الصعودية، والطريق الآخر هو الدقّة في اختيار الجليس والصديق؛ لأنّ هذه المسألة لها دور في زيادة أو تقليل رضا الإنسان في هذه الحياة، فإذا ما

---

١. طه: ١٣١.

٢. التوبة: ٨٥.

اختار الإنسان أصدقاء أثرياء؛ فإنّ هذا الأمر سوف ينعكس على احتقار ما عنده من نعم، وهو ما يؤدّي إلى زيادة العقد النفسية.

قال رسول الله ﷺ: «أقلّوا الدخول على الأغنياء، فإنه أحرى ألاّ تزدروا نعم الله عزّ وجلّ»[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم وعشار الملوك وأبناء الدنيا، فإنّ ذلك يصغِّر نعمة الله في أعينكم ويعقبكم كفراً...»[٢].

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا تجالس الأغنياء، فإنّ العبد يجالسهم وهو يرى أنّ لله عليه نعمة، فما يقوم يرى أن ليس لله عليه نعمة»[٣].

٤ ــ النتائج السلبية للمقارنة المخفّضة

للمقارنة المخفّضة نتائج تؤثّر على مستوى رضا الإنسان عن الحياة، ويمكن تلخيص هذه النتائج بما يلي:

أ) الحزن: المقارنة المخفّضة تسلب الإنسان السعادة والسرور، وتسرق منه الضحكة والابتسامة.

ب) الهمّ والغمّ: إذا ما ازداد الحزن عن حدّه سوف ينقلب إلى همّ وكآبة، فالمقارنة المخفّضة تعني دوام الحزن والهمّ، ولذلك فإنّ أحد أسباب الهمّ هو المقارنة الصعودية، وفي هذه الحالة لا يمكن أن نتوقّع من هذا الإنسان أن يكون سعيداً راضياً عن الحياة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «من أتبع بصره ما في أيدي الناس، طال همّه ولم يشف غيظه»[٤].

---

١. *المستدرك على الصحيحين* للحاكم النيسابوري: ج٤، ص٣١٢.
٢. *الأصول الستّة عشر*: ص٥٧؛ *مستدرك الوسائل*: ج٨، ص٣٣٧، ح٩٥٩٥.
٣. *الأمالي* للصدوق: ص٣٢٦، ح٣٨١.
٤. *بحار الأنوار*: ج٦٧، ص٣١٧، ح٢٥.

ج) الحسرة: الذي يُبتلى بهذه المقارنة عليه أن يعدّ نفسه لقائمة طويلة من المتاعب، فهو دائم الحسرة والحزن.

نزل جبرئيل يوماً على رسول الله ﷺ وقال له: «العليّ العظيم يقرؤك السلام، ويقول: اقرأ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ...﴾[1]. فأمر النبيّ ﷺ منادياً ينادي: مَن لم يتأدّب بأدب الله تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات»[2].

د) الحسد: تكمن جذور الحسد في المقارنة المخفّضة؛ لأنّ هذه الخصلة السيّئة إنّما تكون حيثما وجدت فضيلة عند الطرف المقابل، وللحسد آثار ضارّة تجعل الحياة مرّة لا تطاق.

قال رسول الله ﷺ: «أوصى الله سبحانه وتعالى إلى موسى بن عمران: يا بن عمران لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس منّي»[3].

هـ) عدم الشكر والجزع: هذان العنوانان لهما جذور ضارّة في المقارنة المخفّضة أيضاً، إي عدم الشكر يتعلّق بالنعمّ والجزع بالبلاء.

قال الرسول ﷺ: «من نظر... في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً»[4].

---

١. طه: ١٣١.

٢. *بحار الأنوار*: ج٦٨، ص٣٤٨، ح١٧.

٣. *الكافي*: ج٢، ص٣٠٧، ح٦.

٤. *كنز العمّال*: ج٣، ص٢٥٦، ح٣٤٢٣.

ثانياً: المقارنة المزيّدة

وهي المقارنة التي تزيد من مستوى رضا الإنسان عن الحياة، وتسمّى أيضاً: «المقارنة النزولية»، وسبب تسميتها بذلك؛ لأنّ هدف المقارنة في مستوى أقلّ من حيث الواقع المادّي، والتي تزيد من مستوى رضا الشخص عن الحياة.

١ ـ التأثير النفسي للمقارنة المزيّدة

والسؤال المهمّ هنا: ما هو التأثير النفسي للمقارنة المزيّدة، وكيف تصبح وسيلة من وسائل رضا الإنسان عن الحياة؟

المقارنة النزولية تعني أنّ الشخص يقوم بإظهار النقاط الإيجابية المتفائلة عن الحياة من خلال إدراك النعم، فتظهر على سلوكه، ممّا يجعله يشعر بالسعادة والسرور ويرضى عن الحياة، وهذه النقاط عادة ما تخفى عنه في المقارنة المخفّضة.

قال الرسول صلى الله عليه وآله: «**إذا أحبّ أحدكم أن يعلم قدر نعمة الله عليه، فلينظر إلى من هو تحته، ولا ينظر إلى من هو فوقه**»[١].

قال عليّ عليه السلام: «**انظروا إلى من دونكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنّه أجدر ألاّ تزدروا نعمة الله عليكم**»[٢].

ولذلك نرى أنّ من التوصيات المهمّة من قبل أئمّة الدين هي المقارنة المزيّدة، فعندما أراد النبي صلى الله عليه وآله تربية بعض الأفراد كأبي ذرّ، كان يوصيهم بالاجتناب عن المقارنة المخفّضة، بل يريدهم أن يستفيدوا من المقارنة المزيّدة.

قال أبو ذرّ رضي الله عنه: «**أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي...**»[٣].

---

١. *مسند ابن المبارك*: ص٤٧، ح٩٠.

٢. شرح *نهج البلاغة* لابن أبي الحديد: ج١٠، ص٥٠.

٣. *الخصال*: ص٣٤٥، ح١٢.

وكذلك أوصى الإمام الصادقعليه السلام حمران بن أعين، فقال له: «يا حمران، انظر إلى من هو دونك في المقدرة، ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة...»[١].

٢ ـ نتائج المقارنة المزيّدة

أ) **الشكر**: وهو يتوقّف على معرفة النعم، وبما أنّ المقارنة المزيّدة تذكّر الإنسان بنعم الله تعالى عليه فسوف يؤدّي هذا الأمر تلقائياً إلى الشكر.

قال الإمام عليّعليه السلام: «وأكثر أن تنظُرَ إلى من فُضِّلت عليه، فإنّ ذلك من أبواب الشكر...»[٢].

ب) **زيادة النعم**: إذا كان ذلك مصحوباً بالانتباه والالتفات يؤدّي إلى زيادة مستوى رضا الإنسان عن الحياة، قال الإمام عليّعليه السلام: «وانظر إلى من هو دونك فتكون لأنعم الله شاكراً، ولمزيده مستوجباً، ولجوده ساكناً»[٣].

ج) **زيادة الصبر**: المقارنة المزيّدة تساعد الإنسان أن يكون أكثر صبراً وتحمّلاً، ويزداد عامل الرضا عن الحياة.

قال الرسولصلى الله عليه وآله: «من نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضّله به عليه، كتبه الله شاكراً صابراً»[٤].

د) **القناعة**: وهي تقضي على الشعور بعدم الرضا، وإذا أراد الإنسان الزيادة المعقولة والمشروعة والتوسّع في النعم الذي يدفعه إلى السعي المعقول، ينبغي عليه أن يدرك أنّ السعي والتوسعة في الحياة يجب ألاّ يكون على حساب الشعور بعدم الرضا.

ذكرنا سابقاً وصية الإمام الصادقعليه السلام لحمران بأن ينظر إلى من هو دونه، ثمّ أشار الإمام إلى نتائج هذه المقارنة.

---

١. *الكافي*: ج٨، ص٢٤٤، ح٣٣٨.

٢. *نهج البلاغة*: الكتاب ٦٩.

٣. *مستدرك الوسائل*: ج٨، ص٣٣٧، ح٩٥٩٥.

٤. *سنن الترمذي*: ج٤، ص٧٤، ح ٢٦٣٠.

فقالعليه السلام: «فإنّ ذلك أقنع لك بما قسم لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربّك»[١].

ثالثاً: التوكّل في الرزق

من الأُمور المهمّة التي تقلق الإنسان في حياته هي مسألة الرزق، فعندما يعلم الإنسان أنّ هناك مصدراً مضموناً يرتزق منه سيكون مطمئنّاً مرتاح البال، وممّا يزيل ذلك القلق علمنا بأنّ الله سبحانه وتعالى قد ضمن أرزاق العباد، فالعامل المؤثّر في سعادة الإنسان ورضاه هو مسألة التوكّل على الله سبحانه في الرزق.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: «وعلمت أنّ رزقي لا يأكله غيري فاطمأننتُ»[٢]. وقد أوصى رسول اللهصلى الله عليه وآله ابن مسعود فقال له: «يابن مسعود لا تهتمّ للرزق، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، و﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾»[٣]. يقول الإمام عليعليه السلام: «من وثق بأنّ ما قدّر الله لن يفوته، استراح قلبه»[٤].

الموضوع الثاني: أساليب مواجهة الاضطرابات والعقد النفسية

تعلّم أساليب مواجهة الاضطرابات والعقد النفسية له تأثير على سلوك الإنسان من حيث تحمّل الصعاب التي تخلّفها الحوادث غير السارّة في حياته، وترفع من قدرة الإنسان على التحمّل لتلك الصعاب، حيث هنالك العديد من الأساليب للمواجهة، إلاّ إنّنا سوف نسلّط الضوء على أفضلها وهو الصبر. وقبل الدخول في بيان معنى الصبر والأُصول المتعلّقة به، لابدّ من التعرّض إلى الأُمور التالية:

---

١. *الكافي*: ج٨، ص٢٤٤، ح٣٣٨.
٢. *بحار الأنوار*: ج٧٥، ص٢٢٨، ح١٠٠.
٣. *جامع أحاديث الشيعة*: ج١٧، ص٥٣، ح٣.
٤. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٤٣٨.

١ ـ حتمية المواجهة

إنّ كلّ حادثٍ غير سارّ يواجهه الإنسان يؤدّي إلى أفعال معيّنة تسمّى بالاستجابة، وفي الحقيقة فإنّ إحدى فلسفة وجود المشاكل والصعوبات التي تمرّ بالإنسان في حياته، هي معرفة ردود الأفعال والاستجابات الصادرة منه إزاء تلك الحوادث، وهذا ما يُعبّر عنه اصطلاحاً بـ«المواجهة».

وبعبارةٍ أُخرى، المواجهة: تعني قياس ردود أفعال الإنسان التي تصدر منه عند تعرّضه للمشاكل.

وممّا لا شكّ فيه أنّ جميع البشر يظهرون ردود أفعال مختلفة تجاه الأحداث غير السارّة، ولكنّ المهمّ هنا هو ردّ الفعل العقلائي المناسب لتلك الحادثة غير السارّة، وليس ردود الأفعال غير المناسبة كما في الجزع.

٢ ـ الجزع انفعال غير صحيح

يعتبر الجزع من أسرع الانفعالات وأكثرها شيوعاً في مواجهة الحوادث غير السارّة؛ لأنّ الطبع الأوّلي للإنسان هو الجزع. وأكدّ القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾[1].

وإظهار حالة الجزع لا يغيّر النظام الطبيعي لحياة الإنسان فقط، بل إنّه يخلّ بتوازنه أيضاً، وعدم الاتّزان هذا يمكن أن يظهر بمظهرين:

الأوّل: قيام الشخص بأعمال لم يكن يعملها في السابق.

الثاني: ترك بعض الأعمال التي كان يعملها.

٣ ـ نتائج الجزع

إنّ الانفعالات الصحيحة للحدث المحزن تكمن في المواجهة الإيجابية للمشاكل،

---

١. المعارج: ١٩ ـ ٢٠.

وذلك في السيطرة على الوضع النفسي وخلق حالة من الاتّزان الانفعالي لدى الشخص.

وبلاشكّ الجزع ليس له أيّ تأثير في تحسين الأوضاع، فلا يمكن استرداد ما فاته بالمصيبة عن طريق الجزع، وإطلاق العنان للعواطف تسيّر الإنسان كيفما شاءت.

وهذه الحقيقة نستظهرها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «الحزن والجزع لا يردّان الفائت»[1].

ويمكننا القول بأنّ الجزع له نتيجة معكوسة؛ لأنّه يزيد من ميزان المشاكل والاضطرابات النفسية، فالجزع لا يساعد على رفع المشاكل والتخلّص منها، بل إنّه يزيد في شدّتها وتأثيرها، قال الإمام علي عليه السلام في هذا المجال: «الجزع عند المصيبة أشدّ من المصيبة»[2].

وقد عدّ أمير المؤمنين عليه السلام الجزع سبباً في مضاعفة المصيبة، حيث قال: «المصيبة واحدة، وإن جزعت صارت اثنين»[3].

وفي هذا المجال قال الإمام الكاظم عليه السلام: «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان»[4].

ومن هنا يمكن أن نفهم أنّ الجزع يعتبر مصيبة بحدّ ذاته؛ لأنّ الجازع يحاول التخلّص من المصيبة بالجزع، فيتورّط بمصيبة أُخرى وهي الجزع، وإذا ما تغلّب الجزع على شخصية الإنسان، فإنّه لا يرى وجه الراحة أبداً.

ولذلك فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلى هذه الحالة التي تنتاب الإنسان ـ وهي عدم الراحة ـ بقوله: «من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة»[5].

ولهذا فإنّ العقل يحكم بأنّ على الإنسان إن يتحمّل القليل من المصاعب حتّى لا

---

١. *غرر الحكم*: ح١٤٦٩.

٢. المصدر السابق: ح١٥٦٢.

٣. *عيون المواعظ والحكم*: ص٢٦.

٤. *تحف العقول*: ص٤١٤.

٥. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٤، ص٣٥٥.

تتضاعف، وفي حديثٍ لأمير المؤمنين عليه السلام يحذّر فيه من الجزع ويبيّن أثره في مضاعفة المصائب، حيث قال عليه السلام: «لا تجزعوا من قليل ما أكرهكم، فيوقعكم ذلك في كثير ممّا تكرهون»[١].

ومن هنا فإنّ البلاء الذي يصيب الإنسان مهما كان صغيراً، فإنّه يكبر في مقابل الضغوط النفسية الناتجة عن الجزع، فالشخص الذي لا يمتلك القدرة على تحمّل المصاعب القليلة كيف له أن يتحمّل المصائب الناتجة عن الجزع.

ومن هذا المنطلق نرى الإمام الصادق عليه السلام يشير وبشكلٍ واضح إلى الضرر الذي يلحقه الجزع بالإنسان، فإنّه يوصله إلى الهلاك، يقول عليه السلام: «اتّقوا الله واصبروا، فإنّه من لم يصبر أهلكه الجزع»[٢].

الصبر أفضل طريق للمواجهة

ذكرنا أنّ الجزع ليس له تأثير في تخفيف المصيبة، بل هو يزيد في مقدارها، وعلى هذا الأساس فإنّ أفضل طريق لمواجهة المصاعب هو التحمّل والصبر، ولذا فإنّ الصبر خير سلاح لإبادة المصيبة، وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: «الجزع عند المصيبة يزيدها، والصبر عليها يبيدها»[٣].

فالصبر يخفّف الهموم الناشئة من البلاء؛ ولذلك فإنّ الإمام عليه السلام يوصي بالصبر للتخفيف من هموم المصاعب، حيث قال: «اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين»[٤].

وكذلك ورد في وصيّته عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفية حيث قال: «الق عنك واردات

---

١. *عيون المواعظ والحكم*: ص٥٢٣.

٢. *بحار الأنوار*: ج٦٨، ص٩٥، ح٥٨.

٣. *ميزان الحكمة*: ج١، ص٣٨٠.

٤. *نهج البلاغة*: الكتاب ٣١.

الهموم بعزائم الصبر، عوّد نفسك بالصبر، فنعم الخلق الصبر، واحملها على ما أصابك من أحوال الدنيا وهمومها»[١].

وللصبر دور كبير في التخفيف من وقع المحن والمصاعب، يقول الإمام علي عليه السلام: «بالصبر تخفّ المحنة»[٢].

ويمكن تشبيه الصبر بالدرع الذي يحتمي به الإنسان قبال الحوادث الصعبة والوقائع المؤلمة، فالصبر أفضل طريق للسلامة من حوادث الدهر.

ولذلك قال الإمام علي عليه السلام: «من أدرع جنّة الصبر هانت عليه النوائب»[٣].

كيف يكون الإنسان صبوراً

إذا سلّمنا بأنّ الصبر والتحمّل هما الأُسلوب الأمثل لمواجهة الحوادث المحزنة، إذاً ما هي الطرق والوسائل والأساليب التي إذا استخدمناها نعتبر صبورين؟ فإذا رجعنا إلى النصوص الدينية فإنّنا نكتشف أُصولاً ومبادئ للصبر يؤكّد عليها الشارع المقدّس، منها:

الأصل الأوّل: التسليم بوجود المصاعب وتقبّلها

لا يمكن أن نتصوّر أو نتوقّع وجود حياة ليس فيها مصائب ومتاعب؛ لأنّ المصائب جزء لا يتجزّأ من حياة الإنسان، وإنكارنا لها لا يغيّر من الواقع شيئاً.

قال الإمام علي عليه السلام: «الدهرُ يومان: يومٌ لك، ويومٌ عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر»[٤].

وعلى هذا الأساس لابدّ من التسليم بهذا الأصل، وألاّ نقف موقفاً سلبياً في وجه

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج ٤، ص٣٨٦، ح ٥٨٣٤.

٢. *عيون الحكم والمواعظ*: ص١٨٧.

٣. المصدر السابق: ص٤٦١.

٤. *بحار الأنوار*: ج ٧٠، ص ٨١، ح٤٣.

الابتلاءات والمصائب، بل يجب أن نقف بجانبها من خلال معايشتنا لها لحين نهايتها؛ لأنّ ذلك كفيل بالسيطرة عليها.

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه القضية بقولـه: «إنّ للنكبـات غايـات لابـدّ أن تنتهـي إليها، فإذا حكم على أحدكم بها فليطأطئ لها ويصبر حتّى تجوز، فإنّ إعمال الحيلـة فيهـا عند إقبالها زائد في مكروهه»[١].

يقول الأحنف بن قيس: ما سمعت بعـد كـلام رسـول الله صلى الله عليه وآله أحـسن مـن كـلام أميـر المؤمنين علي عليه السلام حيث قال: «إنّ للنكبات غايات لابدّ لأحد إذا نكب من أن ينتهي إليهـا، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتّى تنقضي مـدّتها فـإنّ فـي دفعهـا قبـل انقـضاء مدّتها زيادة في مكروهها. ويقول الإمام علي عليه السلام: إذا أتتك المحن فاقعد لها، فـإنّ قيامـك فيهـا زيادة لها»[٢].

الفارق بين الانفعال والتقبّل

ليس المقصود من تقبّل المصائب هو التسليم الانفعالي بمعنى العجز عن مجابهتها، بـل المقصود هو القبول الانفعالي الإيجابي المتحرّك الذي نعني به معايشة الأحداث ودراستها عن كثب، فإنّ أفضل طريق لمواجهة المصاعب هو التخطيط المناسب للخروج منها.

ويمكن القول أنّ أحسن عبارة تؤكّد هـذه الحقيقـة هـي قـول الإمـام علـي عليه السلام: «إيّـاك والجزع، فإنّه يقطع الأمل، ويضعف العمل، ويورث الهمّ، واعلم أنّ المخرج في أمرين: ما كانت فيه حيلة فالاحتيال، وما لم تكن فيه حيلة فالاصطبار»[٣].

وفي كلامٍ آخر له عليه السلام: «إذا نزل بك مكروه فانظر، فإن كان لك حيلة فلا تعجز، وإن لم يكن فيه حيلة فلا تجزع»[٤].

---

١. *التمحيص* للإسكافي: ص ٦٤، ح ١٤٧.

٢. *غرر الحكم*: ح ٤١٤٤.

٣. *دعائم الإسلام*: ج ١، ص ٢٢٣.

٤. *شرح نهج البلاغة* لابن أبي الحديد: ج ٢٠، ص ٣١٠، ح ٥٥٢.

الأصل الثاني: تفويض الأُمور إلى الله

من الأُمور المهمّة التي يجب على الإنسان الالتفات إليها هي معرفة مصدر ومنشأ الأحداث التي تمرّ به، وهذه المسألة لها دور مهمّ في تخفيف أو زيادة الاضطراب النفسي، وفي الحقيقة أنّ جميع الأُمور التي تسير وفق التقدير الإلهي من أحداث سارّة ومكروهة إنّما تقع تحت برنامج منظّم وهادف وحكيم، فعندما نعلم أنّ المصاعب والبلايا إنّما تسير وفقاً للتقدير والتخطيط الإلهي الحكيم والرحيم، فإنّ هذا الاعتقاد سوف يكون له دور مهمّ في تخفيف شدّة المصائب، وسيساعد على تحمّلها.

وقد ذكر القرآن الكريم إشارة لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١].

وهناك حادثة تؤكّد هذا المعنى، وهي: أنّ المسلمين في صدر الإسلام حينما واجهوا المصاعب، فرح المنافقون وطعنوهم من الخلف، وعندها خاطب الله سبحانه وتعالى المسلمين لتسكين نفوسهم، ولفت انتباههم إلى مسألة التقدير الإلهي، فقال على لسان نبيّه الكريم ﷺ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

وثمّة حادثة أُخرى تؤكّد هذا المعنى وهي: عندما وصل موكب الأسرى بعد معركة الطفّ إلى قصر يزيد بن معاوية في الشام، قال يزيد موجّهاً كلامه للإمام السجّاد عليه السلام: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٣].

فأجابه الإمام السجّاد عليه السلام: «كلاّ، ما نزلت هذه فينا، وإنّما نزلت فينا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن

١. الحديد: ٢٢ ـ ٢٣.

٢. التوبة: ٥١.

٣. الشورى: ٣٠.

مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾، ثمَّ قال السجّاد عليه السلام: فنحن الذين لا نأسوا على ما فاتنا من أمرِ الدنيا، ولا نفرح بما أوتينا»[1].

وقد استدلّت فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام بنفس الاستدلال حينما كانت في الكوفة أثناء مواجهتها للجلاّد عبيد الله بن زياد وقد شمت بهم، فقالت: فلا تدعوكم نفوسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتابٍ من قبل أن نبرأها: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾.[2]

وممّا تقدّم يمكننا أن نصل إلى نتيجة، وهي: إنّنا إذا علمنا بأنّ الله سبحانه وتعالىٰ هو مولانا في جميع الأحوال، وإنّ ما يصيبنا ليس خارجاً عن إرادته وقدرته جلّ شأنه، فيكون من السهل أن نتحمّل المصائب والآلام التي تواجهنا. وهذا التحمّل والصبر يرتبط بالعلم.

ولذلك قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «من حمل الأمر على القضاء استراح»[3].

وقال في حديثٍ آخر: «الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن»[4].

فإذا وُجد الاعتقاد بالتقدير الإلهي فلا مكان للحزن والغمّ، ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن كان كلّ شيء بقضاءٍ من الله وقدره، فالحزن لماذا؟»[5].

---

١. *تفسير القمّي*: ج٢، ص٢٧٧.

٢. *الملهوف على قتلى الطفوف*: ص٨٩؛ *بحار الأنوار*: ج٤٥، ص١١١.

٣. *الفردوس*: ج٢، ص٤١٧، ح٣٨٥٠، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. *ميزان الحكمة*: ج٣، ص٢٥٠٥.

٥. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٤، ص٣٩٣، ح٥٨٣٦.

الأصل الثالث: تفسير البلايا والمحن

كلّ مكروه هو اختبار وامتحان للإنسان، وهذا الاختبار والامتحان له تأثير على التوتّر النفسي الناتج من الحوادث التي يواجهها، فإذا قيّمنا المكروه بصورةٍ إيجابية، بمعنى أنّ البلاء هو امتحان واختبار يُراد منه رفع الروح المعنوية للإنسان في الدنيا والثواب بالآخرة، فإنّ هذا التقييم سيكون له دور إيجابي في تحمّل المصائب، أمّا إذا قيّمناه بشكلٍ سلبي، بمعنى أنّ البلاء إهانة للإنسان، فسوف ينعكس ذلك على العجز في مواجهته.

وعلى هذا الأساس، أنّنا نظهر استجابة للحوادث طبقاً لكيفية تفسيرها من قبلنا.

وبعبارةٍ أُخرى: فإنّ تفسيرنا للبلايا والمصائب التي تقع في حياتنا هو الذي يزيد أو يخفّف من وقع المصائب، أي أنّ السيطرة على الانفعالات التي تخلفها الحوادث غير السارّة هي فيمن يفسّرها ويقيمها.

إنّ النقطة المهمّة في الرؤية الدينية هي انسجام التفسير مع الواقع؛ لأنّ الدين لا يقبل التفسير الخيالي وغير الواقعي، حتّى ولو أدّى ذلك إلى تخفيف الضغوط النفسية، ومثال ذلك الشخص الذي يتعاطى المواد المخدّرة يعتقد بأنّها تزيل أو تخفّف عنه الضغوط النفسية، ولكنّه سرعان ما ينهار نفسياً بمجرّد زوال أثرها من البدن، ولا يتحمّل ما في الواقع من المصائب. ومن هذا المثال تظهر الرؤية الخيالية وتعارضها مع الواقع، وكما أنّها ليست الحلّ الواقعي الذي ينسجم مع مشاكل الحياة.

ولكنّ النصوص الدينية ترشدنا إلى عملية التفسير الواقعي للأحداث التي تواجهنا، وهي تسعى أن يكون تقييمنا للأُمور واقعياً، وبالتالي يكون تأثيره ثابتاً ومحكماً.

النظرة السلبية وزيادة المتاعب

ورد في القرآن الكريم: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[1].

١. الفجر: ١٥ ـ ١٦.

إنّ ما يؤدّي إلى شدّة الاضطراب الروحي وزيادة المتاعب هو التفسير الخاطئ للأحداث في معنى البلاء، وهو أن يصبح تقييمنا لهذه الأحداث سلبيّاً، بمعنى اعتبار البلاء إهانة من الله للإنسان، سبحانه وتعالىٰ عمّا يصفون، من حيث تقتير الرزق عليه، وهذا يعني زيادة الألم والمشقّة.

فهل أنّ مثل هذا التقييم يكون صحيحاً؟ وهل أنّ معنى البلاء يعتبر إهانة للإنسان من الله سبحانه وتعالى؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أترى الله أعطى مَن أعطى مِن كرامته عليه، ومنع مَن منع مِن هوانٍ به عليه؟ لا، ولكنّ المالَ مال الله**»[1].

ونُقل عن الإمام الكاظم عليه السلام «**إنّ الله سبحانه وتعالى يقول: إنّي لم أُغنِ الغني لكرامةٍ به عليَّ، ولم أُفقر الفقير لهوانٍ به عليَّ**»[2].

النظرة الواقعية للبلايا

نورد فيما يلي بعض الأمثلة التي تبيّن لنا التفسير الواقعي للمكاره:

١ ـ كانت وجوه أصحاب الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء تتلألأ بشراً، وكانوا أكثر نشاطاً، قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «**لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم؛ لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم، ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعض لبعض: انظروا، لا يبالي بالموت. فقال لهم الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من**

---

١. *تفسير العيّاشي*: ج٢، ص١٣، ح٢٣؛ *بحار الأنوار*: ج٧٢، ص٣٠٥، ح٦.

٢. *الكافي*: ج٢، ص٢٦٥،ح ٢٠؛ *مشكاة الأنوار*: ٥٠١.

سجنٍ إلى قصر؟ وما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصرٍ إلى سجنٍ وعذاب»[١].

ومن هذا المثال يمكننا أن نستخلص أنّ سبب التوتّر النفسيِ الذي حدث عند البعض هو نتيجة الخوف من الموت، وأنّ الذي جعل القتل والموت عاملاً في اضطرابهم هو التفسير الخاطئ للموت، في حين نلاحظ أنّ الذي جعل أصحاب الإمام الحسينعليه السلام مقاومين وصبورين، وحرّرهم من الاضطرابات النفسية هو التفسير الواقعي الذي عرضه الإمام الحسينعليه السلام بقوله: «**صبراً بني الكرام فما الموت إلاّ قنطرة**».

٢ ـ كانت زينبعليها السلام مثالاً للصبر والمقاومة، فقد وقفت قبال المشاكل والمصائب ولم تستسلم لها، فلم تستسلم للأعداء ولا للبلاء، بل على العكس هي التي أجبرت البلاء والعدوّ على الركوع، وسرّ هذا التحمّل هو الفهم الصحيح للبلاء.

فعندما خاطبها عبيد الله بن زياد قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: «**ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتُخاصم**»[٢].

وسؤال عبيد الله هو تقييم خاطئ للبلاء، ولم يكن يتوقّع مثل هذا الردّ من قبل زينبعليها السلام، أمّا لماذا تكون هذه الحادثة المُرّة (عاشوراء) جميلة عند زينبعليها السلام، فهو موضوع ليس محلّ البحث عنه هنا، ولكنّ البحث المهمّ هو الدور الذي يلعبه تقييم الحوادث في تخفيف الاضطرابات النفسية وزيادة القدرة على الصبر والتحمّل.

٣ ـ يشعر الإنسان بالتعلّق بما يملكه، وفقدانه للمال والأحبّة يجعله غير راضٍ، وهذا هو الشعور بالتعلّق. إن مفارقة الإنسان كل ما يحبه ويرغب فيه يولد عنده الاضطراب والألم، ويسبّب الجزع والشكوى عند فقدان ما يتعلّق به الإنسان؛ فهو يتصور بأنّ قدرة قاهرة سلبت منه هذه الأمور.

---

١. *معاني الأخبار*: ص٢٨٨ ـ ٢٨٩، ح٣؛ *بحار الأنوار*: ج٦، ص١٥٤.

٢. *بحار الأنوار*: ج٤٥، ص١١٥ ـ ١١٦.

إن كثير من الناس يجزع عند المصائب ويشكو الله، ويقول قولاً غير لائق بحقّه سبحان الله عمّا يصفون، ويتخيّل بأنّ الله سبحانه وتعالى قد سلبه بالقوّة حقّاً من حقوقه، وهو ما لا يجب أن يحدث.

ولكن هل أنّ هذا هو الواقع؟ فهل ما أُخذ منّا ملك لنا، أو أنّه كان أمانة ثمّ استُرجع؟ يدور الكلام حول هذه النقطة، نملكه أو أمانة؟ أُخذ أو استُرجع؟ وفي الحقيقة أنّ جميع ما في السماوات والأرض يرجع إلىٰ الله سبحانه وتعالى، وما في أيدينا هو أمانة من قبله تعالى.

قال الإمام علي عليه السلام: «**المال عارية**»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**المال مال الله**(عزّ وجلّ) **جعله ودائع عند خلقه**»[2].

فإذا اعتبر الإنسان المال أمانة في يده وأنّه لابدّ أن يُسترجع يوماً ما، وأنّ الآخذ هو المالك الأصلي للمال، فلا يمكن أن يشعر بالغمّ والحزن لفقده.

روي إنّه حُمل لأبي جعفر الثاني عليه السلام حمل بزّ له قيمة كثيرة، فسُلّ في الطريق، فكتب إليه الذي حمله يُعرّفه الخبر، فوقّع بخطّه: «**إنّ أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة، يُمتّع بما متّع منها في سُرورٍ وغبطةٍ، ويأخذ ما أخذ منها في أجرٍ وحِسبةٍ**»[3].

وهذا الكلام الصادر عن الإمام عليه السلام يكشف عن الحقيقة، وفي الواقع فإنّ الإيمان بأنّ ما تحت أيدينا أمانة يُبيّن اعتقاد الإمام بهذه الحقيقة.

وقال عليه السلام: «**فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره، ونعوذ بالله من ذلك**»[4].

---

١. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٦١.

٢. *أعلام الدين*: ص٢٦٩.

٣. *بحار الأنوار*: ج٥٠، ص١٠٣، ح١٧.

٤. *تحف العقول*: ص٤٥٦.

إنّ كون الإنسان أميناً لا يختصّ بالمال المصطلح عليه، بل كلّ ما يُنسب إلى الإنسان، سواء كان مالاً أو ولداً أو نفساً. والشخص الذي فقد ولداً من أولاده هو في الحقيقة يردّ الأمانة إلى الله سبحانه.

روي أنّ أحد الصحابة فَقَدَ ولداً له في عهد رسول الله، وجزع عليه جزعاً شديداً، فبعث له الرسول صلى الله عليه وآله رسالة يُعَزّيه بابنه، فقال: «**فقد بلغني جزعك على ولدك الذي قضى الله عليه، وإنّما كان ابنك من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة عندك، فمتّعك الله به إلى أجلٍ وقبضه لوقتٍ معلوم، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون**»[1].

إنّ الإيمان بكون المال أمانة عند الشخص يحفظ الإنسان تجاه الأحداث الصعبة.

روي إنّه كان لأبي طلحة ولداً وكان يحبّه حبّاً شديداً، فمرض، فخافت أُمّ سُليم (زوجة أبي طلحة) على أبي طلحة الجزع حين قَرُبَ موت الولد، فبعثته إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلمّا خرج أبو طلحة من داره توفّي الولد، فسجّته أُم سُليم بثوبٍ وعزلته في ناحية من البيت، ثمّ تقدّمت إلى أهل بيتها وقالت لهم: لا تُخبروا أبا طلحة بشيءٍ، ثمّ إنّها صنعت طعاماً، ثمّ مسّت شيئاً من الطيب، فجاء أبو طلحة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ما فعل ابني؟ فقالت له: هدأت نفسه، ثمّ قال: هل لنا ما نأكل؟ فقامت فقرّبت إليه الطعام، ثمّ تعرّضت له، فوقع عليها، فلمّا اطمأنّ، قالت له: يا أبا طلحة، أتغضب من وديعة كانت عندنا فرددناها إلى أهلها؟ فقال: سبحان الله، لا، فقالت: ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال أبو طلحة: فأنا أحقُّ بالصبر منك. ثمّ قام من مكانه فاغتسل، وصلّى ركعتين، ثم انطلق إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره بصنيعها[2].

---

١. *تحف العقول*: ٥٩.
٢. *مسكّن الفؤاد*: ص٦٩.

الأصل الرابع: الاستعانة وتقوية القدرة

أصل خلقة الإنسان في وضعه الطبيعي مزوّد بقدرة نفسية محدودة، يحتاجها عند ممارسة حياته اليومية من عملٍ وكتابة وغيرها من الأُمور التي تعتمد على تلك القدرة، وفي الحوادث الطارئة يحتاج قدرة إضافية جديدة إلى قدرته الطبيعية، ولكن بروز الحوادث الطارئة في حياة الإنسان تؤدّي إلى تقليل تلك القدرة؛ ولذلك يحتاج إلى قدرة إضافية جديدة وهي القدرة الوضعية الجديدة، يستطيع من خلالها سدّ النقص الحاصل في قدرته النفسية الطبيعة لمواجهة الحوادث، حتّى يصبح إنساناً ناجحاً في حياته.

وبعبارة أُخرى، النوائب التي تقع في حياة الإنسان تسبّب له زيادة الضغوط النفسية الناتجة عن تقليل القدرة النفسية المؤدّية إلى الجزع.

وعلى هذا الأساس، فإنّ إقرار التوازن بين القدرة النفسية الطبيعة والوضعية الجديدة في البلايا، من أُصول النجاح والتوفيق في مجال السيطرة على الجزع والحيلولة دون وقوعه. فالكثير من الفشل والخيبة ناشئ من عدم إقرار التوازن بين القدرة النفسية والوضعية المؤدّية إلى تقوية القوّة النفسية. ومن أهمّ المصادر الأساسية لهذه القدرة الجديدة هو الاستعانة بالصيام، والصلاة، والدعاء، والتوكّل.

الاستعانة بالصوم والصلاة والدعاء

ذكر القرآن الكريم الصبر والصلاة بصرامة باعتبارهما مصدرين مهمّين للاستعانة، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1]. جاء في تفسير هذه الآية: إنَّ المراد من الصبر هو «الصوم».

ورغم أنّ بحث الصيام يحتاج إلى فرصة مناسبة للدراسة، ولكن باختصار يمكن القول إنّ الصوم يزيد من قدرة الإنسان؛ لأنّ الصائم يترك باختياره الكثير من الأُمور المرغوبة ذائقاً طعم الحرمان، وهو من التمارين المهمّة لزيادة القدرة على الصبر، إضافة إلى أنّ

---

١. البقرة: ١٥٣.

الصائم يصبح محلّ عناية الله سبحانه وتعالى، وهو ما يزيد من قدرته على المقاومة.

ومن الأُمور التي تؤدّي إلى تقوية القدرة هي الصلاة، فإنّ الصلاة تؤسّس علاقة مع الله تعالى القادر الرحيم، وهو ما يجعل الإنسان صلباً مقاوماً تجاه الحوادث.

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يلجأ إلى الصلاة كلّما واجهه أمر، ففي الحديث: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة**»[1].

وورد في نقلٍ آخر: «**كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا حزنه أمر استعان بالصوم والصلاة**»[2].

ونفس هذا الأمر ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام. روي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان علي عليه السلام إذا هاله شيءٌ فزع إلى الصلاة، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾**»[3].

لِما للصلاة من دورٍ مهمّ واستثنائي في تقوية روحية الإنسان قبال المشاكل.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**اتّخذ مسجداً في بيتك، فإذا خفت شيئاً فالبس ثوبين غليظين من أغلظ ثيابك، وصلّ فيهما، ثمّ أجث على ركبتيك فاصرخ إلى الله واسأله الجنّة، وتعوّذ بالله من شرّ الذي تخافه، وإيّاك أن يسمع الله منك كلمة بغي وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك**»[4].

ومن الأُمور التي تقوّي القدرة، الدعاء، حيث نقل الإمام الصادق عليه السلام عن سيرة آبائه العطرة، فقال: «**كان أبي إذا حَزَنه أمر جمع النساء والصبيان، ثمّ دعا وأمّنوا**»[5].

---

١. *سنن النبيّ* للطباطبائي: ١٣٢.

٢. المصدر السابق: ص٢٥١.

٣. *الكافي*: ج٣، ص٤٨٠، ح١.

٤. المصدر السابق: ح٢.

٥. *الكافي*: ج٢، ص٤٨٧، ح٣.

الأصل الخامس: الاتّكال على مصدر القوّة والحكمة

الاتّكال على مصدر القوّة يعتبر عاملاً من عوامل زيادة القدرة على التحمّل؛ لأنّ ذلك يعني الاعتماد على تلك القدرة، والاستمداد من القوّة الإلهيّة، وهو ما يزيد من قدرة العبد، ويُشعره بالمزيد من الإحساس بالقوّة، ثمّ إنّ الاعتماد على ذلك المصدر (الله سبحانه وتعالى) يجعل الإنسان تحت حماية ورعاية صاحب تلك القوّة اللاّمتناهية، وهذا ما يطلق عليه بـ «التوكّل».

قال تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1].

قال الرسول صلى الله عليه وآله حول دور التوكّل في زيادة قدرة الإنسان: «**من أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله**»[2].

وقد علّم الله سبحانه وتعالىٰ رسوله هذا الأصل عندما كان الرسول صلى الله عليه وآله يواجه أعباء الدعوة، فقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

وعندما رُمي إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق، تلقّاه جبرئيل في الهواء فقال له: «**هل لك من حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل**»[4].

فإذا ما حمل الإنسان مثل هذا التصوّر عن الله سبحانه وتعالى، فسوف يكون صامداً قويّاً عند أعتى المصائب، وهذه هي إحدى أساليب المعرفة التي تبتني على الواقع. وعند الالتفات إلى هذه المسألة، أي أنّ الله سبحانه وتعالى مع الإنسان في جميع الظروف والأحوال، فإنّ الله يغيثه إذا ما دعاه، ويجيبه عند الحاجة، وهذا الأمر ليس كفيلاً برفع

١. البقرة: ١٦٥.
٢. *بحار الأنوار*: ج٦٨، ص١٥١، ح٥١.
٣. التوبة: ١٢٩.
٤. *مستدرك سفينة البحار*: ج١٠، ص٤٢٨.

التوتّرات والضغوط النفسية فحسب، بل يزيد من قدرة الإنسان على المواجهة والتحدّي.

ولذلك قال الإمام علي عليه السلام: «**من توكّل لم يهتمّ**»[١].

الأصل السادس: استشعار المعيّة الإلهيّة

قد يتصوّر الإنسان خطأً أنّه يخرج من حماية الله ورعايته عند اشتداد المشاكل وبروز المصاعب، وهو ما يؤدّي إلى الإحساس بالوحدة، ومن يحمل مثل هذا التصوّر عن الله سبحانه وتعالى سوف يواجه سيلاً من المشاكل وحيداً دون نصير، مّما يؤدّي إلى اليأس وخيبة الأمل، وبالتالي زيادة الاضطرابات والتوتّرات النفسيّة.

والواقع أنّ معيّة الله سبحانه وتعالى لا تفارق الإنسان أبداً، والاعتقاد بهذه الحقيقة تمنحه الأمل، والتفاؤل، فعندما يدرك الإنسان أنّ الله سبحانه وتعالى قريب منه وليس ببعيد، بل هو أقرب إليه من حبل الوريد، مراقب له محيط به، يجيبه إذا دعاه ويغيثه إذا ما استغاثه، يسمع آهاته وأنّاته، فإنّ الإنسان سوف يشعر براحة البال والطمأنينة والسكون.

وفي قضية إبراهيم عليه السلام ما يشير إلى هذا المعنى، فعندما استقبله جبرئيل عليه السلام في الهواء حينما رموه بالمنجنيق، وعرض عليه المساعدة، قال له: «**حسبي الله ونعم الوكيل. وبعد ذلك استقبله ميكائيل عليه السلام فقال: إن أردت أخمدت النار، فإنّ خزائن الأمطار والمياه بيدي، فقال له إبراهيم عليه السلام: لا أُريد، قال له جبرئيل: فاسأل الله، فقال: حسبي مِن سؤالي علمُهُ بحالي**»[٢].

وهناك قصص مثيرة للاهتمام تشير إلى معيّة الله للإنسان وخصوصاً في وقت الشدّة، والقرآن عندما يوصي الإنسان بأن يتذرّع بالصبر، فإنه يذكّره بمعيّة الله سبحانه وتعالى له، وهو ما يكون مدعاة لقوّة القلب وزيادة القدرة على الصبر والتحمّل، يقول الله في محكم

١. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٤٢٩.

٢. *بحار الأنوار*: ج٦٨، ص١٥٦،ح ٧٠.

كتابه: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١].

عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة واختبأ في غار حرّاء، استولى الخوف والقلق على أبي بكر، وعند ذلك أشار رسول الله ﷺ إلى هذه المسألة، أي معيّة الله لهما؛ لكي يهدّئ روع صاحبه، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[٢].

في أثناء تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله، وعندما كان رسول الله ﷺ يواجه بعض المشاكل وتشتد عليه المحن، كان الله سبحانه وتعالى يذكّره بمعيّته له وعنايته به، حتّى يُهدّئ من روعه ويربط على قلبه، ويقوّي من عزيمته وقدرته على الصمود والتحدّي، قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[٣].

تأمّلوا قليلاً كيف تحمّل سيّد الشهداء ذبح الطفل الرضيع وهو في حجره، تقول الرواية: إنّ السهم عندما نبت في رقبة الطفل تلقّى الحسين عليه السلام دمه الطاهر حتّى امتلأت كفّه، ثمّ رمى به نحو السماء، قائلاً: «**هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله**»[٤].

وللإمام الحسين عليه السلام دعاء عميق المعنى، له تأثير كبير وقت اشتداد المصاعب والمحن، وبالتأكيد فإنّ الدعاء ليس مجرّد كلمات تُتلى، بل كلّ دعاء يتّبع منطقاً معيّناً، وهذا ما يخلق الدعاء ويعطيه قيمته، ودعاء الإمام الحسين ينطبق على الأصل الذي ذكرناه، وهو أصل المعيّة الإلهيّة

قال الإمام عليه السلام: «**يا عدّتي عند شدّتي، ويا غوثي عند كربتي، فاحرسني بعينك**

---

١. الأنفال: ٤٦.

٢. التوبة: ٤٠.

٣. النحل: ١٢٧ ـ ١٢٨.

٤. *بحار الأنوار*: ج٤٥، ص٤٦.

التي لا تنام، واكفني بركنك الذي لا يُرام»[١].

ورد في الأثر أنّ الإمام الكاظمعليه السلام أُحضر يوماً إلى الرشيد وكان غاضباً عليه، وعندما خرج الإمام من عند مجلس الرشيد سالماً معافى، سأله من كان حاضراً: ما الذي قلت حتّى كُفيت أمر الرشيد؟ فقال الإمامعليه السلام: «**دعاء جدّي عليّ بن أبي طالب**عليه السلام»[٢]. قال الربيع ـ وهو راوي هذه الحادثة ـ: والله ما دعوت بهذا الدعاء إلاّ وقد فُرّج عني.

الأصل السابع: انتظار الفرج

يظنّ بعض الناس عند نزول البلاء واشتداده أنّه سوف يستمرّ ويدوم، ولهذه الحالة السلبية نتيجتان:

الأُولى: هي تعميم الأحداث غير السارّة للمستقبل.

الثانية: تراكم الهمّ والغمّ في الحاضر، وهو ما ينتهي إلى العُقد والضغوط النفسية، في حين أنّ أحد الأُصول القطعية للبلاء هي قابليتها للانتهاء، صحيح أنّ البلاء لا يرجع إذا ما وقع، ولكنّه له غاية ونهاية ينفرج بعدها.

قال الإمام عليعليه السلام: «إنّ للمحن غايات، وللغايات نهايات، فاصبروا لها حتّى تبلغ نهايتها»[٣].

روي أنّ الرسولصلى الله عليه وآله كان جالساً وحياله حِجر فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر، لجاء اليسر حتّى يدخل عليه فيُخرجه»[٤].

وهناك من قال: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله تلا بعد ذلك الآية: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ

---

١. *روضة الواعظين*: ص٢٠٩؛ *كشف الغمّة*: ج٢، ص٣٧٢.

٢. *عيون أخبار الرضا*عليه السلام: ج٢، ص٧٦.

٣. *عيون الحكم والمواعظ*: ص١٥٧.

٤. *الدرّ المنثور*: ج٦، ص٣٦٤؛ *كنز العمّال*: ج٢، ص١٤، ح٢٩٤٧.

ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١].

يتبيّن مّما سبق بيانه معنى انتظار الفرج؛ لأنّ المحن إذا كانت لها غايات تنتهي عندها، فلابدّ من انتظار الفرج، وهذه المسألة لها دور كبير في أن يصبح الإنسان متفائلاً؛ لأنّ الذي يعتقد أنّ البلاء سوف يستمرّ وأنّه غير قابل للانفراج يوماً ما، سوف ينتهي به الحال إلى الإحباط واليأس، والإحباط عامل مهمّ ومؤثّر في زيادة العقد والتوتّر النفسي.

قال الإمام الصادقعليه السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج»[٢]. لذلك يمكن اعتبار اليأس من أكبر أسباب العقد، ومن هنا فإنّ الوصول إلى مرحلة انتظار الفرج الذي هو علامة على إحياء روح الأمل يُعتبر من أكبر أسباب الراحة. قال الإمام عليعليه السلام: «توقّع الفرج إحدى الراحتين»[٣].

فإذا أدركنا أنّ المصاعب والبلايا مؤقّتة بزمانٍ معيّنٍ، وتوقّعنا الفرج في كُلّ ساعة، فإنّ ذلك يزيد من القدرة على التحمّل والصبر، ويقلّل من الضغوط النفسية، ولذلك فإنّ الأئمّةعليهم السلام يوصون أصحابهم دائماً بهذا الأصل ويذكّرونهم به. قال محمّد بن عجلان: كنت عند الإمام الصادقعليه السلام، فشكا إليه رجل الحاجة، فقالعليه السلام له: «اصبر، فإنّ الله سيجعل لك فرجاً»[٤].

الأصل الثامن: التفاؤل (النظرة الإيجابية)

إنّ نظر الإنسان إلى الحياة نظرة معتمة متشائمة، يجعل حياته ثقيلة غير قابلة للتحمّل، فعندما يقع الشخص في مصيبةٍ من المصائب، فإنّه يحاول **إمّا** سحبها للماضي وتعميمها على المستقبل، **أو** الانشغال بتلك المصيبة وتركيز جميع مشاعره عليها، بحيث تصبح أكبر

١. الانشراح: ٥ ـ ٦.

٢. *الاحتجاج*: ج٢، ص٥٠.

٣. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٢٠٠.

٤. *الكافي*: ج٢، ص٢٥٠، ح ٦.

همّه، وهذا ما يُطلق عليه حالة (التمركز)، وفي تلك الحالة لا تبقى لهذا الإنسان نقطة إيجابية يتفاءل بها، وعندها يفقد الأمل ويُصاب بالضجر والإحباط.

فإذا رافقت السرور الأُمور غير الملائمة التي تحدث للإنسان، فإنّ ذلك يؤدّي إلى تغيّر الوضع المسبّب للاضطرابات، ممّا يؤدّي إلى عدم تحمّل الشدائد، وينتج عنه النظر إلى البلاء وكأنّه شيء دائم ومستمرّ، وفي تلك الحالة فإنّ الإنسان سوف يشعر بأنّه مقيّد بقيد مظلم مخيف لا يترك له مجال للحركة والتنفّس، في حين أنّه من الممكن أن تكون هناك نقاط إيجابية مضيئة، ولكنّها غير مُدركة له، ولا يلتفت إليها، حيث تجعل للحياة طعماً خاصّاً ويهبها الهدوء والطمأنينة، وهي متوقّفة على إدراك تلك النقاط المضيئة والالتفات إليها.

ومن هذا المنطلق، فإذا اُبتلي الإنسان ببعض المشاكل، وأصبح فكره متمركزاً على تلك المشاكل، وحاول تعميمها للماضي والمستقبل، فإنّ أفضل حلٍّ وطريقة لتعديل هذه الحالة هي النظرة الإيجابية المتفائلة، تلك النظرة التي يحاول فيها الإنسان أن يصوّب نظرته نحو الجانب المتفائل، بدلاً من التركيز على المشاكل، وعند ذلك فإنّ بعض العوامل المؤثّرة في النشاط والسرور سوف تدخل مجال الفضاء النفسي للشخص، فتقلّل من حدّة الألم والعذاب.

التفاؤل والأوهام أو النزعة الواقعية

هنالك نهجان للتفاؤل، أحدهما: خيالي، والآخر: إيجابي واقعي.

الخيالي: المراد منه إيجاد القصص المسلّية الخيالية، والخادعة بالدعوات البرّاقة، من دون العمل على مواجهة المشاكل الواقعية التي فيها جوانب مضيئة مشرقة، فيبقى الإنسان حينئذٍ يعيش حالة التقوقع والعتمة. بمعنى أن يخلق الإنسان لنفسه عالم من الخيال والوهم المتمثّل بالأُسطورة، بعيداً عن واقع الحياة، وبمجرّد زوال المؤثّر ينهار نفسياً، وإن كان يقلّل من الضغوط النفسية ويعتبر إيجابي، ولكن تأثيره آني ومؤقّت، كشارب الهيروئين.

الإيجابي الواقعي: المراد منه مواجهة المشاكل الواقعية على طريقة اكتشاف الجوانب

المضيئة للحياة، وعدم الاستسلام لكثرة المشاكل. إذ ليس المراد من النظرة الإيجابية هو الخيال الإيجابي؛ لأنّ الخيال ليس له رصيد من الواقع، فهو خداع قليل التأثير.

فالمنهج الذي يوصي به الدين في هذا الباب لا يبتني على الخيال، فالنظرة الواقعية للدين تعتمد على كشف الواقع السارّ؛ لأنّ الدين لا يريد أن يسوق الإنسان نحو القصص والمسرّات الخيالية، ويخدعه بالوعود البرّاقة، بل يريد أن يساعد الإنسان على اكتشاف الجانب المشرق الموجود في حياته، وأن يحضّرها جنباً إلى جنب مع جلّ المشاكل التي تعترضه، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه: النظرة الإيجابية الواقعية.

أمثلة:

١ ـ قال الإمام الصادق‏عليه السلام: «لا خير في عبدٍ شكا من محنة تقدّمها آلاف نعمة وأتبعها آلاف راحة»[١].

٢ ـ روي أنّ رجلاً من التجّار كان يختلف إلى جعفر بن محمّدعليه السلام، فتغيّرت حاله، فجعل يشكو إلى الإمام‏عليه السلام، فقال له:

ولا تجزع وإن أُعسرت يوماً   فقد أُيسرت في زمنٍ طويل

فلا تيأس فإنّ اليأس كفر   لعلّ الله يغني عن قليل[٢]

٣ ـ روي عن أبي هاشم الجعفري أنّه قال: أصابتني ضيقة شديدة، فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمّدعليه السلام، فاستأذنت عليه فأذن لي، فلمّا جلست، قال: «يا أبا هاشم، أيّ نعم الله عزّ وجلّ عليك تريد أن تؤدّي شكرها؟ قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدرِ ما أقول له، فابتدأني‏عليه السلام فقال: إنّ الله عزّ وجلّ رزقك الإيمان فحرّم بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذّل»[٣].

---

١. *بحار الأنوار*: ج٦٤، ص٢٣٢، ح٤٧.
٢. *كشف الغمّة*: ج٢، ص٣٧٥؛ *بحار الأنوار*: ج٧٥، ص٢٠٣، ح٣٦.
٣. *كتاب من لا يحضره الفقيه*: ج٤، ص٤٠١، ح٥٨٦٣.

٤ ـ قال الإمام علي عليه السلام: «إذا طلبت شيئاً من الدنيا فزُوي عنك، فاذكر ما خصّك الله به من دينك وصرفه عن غيرك، فإنّ ذلك أحرى أن تستحقّ بما فاتك»[1].

الأصل التاسع: الالتفات إلى ثواب المصائب

البلاء عامّ وشامل يصيب أهل الشقاء وأهل الإيمان، فأمّا أهل الشقاء فيشعرون بالعذاب والألم غير المنتج، فيوّلد الاضطراب النفسي عندهم، ويؤدّي إلى الشقاء، هذا إذا قيّمنا الأحداث غير السارّة والبلايا بأن ليس لها أيّ أجر ولا ثواب، فلا يمكن تحمّلها في مثل هذه الحالة، وهذه من التصوّرات الخاطئة التي يحملها بعض الناس من أنّ المصائب لا ثواب لها. وهذا التقييم يؤدّي إلى زيادة الضغوط والتوتّرات النفسية.

أما إذا قيّمنا البلايا بأنّ لها أجراً وثواباً، فسوف تجدهم يشعرون بالحياة ويزدادون صبراً وتحمّلاً لها، والنتيجة هي التقليل من الضغوط النفسية. فعليه، اعتبار البلاء له أجر وثواب من الأُصول الإسلاميّة المسلّمة، ولكنّ المهمّ في هذه المسألة أنّ هذا الأمر يؤدّي إلى التقليل من التوتّر النفسي.

أي إنّ الالتفات إلى هذه المسألة والإيمان بها يؤدّي إلى تخفيف الاضطراب النفسي، فعندما يؤمن الإنسان بأنّ مع كلّ مصيبة يُصاب بها ثواب يُثاب عليه، فمن السهل عليه تحمّلها؛ لأنّ الإنسان مستعدّ لتحمّل المصاعب لنيل منافع أكبر، وهناك قسم كبير من نصوص القرآن والسنّة تتحدّث عن ثواب الصابرين.

قال الرسول صلى الله عليه وآله في هذا المجال: «لو تعلمون ما ذُخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم»[2].

وروى عبد الله بن أبي يعفور، قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع، فقال لي: «يا عبد الله، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب، لتمنّى أنه قُرِّض

١. *بحار الأنوار*: ج٧٠، ص٨١، ح٤٣.
٢. *مسند أحمد*: ج٤، ص١٢٨.

بالمقاريض»[١].

قال الإمام عليّ عليه السلام يعزّي الأشعث عن ابنٍ لـه: «يـا أشـعث، إن تحـزن علـى ابنـك فقـد استحقّت ذلك منك الرحمُ، وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبة خلف»[٢].

وعندما رحـل رسـول الله صلى الله عليه وآله إلـى جـوار ربّـه، قـال الإمـام علـي عليه السلام: «إنّـا لله وإنّـا إليـه راجعون، يا لها من مصيبة خصّت الأقربين وعمّت المؤمنين...».

عندما دُفن رسول الله صلى الله عليه وآله سمعوا منادياً من السماء يُعزّيهم بوفاته، ورد في قسم من هذا العزاء: إنّ في الله خلفٌ من كُلّ ذاهب، وعزاءٌ من كلّ مـصيبة، ودركـاً مـن كـلّ مـا فـات، فبالله ثقوا، وعليه توكّلوا، وإيّاه فارجوا، إنّما المصاب من حرم الثواب»[٣].

الأصل العاشر: توزيع البلايا والمصائب

عند ورود المصائب والبلايا فإنّ بعـض النـاس يعمّمـون الـبلاء الحاضـر إلـى الماضـي والمستقبل، فيجعل هـمّ الماضـي والمـستقبل علـى الحاضـر (تجميـع العقـد وسـحبها إلـى الحاضر)، وأنّ إحياء وإعادة الهموم الماضية وسحبها إلـى الـزمن الحاضـر يجعـل الإنـسان يتجرّع غصص البلوى مضاعفةً، ويصبح الإنسان قلقاً تجاه الأحداث والآلام غير الآتية، أي يجعل الإنسان يقاسي الألم الذي لـم يحـدث بعـد. ومـن البـديهي فـإنّ ذلـك يـؤدّي إلـى الضغوط النفسية، في حين أنّ الحياة هي لحظة الحاضر، وألـم الحـوادث المـرّة يجـب ألاّ يجرّبها الشخص أكثر من مرّة، ومن الطبيعي أنّ تلك الحوادث تـسبّب قلقـاً وتـوتّراً نفـسياً، ولكنّ الشيء غير الطبيعي هو تكرار تلك الآلام عدّة مرّات.

قال الإمام علي عليه السلام: «أو لا ترى أنّ الـدنيا سـاعة بـين سـاعتين، سـاعة مـضت، وسـاعة

---

١. *الكافي*: ج٢، ص٢٥٥، ح١٥.

٢. *نهج البلاغة*: الحكمة ٢٩١.

٣. *تفسير العيّاشي*: ج١، ص٢٠٩، ح١٦٦.

بقيت، وساعة أنت فيها»[١].

وطبقاً لهذا الأصل يقول الإمام الصادقعليه السلام: «واصبروا على الدنيا، فإنّما هي ساعة، فما مضى منه فلا تجد له ألماً ولا سروراً، وما لم يجيء فلا تدري ما هو؟ وإنّما هي ساعتك التي أنت فيها»[٢].

وكذلك قال الإمامعليه السلام: «لا تدخل عليك اليوم همّ غد، يكفي اليوم همّه وغداً داخل عليك بشغله، إنّك إن حملت على اليوم همّ غد زدت في حزنك وتعبك»[٣].

الأصل الحادي عشر: تذكّر المصاب الأكبر

لابدّ من مقارنة المصائب التي تقع علينا بما هو أكبر منها؛ لأنّ الإنسان المبتلى قد يتصوّر أنّ مصيبته هي من أكبر المصائب، وأنّها لم تمرّ بأحد، ولم يجرّبها شخص، وهو ما يؤدّي إلى زيادة التوتّرات والضغوط النفسية على الفرد، في حين أنّ هناك مصائب أكبر من تلك المصيبة.

وهنا تأتي أهمّية مسألة الموازنة والمقارنة بين المصائب التي تقع علينا وبين ما هو أكبر منها. وعليه تكون المقارنة على شكلين:

الشكل الأوّل: وهو الشكل السلبي للمقارنة، حيث إذا ما قارنّا المصائب الكبيرة التي تقع علينا مع مصائب أصغر، فسوف تبدو المصيبة أكبر من حجمها الواقعي، ونتيجة ذلك زيادة الضغوط النفسية؛ ممّا يجعله يتحمّل همّاً أكبر من حجم المصيبة الواقعي.

الشكل الثاني: وهو الشكل الإيجابي للمقارنة، وهو على العكس من الشكل الأوّل، أي إذا قارنّا المصائب الصغيرة التي تقع علينا مع مصائب أكبر في حجمها وشدّتها، فسوف تبدو المصيبة أصغر من حجمها الواقعي، ممّا يجعل البلاء قابلاً للتحمّل، ويجعل الإنسان

---

١. *بحار الأنوار*: ج ٧٠، ص ١١٢.

٢. *الكافي*: ج ٢، ص ٤٥٤، ح ٤.

٣. *بحار الأنوار*: ج ٧٠، ص ١١٢.

أكثر استقراراً وهدوءاً وطمأنينةً ومقللاً من الضغوط النفسية. وعلى هذا الأساس، فإنّ أحد العوامل الذي يمكن أن يجعلنا نتحمّل البلاء، ويسهّل علينا مسألة الصبر، هو مقارنتها مع حوادث أصعب وأكبر منها.

حضر أحد الأشخاص عند الإمام الصادق عليه السلام وقال له: أوصني، فأوصاه الإمام بجملة من الوصايا، ومن ضمن تلك الوصايا قال له عليه السلام: «وإذا أُصبت بمصيبةٍ فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الخلائق لم يُصابوا بمثله قطّ»[1].

مصيبة فقدان رسول الله صلى الله عليه وآله والتي هي أكبر مصيبة. قال صلى الله عليه وآله في هذا المجال: «من أُصيب بمصيبةٍ فليذكر مصيبته بي، فإنّها أعظم المصائب»[2].

قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن بلغه وفاة مالك الأشتر: «مع إنّا قد وطنّا أنفسنا أن نصبر على كلّ مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّها أعظم المصيبة»[3].

لمّا أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام نعى الحسنُ إلى الحسين وهو بالمدائن، فلمّا قرأ الكتاب قال: «يا لها من مصيبة ما أعظمها، مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أُصيب منكم بمصيبةٍ فليذكر مصابه بي، فإنّه لن يُصاب بمصيبةٍ أعظم منها، وصدق صلّى الله عليه وآله»[4].

هذه المقارنة لا تقتصر على مصيبة الفقدان، بل يمكن التخفيف من كلّ مصيبة بمقارنتها بمصائب أكبر حتّى يسهل تحمّلها، قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن أُصبت بمصيبةٍ في نفسك أو في مالك أو في ولدك، فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الخلائق لم يُصابوا بمثله قطّ»[5].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضّل الله به

---

١. *الكافي*: ج٨، ص١٦٨، ح١٨٩.
٢. *قرب الإسناد*: ص٩٤، ح٣١٩.
٣. *الأمالي* للمفيد: ص٨٣، ح٤.
٤. *الكافي*: ج٣، ص٢٢٠، ح٣.
٥. المصدر السابق: ص٢٢١، ح٢.

عليه، كتبه الله شاكراً صابراً»[١].

قال الإمام الصادقعليه السلام إلى حمران: «يا حمران، انظر إلى من دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من فوقك في المقدرة»[٢].

قال الرسولصلى الله عليه وآله: «إذا نظر أحدكم إلى من فضّل الله عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه»[٣].

---

١. *سنن الترمذي*: ج٤، ص٧٤.

٢. *الكافي*: ج٨، ص٢٤٤، ح٣٣٨.

٣. *صحيح البخاري*: ج٧، ص١٨٧.

الأسئلة

١ ـ ماذا يُولّد طلب الشيء غير المتيسّر أصلاً عند الإنسان؟

٢ ـ أيّ انطباع يتركه العلم بأنّ الدنيا ليست محلاً للراحة لدى الإنسان؟

٣ ـ للأمل جانبان، اذكرهما وبيّن تأثيرهما على الإنسان؟

٤ ـ هل أنّ طول الأمل الذي لا نهاية له يعتبر عاملاً لتحقّق الآمال؟

٥ ـ هنالك معنيان للحياة اذكرهما مع التوضيح، واذكر أيّهما يتكامل فيه البناء الروحي للإنسان؟

٦ ـ ما هو تأثير إدراك النعم على الشكر؟

٧ ـ ما هو التأثير النفسي للمقارنة المخفّضة؟

٨ ـ هل أنّ الإنسان إذا شاهد ما عند المترفين من النعم تحدث له المقارنة المخفّضة؟

٩ ـ متى يحدث الاستقرار النفسي لدى الإنسان في التوكّل في الرزق؟

١٠ ـ ماذا نعني بالمواجهة؟ وما هو أهمّ ردودها؟

١١ ـ لماذا يعدّ الجزع من أسرع الانفعالات وأكثرها شيوعاً؟ وما هو الدليل عليه؟

١٢ ـ ما هو تأثير الجزع على تصرّفات الإنسان؟

١٣ ـ ما هي نتائج الجزع؟

١٤ ـ ما هو المراد من التسليم بوجود المصاعب وتقبّلها؟ وما هو المراد من تفويض الأُمور إلى الله(عزّوجلّ)؟

١٥ ـ هناك رؤيتان لتفسير البلايا والمحن، اذكرهما ثمّ وضّح كلا الرؤيتين وبيّن أيّهما ينسجم مع الواقع؟

١٦ ـ ما هي أهمّ مصادر إقرار التوازن بين القدرتين الوضعية والنفسية؟

١٧ ـ ما هو التأثير النفسي لتصوّر الإنسان عندما يشعر بالوحدة من دون نصير في وقت المصائب؟

١٨ ـ ما المقصود بالتوكّل، وما هو تأثيره النفسي على الإنسان؟

١٩ ـ إلى ماذا يؤدّي عدم إقرار التوازن بين القدرتين النفسية والوضعية؟

٢٠ ـ اذكر سلبيّتين لمن يشعر بأنّ البلاء دائم ومستمرّ؟

٢١ ـ ماذا تعني حالة التمركز؟ وما هو تأثيرها على الإنسان؟

٢٢ ـ بماذا تتميّز النظرة الإيجابية الواقعية للتفاؤل عن النظرة الخيالية؟

٢٣ ـ ما العامل الذي يؤدّي إلى تحمّل البلاء عند نزوله من قبل أهل الإيمان؟

٢٤ ـ بماذا تُسمّى الحالة التي يسحب فيها الإنسان المصائب من الزمن الماضي إلى المستقبل؟ وماذا ينتج عنها؟

٢٥ ـ ماذا تؤدّي مقارنة المصائب المرّة مع وضيعة أصغر؟ وماذا تؤدّي مقارنتها مع كبيرة أصعب؟

(٩)

سيرة أهل البيت عليهم السلام

- المدخل
- المبحث الأوّل: مفاهيم عامّة حول السيرة

  أوّلاً: التعرّف على السيرة

  ثانياً: مفاهيم عامّة
- المبحث الثاني: مجالات السيرة

  أوّلاً: مبادئ السيرة الذاتية

  ثانياً: مبادئ السيرة الاجتماعية

  ثالثاً: مبادئ السيرة السياسة والإدارية

المدخل

إنّ لدراسة سيرة النبيّصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام شأناً عظيماً في التاريخ الإسلامي؛ لأنّها تمثّل فيه بداية الفصول والأحداث، وهي جزء لا يتجزّأ من ذلك التأريخ الأشمّ، وأجمل صفحاته المشرقة، بل لم يعرف التاريخ أفضل منها صفحةً، فهي التي أخرجت الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام الخالد.

عليه فلا بدّ من دراستها دراسة واعية، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة تقسيم مادّة البحث إلى فصلين، سنتناول في الفصل الأوّل مفاهيم عامّة تخصّ السيرة، ونتعرّض في الفصل الثاني إلى مجالات السيرة، ويتضمّن هذان الفصلان مباحث مترابطة تسهّل للطالب أن يقف على صورة واضحة لسيرة النبيصلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرامعليهم السلام.

المبحث الأوّل: مفاهيم عامّة حول السيرة

نتناول في هذا الفصل مبحثين، نتطرّق في الأوّل منهما إلى مجموعة من المفاهيم التي تخصّ السيرة؛ كتعريف السيرة، وفوائدها، والغاية من دراستها، وكذلك مميّزاتها. ونطرح في المبحث الثاني بعض المفاهيم العامّة، كوحدة الهدف وتعدّد الأساليب، والهدف من بعثة الأنبياء، وكون السيرة ميزان الأعمال. كما سنشير إلى موقف المؤرّخين من السيرة، والمناهج المتّبعة في دراستها.

أوّلاً: التعرّف على السيرة

أ) تعريف السيرة

السِّيرَةُ لغةً: هي الطريقة؛ ومنه سار بهم سيرة حسنة أو قبيحة، والجمع سِيَر[١]. والسَّيَرَةُ: الضَرْبُ من السَّيْرِ، والسِّيْرَة: السنّة[٢].

وفي القرآن الكريم وردت كلمة السيرة في قوله تعالى: ﴿**سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ**﴾[٣].

السيرة اصطلاحاً: مصطلح السيرة يضمّ بين دفّتيه سيرة كلّ إنسان، وهذه السيرة تشتمل على نوعين من الوقائع:

الأوّل: الوقائع التاريخية، بدءاً بالولادة والنشأة، وانتهاءً بخاتمة الحياة المألوفة، أي الموت.

الثاني: السلوكيّات الحياتية المختلفة، أي كيفية السلوك في الحياة إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به، وهو ما يسمّى بالطريقة، أي: طريقة التعامل مع الحوادث والأشياء.

وعلى هذا نستنتج أنّ السيرة اصطلاحاً: هي الطريقة الخاصّة التي من خلالها يمارس الإنسان أفعاله، وتصدر منها مواقفه تجاه الأفراد والأشياء والحوادث، فحينما نتكلّم عن سيرة الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله ينبغي أن نتكلّم عن كيفية تعامله مع الأشياء والأشخاص والحوادث.

ب) الغاية من دراسة السيرة

السيرة المباركة للنبيصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام علمٌ يفصح عن حقيقة حياتهم المباركة، ويبيّن الوقائع المرافقة لتلك الحياة الشريفة.

---

١. *مجمع البحرين*: ج٢، ص٤٦٧، «سير».
٢. *لسان العرب*: ج٢، ص٣٨٩، «سير».
٣. طه: ٢١.

ويترتّب على دراسة تلك السيرة المباركة جملة من الغايات، وهي:

أ) إنّها عرضٌ لشخصية النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على الإنسانية باعتبارهم الأُنموذج الأكمل للبشريّة، ومعرفةٌ للنبي صلى الله عليه وآله باعتباره نبيّاً من أنبياء الله تعالى بالأدلّة الصحيحة، ومعرفةٌ لأهل بيته عليهم السلام باعتبارهم الأئمّة المنصوص عليهم بلسان النبي صلى الله عليه وآله.

ب) المعرفة التامّة بما جرى للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والاطّلاع الكامل على تأريخ وتفاصيل حياتهم، من حيث الولادة والتربية والارتباط بالوحي الإلهي، ومعرفة علاقة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بالقرآن الكريم، من حيث النزول ومواطنه، والتفسير وبواطنه.

ج) معرفة الطرق السليمة والصحيحة المتّبعة من قبل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في السلوك الحياتي مع سائر الناس، خصوماً ومحبّين.

د) معرفة الكيفية التي كان النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يديرون بها الدولة الإسلامية وشؤون الأُمّة وأُمور المسلمين بكلِّ تفاصيلها.

هـ) دراسة السيرة تكشف لنا طبيعة العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وبين الله سبحانه، عن طريق اتّباعهم الكامل لشريعته، وحفظ حدوده. وتبيّن لنا الطريقة الإنسانية التي بها تمّ نشر الدين، باعتماد الرفق واللين في تعريف الدين للناس نظريّاً وعمليّاً.

ج) فوائد دراسة السيرة

للسيرة فوائد عديدة، من أهمّها:

أ) تُعدّ سيرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، وينبوعاً من ينابيع المعرفة والثقافة الإسلاميّة.

ب) إنّ سيرتهم عليهم السلام ذات فائدة كبرى في مجال فهم مقاصد الكتاب العزيز وتفسير آياته الكريمة.

ج) إنّها تجسيد للقيم الإسلامية؛ لأنّها تبيّن لنا كيف تتجسّد القيم الإسلاميّة العُليا في سلوك الإنسان الاجتماعي؛ لئلاّ يقول الناس: إنّ هذه السيرة مثالية وخارجة عن قدرة عموم الناس ولا يمكن تطبيقها، فقد طبّقها أهل البيت عليهم السلام وعلّمونا كيفيّة التطبيق لها في الواقع الخارجي.

د) دراسة السيرة منهج تربوي للإنسان المسلم، فإنّ دراسة سيرة أهل البيت عليهم السلام دراسة صحيحة تُقدّم لنا منهجاً مهمّاً في التربية الإسلاميّة، وطريقاً صحيحاً للنهج القويم في الحياة.

ومن الجدير بالذكر أنّ التربية عن طريق عرض الوقائع التاريخية وتوفير أرضيّة التأسّي بالعظماء من أفضل أساليب التربية، وهو الأُسلوب الذي اتّبعه الخالق ـ جلّ وعلا شأنه ـ مع الإنسان من خلال ما ورد في القرآن الكريم من قصص هي في الواقع عِبَر ودروس في التربية الصحيحة.

وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ميدان للتربية على القيم الإسلامية، والاطّلاع على السيرة بكلّ جوانبها ـ سواء ما يتعلّق بالأحداث والوقائع أو ما يتعلّق بالفضائل والآداب والمحاسن التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية ـ يُعدّ المنهج الصحيح في التربية القويمة، وإرشاد الإنسان إلى الكمال المطلوب.

د) مميّزات سيرة أهل البيت عليهم السلام

١ـ إنّ سيرتهم هي الأُنموذج الأكمل في العمل الصحيح الذي ينطلق من التعاليم السماوية الربّانية التي منها يُؤخذ العلم الصحيح، كما ورد عن الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام أنّه قال:

«**قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أُمّتك ستفتتن، فسُئل: ما المخرج من ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من**

خلفه، تنزيل من حكيم حميد، مَن ابتغى العلم في غيره أضلّه الله..»[١].

فالعلم الصحيح إنّما هو في القرآن الكريم، وما يحمله القرآن من التعاليم هو هدى الله للبشرية أجمع.

٢ـ نفوذ هذه السيرة إلى أعماق قلوب الناس؛ لأنّهم عليهم السلام بسيرتهم قد تحبّبوا إلى الناس، وتأثير سيرتهم في الناس أبلغ من أيّة وسيلة أُخرى. وقد جذبت هذه السيرة الناس إلى أهل البيت عليهم السلام ليتأسّوا بهم، وفي الحقيقة جذبتهم إلى القيم العُليا التي طبّقها أهل البيت عليهم السلام.

فإذاً، لأهل البيت عليهم السلام سيرة عطرة، وهذه السيرة هي منهجهم في الحياة، وهذا المنهج قد نفذ إلى أعماق القلوب وسيطر على النفوس.

٣ـ إنّها تشتمل على مجالات حياة الإنسان كافّة، باعتبار أنّهم تكفّلوا بإنقاذ الإنسان من براثن الجهل والكفر والضلال، وباعتبار أنّهم يريدون إيصال الإنسان إلى الكمال المطلوب، والحياة لها مجالات متعدّدة، فلابدّ أن تكون سيرتهم شاملة لكلّ مجالات الحياة.

ثانياً: مفاهيم عامّة

نتناول في هذا المبحث مجموعة من المفاهيم العامّة التي لها علاقة مباشرة بالسيرة، ولابدّ من بحثها لتتمّ بها الفائدة، وليكتمل بها الدرس، وهي:

أ) وحدة الهدف وتعدّد الأساليب

إنّ سيرة الأئمّة عليهم السلام واحدة، بمعنى أنّ المبادئ التي انطلقوا منها هي مبادئ واحدة، رغم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد عاش ثلاث عشرة سنة قبل تأسيس الدولة الإسلامية، ثمّ أسّس أوّل دولة إسلامية مباركة، والأئمّة عليهم السلام عاشوا إلى سنة مئتين وأربعين من الهجرة في ظلّ الدولة التي

١. *بحار الأنوار*: ج٨٩، ص٢٧، ح٣٠.

أسّسها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالرغم من أنهّم قد أُبعدوا عن سدّة السلطة وممارسة الحكم بين المسلمين ـ إلاّ في فترة قصيرة وهي فترة حكم الإمام عليّ عليه السلام، وشيء من عصر إمامة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ـ إلاّ أنّ الملاحظ دائماً أنّ سيرتهم عليهم السلام تدلّل على أنّ أعمالهم منطبقة على أقوالهم، وأعمالُهم وأقوالُهم منطبقة على مبادئ القرآن الكريم.

ومن هنا نرى أنّ العلاقة بين السيرة والسنّة علاقة واضحة، السيرة هي السنّة، وذلك إن قلنا: إنّ السيرة القوليّة والفعليّة والتقريريّة تساوي السنّة؛ لأنّ السنّة هي قول وفعل وتقرير المعصوم عليه السلام.

وإن قلنا: إنّ السيرة هي المبادئ التي انطلقت منها مواقف أهل البيت عليهم السلام، فحينئذٍ تكون هذه المبادئ موجودة في أقوالهم وأفعالهم وتقاريرهم.

ب) الهدف من بعث الأنبياء عليهم السلام

الأنبياء عليهم السلام إنّما بُعثوا لتربية البشر، وكلّ الرسل والأنبياء عليهم السلام كان هدفهم الأوّل تزكية النفس الإنسانية، وهذه التزكية عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[١]، وهي لا تحصل إلاّ بوجود بيانٍ كافٍ شافٍ، وقدوةٍ عمليّةٍ وأُسوةٍ يمكن اتّباعها ويمكن التأسّي بها؛ ولهذا نجد القرآن الكريم يؤكّد على هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ**﴾[٢]، والاقتداء يعني: التأسّي.

والأُسوةُ والإسوَةُ: القدوة، ويقال: ائتسِ به، أي اقتدِ به وكن مثله. ويقال: فلان يأتسي بفلان أي: يرضي لنفسه ما رضيه ويقتدي به وكان في مثل حاله[٣].

وفي رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ**

---

١. الشمس: ٩ ـ ١٠.

٢. الأنعام: ٩٠.

٣. *لسان العرب*: ج ١٤، ص ٣٥ مادّة «أسا».

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١]. الأُسوة لها تأثير بالغ، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو الأُسوة الحسنة؛ إذ هو سيّد الأنبياء وسيّد المرسلين الذي جمع كلّ مكارم الأخلاق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

وعليه فرسولُ الله صلى الله عليه وآله باعتباره جامعاً لصفات الكمال يحتجّ الله بأفعاله على العباد.

على أنّ العمل أبلغ في التأثير والدعوة إلى الله من القول غير المقرون بالعمل، ولهذا نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد عاش في قومه أربعين سنة لم يدع الناس إلى شيء، وإنّما عُرف بـ«الصادق الأمين، ذو الشرف الأصيل»[٣]، ومعنى ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد ربّاهم بالعمل قبل القول، وربّاهم بالسلوك والتعامل الصحيح، وعندما بُعث صلى الله عليه وآله إلى الناس كافّة ودعاهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، اعتمد العقلاء منهم على إيمانهم بإخلاصه وصدقه وأمانته، وتعامله الصحيح مع الجميع.

ج) السيرة ميزان الأعمال

تعتبر سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله الميزان الأكبر، وعليها تُعرض الأعمال، فما وافقها فهو الحقّ، وما خالفها فهو الباطل؛ استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤].

ومن هنا نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله الذي ضُرب به المثل الأعلى في الالتزام بالقيم قد ترك لنا ثقلَين مهمّين لا يفترقان؛ فقد قال صلى الله عليه وآله: «إنّي تاركٌ فيكم الثقلينِ ما إن تَمَسكتُم بهما لَنْ تضلّوا بعدي: كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ألا ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ فاشربوا منه، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾

١. الأحزاب: ٢١.

٢. القلم: ٤.

٣. *بحار الأنوار*: ج١٥، ص٣٨٤.

٤. الحشر: ٧.

فاجتنبوا»[١].

فالثقلان هما: الكتاب والعترة. والعترة تعني أهل البيت عليهم السلام. وعدم افتراق الكتاب عن العترة، والعترة عن الكتاب، معناه: أنّ العترة من خلال سيرتها ملتزمة بمبادئ السماء الربّانية التي احتواها القرآن الكريم، وأنّهم عدل له، ولا ينحرفون عنه.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، وجعل للذكر أهلاً اختصّوا بمعرفته؛ فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

وبيّن عصمتهم حينما قال: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[٤]، وعرّف المطهّرين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٥].

د) موقف المؤرّخين من السيرة

ظلّ المسلمون يتناقلون سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام عن طريق المشافهة دون أن يعتمدوا التدوين، وقد تأخّر التدوين في السيرة إلى أواخر القرن الأوّل الهجري؛ إذ ألّف فيها عروة بن الزبير (ت سنة ٩٢هـ)، وأبان بن عثمان (المتوفّى في مطلع القرن الثاني)، وبعده ألّفَ فيها وهب بن منبّه، وقبل نهاية النصف الأوّل من القرن الثاني ألّفَ فيها شرحبيل بن سعد، وابن شهاب الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وموسى بن عقبة[٦].

وقد ألّف بعدهم ابن إسحاق في السيرة، وتبعه فيها ابن هشام، ونحا نحوه في كلّ ما كتبه ابن إسحاق، وتوالت بعد ذلك الكتابة في السيرة النبويّة الشريفة.

لكن بعض المؤرّخين الذين أرّخوا لحياة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أطلقوا كلمة السيرة

---

١. *الاحتجاج*: ج١، ص٣٩١.

٢. النحل: ٤٤.

٣. النحل: ٤٣.

٤. الواقعة: ٧٩.

٥. الأحزاب: ٣٣.

٦. *سيرة المصطفى* لهاشم معروف الحسني: ص١٠، مقدّمة المؤلّف.

النبويّة على ما كتبوه من حوادث التاريخ في عصر النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، رغم أنّ هذه الحوادث ليست هي السيرة، وإنّما هي المصدر لمعرفة السيرة واستنباطها من خلال مواقفهم عليهم السلام تجاه هذه الحوادث.

ومن الكتب التي تناولت السيرة النبويّة الشريفة:

- *السيرة النبويّة* لابن إسحاق.
- *السيرة النبويّة* لابن هشام.
- *جوامع السيرة النبويّة* لابن حزم.
- *السيرة النبويّة* للبستي.
- *الوفا بأحوال المصطفى* لابن الجوزي.
- *شمائل الرسول* صلى الله عليه وآله لابن كثير.
- *دلائل النبوّة* للبيهقي.
- *دراسة في السيرة* للدكتور عماد الدين خليل.
- *السيرة النبويّة* ـ دراسة تحليلية ـ لمحمّد عبد القادر.
- *سيرة الرسول المصطفى* صلى الله عليه وآله للعلاّمة محسن الأمين.
- *سيرة المصطفى نظرة جديدة* لهاشم معروف الحسني.
- *سيرة النبيّ* صلى الله عليه وآله لسامي البدري.
- *السيرة النبويّة* لنجاح الطائي.

هـ) المناهج المتّبعة في دراسة السيرة

أ) **المنهج السردي** (النقلي)، وينقسم إلى قسمين:

المنهج الاستقرائي: وفيه يتمّ التعرّض لكلّ ما حدث في عصر الرسول صلى الله عليه وآله، كما في *السيرة النبويّة* لابن إسحاق.

المنهج الانتقائي الذاتي: وفيه يتمّ انتقاء الحوادث والمواقف التي تخدم نزعة معيّنة

واتجّاه سياسي معيّن وعقائد معيّنة، كما في *السيرة النبويّة* لابن هشام.

ب) المنهج التحليلي، وينقسم إلى قسمين:

المنهج السردي: وفيه يتمّ سرد الأحداث بحسب تسلسلها، وبيان أسباب كلّ حدث ونتائجه، كما في *دراسة في السيرة* للدكتور عماد الدين خليل.

المنهج الموضوعي: وفيه يتمّ انتقاء موضوع معيّن والوقوف عند الحوادث ذات العلاقة به، وبيان الأسباب والنتائج، كما في *سيرة رسول الله* ﷺ، و*عصر النبيّ* لمحمّد عزّة دروزه.

المبحث الثاني: مجالات السيرة

للسيرة النبويّة الشريفة مجالات شتّى، نختار ثلاثة منها، وهي:

المجال الذاتي أو (السيرة الذاتية).

المجال الاجتماعي أو (السيرة الاجتماعية).

المجال السياسي والإداري أو (السيرة السياسية والإدارية)

وسوف نتناول هذه المجالات تحت أُمور ثلاث:

أوّلاً: مبادئ السيرة الذاتية

لمّا كان المعصوم حجّة في قوله وفعله وتقريره، وهو القدوة والأُسوة للبشرية، فلابدّ من الاطّلاع والتعرّف على مبادئ سيرته الذاتية؛ لتكون لنا نوراً في طريق الهداية والوصول إلى مرضاة الله تعالى، لذلك نشير إلى مبدأين من مبادئ السيرة الذاتية، وهما:

المبدأ الأوّل: حفظ حدود الله

حدود الله: هي تلك القيم الأخلاقية الرسالية، وتلك الكمالات التي ينبغي أن تتجسّد في سلوك الإنسان، وقد قنّنها الله سبحانه وتعالى وحدّدها بشكلٍ معيّن، بحيث يتّضح للإنسان أنّه حرّ في أيّ مجالٍ يختاره، وفي أيّ مجالٍ ينبغي أن يتعبّد ويتقيّد بالحدود التي

رسمتها الشريعة له، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾[٢].

فأوّل الظلمِ هو ظلم الإنسان نفسه، وذلك حينما يتعدّى حدود الله؛ لأنّه بتعدّيه على حدود الله فهو في الحقيقة قد تعدّى على حدّ نفسه.

وقد ضرب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله المثل الأعلى في الالتزام بالحدود، ونرى ذلك بوضوح في كلمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مفصحاً عن هذه السيرة المهمّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال: «**أجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمّد عبدك ورسولك.. المُعلن الحقَّ بالحقِّ، والدافع جَيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، كما حُمّل، فاضطلع قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قدم، ولا واهٍ في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك حتّى أورى قَبسَ القابسِ، وأضاء الطريق للخابط، وهُديت به القلوب بعد خَوضات الفتنِ**»[٣].

يعني أنّ الله حمّله الرسالة، فقام بأمر الله، ومضى على تنفيذ أمره، وحفظ عهده والتزم به.

ونقرأ في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر حين ولاّه مصر، قوله: «**أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتّباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلاّ باتّباعها، ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها...**»[٤].

إذاً لا يمكن أن تُضيّع الحدود عند الإمام.

ثمّ إنّ إقامة حدود الله وإن كانت تقتضي تفويت جملة من المنافع والمصالح المادّية

---

١. البقرة: ٢٢٩.

٢. الطلاق: ١.

٣. *نهج البلاغة*: الخطبة ٧٢.

٤. المصدر السابق: الكتاب ٥٣.

على الفرد، إلاّ أنّ فيها الخير كلّه والسعادة كلّها للإنسان والبشرية جمعاء؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى سنّ سُنناً وقوانين كشف عنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1].

والالتزام بحدود الله معناه أنّ هذه السُنن الإلهيّة سوف تتكاتف وتجتمع وتتعاضد لتخدم الإنسان في إيصاله إلى الكمال المطلوب من خلال بركات الله السماوية والأرضية.

المبدأ الثاني: سلامة الطريق والهدف، أو (مبدأ الغاية لا تبرّر الوسيلة)

هذا المبدأ من المبادئ المهمّة في السيرة، وقد صرّح القرآن به في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[2].

فإنّ الله سبّحانه وتعالى يُريد هداية البشريّة، ولهذا نجد الآيات الكريمة تؤكّد على أنّ الإنسان لا يصل إلى الكمال إلاّ إذا سلك طريق الهداية الصحيحة.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

إذاً ينبغي للإنسان أن يكون سلوكه للطريق صحيحاً، ويكون الطريق الذي سلكه مستقيماً، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[4]، فإنّه سبحانه وتعالى علّمنا أن نطلب في الوصول إلى الجنّة الصراطَ المستقيم، وأرشدنا إلى العناية بسلامة طريق الكمال؛ إذ سلامة الطريق هي المقدّمة الموصلة إلى الكمال.

ومن هنا، كان لزاماً أن تكون الوسيلة المتّبعة في الوصول إلى الأهداف سليمة،

١. الأعراف: ٩٦.
٢. الكهف: ٥١.
٣. الملك: ٢٢.
٤. يس: ٦١.

والهدف سليماً أيضاً، وهما متلازمان معاً ليوصلا الإنسان إلى الكمال المطلوب له.

ثانياً: مبادئ السيرة الاجتماعية

من أجل أن نستلهم الدروس والعبر من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في كيفية المنهج الصحيح للتعامل مع المجتمع، لابدّ من الاطّلاع على مبادئ السيرة الاجتماعية وتفاصيلها، لذلك نشير إلى بعض هذه المبادئ:

المبدأ الأوّل: مبدأ الرفق والمداراة

إنّ المبدأ الذي يمكن أن يُقال بأنّه المتقدّم على سائر المبادئ هو مبدأ الرفق الذي يستلزم المداراة في التعامل الاجتماعي.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يذكّرنا بحقيقة مهمّة جدّاً في شخصية وسلوك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حينما قال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[١]، فنُلاحظ التأكيد على اللين الذي كان في شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، الذي لم يتسامح في الحقّ وفي العمل به، ولا يسمح بتجاوز الحقّ في الحياة الاجتماعية والأُسرية أبداً.

ولقد تجسّد هذا المبدأ في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله بشكلٍ جلي وواضح، حتّى قال صلى الله عليه وآله: «**أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**»[٢].

تأمّل كيف جعل الرسول صلى الله عليه وآله مداراة الناس إلى جانب إقامة الفرائض؟ وقد يعني الاقتران هنا الوجوب، أي وجوب المداراة كوجوب إقامة الفرائض، وقد يعني تساويهما في الأهمّية. وقالوا في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كان دائم البشر، سهل الخُلق، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ**»[٣].

---

١. آل عمران: ١٥٩.

٢. *الكافي*: ج٢، ص١١٧، ح٤.

٣. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام ج٢، ص٢٨٤.

وورد الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١].

وورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في مقام بيان هذا المبدأ المهمّ أنّه قال: «**من كان رفيقاً في أمره نال ما كان يريد من الناس**»[٢].

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «مَن قُسِمَ له الرفق قُسِمَ له الإيمان»[٣]، فكأنّ الرفق والإيمان مُتلازمان. ومعنى ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام التزموا في حياتهم الاجتماعية مبدأً قويماً، هو مبدأ الرفق والمداراة، ومارسوه في المجتمع بشكلٍ عامّ، وفي الحياة الأُسرية بشكل خاصّ، ولكن بشرط أن لا تؤدّي المداراة والرفق إلى ترك حقّ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله في وصيّته لمعاذ بن جبل لمّا بعثه إلى اليمن: «**وعليك بالرفق والعفو في غير تركٍ للحقّ، يقول الجاهل: قد تركت من حقّ الله**»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حقٍّ**»[٥].

المبدأ الثاني: مبدأ التكريم

أكّد القرآن الكريم على تكريم الإنسان بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٦]؛ لأنّ الإنسان هو الذي يفهم معنى الكرامة، ويفهم معنى العزّة، ويفهم معنى الكمال، وهو الذي يستطيع أن يتعامل بشكلٍ صحيح.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يؤكّد على أنّ الإنسان يجب أن يكون كريماً غير مُهان، حتّى يكون بمستوى المسؤولية، ونجد النبي صلى الله عليه وآله في وصف من عاشره وعايشه أنّه صلى الله عليه وآله كان أكرم الناس، يعرف معنى الكرامة، ويعرف معنى العزّة.

---

١. الشعراء: ٢١٥.
٢. *الكافي*: ج٢، ص١٢٠، ح١٦.
٣. المصدر السابق: ص ١١٨، ح٢.
٤. *تحف العقول*: ص٢٥.
٥. المصدر السابق: ص٤٢.
٦. الإسراء: ٧٠.

ومن هنا نجد أنّ تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله في هذا المجال تعاليم مهمّة؛ **لأنّه** صلى الله عليه وآله يريد تربية الناس على تلك القيم الرسالية؛ لذا كان صلى الله عليه وآله كثير الاحترام والتقدير لكلّ الناس.

وهكذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان يأمر ابنه الحسن المجتبى عليه السلام بإكرام نفسه قائلاً: «**أكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب**»[١].

فعلى الإنسان المؤمن أن يكون كريماً عزيزاً، لا تذلّه أهواء نفسه الأمّارة بالسوء.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أكرم أخاه المؤمنَ بكلمة يلطفُهُ بها، وفرّج عنه كُربته، لم يزل في ظلّ الله الممدود عليه من الرحمة ما كان في ذلك»[٢].

وهذه السيرة التكريمية نلاحظها في الحياة الأُسرية حينما يقول صلى الله عليه وآله: «**ما أكرم النساء إلاّ كريمٌ، وما أهانهُنّ إلاّ لئيم**»[٣].

والكرم هو عظمة وقدرة في الإنسان الكريم، فالكريم هو الذي يُكرم الآخرين.

ونقرأ في حديثٍ آخر أنّ النبي صلى الله عليه وآله حينما سُئل: فما للنساء على الرجال؟ أجاب صلى الله عليه وآله: «**أخبرني أخي جبرئيل ولم يزل يوصيني بالنساء حتّى ظننتُ ألاّ يحلّ لزوجها أن يقول لها أفّ**»[٤].

فمع أنّ هذه الكلمة قد صدرت في حقّ الوالدين اللذين قرن الله برّهما بطاعته وتوحيده، فليس للابن أن يقول لوالديه أفّ، لكنّنا نرى أنّها مظنونة في حقّ الزوجة أيضاً، فنلاحظ تأكيد الوصيّة باحترام الزوجة والاهتمام بها، حتّى ظنّ الرسول صلى الله عليه وآله أنّ هذا التكريم يبلغ إلى حدّ تكريم الأبوين، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على ضرورة التكريم.

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٣١.

٢. *الكافي*: ج٢، ص٢٠٦، ح٥.

٣. *كنز العمّال*: ج ١٦، ص٣٧١، ح٤٤٩٤٣.

٤. *مستدرك الوسائل*: ج١٤، ص٢٥٢، ح١٦٦٢٧.

نقل الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام أنّه قال: «**مَن اتخّذ امرأةً فليُكرمها**»(١).

لأنّ هذا الإكرام لها وإعطاء الشخصية لها سوف ينعكس على سلوكها وعلى تعاملها مع زوجها ومع أبنائها، وبذلك تُربّي أبناءً كراماً.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «**وأمّا حقّ الزوجة فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمةً من الله عليك فتُكرِمها**»(٢).

لاحظوا أنّ الإمام عليه السلام ذكر كلّ هذه المقدّمات ليستنتج أنّ على الزوج أن يُكرم زوجته؛ لأنّ هذا التكريم سوف ينتهي إلى نتائج إيجابيّة في الحياة الاجتماعية والأُسرية.

ثالثاً: مبادئ السيرة السياسية والإدارية

لمّا كان النبيّ وأهل البيت عليهم السلام هم القدوة والأُسوة في شتّى مجالات الحياة بما فيها الإدارية والسياسية، وهم الذين يرسمون لنا المنهج المتكامل، فلابدّ لنا من دراسة مبادئ سيرتهم من هذا الجانب، لذلك نشير إلى بعض هذه المبادئ، وهي:

المبدأ الأوّل: إصلاح العلاقة بين النفس وبين الله سبحانه

إنّ هذا المبدأ لا يختصّ بالفرد وسيرته الذاتية فقط، لكنّه بمنظارٍ دقيق يكون هو الرصيد الواقعي والمهمّ للقدرة التي يحتاجها الإنسان حينما يسعى لاكتساب سعة الصدر وبُعد الأُفق في التعامل مع الآخرين وفي إدارة الخلق.

ومن هنا نجد أنّ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله قد قوّى هذه العلاقة بربّه الذي ربّاه بادئ ذي بدء حتّى قال فيه تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ**

---

١. *قرب الإسناد*: ص٧٠، ح٢٢٣.

٢. *الخصال* للشيخ الصدوق: ص٥٦٧، ح١؛ *مكارم الأخلاق* للشيخ الطبرسي: ص٤٢٠؛ *الأمالي* للشيخ الصدوق: ص٤٥٣، ح٦١٠.

إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾(١).

ففي هذه الآيات المباركة نُلاحظ أنّ الاهتمام بتوثيق العلاقة مع الله سبحانه وتعالى في ظُلمة الليل البهيم تُهيِّئ الأرضية المناسبة لتحمّل القول الثقيل والمسؤولية الكبيرة في إدارة شؤون الدولة واُمور الخلق.

هذا التعليم الربّاني للرسول صلى الله عليه وآله هو الذي سار عليه الرسول وأيّده الوحي فيما بعد، حتّى نزلت الآية الأخيرة من هذه السورة المباركة، فاهتمّ المسلمون منذ البداية بهذا النهج الربّاني، وأيّده الوحي وشهد به وأثبته في الكتاب المعجز بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾(٢).

فإذاً بالعمل وإصلاح العلاقة بين الذات وبين الله سبحانه وتعالى تعطي للإنسان عظمة وتكون له هيبة في نفوس الناس وحبّاً لهم وميلاً منهم إليه، وهذا ما نجده في وصف الرسول صلى الله عليه وآله: «إنّه كان فخماً مفخّماً، و في العيون مُعظّماً، وفي القلوب مُكرّماً...»(٣).

وجاء عنه صلى الله عليه وآله: «مَن أحبّ أن يكون أعزّ الناس فليتّق الله»(٤).

---

١. المزمل: ١ ـ ١٠.

٢. المزمل: ٢٠.

٣. *بحار الأنوار*: ج١٦، ص ١٨٠، ح ٢٠.

٤. *تحف العقول*: ص٢؛ *بحار الأنوار*: ج ٧٤، ص١٢٨، ح ٣٤.

وقال الإمام الصادق عليه السلام «من أراد عزّاً بلا عشيرة وغنىً بلا مال وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»[١].

وهذه هي التقوى التي تعطي عزّاً وتُعطي للإنسان كرامة ورفعة، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «التقوى مفتاح الفلاح»[٢].

فبالتقوى يستطيع الإنسان أن يُصلح اُموره كلّها، والتقوى هي تعبير آخر عن عمق العلاقة بين الإنسان وبين الله؛ لأنّ الإنسان المتّقي يكون حريصاً على الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

المبدأ الثاني: مبدأ الرحمة والمحبّة

إنّ هذا المبدأ له دورٌ كبير في تقوية وتنمية القدرة الإدارية للمدير، وفي إحكام سياسة الإنسان المؤمن لمن يسوسهم من الناس؛ إذ إنّ الإنسان إذا انطلق من منطلق الرحمة الإلهيّة الواسعة والشاملة فإنّه سوف يكون رفيقاً بالآخرين وقادراً على إدارتهم؛ لأنّ العلاقة التي ستكون ما بينه وبين الآخرين تكون علاقة حبّ ورحمة، وليست علاقة شدّة وقسوة، وعلاقة الحبّ هذه سوف تصنع المعجزات.

إنّ الحبّ هو أساس كلّ شيء، والحبّ عامل جذب وعامل ربط بين الأُمور التي لا رابط بينها، فإذا كان الإنسان يحبّ الآخرين فإنّ الآخرين سوف يحبّونه أيضاً، وعلى أساس الحبّ سوف يصنع الإنسان المعجزات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

كما رأينا نماذج من آثار هذا الحبّ في تأريخ المسلمين، والرسول صلى الله عليه وآله بتوجيهاته المنطلقة من الرحمة الإلهيّة استطاع أن يربّي كوكبة كبيرة من أصحابه على هذا الخُلق

---

١. *الخصال*: ص ١٦٩، ح٢٢٢.

٢. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٤١.

٣. آل عمران: ٣١.

الكريم الذي تلخّص في كلمة واحدة: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله من أشدّ الناس لطفاً بالناس»[١].

وهذه الكلمة هي تعبير عن سلوك يومي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان المسلمون يعيشونه معه صلى الله عليه وآله، وقد تجسّد هذا السلوك في أعمالٍ كثيرة، منها ما ظهر في قوله صلى الله عليه وآله: «إنّ أحبّكم إلي وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، الذين يَألفون ويُؤلفون»[٢].

من هنا نعرف مغزى ما جاء عنه صلى الله عليه وآله كمبدأ مهمّ في التعامل مع الناس: «إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر»[٣].

والسعةُ في الخُلُق تعني: أنّ الإنسان يكون رحيماً رؤوفاً مُدارياً ومتعاملاً مع الناس بحُسن الخُلق على أساس التكريم لهم.

مبادئ أُخرى

هناك أُصول ومبادئ أُخرى ينبغي الاهتمام بها في مجال السيرة الإدارية والسياسية، وردت في نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، نشير إليها تباعاً، مثل:

أوّلاً: مبدأ سعة الصدر (الحلم)

قال صلى الله عليه وآله: «بُعثت للحلم مركزاً، وللعلم معدناً، وللصبر مسكناً»[٤].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «وجدت الحلم والاحتمال أنصر لي من شجعان الرجال»[٥].

وعنه عليه السلام: «الحلم رأس الرئاسة»[٦].

وعنه عليه السلام: «الحلم حجاب من الآفات»[٧].

---

١. *مسند أبي حنيفة*: ص٥١.
٢. انظر: *بحار الأنوار*: ج٦٨، ص ٣٨٠، ح١٤.
٣. *الكافي*: ج٢، ص١٠٣، ح١.
٤. *بحار الأنوار*: ج٦٨، ص٤٢٣، ح٦١.
٥. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٥٠٦
٦. المصدر السابق: ص٢٤.
٧. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٥٠٦.

ثانياً: مبدأ رعاية الأهلية

قالصلى الله عليه وآله: «إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[١].

ثالثاً: مبدأ التخطيط

قالصلى الله عليه وآله: «إذا أنت هممت بأمرٍ فتدبرّ عاقبته»[٢].

وقال الإمام عليّعليه السلام: «التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم»[٣].

رابعاً: مبدأ الوفاء بالعهود

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾[٤].

وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «لا دين لمن لا عهد له»[٥].

وعنهصلى الله عليه وآله: «المسلمون عند شروطهم ما وافق الحقّ من ذلك»[٦].

وقال الإمام الباقرعليه السلام: «ثلاثة لم يجعل الله فيهنّ رخصة: أداء الأمانة للبرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»[٧].

وعن أمير المؤمنينعليه السلام: «وإن عقدت بينك وبين عدوّك عقدة أو ألبسته منك ذمّة، فحُطّ عهدك بالوفاء»[٨].

وعنهعليه السلام: «ما أيقن بالحقّ من لم يرع عهوده وذمّته»[٩].

---

١. *الأمالي* للشيخ الصدوق: ص٥٠٤، ح٦٩٣.
٢. *قرب الإسناد*: ص٦٥، ح٢٠٨.
٣. *عيون أخبار الرضا*عليه السلام: ج١، ص٥٩، ح٢٠٤.
٤. البقرة: ١٧٧.
٥. *النوادر* للراوندي: ص٩١.
٦. *كنز العمّال*: ج٤، ص٣٦٣، ح١٠٩١٨.
٧. *الكافي*: ج٢، ص١٦٢، ح١٥.
٨. *نهج البلاغة*: الكتاب ٥٣.
٩. *عيون الحكم والمواعظ*: ص٤٧٦.

خامساً: مبدأ قبول النصح والانتقاد

قال الإمام عليّ عليه السلام: «من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحقّ بينهم»[١].

سادساً: مبدأ مراعاة الحقوق

قال صلى الله عليه وآله: «ثبات الدول بإقامة سنن العدل»[٢]، و«من عمل بالعدل حصّن الله ملكه»[٣].

عن الإمام عليّ عليه السلام: «جعل الله حقوق عباده مقدّمة لحقوقه»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما عُبد الله بشيءٍ أفضل من أداء حقّ المؤمن»[٥].

سابعاً: مبدأ عدم المداهنة وعدم تضييع الأُصول وعدم استخدام الأراذل.

قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٦].

---

١. *نهج البلاغة*: ص١٩٩، الخطبة ٢١٦.

٢. *ميزان الحكمة*: ج٢، ص٩٣٧.

٣. المصدر السابق.

٤. *ميزان الحكمة*: ج١، ص٦٦٢.

٥. *الكافي*: ج٢، ص١٧٠، ح٤.

٦. القلم: ٩.

الأسئلة

١ ـ عرّف السيرة اصطلاحاً.

٢ ـ تكلّم عن فوائد السيرة.

٣ ـ ما هو المراد من الشمول في السيرة؟

٤ ـ ما هو الهدف من بعث الأنبياء؟

٥ ـ ما المراد من الاقتداء في الآية الشريفة: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾؟

٦ ـ ما المراد من قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾؟

٧ ـ ما هو الميزان في صحّة الأعمال؟

٨ ـ على ماذا تدلّ الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾؟

١ ـ اذكر مبادئ السيرة الذاتية.

٢ ـ ما معنى إقامة الحدود؟

٣ ـ تكلّم عن مبدأ الغاية لا تبرّر الوسيلة.

٤ ـ اذكر مبادئ السيرة الاجتماعية.

٥ ـ بماذا استُدلّ على الرفق النبويّ في القرآن الكريم؟

(١٠)

أُسلوب البحث عن الأحاديث

- المدخل
- أساليب متابعة البحث
- أوّلاً: التتبّع اليدوي
- ثانياً: التتبّع الآلي

المدخل

الفكر الإسلامي يعطي للحديث الشريف منزلة خاصّة؛ باعتباره الركيزة الثانية بعد القرآن الكريم، وبهما تُعرف الآداب الإسلامية والمعارف الدينية المختلفة، بل هما منبع الأحكام الشرعية المختلفة.

فإذا أردنا معرفة نظر الإسلام في موضوعٍ معيّن كحقّ الجار، فما هو سبيل ذلك؟ وهل يمكن نسبة ما نجده في رواية واحدة إلى الإسلام؟ كلاّ، وإنّما ينبغي ملاحظة مجموع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في هذا الموضوع، والانتهاء من خلالها إلى حصيلة نهائية، فعندئذٍ يمكن نسبة هذه النتيجة إلى الإسلام.

وهنا يُطرح السؤال التالي نفسه: كيف يمكن جمع الأحاديث الواردة حول موضوعٍ معيّن؟

هذا الدرس للإجابة عن هذا السؤال، حيث تختلف أساليب البحث من زمانٍ إلى آخر، حسب التطوّر العلمي والتقني في ذلك العصر.

أساليب متابعة الحديث

استقصاء الأحاديث الواردة بلفظٍ واحد أو متقارب، أو الأحاديث التي تدور حول محورٍ واحد، له أساليب متعدّدة، يمكن أن نجمعها تحت عنوانين رئيسيّين هما: التتبّع اليدوي، والتتبّع الآلي، ولكلٍّ منهما بعض المزايا التي لابدّ من أخذها بنظر الاعتبار عند البحث والتتبّع، إليك فيما يلي إيضاحهما.

أوّلاً: التتبّع اليدوي

التتبّع اليدوي هو الأقدم من الجهة التاريخية، والأفضل من بعض الجهات وبلحاظ بعض المزايا، كما سيتّضح إن شاء الله تعالى، ويقوم بالأساليب التالية:

١ ـ الفهارس اللفظية

المراد منها هو الكتب أو الملحقات التي تذكر أسماء الأشخاص أو الأماكن أو القبائل والطوائف أو الآيات أو الأحاديث أو غير ذلك، مستقلاً لتبيّن مواطن وجودها في الكتاب، فتجعل كلاً منها في عنوانٍ مستقلّ لتُذكر فيه الألفاظ المتعلّقة به حسب الترتيب الألفبائي. والهدف الأساس من تدوينها هو إيصال الباحث لمطلوبه بأسرع وقت وأخصر طريق.

فيمكن التوصّل للحديث المطلوب من خلال بعض المذكورات، فإذا أردت البحث عن الحديث التالي: «الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشّاء، عن منصور بن حازمٍ، عن أبي عبد الله، قال: قلت: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: **الصّلاة لوقتها، وبرّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ**»[١].

فتجد أسماء الرواة ضمن الأسماء التالية: «الحسين بن محمّد» ـ في حرف الحاء بعدها السين ـ و«معلّى بن محمّد» و«منصور بن حازم» ـ كلاهما في حرف الميم ـ و«الوشّاء» في حرف الواو.

ونجد اليوم فهارس الكثير من الكتب الحديثية وغيرها، بل إنّ أغلب الكتب المحقّقة حديثاً لها فهارس دقيقة.

٢ ـ الفهارس الموضوعية

المراد منها هو الفهارس الإجمالية لمواضيع الكتاب، والهدف الأساس من تدوينها هو

---

١. *الكافي* للشيخ الكليني: ج٢، ص ١٥٨، ح٤.

بيان أبواب الكتاب وفصوله وفروعه. وهذه الفهارس تعين الباحث في معرفة منهج الكتاب، والأبواب المناسبة لبحثه، وبما أنّها لا تتقيّد بالألفاظ فهي تبيّن مواطن وجود البحث بألفاظه المختلفة، وهذا ما يعيننا في البحث الموضوعي عن الحديث.

وبعبارةٍ أُخرى: إذا أردنا البحث عن موضوعٍ معيّن كالسخاء، فإنّ الأحاديث الواردة في هذا المجال قد لا تشتمل على لفظ «السخاء» ومشتقّاته، ومع ذلك فهي دالّة على المطلوب، كالأحاديث المشتملة على لفظ «الجود» و«الكرم» و«الندى» وأمثالها، بل قد نجد موضوع البحث متشتّتاً ضمن عدّة عناوين، فالذي يساعدنا على جمعها هو الفهارس الموضوعية، بل إنّ أحد السبل لمعرفة الأحاديث أو المواضيع المرتبطة بالبحث هو هذه الفهارس؛ إذ إنها تعين الباحث على معرفة الألفاظ والعناوين ذات الصلة بالبحث، والأبواب التي تُذكر فيها.

ومن مزايا هذه الفهارس هي أنّها لا تدور مدار اللفظ، بل تدور مدار المعنى والمضمون، فإذا كانت دالّة على المعنى بنحوٍ من الأنحاء أُدرجت فيها، ومن هنا فلا يمكن الاستغناء عنها بالأساليب الأُخرى من البحث.

هذه الفهارس نجدها اليوم ملحقة بالكتب إمّا في أوّلها أو في آخرها. نعم طُبع بعضها بشكلٍ مستقلّ، نظير الفهارس التالية:

المعجم الموضوعي لنهج البلاغة (إعداد: أويس كريم محمّد).

المعجم لموضوعات نهج البلاغة (إعداد: كاظم أرفع).

تصنيف نهج البلاغة (إعداد: لبيب بيضون).

مفردات نهج البلاغة (إعداد: علي أكبر قرشي بناني).

تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم (إعداد: مصطفى درايتي).

الدليل إلى موضوعات الصحيفة السجّادية (إعداد: محمّد حسين المظفّر).

الصحيفة السجّادية الكاملة مع الدليل والمعجم (تحقيق: علي أنصاريان).

٣ ـ المعاجم اللفظية

المراد منها هو الكتب التي تتبنّى ذكر جميع الألفاظ الواردة في النطاق المطلوب من نصوص الكتاب، لكن لا على أساس هيئتها ولفظها بل على أساس موادّها وجذورها، فالمحور الذي تعتمده هذه المعاجم هو جذور الكلمات لا مشتقّاتها، بمعنى أنّ جميع مشتقّات الجذر الواحد يتمّ إدراجها تحت ذلك الجذر.

وبذلك تُجمع الألفاظ المشتقّة من جذر واحد تحت ذلك الجذر، ويمكن ملاحظتها جميعاً في موضعٍ واحد. وهذه من أهمّ خصائص هذه المعاجم، فهي مضافاً لبيان مواطن ورود الحديث أو الأحاديث المشتملة على الألفاظ المطلوبة، تجمعها جميعاً في موضع واحد وتحت الجذر المشتقّة منه. والركيزة التي تعتمد عليها المعاجم هي الاستعانة بمزية من مزايا اللغة العربية، وهي «الاشتقاق».

ولهذا الأُسلوب دور فعّال في جمع الأحاديث المتّحدة مضموناً؛ فالذي يريد البحث عن الأحاديث الدالّة على «الصدق» فإنّ بحثه لا يدور مدار لفظ «الصدق» فقط، بل يدور مدار جميع الألفاظ المشتقّة من مادّة «صدق»[١]، سواء كانت بصيغة «الصدق» أم بغيرها من الصيغ، ففي المثال المذكور تجد الأحاديث التالية تحت مادّة «صدق» مع اختلاف هيئاتها، وإليك بعضها:

عن محمّد بن مسلمٍ، عن أبي عبد الله، قال: «**من صدق لسانه زكا عمله**»[٢].

عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله، قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلاّ بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر**»[٣].

عن عمرو بن أبي المقدام قال: قال لي أبو جعفرٍ في أوّل دخلةٍ دخلت عليه: «**تعلّموا**

---

١. وردت مشتقّات مادّة «صدق» في القرآن الكريم أكثر من خمسين مرّة، فمن أراد الاطّلاع فليراجع المعاجم اللفظية للقرآن الكريم.

٢. *الكافي*: ج٢، ص١٠٤، ح٣.

٣. المصدر السابق: ح١.

الصّدق قبل الحديث»[١].

عن أبي بصيرٍ قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «**إنّ العبد ليصدق حتّى يكتب عند الله من الصّادقين، ويكذب حتّى يكتب عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال الله عزّ وجلّ: صدق وبرّ، وإذا كذب قال الله عزّ وجلّ: كذب وفجر**»[٢].

عن فضيل بن يسارٍ قال قال: أبو عبد الله: «**يا فضيل، إنّ الصّادق أوّل من يصدّقه الله عزّ وجلّ، يعلم أنّه صادقٌ، وتصدّقه نفسه تعلم أنّه صادقٌ**»[٣].

عن أحمد بن النّضر الخزّاز، عن جدّه الرّبيع بن سعدٍ قال: قال لي أبو جعفرٍ: «**يا ربيع، إنّ الرّجل ليصدق حتّى يكتبه الله صدّيقاً**»[٤].

فهذه بعض مشتقّات مادّة «صدق» في الأحاديث الشريفة، وكما ترى فهي مختلفة، والجامع بينها أنّها جميعاً من جذرٍ واحد، وهذه المعاجم تُطبق بشكلٍ مستقلٍّ عادةً، وإليك فيما يلي بعض هذه المعاجم:

المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة (إعداد: محمّد كاظم محمّدي ومحمّد الدشتي).

المعجم المفهرس لألفاظ غرر الحكم ودرر الكلم (إعداد: علي رضا برازش).

المعجم المفهرس لألفاظ أُصول الكافي (إعداد: علي رضا برازش).

المعجم المفهرس لألفاظ أُصول الكافي (إعداد: إلياس كلانتري).

الهادي إلى ألفاظ أُصول الكافي (إعداد: جواد المصطفوي).

المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث الكتب الأربعة (إعداد: منيجه اجتهادي وآخرين).

المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث الكتب الأربعة (إعداد: علي رضا برازش).

---

١. *الكافي*: ج٢، ص١٠٤، ح٤.

٢. المصدر السابق: ص١٠٥، ح٩.

٣. المصدر السابق: ص١٠٤، ح٦.

٤. المصدر السابق: ص١٠٥، ح٨

المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث كتاب التوحيد للشيخ الصدوق (إعداد: علي رضا برازش).

المعجم المفهرس لألفاظ وسائل الشيعة (إعداد: علي رضا برازش).

المعجم المفهرس لألفاظ وسائل الشيعة (إعداد: حسن طبيبي).

المعجم المفهرس لألفاظ مستدرك وسائل الشيعة (إعداد: علي رضا برازش).

المعجم المفهرس لألفاظ بحار الأنوار (إعداد: علي رضا برازش).

المعجم المفهرس لألفاظ بحار الأنوار (إعداد: منظمة الإعلام الإسلامي: قم).

٤ ـ أطراف الحديث

المراد منها هو الفهارس التي تذكر المقاطع الأُولى من الأحاديث، بمعنى أنّ المنقول فيها خصوص هذه المقاطع مع رعاية الترتيب الألفبائي في ترتيبها ـ ليسهل العثور على الحديث المطلوب ـ وذكر تخريجاتها في كتب الحديث.

فإذا أردت البحث عن النصّ التالي في كتب الحديث:

حدّثنا محمّد بن المثنّى وابن بشّار، قال ابن المثنّى: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن أبي حصين والأشعث ابن سليم، أنّهما سمعا الأسود بن هلال يحدّث عن معاذ بن جبل قال قال: رسول الله: «**يا معاذ، أتَدري ما حَقُّ اللهِ عَلَى العبادِ؟** قالَ: اللهُ ورَسولُهُ أعلَمُ. قالَ: **أن يُعبدَ اللهُ ولا يُشرَكَ بِهِ شَيءٌ**...».

وجدته في موسوعة أطراف الحديث النبويّ في باب الياء بعدها الألف ثمّ الميم، ووجدت تخريجه في كتب الحديث كالتالي: *صحيح البخاري*: ج٩، ص١٤٠، كتاب الأيمان، ح٥٠، *مسند أحمد بن حنبل*: ح٢٢٨، و٢٣٠، و٢٣٤.

نعم، أطراف الحديث إنّما تعين الباحث في العثور على الأحاديث المطلوبة فيما لو كان عارفاً بمتن الحديث، وعلى الأقلّ أن يعرف أوّل كلمة منه، وأمّا إذا لم يعرف لفظ الحديث، أو عرفه ولم يعرف اللفظ الأوّل منه لم تنفعه شيئاً، وهذه الفهارس تطبع مستقلّة

عادةً.

ومن هذه الكتب:

موسوعة أطراف الحديث النبويّ: (إعداد: محمّد السعيد بن بسيوني زغلول).

أطراف مسند أحمد بن حنبل (إعداد: ابن حجر العسقلاني).

تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (إعداد: يوسف بن عبد الرحمٰن المزي).

كما أعدّ مركز الأبحاث الإسلامية التابع للروضة الرضوية أطراف الحديث للكتب التالية:

ثواب الأعمال وعقاب الأعمال.

*عيون أخبار الرضا*عليه السلام.

الأمالي للشيخ الصدوق.

الأمالي للشيخ الطوسي.

كمال الدين وتمام النعمة.

الأُصول من الكافي.

الروضة من الكافي.

علل الشرائع.

الاستبصار.

الخصال.

الغيبة.

٥ ـ الجوامع الحديثية

كانت الكتب الحديثية أوائل عهدها وبداية تدوينها على شكل يختلف عن المعهود في أذهاننا منها هذا اليوم، فكانت أغلب الكتب الحديثية آنذاك ذات حجم صغير وأوراق

قليلة وأحاديث قليلة، حتّى أنّ أحاديث الكتاب الواحد قد لا تصل المئة حديث[١]. ومن معالم هذه الكتب أنّ أحاديثها غير مبوّبة ضمن عناوين وأبواب ومواضيع، لقلّة عدد أحاديثها، ممّا لا يساعد على تقسيمها ضمن أبواب عديدة، خصوصاً وأنّ بعض الأحاديث يدخل تحت عناوين عديدة.

من هنا بدت الحاجة لتدوين كتب مبوّبة، فدوّنت بعض الكتب الموضوعية، ثمّ بدت الحاجة للكتب التي هي أكثر شمولية لتلبية حاجة المؤمن والمسلم في شتّى المجالات، فدوّنت الجوامع الحديثية ككتاب ***المحاسن*** للبرقي، وكتاب ***الكافي*** لمحمّد بن يعقوب الكليني.

وفي القرون الأخيرة قام بعض المحدّثين بتأليف جوامع حديثية أوسع نطاقاً من سابقاتها؛ ليسهل الوصول إلى الأحاديث المطلوبة والمتناثرة في الكتب المختلفة ورؤيتها في بابٍ واحد، وفي مقدّمتها كتاب ***بحار الأنوار*** للعلاّمة المجلسي، وكتاب ***وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة***، للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، الذي جمع فيه الأحاديث الفقهية الواردة في الكتب الأربعة والكتب الحديثية المشهورة، ونظمها بنظم خاصّ، وبذلك أغنى الفقهاء عن الرجوع إلى الكتب المشار إليها.

ثانياً: التتبّع الآلي

المنهج الثاني للعثور على الأحاديث الواردة بلفظٍ معيّن أو تنضوي تحت عنوان معيّن هو التتبّع الآلي بالاستعانة بالبرامج الإلكترونية الموجودة، فبعد التطوّر التقني في القرن الأخير في شتّى المجالات واختراع الحاسوب الآلي، بدت الحاجة لإبداء أساليب حديثة تسهّل على الباحث العثور على مطلوبه بأقصر وقتٍ ممكن، وذلك باستخدام البرامج

---

١. انظر: كتاب «*الأصول الستّة عشر*»، الذي هو مجموع لستّة عشر كتاباً حديثياً، مع أنّ حجمه لا يساوي كتاباً متوسّط الحجم.

الإلكترونية، فدوّنت البرامج المختلفة بما فيها برامج العلوم الإسلامية المتنوّعة.

وبعض هذه البرامج يشتمل على كتب مختلفة ومتنوّعة، وبعضها يختصّ ببعض كتب الحديث، فالذي يريد البحث عن الأحاديث الواردة حول موضوعٍ معيّن، فإنّ هذه البرامج من أفضل السبل الموجودة، وتمتاز عن الأُسلوب اليدوي بأُمور عديدة، نعرضها فيما يلي:

مميّزات البحث الآلي

أ) البحث اليدوي يتوقّف على معرفة أُسلوب الكتاب ومنهجه وأبوابه وفصوله والمواضيع المناسبة للحديث، أو الاستعانة بالفهارس المتقدّمة؛ لمعرفة مضانّ وجوده، بخلاف البحث الإلكتروني، فإنّه لا يتوقّف على شيءٍ من ذلك.

ب) الأُسلوب اليدوي قد لا يسعفنا في بعض أنحاء البحث، وإن أسعفنا فإنّه في غاية الصعوبة بالقياس إلى البحث الآلي؛ نظير البحث عن روايات راوٍ معيّن، مع عدم وجود فهارس الأعلام لبعض كتب الحديث، فإنّ روايات الراوي الواحد غير محصورة في بابٍ أو كتاب معيّن، بل تحتاج إلى استقصاء الكتب الروائية المختلفة، ونظير البحث عن استعمالات لفظٍ معيّن في الروايات، كـ«التعمّق»، أو تركيبٍ معيّن كـ«جراب النورة»، بخلاف البحث الإلكتروني.

ج) البحث الآلي يفتح أمام الباحث آفاقاً جديدة للبحث قد لا تُفتح له في غيره؛ لسهولة التوصّل إلى النتيجة، بخلاف البحث اليدوي.

د) البحث اليدوي في الكتب يتوقّف على توفير الكتب أوّلاً والمكان الواسع لها ثانياً، وأن يكون الباحث مستقرّاً في ذلك المكان؛ لصعوبة نقل الكتب، بخلاف البحث الآلي؛ فإنّ الحاسوب مكتبة عظمى بحجمٍ صغير يمكن نقلها بسهولة.

هـ) الوقت المستغرق في البحث اليدوي قد يفوق زمان البحث الآلي عشرات المرّات.

و) استقصاء الموارد بدقّة في البحث الآلي، بخلافه في البحث اليدوي.

ز) البحث الآلي يغني الباحث عن كتابة المقاطع المطلوبة وتخريجاتها[١]، بخلاف البحث اليدوي، وهذا ما يعين المؤلّفين في مجال الحديث ومعارفه.

ح) سهولة مقارنة النصوص والتنقّل بين المصادر المختلفة في الحاسوب الآلي، بخلاف البحث اليدوي.

نظرة إلى بعض البرامج

نجد في الساحة العلمية هذا اليوم العديد من البرامج التي تعيننا في الأبحاث الحديثية، من أبرزها برنامج (مكتبة أهل البيت)، و(جامع الأحاديث). إليك فيما يلي بيانهما:

١ ــ مكتبة أهل البيت عليهم السلام

هذا البرنامج من أفضل برامج العلوم الإسلاميّة الموجودة في الساحة العلميّة في الوقت الحاضر، نظراً للخصوصيات والقابليّات المودعة فيه، والتي منها:

أ) كثرة الكتب المودعة فيه، وتنوّعها بلحاظ العلوم والمذاهب وعصر التأليف.

ب) سرعة البحث.

ج) إمكان نسخ البطاقات ونقلها إلى المفكّرة.

د) اشتمال الكتب على الهوامش والشروح، وإمكان البحث فيها، بخلاف الكثير من البرامج الأُخرى.

هـ) اشتماله على (شجرة العقائد)، والتي تجعل مقداراً من المعلومات العقائدية بنسقٍ هرمي تحت اختيار الباحث.

حقول البرنامج

أ) مطالعة: وزرّه المباشر (F٦)، هذا الحقل يجعل الكتب الموجودة في البرنامج تحت اختيار الباحث، فله مطالعة أيّ كتاب شاء بعد النقر على عنوان الكتاب ضمن قائمة الكتب.

---

١. هذه الخصيصة لا تعمّ جميع البرامج الموجودة، وإنّما تخصّ بعضها.

ومن خصوصيات هذا البرنامج كثرة الكتب المودعة فيه، حيث يبلغ عددها (٤٧٠٠)، مع تنوّعها بلحاظ المواضيع والمذاهب وزمان التأليف، فنجد فيها كتب الفقه والأُصول والحديث والرجال واللّغة وغيرها، كما أنّ الكتب المودعة فيه مشتملة على المتون، مضافاً للهوامش والشروح في حال وجودها، وهاتان المزيّتان من مزايا هذا البرنامج.

ب) بحث: وزرّه المباشر (F٧)، هذا الحقل يتيح للباحث البحث عن الكلمة أو العبارة المطلوبة، وبذلك يغني الباحث عن عناء البحث اليدوي. علماً أنّ البحث في هذا الحقل له مزايا عديدة؛ منها:

١ ـ السرعة الفائقة.

٢ ـ البحث في المتون والهوامش والشروح مع إمكان تحديد النطاق بالمتن فقط.

٣ ـ إمكان اشتراط البحث بوجود كلمة أو عبارة، أو بعدمهما، مع إمكان تحديد محلّ الشرط من كونه متقدّماً على العبارة المبحوث عنها، أو متأخّراً عنها، أو يشمل الحالتين معاً، وهذا ما يساعد الباحث في رفع مستوى البحث، والحصول على النتائج المطلوبة بدقّة أكثر، خصوصاً إذا كانت الكلمات أو العبارات المبحوث عنها ممّا يكثر استعمالها؛ نظير: (الله)، (محمّد)، (الرحمٰن الرحيم)، وأمثالها.

٤ ـ استخراج البرنامج للكلمات المتّصفة بصفة معيّنة لأجل البحث عنها، وهذه القابلية تسدّ مسدّ البحث الجذري إلى حدٍّ كبير، فمثلاً إذا أردنا البحث عن موضوع (الجود) فإنّه يتوقّف على إدخال جميع هيئات هذه الكلمة، وهي كثيرة جدّاً ويصعب حصرها على الباحث، فهذه القابلية تجعل هذه الهيئات تحت اختيار الباحث.

ج) بطاقة: وزرّه المباشر (F٨)، بإمكانك حفظ البطاقات المطلوبة والمتعلّقة بعنوان معيّن ضمن مخزن البطاقات، ليتمّ الانتفاع بها فيما بعد. كما يمكن جعلها ملفّاً والاستغناء بذلك عن طباعتها عند التأليف.

د) أدوات علمية: هذا الحقل يجعل بعض المصادر المهمّة والأساسية في متناول الباحث، مع إتاحته له قابلية البحث فيها من دون حاجة للرجوع لقسم البحث، وهذا ما

يعينه على البحث عن أُمور عديدة مع الحفاظ على بحثه الأصلي.

وهذه المصادر عبارة عن: (القرآن الكريم، قواميس ـ ويشمل كتابي: ***الصحاح وتاج العروس*** ـ مصطلحات ـ ويشمل كتاب: ***معجم ألفاظ الفقه الجعفري***، رجال ـ ويتضمّن كتاب ***معجم رجال الحديث***، أعلام المؤلّفين ـ ويجعل كتاب ***معجم المؤلّفين*** تحت اختيارك، أنساب ـ ويجعل كتاب ***الأنساب*** للسمعاني في متناول الباحث، فهارس ـ وتتيح لك إمكان البحث في فهارس جميع الكتب.

كما توجد في البرنامج حقول أُخرى هي: إطار، خيارات، دليل، لا يسع المجال لبيانها هنا، علماً أنّنا بيّنا الحقول السابقة باختصار جدّاً وإلاّ فإنّ لكلّ منها قابليات كثيرة.

كيفية البحث في هذا البرنامج

إذا أردنا البحث عن الحديث التالي: «عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق، عن أحمد بن محمّد الهمداني، عن المنذر بن محمّد، عن إسماعيل بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن الفضل الهاشميّ، عن أبي عبد الله، عن آبائه، قال: خطب أمير المؤمنين يوم الفطر فقال: **أيّها النّاس، إنّ يومكم هذا يومٌ يثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المسيئون، وهو أشبه يومٍ بقيامتكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاّكم خروجكم من الأجداث إلى ربّكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاّكم وقوفكم بين يدي ربّكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنّة والنّار**»[1].

أو عن الآية التالية: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ**﴾[2]، فما هو سبيل ذلك؟

البحث عن أيّ كلمة أو عبارة يكون بالترتيب التالي:

١ ـ يُنقر الزر (F٧) لتفتح نافذة البحث.

---

١. *وسائل الشيعة* للحرّ العاملي: ج٧، ص٤٨١، ح٩٩١٢.

٢. الروم: ١٠.

٢ ـ تُطبع الكلمة أو العبارة المطلوبة في الحقل المخصّص لذلك.

٣ ـ يُنقر على زر (مسح القائمة) في حال وجود كلمة أو عبارة في نافذة البحث، لئلاّ يتمّ البحث عنها.

تنبيه: ينبغي مراعاة الأُمور التالية في الكلمات التي يتمّ اختيارها للبحث:

أ) يُفضّل ألاّ تكون كثيرة الاستعمال، مثل (الله ـ الرحمٰن ـ محمّد ـ عبد)؛ فإذا أردت البحث عن الحديث التالي: عَنْ أَبِي عَبْدِ الله قالَ: «**البادي بِالسَّلامِ أَولى بِالله وَبِرَسُولِه**»[1]، فلا يُبحث عن «**بالله**» و«**بِرَسُولِه**»، بل يُبحث عن «**البادي**» أو «**بِالسَّلامِ**».

ب) ألاّ يكون في حروفها همزة، نظير (أساؤُا ـ السُّوأى ـ يَسْتَهْزِؤُونَ) في الآية المتقدّمة.

ج) أن تُراعى في كتابة العبارة الفاصلة بين الكلمات، وذلك بالنقر على الزرّ (Spase) بعد كلّ كلمة منها.

د) إذا اشتملت الكلمة أو العبارة المطلوبة على الواو العاطفة، فلابدّ من عدم فصلها عن الكلمة اللاّحقة، بل تُطبع الواو ملاصقة للكلمة التالية لها، فالكلمات التالية في المثال المتقدّم: (يَخْسَرُ ـ هُوَ ـ اذْكُرُوا) ينبغي كتابتها كالتالي: (وَيَخْسَرُ ـ وَهُوَ ـ وَاذْكُرُوا).

هـ) بعض الكلمات كتبت وفق إملاءين؛ أحدهما: الموافق لقواعد الإملاء المعاصر، والآخر: الإملاء الموافق للرسم القرآني؛ نظير: (مائة)، (مئة)، فلابدّ من ملاحظة ذلك أثناء البحث، وبالخصوص إذا كان البحث عن متن آية قرآنية؛ فإنّ إملاء بعض الآيات موافق للرسم العثماني، نظير المثال التالي:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا

---

١. *الكافي* للكليني: ج٢، ص٦٤٥، ح٨.

مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[1][2].

و) إذا أردت البحث عن أكثر من كلمة أو عبارة مرّة واحدة، فانقر على زر (إضافة إلى القائمة) بعد طباعة الكلمة أو العبارة المطلوبة في حقل العبارة.

ز) الأفضل جعل العلامة في الموضع المخصّص لها مقابل الزرّين (بحث تلقائي عن بن، ابن، إبن)، و(بحث تلقائي عن الحالات المشابهة) ليشمل جميع حالات الكلمة المبحوث عنها.

ح) إذا أردت تقييد عبارة البحث بأن تكون الكلمات ضمن فاصل معيّن، أو أن تكون مقرونة بكلمة أو عبارة معيّنة، أو بعدهما، فانقر زر (شروط) واختر الشرط المطلوب.

ط) عيّن نطاق البحث، وذلك باختيار الكتب المطلوبة ضمن قائمة الكتب.

بعد اختيار الكلمات المناسبة ورعاية الأُمور المذكورة فيها يتمّ النقر على زرّ (بحث) ليتّم البحث عنها.

هذا كلّه في البحث عن الكلمة أو العبارة المعيّنة والمعلومة للباحث، لكن قد يكون المطلوب هو البحث عن الأحاديث المشتملة على مشتقّات مادّة معيّنة، كما لو أردنا جمع الروايات التي تدور حول (السماحة)، فلابدّ من استقصاء استعمالاتها أوّلاً ليتمّ البحث عنها، وقد أُودعت في البرنامج قابلية لاستخراج هذه الكلمات للبحث عنها وذلك كالتالي:

١ـ اطبع الحروف الأصلية من الكلمة ـ مادّة الكلمة، نظير (سمح) في المثال ـ في حقل العبارة، وانقر الزرّ (استخراج) لتُفتح لك نافذة فيها عدّة خيارات أحدها (مشتقّات).

٢ ـ انقر زر (مشتقّات).

---

١. السجدة: ٢٢ ـ ٢٧.

٢. انظر *تفسير جوامع الجامع* للطبرسي: ج٣، ص٤١.

٣ ـ اختر الكلمات المطلوبة واحذف الزائدة.

٤ ـ انقر زر (موافق) ليتمّ نقلها إلى قائمة البحث.

وبذلك سيتمّ البحث عن جميع المشتقّات المذكورة في آنٍ واحد.

٢ ـ نور الأحاديث

هذا البرنامج من البرامج الحديثية المهمّة على صعيد البحث والتنقيب الآلي، بل هو من أهمّ البرامج الحديثية الشيعية، ولا يستغني عنه الباحث في بعض المجالات؛ للمزايا التي يتميّز بها على غيره. ومن مزاياه:

١ ـ قابلية البحث المتطوّر والمتنوّع.

٢ ـ سهولة الاستخدام.

٣ ـ إمكان البحث ضمن أربع حقول منفصلة وفي عرضٍ واحد.

٤ ـ اشتماله على الكتب الحديثية الشيعية المهمّة مضافاً إلى ثلاثة كتب لغوية.

٥ ـ طباعة متونه بشكلٍ دقيق.

٦ ـ تشكيل الأحاديث في الكتب المهمّة.

٧ ـ إمكان نقل المعلومات المطلوبة إلى حقل المفكّرة، وجعلها ملفّاً.

٨ ـ سهولة التنقّل بين نوافذ البرنامج.

٩ ـ بيليوغرافيا الكتب المودعة فيه، وهذا من ميزات البرنامج.

١٠ ـ ذكر حياة أهل البيت عليهم السلام بصورةٍ مختصرة في حقلٍ مستقلّ.

حقول البرنامج

أ) **العرض**: هذا الحقل لعرض ومطالعة الكتب المودعة في البرنامج، فللباحث اختيار الكتاب المطلوب ومطالعته. باختيار هذا الحقل تُفتح لك نافذة ذات قسمين؛ أحدهما لعرض فهرس الكتاب، والآخر لعرض متنه.

وقد أودعت فيه قابليات عديدة، ككتابة التعليقات، ووضع العلامات للرجوع إليها فيما

بعد، وقابلية مقارنة النصوص الواردة في كتابين أو موضعين من كتابٍ واحد، وغير ذلك.

ب) البحث: هذا الحقل من أهمّ الحقول بالنسبة للباحث، ومن خلاله يستطيع البحث عن الأحاديث المطلوبة في الكتب المختلفة. ومن قابليات هذا الحقل إمكان تحديد البحث بمضمون النصّ؛ فقد يكون المطلوب للباحث هو البحث في خصوص نصوص معيّنة، كالروايات، أو الشروح، أو الأسانيد فقط، فهذا الحقل يجعل هذه الخدمة تحت اختيار الباحث. والمضامين التي يمكن تحديد نطاق البحث بها هي: (الآيات، الشروح، الروايات، الأسانيد، الأشعار).

ويمكن تحديد نطاق البحث بالفهارس، وذلك بالنقر على الزرّ المخصّص لذلك في يمين النافذة، وهذا من القابليات المفيدة جدّاً في البحث الموضوعي عن الحديث.

النقطة المهمّة في هذا الحقل هي بيان أزرار الشروط التي يمكن تقييد البحث من خلالها، وهي كالتالي:

١ ـ (&) **بشرط شيء**: هذا الزر لتقييد البحث عن كلمة أو عبارة بوجود كلمة أو عبارة أُخرى، فإذا أردنا البحث عن كلمة: (الإيمان) فإنّها تكرّرت (٨٠٨٩) مرّةً، ومطالعة هذا العدد الكبير بحاجة إلى وقتٍ كثير، فإذا قيّدنا البحث عنها بشرط هو وجود كلمة (الإسلام)، مثلاً تقلّص عدد النتائج إلى (٩٨٣) مورداً. وهكذا، فكلّما أضفنا قيداً تقلّص عدد النتائج أكثر، وكيفية إدراج العبارة المذكورة في شريط البحث هو كالتالي: (الإيمان = الإسلام).

هذا كلّه إذا لم يكن لترتيب الكلمات (الإيمان) و(الإسلام) دور في النتائج المطلوبة، وأمّا إذا كان الترتيب مطلوباً فهذا ما يؤدّيه الزرّ التالي:

٢ ـ (←) **بشرط شيء مع رعاية الترتيب**: إذا كان ترتيب الكلمات أو العبارات المبحوث عنها ـ والتي شرطنا بعضها بوجود البعض الآخر ـ مطلوباً في النتائج، فقد جُعل هذا الزر لتقييد البحث بالنحو المذكور، ففي المثال السابق إذا قيّدنا البحث عن (الإيمان) بوجود كلمة (الإسلام) بعدها، كان عدد النتائج (٦٠٦) مورداً، مع أنّ عدد النتائج في حال

عدم رعاية الترتيب هو (٩٨٣).

٣ ـ (!) **بشرط عدم الشيء**: هذا الزرّ لتقييد البحث عن كلمةٍ أو عبارة بعدم وجود كلمة أو عبارة أُخرى، فإذا أردنا البحث عن التركيب: (الرحمٰن الرحيم) فإنّها تكرّرت (٣٤٤٢) مرّةً، مع أنّ المطلوب في البحث هو بعضها، فإذا قيّدنا البحث عنها بشرط عدم وجود اسم الجلالة (الله) مثلاً تقلّص عدد النتائج إلى (٣٩) مورداً، وهكذا، فكلّما أضفنا قيداً تقلّص عدد النتائج أكثر، وكيفية إدراج العبارة المذكورة في شريط البحث هو كالتالي: (الرحمٰن الرحيم! الله).

٤ ـ (:) **التخيير**: قد يكون مطلوب الباحث مردّداً بين أمرين أو اُمور، فهذا الزرّ للبحث عن إحدى الكلمتين أو العبارتين الموجودتين؛ مثال ذلك: إذا أردنا البحث عن روايات راوٍ معيّن نظير (ابن أبي عمير)، فهذا الرجل ورد في الروايات بعناوين عديدة أهمّها: (ابن أبي عمير) و(محمّد بن أبي عمير) و(محمّد بن زياد)، فالمطلوب في البحث ليس هو أحدها مقيّداً بالآخر، ولا أحدها مقيّداً بعدم الآخر، وإنّما المطلوب هو أحدها لا على التعيين سواء اجتمع مع غيره أم لا، فإذا اجتمع عنوانان منهما في رواية واحدة، فهذه الرواية مطلوبة أيضاً[١]، فهذا الزرّ لتقييد البحث بالنحو المذكور.

٥ ـ (^) **أحد شيئين بشرط عدم الآخر**: قد يكون مطلوب الباحث مردّداً بين أمرين أو اُمور، لكن كلاًّ منها مقيّد بعدم الآخر. وبعبارةٍ أوضح: إذا ورد أحدها في النصّ فلابدّ ألاّ يكون الآخر موجوداً، ففي مثل ذلك عليه أن يستعين بهذا الزرّ لتقييد البحث بما ذكر، نظير البحث عن الروايات التي ورد فيها إمّا (الاستغفار) وإمّا (التوبة)، وأمّا النصوص التي

---

١. نظير الرواية التالية: «محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّدٍ، عن عليّ بن حديدٍ وابن أبي عميرٍ جميعاً، عن جميل بن درّاجٍ، عن رجلٍ، عن أحدهما عليهما السلام في رجلٍ سرق أو شرب الخمر أو زنى فلم يُعلم بذلك منه ولم يُؤخذ حتّى تاب وصلح، فقال: إذا صلح وعُرف منه أمرٌ جميلٌ لم يقم عليه الحدّ. قال محمّد بن أبي عميرٍ: قلت: فإن كان أمراً قريباً لم يقم؟ قال: لو كان خمسة أشهرٍ أو أقلّ منه وقد ظهر أمرٌ جميلٌ لم يقم عليه الحدود». *الكافي*: ج٧، ص٢٥١، ح١.

ورد فيها كلا العنوانين فهي غير مطلوبة، ويبلغ عددها (١٧٤) نصّاً.

٦ ـ (#) **شرط الابتداء**: هذا الزرّ يتيح للباحث إمكان تقييد البحث بما إذا كانت الكلمة أو العبارة المبحوث عنها في أوّل المقطع ـ إمّا في أوّل الرواية وإمّا في أوّل الصفحة ـ نظير البحث عن الروايات التي ورد في أوّل سندها (ابن أبي عمير)، ويبلغ عددها (١٤٥) رواية، وكيفية البحث عنها كالتالي: (# ابن أبي عمير).

تنبيه: ينبغي رعاية الفاصل بين كلمات العبارة المبحوث عنها، وذلك بالنقر على الزرّ (Spase) مرّة واحدة، إذا كان الحرف الأخير من الكلمة ممّا لا يتّصل بما بعده كالألف، ومرّتين إذا كان الحرف الأخير من الكلمة ممّا يتّصل بما بعده كالياء، كما أنّ الأفضل رعاية الفاصل بين الكلمات وبين علامة الشرط، وذلك بالنقر على الزر (□)، أو بالنقر على الزر (Spase) تفادياً للإشكال في بعض الصور.

المجموعة ١ ــ ٣: البحث تارةً يكون عن لفظ أو ألفاظ معيّنة، وتارةً عن مجموعة ألفاظٍ تشترك في جامعٍ مشترك، وهو اشتمالها على حروفٍ معيّنة بترتيبٍ معيّن، فالنوع الأوّل من البحث اتّضح بما سبق بيانه، والنوع الثاني يتمّ في هذا الحقل، وذلك أنّ البحث الموضوعي عن روايات (العقل) ـ مثلاً ـ لا يخصّ كلمة (العقل) فقط، بل يشمل جميع الكلمات المشتملة على الجذر: (عقل)، سواء تقدّم عليها حرف آخر أو أكثر، نظير: (العقل ـ للعقل ـ بالعقل ـ فالعقل)، أو تأخّر عنها نظير: (عقله ـ عقلاً ـ عقلنا)، أو توسّطت الكلمة نظير: (عاقل ـ معقول ـ العقول ـ المعقول...)، فإذا أردنا البحث عن هذه الكلمات فلابدّ من استخراجها أوّلاً، والبحث عنها ثانياً، واستخراجها من دون استخدام هذه القابلية أمر صعب للغاية في بعض الأمثلة؛ لصعوبة استحضار الذهن جميع هذه الكلمات، مع الأخذ بنظر الاعتبار ما سبقها ولحقها من الحروف، وهذه القابلية من القابليات الممتازة في هذا البرنامج.

ويطالعنا في أعلى النافذة زرّان هما (*) و (؟)، إليك بيانهما مع تطبيقهما على المثال المتقدّم:

الزر (؟): بالنقر عليه قبل «عقل) يقوم البرنامج بالبحث عن جميع الكلمات التي تنتهي بالحروف (عقل)، أياً كان حرفها الأوّل، لكن بشرط أن **لا** يزيد على حرفٍ واحد، وبعبارةٍ أُخرى: هذا الزر يحلّ محلّ حرفٍ واحد **لا** على التشخيص، ففي المثال المذكور يقوم البرنامج بعرض الكلمات التالية: (اعقل، بعقل، تعقل، فعقل، كعقل، لعقل، معقل، نعقل، يعقل)، والتي تنتهي جميعاً بـ(عقل)، مع عدم زيادة ما يتقدّمها على حرفٍ واحد، ومنه يتّضح ما لو نقر عليه بعد (عقل).

الزر (*): بالنقر عليه قبل (عقل) يقوم البرنامج بالبحث عن جميع الكلمات التي تنتهي بالحروف (عقل)، أياً كانت حروفها الأُولى، وأياً كان عدد الحروف، وبعبارةٍ أُخرى: هذا الزر يحلّ محلّ الحروف الأُخرى أياً كان عددها، ففي المثال المذكور يقوم البرنامج بعرض الكلمات التالية: (اعقل، التعقّل، العقل، المعقل، بالأعقل، بالعقل...).

ج) الآيات: هذا الحقل خاصٌّ بالقرآن الكريم؛ حيث يجعل آيات الكتاب العزيز ومفرداتها تحت اختيار الباحث، ويتيح له البحث عن جميع الكلمات بشكلٍ لفظي وجذري، كما يتيح له البحث عن أيّ عبارة أو تركيب ورد في الآيات الكريمة. ومن قابلياته المهمّة: (الآية في الكتب) وهو لاستعراض الروايات التي استعملت فيها الآية المطلوبة.

د) القاموس: أُودع في هذا الحقل ثلاث كتب لغوية هي: (*العين*) للخليل الفراهيدي، و(*لسان العرب*) لابن منظور، و*مجمع البحرين* لفخر الدين الطريحي. ويمكن مطالعة معنى الكلمة المطلوبة بشكلين: جذري، واشتقاقي.

هـ) المفكّرة: وهي معدّة لخزن المعلومات المطلوبة والتي يتمّ نقلها إلى المفكّرة من الحقول السابقة.

فإذا كان موضوعنا حول صلة الأرحام وأردنا جمع الأحاديث الواردة في ذلك بحثنا

عن العبارة (صلة الأرحام) وأمثالها ـ نظير (صلة الرحم) ـ وسنجد الأحاديث الكثيرة[١] المتضمّنة لهذه العبارة، فيمكن نقل هذه الأحاديث إلى حقل المفكّرة والاستغناء عن كتابتها، وذلك بتظليل الموارد المطلوبة والنقر على الزرّين (Ctrl + N).

---

١. ففي المثال نجد العبارة في (١٠٦) موضع منها (٨٩) مورد ضمن الحديث.

الأسئلة

١ ـ ما هي أساليب التتبّع اليدوي؟

٢ ـ ما الفرق بين الفهارس اللفظية والفهارس الموضوعية؟

٣ ـ اذكر ميزتين من ميزات البحث الآلي؟

٤ ـ اذكر خصوصيتين من خصوصيات برنامج مكتبة أهل البيت عليهم السلام.

٥ ـ ما هي الأدوات العلمية في برنامج مكتبة أهل البيت عليهم السلام؟

٦ ـ ما هي المضامين التي يمكن تحديد نطاق البحث بها في برنامج نور الأحاديث.

٧ ـ ما هي الكتب اللغوية الموجودة في حقل (قاموس) في برنامج نور الأحاديث؟